عَالَمِيَّةُ الإِسْلامِ

الجزء السّادس

الشّيخ محمّد أشكناني

إثبات وجود الإله

كتابة أولية

الطّبعة الأولى

هـ – م

حقوق الطّبع محفوظة للمؤلّف

السّلام عليكم جميعًا

أرجو ممّن يقرأ هذا الكتاب أن يرسل رأيه عن الكتاب إلى الإيميل

mohashk14@hotmail.com

أو الواتساب على رقم

00965-99644250

يبدي رأيه في الكتاب وفي مشروع عالميّة الإسلام ، فآراؤكم تهمّنا وترشدنا إلى الأفضل ، وستنشر الآراء مع أسماء أصحابها في الجزء التّالي من الكتاب ، وأكون لكم من الشّاكرين .

الشّيخ محمّد أشكناني

موقع الشّيخ محمّد أشكناني
www.alashkanani.com

YouTube
Ashkanani Channel

Instagram
@alashkanani

البريد الإلكترونيّ للمؤلّف
mohashk14@hotmail.com

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ الطَّاهِرِينَ

اللَّهُمَّ كُنْ لِوَلِيِّكَ الحُجَّةِ ابْنِ الحَسَنِ صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ

وَعَلَى آبَائِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ وَفِي كُلِّ سَاعَةٍ وَلِيًّا

وَحَافِظًا وَقَائِدًا وَنَاصِرًا وَدَلِيلًا وَعَيْنًا حَتَّى تُسْكِنَهُ

أَرْضَكَ طَوْعًا وَتُمَتِّعَهُ فِيهَا طَوِيلًا

بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ الطَّاهِرِينَ

الهدف من مشروع عالمية الإسلام

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

الهدف من مشروع عالمية الإسلام هو إثبات أن الإسلام دين عالمي، وأنه قادر على حل جميع مشاكل البشرية وأنه صالح لكل زمان ومكان، لذلك فالأحكام الدينية لا بد من أن تتناسب مع فطرة الإنسان أو عقل الإنسان أو السيرة العقلائية للإنسان، والسيرة العقلائية هي العرف العام للناس، وإذا رأينا حكما يعترض عليه الناس فلا بد من أن نراجع لنعرف السبب في اعتراضهم، وكلامنا في الأحكام التي يستنبطها الفقهاء لا الأحكام الإلهية الواقعية، فالأحكام الواقعية حتما تتناسب مع الإنسان، ولكن الاعتراض يكون على ما يستنبطه الفقهاء من أحكام، والأحكام التي يستنبطها الفقهاء قد تتوافق مع الأحكام الواقعية وقد تختلف معها، والخطأ إما أن يكون في اعتراض الناس وإما في الحكم الذي استنبطه الفقهاء، لذلك يبحث العلماء بحثا علميا؛ لكي يصلوا إلى معرفة مورد الخطأ .

وتوجد نظريتان : عدم دخالة الزمان والمكان في الأحكام الشرعية، ودخالة الزمان والمكان في الأحكام الشرعية، وسنأتي إلى النظريتين مع أدلتهما في بحث مستقل، ونطرح بعض المسائل الشرعية بناء على النظريتين، ونبين اختلاف النتائج الفقهية العملية بناء على النظريتين .

الأدلة على وجود الإله الخالق

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

نبدأ من هذه المحاضرة بذكر الأدلة التي تثبت وجود الإله الخالق للكون ، مع أن وجود الخالق أمر بديهي ، والقاعدة البديهية تقول : كل شيء لم يكن موجودا ثم وجد له سبب لوجوده ، والكون لم يكن موجودا ثم وجد ، فلا بد له من سبب لوجوده ، وسبب وجود الكون هو الإله الخالق للكون ، وهو عندنا الله تعالى ، ولكن لورود الشبهات من الملحدين نبين هذه الأدلة بالتفصيل ، ومع وجود الأدلة الكثيرة التي تدل على وجود الإله الخالق فلا يمكن لأحد إنكار وجوده .

لذلك يقول القرآن الكريم : "أَفِي اللهِ شَكٌّ "

والأدلة المثبتة لوجود الإله على قسمين :

١-القواعد الفطرية .

٢-القواعد العقلية .

القسم الأول من الأدلة المثبتة لوجود الإله : القواعد الفطرية :

(التحقيق في كلمات القرآن الكريم الشيخ حسن المصطفوي – كتاب العين للخليل الفراهيدي ، الصحاح الجوهري ، النهاية في غريب الحديث ابن الأثير ، الفطرة للشيخ مرتضى المطهري ، نفحات القرآن ج١ ص١٨٧– ٢٠٥ الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، اقتصادنا السيد الشهيد محمد باقر الصدر . تفسير القرآن الكريم السيد مصطفى الخميني ، القرآن في الإسلام السيد محمد حسين الطباطبائي ، تفسير الميزان السيد محمد حسين الطباطبائي ، تفسير الأمثل الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، العقيدة من خلال الفطرة في القرآن الشيخ جوادي آملي ، أفي الله شك؟ الشيخ مرتضى فرج ، مركز الأبحاث العقائدية www.aqaed.com – تحت عنوان لماذا البحث عن معرفة الله؟)

أول سؤال يأتي هو :

ما هي الفطرة ؟

الجواب :

معاني "الفِطْرَة" :

كلمة الفطرة في المعنى المراد لم تستعمل قبل استعمال القرآن لها .

فَطَرَ الشَّيْءَ يَفْطُرُهُ فَطْرًا فَانْفَطَرَ ، وفَطَّرَهُ بمعنى شَقَّهُ ، وتَفَطَّرَ الشَّيْءُ : تَشَقَّقَ ، وتفطّرت يده : تشقّقت ، وأصل "الفَطْر" هو الشَّقُّ ، يقول تعالى : **"إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ"** (الانفطار١) أي انْشَقَّتْ ، **"قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ"** (الأنبياء٥٦) ، **"إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ المُشْرِكِينَ"** (الأنعام٧٩) ، **"السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا"** (المزّمل١٨) ، ويقال : فَطَرَ نابُ البعيرِ فَطْرًا ، إذا شقّ اللّحم وطلع . وَفَطَرَ اللهُ الخَلْقَ يَفْطُرُهُمْ أي خَلَقَهُمْ وَبَدَأَهُمْ وابتدأ صنعة الأشياء ، وكأنّ ستار العدم يُمَزَّقُ فتخرج منه الموجودات ، وعن ابن عباس أنّه قال : ما كنت أدري ما فاطرُ السماواتِ والأرضِ حتّى احتكم إليّ أعرابيّان تخاصما على بئر ، فقال أحدهما : أنا فطرتها ، يقصد أنه أول من حفرها وابتدأها ، ففهم ابن عباس معنى الكلمة ، فهي تعني البادئ الأول بخلق الإنسان .

وهذه الكلمة لم ترد في حق غير الإنسان ، فلا يقال : فطرة الحيوان أو فطرة النبات أو فطرة الجماد .

في الرواية عن أبي بصير قال : أكلنا مع أبي عبدالله ع . . . ثم أتينا بِعُسٍّ من لبن ، فشرب منه ، ثم قال لي : اشرب يا أبا محمد . فذقته ، فقلت : جعلت فداك لبن؟ فقال : إنها الفطرة . . . . الكافي ج٦ ص٣٣٧ ح٩

العُسُّ : القدح الكبير ، والجمع عِسَاس وأَعْسَاس وَعِسَسَة . الفِطْرَة : هو خاثرُ لبنِ النّاقةِ الحديثةِ الولادة .

والمعنى يتضمّن البداية .

والفِطْرَةُ : الابْتِداءُ والاخْتِراعُ والابتداع أي الإيجاد بغير سابقة ، فيوجِدُ شيئا ليس له سابقة ، أي الإتيان بشيء جديد ليس له مثيل سابق ، يقول تعالى : **"الحَمْدُ للهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ" (فاطر ١)** .

والفِطْرَةُ : الخِلْقَةُ .

والفِطْرَةُ : ما فَطَرَ اللهُ عليه الخَلْقَ من المعرفة به ، يقول تعالى : **"فِطْرَتَ اللهِ الّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ"** (الروم٣٠) أي خِلْقَةُ الله الّتي خلق عليها البشر .

وتستعمل الفطرة بمعنى الدين ، فيقال : مات على غير فطرة محمد ص ، أي مات على غير دين محمد ص ، مات على غير الإسلام .

وتوجد ثلاثة ألفاظ في القرآن تدل في معناها على الدّين ، وهي : الفطرة ، والصّبغة ، والحنيفيّة .

"فِطْرَتَ اللهِ الّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا" (الروم٣٠)

"صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً" (البقرة١٣٨)

وصبغة الله هي نوع التّلوين الذي يُلَوِّنُ الله به الإنسان ، وهذه الصّبغة فيها معنى الدين .

وصبغة على صيغة (فِعْلَة) كما هي صيغة فِطرة ، وسيأتي معنى صيغة (فِعْلَة) في اللغة .

"مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" (آل عمران٦٧)

حَنَفَ بمعنى مَالَ ، والحَنِيف هو الذي يميل إلى الحق والاستقامة ، وهو المائل إلى الإسلام والثابت عليه ، والحنيف عند العرب هو من كان على دين إبراهيم ع ، وكانوا ينكرون الوثنية ، وفطرة الإنسان مجبولة على الميل إلى الحق والحقيقة .

للبشر فطرة هي فطرته الدينية ، والدين أمر فطري ، والتدين فطرة في الإنسان ، ودينه الإسلام من آدم ع إلى الخاتم سيدنا محمد ص ، والدين عند الله واحد ، ولا يوجد تعدد في الدين الإلهي ، والدين فطرة الإنسان وحقيقة واحدة في طبيعة الإنسان .

"فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللهِ الّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" (الروم٣٠)

إن تعاليم جميع الأنبياء مبنية على أساس إحياء الحس الفطري وتربيتِه وتنميةِ الفطرة الإنسانية ، وجميع الأنبياء ع كانوا يدعون إلى دين واحد وهو الإسلام ، وهو الدين القيم على جميع الأديان ، والقيم على جميع المجتمعات الإنسانية .

ويستحيل تغيير فطرة الإنسان وصبغته لأنها فطرة الله وصبغة الله ، ومن أحسن من الله صبغة ؟!

الشيخ الصدوق في كتابه التوحيد : عن زرارة سئل الإمام الباقر ع عن معنى **"حُنَفَاءَ للهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ"** (الحج٣١) فقال الإمام ع : هي الفطرة التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله . وقال : فطرهم الله على المعرفة .

ثم ذكر الإمام ع عالم الذر ، فأرجع الإمام ع المعنى إلى أمر تكويني .

وفي عالم الميثاق قال الله : ألست بربكم ؟ قالوا : بلى .

"وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ" الأعراف١٧٢

"أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ" يس٦٠

كل إنسان يُقِرُّ بأن له ربًّا لا يشرك به ، وهذا معناه أن هناك في فطرته ما يدعوه إلى الاعتقاد بإله رب له لا يشرك به ، وكل إنسان يُقِرُّ بأن له صانعا وإن سمّاه بغير اسمه أو عبد معه غيره .

والفطرة على صيغة (فِعْلَة) ، وهذه الصيغة تدل على المصدر الدال على هَيْئَةِ الفعل وَنَوْعِهِ ، وتختلف عن صيغة (فَعْلَة) ، فكلمة (جَلْسَة) تدل على الجلوس مرة واحدة ، فنقول : (جَلَسَ جَلْسَةً) ، أي جلس مرة واحدة فقط ، ولكن كلمة (جِلْسَة) تعني هيئة الجلوس ، فنقول : (جَلَسَ جِلْسَةَ الأمير) ، أي جلس على هيئة جِلْسَة الأمير .

لذلك كلمة (فِطْرَة) تعني أن الله خلق الإنسان بهيئة خاصة ، وأودع فيها استعدادات وخصائص معينة عند خلقه ، وهذه الاستعدادات والخصائص تسمى (فطرة الإنسان) ، فالإنسان يولد على نوع من الطبع المتهيئ لقبول الدين .

والفطرة هي إمكانات واستعدادات وأمور نظرية وقواعد ومعارف قبلية غير مكتسبة وإدراكات بديهية ضرورية جعلها الإله في خلقة الإنسان ليصل بها إلى معرفة خالقه ويتحرك نحو الأكمل ، فيتحرك نحو الموجود الأكمل وهو خالق الكون ، ويتحرك نحو النفس الأكمل من حيث الصفات الحسنة ، ويتحرك نحو العمل الأكمل من حيث الخارج ، فيريد الإنسان أن يصل إلى الأكمل في كل شيء ، وقد زوده الله بإمكانات الوصول إلى الأكمل ، فهي برامج مندكة في النفس مع خلق الإنسان ، مثل برامج الكومبيوتر ، وهذه البرامج تكون جزءا من الكومبيوتر ، وأصول التفكير الإنساني فطرية مشتركة في جميع أفراد البشر ، وبعض المسائل يدركها الإنسان بدون حاجة إلى الاستدلال وإقامة البرهان ، فهي معارف فطرية قبلية ، وموطنها الذهن أو النفس أو القلب ، فأصول التفكير الإنساني ليست تعلّمية ولا استدلالية ، وهي أحد مصادر العلم ومعرفة الحقائق ، وأما فروع التفكير فهي مكتسبة وتحتاج إلى استدلال وبرهان ، فهي معارف بعدية ، وموطنها العقل .

وقد خلق الله الإنسان لأجل أن يتكامل على أساس السنة الإلهية ، فلا بد أن تكون الدوافع والوسائل مهيأة في ذاته ، والفطرة تهدي الإنسان إلى كماله الخاص ، وما جاء به الأنبياء والرسل وما ورد في الكتب السماوية لا بد أن تكون متناسبة مع هيئة الإنسان التكوينية ، فعالم التشريع لا بد أن يكون متناسبا ومتطابقا مع عالم تكوين الإنسان وخلقته ، وكما يسلّم الإنسان لله في عالم التكوين فيجب أن يسلّم له تعالى في عالم التشريع ، ولا يوجد تضاد بين عالم التكوين وعالم التشريع ، ولا يمكن أن يدعو الشرع إلى شيء ليس له جذر في فطرة الإنسان ، والتعاليم الأساسية لا بد أن تكون مودعة في ذات الإنسان ، وتأتي الشرائع السماوية لتفصل هذه التعاليم الأساسية الفطرية .

عن النبي ص : "**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ** . . ." (بحار الأنوار ج٣ ص٢٨١)

معناها أن الإنسان يولد على نوع من الجِبِلَّة والطبع بحيث يكون متهيّئا لقبول الدين إلا إذا أثرت عليه عوامل خارجية وَحَرَفَتْهُ عن مسيره الفطري الطبيعي .

ونرى أن بعض الأمور التي تعرض على الإنسان يقيّمها بسرعة بدون تفكير .

مثلا لو سئلت : هل الكل أكبر من جزئه ؟

يأتي الجواب من كل إنسان بالإيجاب فيقول نعم – بلا تفكير ولا استدلال ، فهذا أمر بديهي موجود في برمجة الإنسان وفطرته ، ولا تحتاج إلى دليل لإثباته .

لو سئلت : هل النقيضان يجتمعان ؟

يأتي الجواب بالنفي مباشرة بدون تفكير واستدلال .

لو سئلت : هل يوجد خالق للكون ؟

يأتي الجواب مباشرة بنعم لأنك بمجرد ما ترى النجوم ينتقل ذهنك إلى وجود خالق لها ، وهذا الانتقال انتقال فطري بدون تفكير واستدلال .

وما دام أنها معلومات سابقة فلا بد أن تكون لهذه المعلومات صانع وموجِد في نفس الإنسان ، والمعلومات الفطرية دالة على وجود الإله الصانع الموجد لهذه الفطرة .

وعلى الإنسان أن يستفيد من هذه الإمكانات والاستعدادات من خلال تكامل إدراكاته من السمع والبصر والعقل ، فيقوم بتفعيل هذه الإدراكات ، ويستفيد من المشاكل التي يمرّ بها في حياته ، فيصل إلى معرفة الحقيقة التي هي الإله الخالق ، وهذه الحقيقة تفرض نفسها على الإنسان في المواقف الصعبة ، وبعد ذلك يبدأ الإنسان باكتساب المعارف بعد أن يأتي إلى هذه الدنيا .

"وَاللهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" (النحل٧٨)

يوجد رأيان في الآية الكريمة :

الرأي الأول :

قبل أن تأتوا إلى عالم الدنيا لا تعلمون شيئا ، وحينما تأتون إلى الدنيا تكون المعلومات الفطرية غير مفعَّلة ، ولا تعلمون المعلومات النظرية الكسبية ، وعن طريق السمع والبصر والعقل تبدءون باكتساب هذه المعلومات الجديدة ، وأما المعلومات الفطرية فهي موجودة معكم من قبل ، وبواسطة هذه المعلومات القبلية تبدءون باكتساب المعلومات البعدية ، وكل إنسان يشعر بوجود هذه المعلومات القبلية عنده ، مثل الكل أكبر من الجزء ، واستحالة اجتماع النقيضين ، وحسن العدل وقبح الظلم ، والمعلومات المكتسبة تنتهي إلى المعلومات الفطرية ، فالآية تتحدث عن المعلومات النظرية الكسبية بقرينة السمع والأبصار والأفئدة ، فعن هذه الطرق يحصل الإنسان على المعلومات الكسبية .

الرأي الثاني :

الآية تقول : **"لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا"** ، فالمولود يكون كالصفحة البيضاء الخالية من كل شيء ، فالإنسان لا يملك أي معلومات لا قبلية ولا بعدية ، فلا يعرف أن الكل أكبر من جزئه ، نعم يوجد عند الإنسان استعداد فطري بحيث إنه حينما يتصور الكل ويتصور الجزء ويقيسهما إلى بعضهما البعض يدرك أن الكل أكبر من الجزء ، وهذا التصديق بكون الكل أكبر من الجزء هو تصديق فطري ، بمعنى أنه لا يحتاج إلى تعلم واستدلال لا أنها معلومات قبلية موجودة في الذهن البشري قبل

الولادة ، وأصول الفكر فطرية لا بمعنى أنها كانت موجودة سابقا مع خلق الإنسان ، وإنما بمعنى أنها لا تحتاج إلى تعلّم واستدلال ، فكل المعلومات يعرفها الإنسان من بعد الولادة ، بعضها لا تحتاج إلى استدلال ، وهي المعلومات الفطرية ، وبعضها تحتاج إلى استدلال ، وهي المعلومات المكتسبة غير الفطرية .

آيات تدل على الرأي الأول :

ولو رجعنا إلى القرآن الكريم لوجدنا بعض الآيات التي تدل على صحة الرأي الأول وهو وجود أمور قبلية في الإنسان قبل ولادته .

الآية الأولى :

"وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا" .الشّمس : ٧ – ٨ .

الإلهام هو الشيء الذي يقع في قلب الإنسان ، وهو التلقين الإلهي ، وهو نوع من أنواع الوحي ، والله ألهم الإنسان معرفة التقوى والفجور والتمييز بينهما ، والقدرة على التمييز بين الأمرين والقدرة على اختيار أحدهما – دالة على وجود الصانع القادر الذي أوجدها في نفس الإنسان .

الآية الثانية :

"فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ" (الأنبياء٦٤)

رجعوا إلى أنفسهم ، ومن خلال المعلومات السابقة الموجودة عندهم عرفوا أنهم ظالمون ، ولا بد أن يكون عندهم مقياس مسبق للتمييز بين العدل والظلم ، ثم أصدروا قرارا على أنفسهم بأنهم ظالمون .

الآية الثالثة :

"وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ" القيامة٢

النفس تلوم صاحبها لأن لديها مقاييس لمعرفة الحق والباطل والتمييز بينهما ، فإذا أقدم الإنسان على فعل خاطئ فإن نفسه تلومه ، وهذا يدل على وجود معلومات قبلية .

الآية الرابعة :

"وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ . . ." (لقمان٢٥)

الإنسان حينما يرى السماوات والأرض فإنه بفطرته يدرك وجود خالق لها ، وينتقل بفطرته من الأثر إلى المؤثر ، ومن الحادث إلى المحدِث ، ومن المسبَّب إلى العلّة والسبب .

الآية الخامسة :

"فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ" (العنكبوت٦٥)

عندما يمر الإنسان بأزمة ولا يجد لها حلا بالطرق الطّبيعيّة فإنه يتوجه بفطرته إلى قوة خفية يمكن أن تحل له هذه الأزمة .

الآية السادسة :

"صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ" . البقرة : ١٣٨ .

عـن الإمـام الصـادق ع : الصـبغة الإسـلام . (بحـار الأنـوار ج٣ ص٢٨١ ح١٩)

الآية السابعة :

"فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللهِ الّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" (الروم٣٠)

الدين أمر فطري ، وموجود في فطرة الإنسان قبل خلق الإنسان ، فمعرفة الله فطرية ، والدين والميل الطبيعي إلى التدين فطريان ، والدين حاجة فطرية في الإنسان .

الآية الثامنة :

"خَلَقَ الإِنسَانَ عَلَّمَهُ البَيَانَ" (الرحمن٣-٤)

علم الله الإنسان طريقة لبيان ما يريده ، فيحول الأفكار إلى ألفاظ منطوقة أو حروف مكتوبة ، وهذه الطريقة موجودة مع الإنسان قبل ولادته .

الآية التاسعة :

"الَّذِي عَلَّمَ بِالقَلَمِ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَم" (العلق٤-٥)

علم الله الإنسان كيفية الاستفادة من القلم للكتابة ولتعلّم ما لا يعلمه من خلال القراءة ، ومعرفة هذه الكيفية موجودة مع الإنسان قبل ولادته .

وهذه الآيات لا تعارض آية "**وَاللهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**" (النحل٧٨) ؛ لأن هذه الآيات تتحدث عن المعلومات الفطرية ، وتلك الآية تتحدث عن المعلومات الكسبية ، فلا يوجد تعارض بينها ، والبعض قال يوجد تعارض ونحلّه عن طريق العام والخاص ، فالآية تقول لا تعلمون شيئا أي لا تعلمون المعلومات الفطرية والمعلومات الكسبية ، وهذه الآيات تخصص عموم تلك الآية ، فيكون المعنى لا تعلمون شيئا إلا المعلومات الفطرية ، ونقول بأنه لا يوجد أي تعارض لنقول بالعموم والتخصيص ، فهذه الآيات تتحدث عن المعلومات الفطرية ، وتلك الآية تتحدث عن المعلومات الكسبية بقرينة السمع والأبصار والأفئدة ، والمعلومات الفطرية لا تكتسب من هذه الطرق ، بل هي موجودة مع الإنسان قبل ولادته .

التربية المتناسبة مع الفطرة :

قضايا التربية والتعليم لا بد أن تسير وفق الأمور الفطرية الموجودة في الإنسان ، والفطرة تدعو إلى الاعتقادات الحقة والصفات القلبية الحسنة والأعمال الصالحة .

والتربية تعني التنمية والعمل على إكمال رشد الشيء وإنمائه ، وهذا يكون مبنيا على مجموعة من الاستعدادات الموجودة في الإنسان .

وتربية الإنسان مثل ما يقوم به الفلاح في بستانه ، فهو يسير نحو هدف مادي وهو إكثار زرعه ، ولبلوغ هدفه يأخذ بطبيعة كل نبات

بعين الاعتبار ، فيعتني بهذا النبات لكي يوصله إلى الكمال الكامن في طبيعة هذا النبات ، فيعرف طرق تربية النباتات والظروف المناسبة لنموها ورشدها وبلوغها مرحلة الكمال ، ويعمل على توفير تلك الظروف لكي يسير النبات وفق مسيرته الطبيعية التي فطرت عليها ، وبذلك يصل إلى الهدف الذي كان يسعى إليه .

والإنسان لا بد أن تتم تربيته بناء على الاستعدادات الموجودة فيه لكي يصل إلى الهدف المرجو ، فيحصل على الكمال حينما يطوي مسيرته الطبيعية ، وجميع الصفات الكمالية داخلة في فطرة الإنسان ، والإنسان مجبول على الحركة نحو الكمال المطلق ، وهو الله تعالى ، فيكون مجبولا على الحركة نحو الله عز وجل .

والآن البرامج التربوية والقوانين التشريعية قائمة على غير الاستعدادات الطبيعية في الإنسان أي غير قائمة على فطرته ، فيقتلون في الإنسان إنسانيته ، ويحولونه إلى شيء سلبت منه كل إرادة وحرية وفكر واستقلال ، ويكون صالحا للمجتمع الذي يريده الحكام .

التربية الصحيحة تعني تعهد مواهب الإنسان واستعداداته الطبيعية ، فإذا كان للإنسان استعداد فطري وعقلي للبحث عن الحقيقة فلا بد أن يربى فيه هذا الاستعداد لا أن يقضى عليه ، ولا بد من إحياء فطرة الإنسان بعد أن طمست معالمها بسبب الانكباب على الدنيا والسعي وراء رغبات النفس وأهوائها ، والإنسان قائم بفطرته ، فإذا طمست الفطرة طمست الإنسانية ، وإذا مسخت الفطرة مسخ

الإنسان ، كما هو الحال في زماننا حيث تحول الإنسان إلى وحش كاسر وانتشرت الحروب والكوارث بيد من يسمى إنسانا ، وأصبح الإنسان لا يبالي بأخيه الإنسان ولا بخراب الطبيعة ، وهذا كله يؤدي إلى انحراف الفطرة عن مسارها المرسوم لها بسبب الأفعال الفاسدة التي جميعها اختيارية إرادية ، فالإنسان ينحرف عن فطرته باختياره وإراداته ، وصار الإنسان أضل من الحيوان .

"وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الجِنِّ وَالإِنسِ لَهُم قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُم أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُم ءَاذَانٌ لَّا يِسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الغَافِلُونَ" الأعراف١٧٩

"أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُم يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالأَنعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا" الفرقان٤٤

الطبيعة والغريزة والفطرة :

ثلاث كلمات لا بد من التمييز بينها ، وهي :

١-الطبيعة .

٢-الغريزة .

٣-الفطرة .

نأتي إليها تباعا :

١-الطبيعة :

الطبيعة أو الطبع تستعمل عادة مع الجمادات ، ولكنها تستعمل أيضا مع الأحياء من النباتات والحيوانات ، فالطبيعة تطلق على الخصائص

الذاتية للشيء ، وإذا أردنا أن نشير إلى خاصية من خصائص الماء نقول : من طبيعة الماء أنه يتركب من أوكسجين وهيدروجين ، أو : من طبيعة الأوكسجين أنه غاز قابل للاشتعال ، ونقول : من طبيعة النبات أنه ينمو ، ونقول : من طبيعة الإنسان أنه يفكر .

٢–الغريزة :

هذه الكلمة تستعمل مع الحيوانات ، ومع الإنسان أيضا ، ولا تستعمل مع النبات والجماد ، فنقول : غرائز الإنسان وغرائز الحيوانات ، ولا نقول : غرائز النباتات وغرائز الجمادات .

والغريزة في الحيوان هي خصائص باطنية تهديها في حياتها ، ففيها حالة تستطيع بواسطتها تمييز مسيرها ، وهي حالة غير مكتسبة ، بل هي من طبيعة الحيوانات .

مثلا ما أن تلد الفرس حتى يحاول الوليد النهوض من مكانه فيقع ، ويكرر ذلك إلى أن يقف ، ثم يتجه الوليد إلى أمه وينحني تحت بطنها بحثا عن الثدي ، وإذا عثر على الثدي يبدأ بمص الحليب .

هذه غريزة لم يتعلمها الحيوان ، وتختلف الغرائز في الحيوانات .

وكذلك توجد غرائز في الحشرات ، مثلا في النمل توجد غريزة جمع الطعام في فصل الصيف وتخزينه للاستفادة منه في فصل الشتاء ، وإذا حصل على حبة قمح فإنه يكسرها لكي لا تنمو .

من أين جاءت المعرفة للمهر وليد الفرس وللنمل ؟

هذه هي الغريزة ، وهي شيء غامض .

٣–الفطرة :

تستعمل مع الإنسان فقط ، فيقال : فطرة الإنسان ، وهي أمر تكويني نابع من ذات الإنسان ، وليست مكتسبة ، فهي مزروعة في عمق وجود الإنسان ، فتوجد في الإنسان مجموعة من القضايا الفطرية أو القواعد الفطرية .

والفرق بين الغريزة والفطرة هو أن الغريزة تدور في حدود الأمور المادية ، وأما الفطرة فتدور حول أمور أخرى ، مثل طلب الحقيقة ، فإذا واجه الإنسان أمورا مجهولة فإنه يسعى إلى الكشف عنها ومعرفة حقائقها ، فالإنسان بفطرته طالب للحقيقة ، ومن فطرته شكر من يفعل الخير له ، ومن فطرته الإحسان إلى من أحسن إليه .

"هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلَّا الإِحْسَانُ" .الرحمن٦٠

والقرآن يشير إلى هذا الأمر الفطري الموجود في الإنسان .

والفطرة تدعو إلى الأخلاق الحسنة وتُنَفِّرُ من الأخلاق السيئة .

والأخلاق الحسنة تظل حسنة مهما تغيرت ظروف الإنسان ، فالأخلاق ثابتة وليست نسبية متغيرة ، فالخلق الحسن يبقى حسنا والخلق السيئ يبقى سيئا مهما تغيرت ظروف الإنسان الزمانية أو المكانية .

ومن فطرة الإنسان البحث عن خالقه والتوجه إليه بالعبادة ، وسيأتي البحث عن فطرية الاعتقاد بالخالق ، وفطرية الدين ، وفطرية العبادة ، وفطرية الاعتقاد بالنبوة ، وفطرية الاعتقاد بالإمامة ، وفطرية الاعتقاد

بوجود يوم للحساب والجزاء أي الاعتقاد بيوم القيامة ، وفطرية القيم والمبادئ الإنسانية .

"وَيَقُولُ الإِنسَانُ أَإِذَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا" .مريم٦٦

هذا السؤال من نوع الإنسان سؤال فطري ، فكل إنسان يتساءل عن ما يحدث بعد موته ، فإذا مات فهل يرجع إلى الحياة مرة أخرى ، وهذا من فطرة الإنسان لأنه باحث عن الخلود ، نعم هو يموت ، ولكن يتساءل عن الرجوع إلى الحياة مرة أخرى انطلاقا من فطرته في البحث عن الخلود ، وكذلك انطلاقا من فطرته في الرجوع إلى يوم للحساب والجزاء ، فهو يرى أنه في الدنيا يوجد ظالم ومظلوم ، فلا بد من وجود يوم آخر لحساب الناس لأجل إرجاع الحق إلى المظلوم والاقتصاص من الظالم ، ويستحيل أن تنتهي الدنيا ويتساوى الظالم والمظلوم في نهايتهما .

فروع الفطرة :

المعلومات الفطرية لها أربعة فروع ، وهي :

الفرع الفطري الأول : إدراك الحسن والقبح :

يحكم العقل الإنساني بحسب الفطرة استحالة أن يكون الله سبحانه ظالما أو كاذبا أو عابثا لأنها أمور قبيحة ذاتًا ، وإذا ثبت تنزهه سبحانه عن هذه القبائح ثبت كونه حكيما .

وهذه النتيجة يصل إليها كل إنسان بناء على العقل الفطري الموجود عند جميع الناس ، فعقل الإنسان عنده صلاحية إصدار أحكام من

دون الرجوع إلى الشرع ، لأننا نقطع بأن الأفعال – بما هي هي – حسنة وقبيحة لا أن الشارع بيّن لنا حسنها أو قبحها ، وهذه هي مسألة الحسن والقبح الفطريين على أساس العقل الفطري .

سؤال : هل العقل الإنساني قادر على أن يحكم بحسن الأفعال وقبحها استقلالا من دون الرجوع إلى الشرع أو أن الأمر يرجع إلى الشرع فما حسّنه الشرع فهو حسن وما قبّحه الشرع فهو قبيح؟

الجواب :

العقل الإنساني قادر على الحكم بحسن الأفعال وقبحها بشكل مستقل عن الشرع .

"أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ" البلد٨-١٠

سئل الصادق ع عن قول الله عز وجل : **"وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ"** ، قال ع : "نجد الخير ونجد الشر" . الاعتقادات في دين الإمامية الشيخ الصدوق ص٣٧

أودع الله تعالى في ذات الإنسان وفطرته القدرة على معرفة الخير والشر ، فالله تعالى عرّف الإنسان طريق الخير وطريق الشر تكوينًا ، وليس مراد الآية الهداية عن طريق الأنبياء والرسل والشرائع بقرينة سياق الآيات ، فالآيات بصدد بيان النعم التكوينية التي أعطاها الله للإنسان من العينين واللسان والشفتين والهداية إلى النجدين .

"وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا" .الشّمس : ٧ – ٨ .

الفرع الفطري الثاني : إدراك البديهيات العقلية :

كل إنسان عنده أحكام مسلَّمة لا يشك فيها أبدا ، ويسلِّم بهذه الأحكام عقول جميع الناس ، وهنا العقل هو العقل الفطري لا العقل الاستدلالي ، وتسمى "البديهيات" أو "الضروريات" ، وتعتبر أساس الاستدلالات العقلية ، ولا يمكن إقامة البرهان في أي موضوع من دون الاستناد إلى البديهيات .

أقسام البديهيات :

تنقسم البديهيات إلى قسمين من حيث المدرَك ، فالعقل لا ينقسم إلى قسمين لأن العقل واحد ، وإنما التقسيم يكون على أساس ما يدركه العقل ، فإذا كان المدرَك هو الأمور العلمية النظرية فتكون من أحكام العقل النظري ، وإذا كان المدرَك هو الأمور العملية فتكون من أحكام العقل العملي ، والقسمان هما :

١-أحكام العقل النظري :

هذه الأحكام تتعلّق بعلم الإنسان ونظرياته وأفكاره العلمية ، مثل الحكم بأن الثلاثة أكبر من الاثنين ، وأن الكل أكبر من الجزء ، وأن النقيضين لا يجتمعان ، وهذه الأحكام لا ترتبط بأعمال الإنسان ، وإنما ترتبط بفكر الإنسان وعلمه ونظرياته .

٢-أحكام العقل العملي :

هذه الأحكام تتعلّق بأعمال الإنسان وأفعاله وسلوكه في حياته الفردية والاجتماعية والسياسية وغيرها ، مثل الحكم بأن الأب والأم مسئولان عن تربية أبنائهما ، وأن الأبناء عليهم أن يحترموا آباءهم وأمهاتهم ،

وأن حاكم البلد يجب عليه أن يكون عادلا ويحكم بالعدل وأن يتابع شئون الفقراء والمحتاجين .

والعقل يقيس واقعية العدل – بما هو هو – إلى الفطرة الإنسانية فيراه متناسبا مع الفطرة فيحكم بحسن العدل في ذاته ولزوم اتصاف العاقل به ، ويرى أن الظلم لا يتناسب مع الفطرة فيحكم بقبح الظلم في ذاته ولزوم الابتعاد عنه .

الإنسان يعلم علما بديهيا بحسن بعض الأفعال كالعدل والصدق والأمانة والإيثار ، ويعلم بقبح بعض الأفعال كالظلم والكذب والخيانة والإساءة إلى الآخرين ، وهذا العلم موجود في فطرة الإنسان وطبيعته ، والله أودع في العقل الفطري عند الإنسان القدرة على إدراك اليقينيات النظرية والعملية .

والمنكرون لوجود خالق أو المنكرون للرسل يعتقدون بحسن بعض الأفعال أو قبحها ، ولو قلنا بأن الشرع هو الذي يحسّن الأفعال أو يقبّحها لما قال هؤلاء بحسن الأفعال أو قبحها .

". . . **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ**" الزمر٩

الإنسان بفطرته يعلم أن العالم لا يستوي مع الجاهل ، فالعالم أفضل من الجاهل .

". . . **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ** . . ." الرعد١٦

النتيجة :

العقل الفطري مستقل في إدراكه لحسن الأفعال أو قبحها ، لذلك تثبت الحكمة لله تعالى بمعنى تنزّه فعله عن كل ما لا ينبغي في نظر العقل الفطري ، وعلى أساس الحسن والقبح الفطريين نبني جميع اعتقاداتنا في أفعال الله تعالى .

الفرع الفطري الثالث : الفطرة الدينية :

يعلم الإنسان بعض القضايا الدينية من دون الاستعانة بأحد ، مثل معرفة الإله الخالق ، ومعرفة الحاجة إلى الرسل والأئمة ، ومعرفة المعاد .

"فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ . . ." (العنكبوت٦٥)

ونرى أن الاعتقاد بوجود خالق للكون موجود على مر العصور ، فعلى مر التاريخ يوجد عند كل قوم معبد ، ولا يوجد قوم بلا دين إلا بشكل استثنائي ، فالدين والتدين فطري عند الإنسان .

الفرع الفطري الرابع : محكمة الفطرة :

يوجد في باطن كل إنسان ضمير يحاكمه على أعماله ، ويشجعه على الإتيان بالأعمال الحسنة وترك الأعمال السيئة ، فحينما يؤدي الإنسان عملا حسنا فإنه يشعر برضا الضمير ، وعندما يرتكب عملا سيئا يشعر بتأنيب الضمير .

"قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْئَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ" الأنبياء٦٢-٦٤

البحث عن خالق الكون :

يأتي السؤال التالي :

لماذا يجب على الإنسان أن يبحث عن خالق الكون؟

الجواب :

إن فكرة خالق الكون بدأت مع بدايات الإنسان لأن عبادة الإله أمر فطري عند الإنسان ، والاعتقاد بالإله وتوحيده أمر فطري ، والإيمان بالإله مغروس في فطرة الإنسان ، والإنسان يحتاج إلى الإله كما يحتاج إلى الماء والأكسجين ، وفي كل عصر توجد مظاهر مختلفة لعبادة الإله حيث توجد المعابد والهياكل في كل مكان عاش فيها الأقوام السابقون ، وهذا ما يبيّنه تاريخ الأديان وعلم الآثار ، فمن الكعبة إلى كهوف العبادة في العصر الحجري إلى معبد سليمان إلى المعابد الضخمة ، فلا يوجد قوم لا يملك نوعا من العقائد الدينية والإيمان بإله خالق للكون ، والاعتقاد الفطري بالإله لا ينفك عنه أي أمة من الأمم قديما وحديثا ، فالبشر على مر التاريخ رغم اختلافهم في الزمان والمكان والقومية والثقافة كانوا يبحثون عن الإله الخالق للكون .

وحينما نقرأ قصص القرآن عن الأنبياء ع لا يقول القرآن بأن دورهم ع هو إثبات وجود الله ؛ لأن الإيمان بوجود الخالق أمر فطري لا

يحتاج إلى إثبات ، فبمجرد ما يرى الإنسان الإبداع والنظم الدقيق في الكون يعلم بفطرته بوجود خالق له .

دعوة الرسل ع

"قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ . . ." إبراهيم١٠

فلو نظر الإنسان إلى السماوات والأرض لآمن بوجود خالق لها ، ولما شك بوجود الخالق، وذلك بفطرته وعقله كما سنبيّن بعد ذلك ، وإنما الدور الأصلي للأنبياء ع هو إزالة آثار الشرك والوثنية ، والدعوة إلى عبادة الله وحده بلا أي شريك .

دعوة النبي ص

"الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ ءايَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ" هود١-٢

دعوة نوح ع

"وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ" هود٢٥-٢٦

دعوة يوسف ع

"مَا تَعْبُدُونَ مِن دونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَءَابَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الحُكْمُ إِلَّا للهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" يوسف٤٠

دعوة هود ع

"وَاذْكُرْ أَخَا عادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ" الأحقاف٢١

واليوم وبعد أن أصبح الإلحاد وإنكار وجود الخالق ظاهرة اجتماعية منتشرة في العالم احتجنا إلى بحوث لإثبات وجود إله خالق للكون ، وبعض الآيات القرآنية لا تثبت التوحيد بشكل مباشر ، ولكنها تشير إلى أصل وجود الخالق بشكل غير مباشر .

"هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا" الإنسان١

"أَوَلَا يَذْكُرُ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا" مريم٦٧

الإنسان بفطرته يعرف أنه لم يكن شيئا من قبل ثم وُجِدَ .

"أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ" الطور٣٥-٣٦

والاستدلال بالآية كما يلي :

نأخذ الفقرة :

"أَمْ خُلِقُوا مِن غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الخَالِقُونَ" .

أمامنا ثلاثة احتمالات على نحو الحصر ، ولا يوجد احتمال رابع ، والاحتمالات هي :

الاحتمال الأول :

الإنسان وُجِدَ من غير خالق .

الاحتمال الثاني :

الإنسان خلق نفسه .

الاحتمال الثالث :

الإنسان له خالق .

الاحتمال الأول باطل لأن كل فعل له فاعل ، والاحتمال الثاني باطل لأن الشي لا يكون سببا لنفسه ، فيتعيَّن الاحتمال الثالث وهو أن يكون له خالق .

تساؤلات فطرية :

إن الإنسان ينظر إلى وجوده وإلى النعم الكثيرة المحيطة به فيتساءل تساؤلا فطريا منطلقا من طبيعته البشرية كإنسان مفكر عنده حب الاستطلاع والفضول إلى العلم والمعرفة ، وهو فضول معرفي وفضول طبيعي موجود عند كل إنسان ، وهذا الفضول المعرفي هو الذي دفع الإنسان إلى الفلسفة والدين ، أو العقل والدين ، فالإنسان بطبعه فيلسوف متديِّن ، أي عاقل متدين ، والفلسفة هي "علم المعارف العقلية" ، والإنسان يحتاج إلى العقل والدين أو العقل والنقل أو العقل والوحي ، فهما جناحان يطير بهما الإنسان ، ولا يمكن أن ينفكا عن بعضهما البعض : العقل والدين .

والتساؤلات هي :

من أين جئنا؟

من الذي جاء بنا إلى هنا؟

من الذي خلقنا وأوجدنا؟

من هو مبدأ عالم الوجود؟

هل يوجد طريق لمعرفة خالقنا؟

أين نحن الآن؟

من الذي خلق لنا عقولا مفكرة؟

كل ما نحتاجه موجود في الطبيعة فلماذا هذه النعم الكثيرة ؟

ماذا يريد منا خالقنا؟

ما هي الغاية من مجيئنا إلى هذه الدنيا؟

كيف يمكننا معرفة هذه الغاية؟

ما هي الوسائل الموجودة عندنا لمعرفة هذه الغاية؟

إلى أين نذهب؟

هل بعد الممات يوجد عالم آخر ننتقل إليه أو أن حياتنا لا تتعدى هذا الوجود الذي نحن فيه الآن؟

هل يوجد ضرر من عدم اعتقادنا بوجود إله خالق للكون؟

عن الإمام الصّادق عليه السّلام : "وجدت علمَ النّاسِ كلَّه في أربع : أوّلها : أن تعرف ربّك ، والثّاني : أن تعرف ما صنع بك ، والثّالث : أن تعرف ما أراد منك ، والرّابع : أن تعرف ما يخرجك من دينك" [٣] .

---

[٣] الكافي – الشّيخ محمد بن يعقوب الكلينيّ ج١ ص٥٠ ح١١ .

أوّلًا : معرفة الله عزّ وجلّ ، وثانيًا : معرفة ما صنع الله بك ، وثالثًا : معرفة ما يريد الله منك ، ورابعًا : معرفة ما يخرجك من دينك .

الجائزة الكونية الكبرى لغز ملاءمة الكون للحياة ، بول ديفيس – ترجمة محمد فتحي خضر – مراجعة حسام بيومي محمود – الطبعة الأولى – تاريخ الطباعة ٢٠١٢ : لآلاف السنين فَكَّرَ البشر في العالم المحيط بهم محاولين معرفة إجابة أسئلة الوجود العظيمة : لماذا نحن هنا؟ كيف بدأ الكون؟ وكيف سينتهي؟ وكيف تكوّن العالم؟ ولماذا هو على النحو الذي هو عليه؟

وعلى مدار التاريخ الإنساني المدوّن بحث الناس عن إجابات لهذه الأسئلة "المطلقة" في الأديان والفلسفات ، أو أعلنوا أنها تقع خارج نطاق الفهم البشري ، لكن العديد من هذه الأسئلة صار جزءا من العلم اليوم ، ويزعم بعض العلماء أنهم على وشك تقديم إجابات لها .

عزّز تطوران رئيسيان من ثقة العلماء من أن الإجابة قريبة المنال : أولهما : هو التقدم الهائل في علم الكونيات ، والمقصود به دراسة البنية الكلية للكون وتطوره ، فالملاحظات التي توفرها لنا الأقمار الصناعية ، وتلسكوب الفضاء هابل ، ومعدات المراقبة الأرضية المتقدمة – اجتمعت معا كي تغير من نظرتنا إلى الكون ومكان الإنسان داخل هذا الكون ، ويتمثل التطور الثاني في فهمنا المتزايد للعالم الميكروسكوبي داخل نواة الذرة ، وهو الموضوع المعروف باسم فيزياء جسيمات الطاقة العالية . . . ، بالجمع بين الاثنين يتوافر لدينا

إشارات إيجابية عن ذلك الرابط العميق الذي لم يخضع للبحث من قبل بين عالم الجسيمات الدقيقة وعالم الأجرام الهائلة ، إن علماء الكونيات مغرمون بالقول إن الانفجار العظيم الذي نتج عنه مولّد الكون منذ مليارات السنين كان أكبر تجربة لفيزياء الجسيمات ، تقودنا هذه التطورات الهائلة صوب أمر آخر أعظم ، ألا وهو التوصل لوصف كامل موحّد للطبيعة ، "نظرية كل شيء" ، يكون فيها التوصيف الكامل للعالم المادي بأسره مدمجا في مخطط تفسيري واحد . انتهى

(هامش : بول ديفيز : عالم بريطاني ، ولد عام ١٩٤٦ ، أستاذ الفيزياء بجامعة أريزونا ، وعمل قبلها أستاذا بجامعات كمبريدج – لندن – نيوكاسل ، متخصص في علوم الكون وفيزياء الكم ، حصل على جائزة تمبلتون عام ١٩٩٥ ، وهي جائزة تقدمها مؤسسة تمبلتون بالولايات المتحدة منذ عام ١٩٧٣ ، وهي تقدم للأبحاث والاكتشافات العلمية التي تخدم الجوانب الدينية والروحية بعد أن لاحظ مقدّموها أن جائزة نوبل تهمل هذه الجوانب ، وتبلغ قيمتها ١,٦ مليون دولار (تزيد عن قيمة جائزة نوبل التي تبلغ ١,٢ مليون دولار) – المصدر : رحلة عقل – د. عمرو شريف ص٩٠ .)

الأسئلة المطروحة سابقا أسئلة فطرية ناشئة من طبيعة الإنسان المتعطِّش إلى المعرفة ، فكل إنسان لا بد أن يسأل هذه الأسئلة ، ولا بد أن يصل إلى تحصيل الأجوبة ، ولا يتوقف عن السؤال أبدا لأن

السؤال هو المحرك لتحصيل الجواب ، ولا ييأس ، ولا يكف عن البحث ، والأسئلة العميقة تدعو إلى حركة أوسع وأعمق ، وتنادي إلى الاستمرار في الحركة وعدم التوقف ، والعلماء في جميع التخصصات لم ولن يتوقفوا عن البحث لتحصيل إجابات هذه الأسئلة المهمة التي تشكل فاصلا في حياة الإنسان ، وعلى أساس هذه الإجابات يحدد الإنسان مبادءَه واعتقاداتِه وحركتَه وأعمالَه وعلاقاتِه مع خالق الكون ومع نفسه ومع الآخرين ومع الطبيعة في هذه الحياة الدنيا .

ونقول بأنها أسئلة فطرية لأنه توجد في طبيعة الإنسان بعض الأمور التي تكون دائما معه ، وتوجد بين جميع أفراد الإنسان ، وهي التي تحركه تحركا طبيعيا بلا تكلف وتصنع ، ويمكن أن نطلق عليه "العقل الفطري" تمييزا له عن "العقل الاستدلالي" ، والعقل الفطري هو العقل القائم على أساس الفطرة ، فالعقل الفطري لا يحتاج إلى بذل جهد للتصديق بوجود إله ، فيدرك بكل سهولة أن الكائنات بحاجة في وجودها إلى خالق ، ولا يوجد في العقل الفطري استدلال من مقدمة صغرى ومقدمة كبرى ونتيجة كما هو في العقل الاستدلالي ، فالعقل الفطري فيه البديهيات ، والعقل الاستدلالي يأتي في الإدراكات النظرية غير البديهية .

الإنسان وبعض الكائنات الأخرى تولد وهي حاملة سلسلة من العلوم والمعارف الفطرية والغريزية ، علوم يعرفها من غير معلِّم ، ولم يكتسبها

من تجربة واختبار ، فهي علم غير اكتسابي ، والخالق هو الذي أودع فيها هذه العلوم والغرائز ، والفطرة جوهرة ثمينة غرسها الله تعالى في باطن الإنسان ، وهي تدل على عظمة الخالق وعلمه وقدرته .

"قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى" طه٥٠

كل موجود خُلِقَ من أجل هدف ، ويكون مخلوقا ضمن بيئة خاصة ، ويكون له انسجام كامل مع بيئته ، وَيُزَوِّدُه الخالق بما يحتاج إليه ليعيش في هذه البيئة ، هذا في بداية الخلق ، وأيضا لا يترك الخالق أي موجود بعد خلقه ، فالخالق يعطيه الهداية التكوينية ، فهو يساق نحو أهدافه بهداية غامضة ، وللكثير منها علوم ومعارف لم يحصوا عليها من تعليم معلِّم أو من تجربة ، وإنما حصلوا عليها من هداية الخالق ، وهي الهداية التكوينية التي جعلها الخالق في الموجودات مع تكوينها ، كالطفل الذي يمتص الحليب بعد ولادته مباشرة من غير تعليم ، فمن أين تعلَّم هذا الدرس الذي يضمن له استمرار حياته ، وهذه الهداية التكوينية والمعارف والعلوم الفطرية آية دالة على وجود الخالق ، فالخالق أوجد الكائنات ، ولم يتركها بعد الخلق ، بل استمر الخالق في هدايتها بما أودع من علوم ومعارف في خلقتها وطبيعتها ، وفي الآية "كل شيء" لا الإنسان فقط ، ومع هذه الهداية التكوينية لجميع الموجودات توجد هداية خاصة للإنسان ، وهي هداية الأنبياء والرسل ع ، والتي تسمى بـ "الهداية التشريعية" ، والمطلوب في الإنسان هو الانسجام بين الهداية التشريعية والهداية التكوينية .

"أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ" البلد٨-١٠

بعد الإشارة إلى نعم العين واللسان والشفتين تقول الآية الكريمة **"وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ"** ، والنّجد هو الطريق ، والمعنى هديناه إلى معرفة طرق الخير والشر .

عن النبي ص : "يا أيها الناس ! هما نجدان : نجد الخير ونجد الشر ، فما جُعِلَ نجدُ الشر أَحَبَّ إليكم من نجد الخير" . نور الثقلين ج٥ ص٥٨١ ، مجمع البيان ، تفسير القرطبي .

"وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا" الشمس٧-٨

الإلهام هو إلقاء الأمر في قلب الإنسان ، فالله بيّن للإنسان ما هو الفجور وما هو التقوى ضمن فطرته ، فالإنسان بفطرته يميّز الفجور والتقوى ، والفجور هي الذنوب ، والتقوى هي الوقاية والصيانة من التلوث بالذنوب ، وهنا تأتي مسألة إدراك الحسن والقبح الفطريين بناء على العقل الفطري أي العقل القائم على أساس الفطرة ، لا على العقل الاستدلالي أي العقل القائم على أساس الاستدلال من المقدمات والنتائج .

عن الإمام الصادق ع في تفسير الآية : "بيّن لها ما تأتي وما تترك" . نور الثقلين ج٥ ص٥٨٦ ح٧

أي بيّن الله للإنسان ما يجب فعله وما يجب تركه ، ويعرف الإنسان ذلك بفطرته .

"الَّذِي عَلَّمَ بِالقَلَمِ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَم" العلق٤-٥

"عَلَّمَ بِالقَلَمِ" : أي علّم الإنسان عن طريق الكتابة والقراءة .

"عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَم" : يمكن أن نأخذ هذه الآية مرتبطة بالآية السابقة فيكون المعنى أنه بالكتابة والقراءة تعلم الإنسان علوما جديدة لأنه بدأ يقرأ ما كتبه الأقوام السابقون ، وتنتقل المعارف من جيل إلى الجيل التالي بواسطة الكتابة والقراءة .

وإذا أخذنا الآية الثانية أنها مستأنفة غير مرتبطة بالآية السابقة فيكون المعنى أن الله علم الإنسان ما لم يعلم لا عن طريق اكتساب العلم بالقراءة والكتابة ، وإنما جعل الله في فطرته علوما مختلفة ، منها إدراك الحسن والقبح ، ومنها التمييز بين طرق التقوى وطرق الفجور ، ومنها العلوم البديهية التي تكون أساسا للقضايا النظرية في العلوم الاستدلالية .

"فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَّسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ" الغاشية٢١-٢٢

". . . إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلعَالَمِينَ" الأنعام٩٠

"وَلَقَدْ يَسَّرْنَا القُرءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ" القمر٣٢

"وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ المُؤْمِنِينَ" الذاريات٥٥

"فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ" المدثر٤٩

المقصود بالتذكير هو أن حقائق العلم ومحاور الدين والمعارف الأولية للدين موجودة في فطرة الإنسان ، فالقرآن يقول بفطرية الأصول العامة للدين عند جميع الناس ، ودور الأنبياء هو تذكير كل إنسان بالأمور الفطرية ، وإخراجها من الخفاء إلى الظهور ومن الباطن إلى

الظاهر ، وإزالة ما يعترض طريق إشراق الفطرة ، فَتُدْفَنُ تحت الأهواء بسبب الغفلة والذنوب ، والوحي الإلهي لا يفرض شيئا جديدا على الناس .

عن دور الأنبياء والرسل ع روي عن أمير المؤمنين ع : "فبعث فيهم رسله ، وواتر إليهم أنبياءه ؛ ليستأدوهم ميثاق فطرته ، ويذكّروهم مَنْسِيَّ نعمته ، ويحتجّوا عليهم بالتبليغ ، ويثيروا لهم دفائن العقول ، ويُرُوهُمْ آيات المقدرة" نهج البلاغة .

والرواية ذكرت الفطرة والعقل ، وهذان دليلان على إثبات وجود الإله الخالق : الدليل الفطري والدليل العقلي ، فالفطرة والعقل بذرتان كامنتان وكنزان مدفونان في أعماق النفس الإنسانية ، والفطرة لا تحتاج إلى تعليم ، بل تحتاج إلى تنبيه ، وأما الأدلة العقلية فتحتاج إلى تعليم ، ودور الأنبياء والرسل ع أن يسقوا البذرتين حتى تتكامل وتكبر لتكوِّنا معا شجرة باسقة مثمرة ، ويخرجوا الكنزين ليستفيد منهما الإنسان ، فيكون لهما تأثير على فكر الإنسان وسلوكه .

ومن يدفن فطرته يقول القرآن عنه : **"وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا"** الشمس١٠

والمدسوس هو المدفون ، وإذا دفن الإنسان فطرته فلا يمكن لأي شيء أن يذكّره بالله أو بما يوجد في فطرته .

"اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الخَاسِرُون" المجادلة١٩

فيكونون تحت سلطان الشيطان ، ومن يجعل نفسه تحت سلطة الشيطان فلا يمكنه أن يتذكر الله عز وجل ؛ لأنه يكون من حزب الشيطان .

"إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ" فاطر٦

فدور الأنبياء ع هو إيقاظ الفطرة ، ودور الشيطان هو دفن الفطرة ، فاختر من أي حزب تريد أن تكون ؟!

"وَمَن يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الغَالِبُونَ" المائدة٥٦

" . . . أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ المُفْلِحُونَ" المجادلة٢٢

والمتقون يتذكرون إذا مسهم الشيطان .

"إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ" الأعراف٢٠١

الإيمان بالخالق أمر فطري :

إن الإيمان بوجود إله خالق للكون أمر فطري عند الإنسان أي قائم على العقل الفطري ، وكامن في وجود الإنسان وضمن خلقته التي خلقها الله تعالى ، ومع كونه أمرا فطريا فالدليل العقلي الاستدلالي يسنده ويجعله أقوى لأن الإنسان يجد دليلين يدلان على وجود الخالق ، بل الدليل العقلي هو إرشاد إلى هذا الأمر الفطري .

"فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللهِ الّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ"
(الروم٣٠)

فالدين أمر فطري عند الإنسان ، والإيمان بالإله الخالق جزء من الدين ، فيكون الإيمان بالإله الخالق أمرا فطريا ، فتوجد رابطة بين الإنسان والخالق ، ومعرفة الخالق أمر فطري لا تنفصل عن الإنسان ، والفطرة الإنسانية غير قابلة للتغيير لأنها طبيعة الإنسان .

والدين الحنيف هو الطاهر من كافة أشكال الشرك والتلوث والهوى والاتجاه نحو الباطل والانحراف ، وهو الذي يدعو إلى إقامة كل ما يتناسب مع فطرة جميع الناس ، مثل عبادة الإله ، وإقامة العدل ، ومساعدة المحتاجين ، وإعانة المحرومين ، والوقوف في وجه الظالمين ، والأخذ بيد المظلومين .

ورد في صحيحة عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله ع قال : سألته عن قول الله عز وجل :**"فِطْرَتَ اللهِ الّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا"** ، ما تلك الفطرة؟ قال ع : "هي الإسلام ، فطرهم الله حين أخذ ميثاقهم على التوحيد ، قال : **"أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ"** ، وفيه المؤمن والكافر" . الكافي ج٢ ص١٢ ب فطرة الخلق على التوحيد من كتاب الإيمان والكفر ح٢

ونستفيد من هذه الرواية أن معرفة توحيد الله وربوبيته من فطرة الإنسان .

ويقول تعالى :

"صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ" .

البقرة١٣٨ .

عبادة الخالق من صبغة الإنسان أي من طبيعته وفطرته .

وهذه الأمور الفطرية أمور بديهية ضرورية عند الإنسان ولا تحتاج إلى برهان ، نعم الدليل العقلي الاستدلالي فيه برهان واستدلال ، وأما الفطرة فليس فيها برهان واستدلال لأن الأمور الفطرية مندكّة في طبيعة الإنسان لا تنفصل عنه ، فالفطرة هي الإحساسات الإدراكية الباطنية التي لا تحتاج إلى استدلال عقلي ، وإذا احتاجت إلى برهان فإن برهانها حاضر لا يغيب عن الذهن ، مثلا ينجذب الإنسان إلى لون الوردة ورائحتها الطيبة ، ويميل إلى جمال مناظر الطبيعة وروعتها ، فالميل إلى الجمال من فطرة الإنسان ، وفي علم المنطق يوجد قسمان من البديهيات أو الضروريات يسمى "الأوليات" و"الفطريات" ، والبديهيات هي الأحكام التي لا يشك فيها أي إنسان ، وإذا شك فيها فإنه يكون شبهة في مقابل البديهة ، فلا يشك أحد في أن النقيضين لا يجتمعان وأن الاثنين نصف الأربعة .

إن الإنسان مخلوق من بدن وروح ، وقد أودع الله في روح الإنسان قوى ونزعات ومعارف عليا وتوجيهات ترشده إلى ما ينفعه ويضرّه في حياته ، وإلى ما يتمّ به نواقصه ويرفع حوائجه ، وجميع هذه الأمور المودَعة في روح الإنسان تسمى بـ "فطرة الله" أي خلقة الله أو "صبغة

الله" ، والفطرة مشتركة بين جميع أفراد الإنسان في كل زمان ومكان ، ولا يطرأ عليها تغيير أو تبديل ، فلا يمكن للإنسان أن يغيّر فطرته ويتصرّف فيها ، فهي موجودة فيه ما دام الإنسان إنسانا ، ووجود فطرة واحدة عند جميع الناس دالّ على وجود خالق واحد لهذه الفطرة ، فالفطرة تدل على وجود الخالق ، والحركة إلى معرفة خالق الكون ناشئ من الفطرة .

وأصل كل حكم موجود في الشريعة لا بد أن يكون موجودا في فطرة الإنسان ، والدين يرشد الفطرة ويكملها بالطريق المشروع ، والتعبد والتدين موجودان في الفطرة بصفتهما هداية تكوينية ، والانحراف هو أمر طارئ ، ودور الأنبياء ع هو إزالة هذه الانحرافات الطارئة لكي تنفتح الفطرة عند الإنسان ، فالفطرة قد تغيب لوجود موانع عند الإنسان بسبب التصاقه بعالم المادة وانغماسه في الشهوات ، فيغفل عن الله تعالى ، فتكون الفطرة مثل الجمر تحت الرماد ، فتحتاج إلى تنبيه حتى تنتقل الفطرة من القوة إلى الفعل ، وتدخل الفطرة إلى حيّز الفعلية ، فينقطع عن الماديات ويتّجه إلى الأمور المعنوية .

ومن التنبيهات وجود الإنسان في خطر أو خوف من تقلبات الطبيعة فتستيقظ الفطرة من سباتها ويستيقظ ضميره ويتحرّك وجدانه ، فيلتفت إلى المعارف الأولية التي أودعها الله فيه ، ويتعلّق بقدرة غيبية عظيمة قوية قادرة على إنقاذه من الخطر ، حتى الإنسان الملحد المنكر لوجود خالق للكون يتعلّق بهذه القوة الغيبيّة ، فهو في الحالات

الاعتيادية يرى العلل والأسباب الظاهرية والصورية ، وإذا أصابه ضرّ ولم يتمكن من رفعه بالعلل والأسباب الظاهرية ارتفع صوته بالأنين إلى هذه القوة الخفية .

"وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ" النحل٥٣

"قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ" الأنعام ٤٠-٤١

مثلا إذا أصيب الإنسان بمرض بسيط وكان العلاج موجودا فلن يرتفع أنينه إلى الإله لأنه يرى العلل والأسباب الظاهرية فقط ولا يرى علة العلل ومسبّب الأسباب ، ولكنه إذا أصيب بمرض خطير ميئوس من علاجه حسب تشخيص الأطباء وتقطّعت به كل الأسباب الظاهرية فإن الأمل بوجود قوة خفيّة يمكن أن تنجيه من هذا المرض يكون موجودا عنده .

"وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ" . فصلت٥١

هذه القوة هي عبارة عن الإله الذي عنده القدرة على الشفاء ، قد لا يسمّيه إلها ، ولكننا نتعامل مع الواقع لا مع الأسماء ، ففي الواقع هو يرتبط بهذه القوة لأن فطرته تقول له بوجود قوة يمكن أن تشفيه ، فالفطرة تنبهه إلى اللجوء إلى هذه القوة الشافية النافعة ، أو قد يكون

الإنسان في سفينة في البحر ، ويحصل الموج العاتي ، فيتوجّه إلى قوة قادرة يمكن أن تنجيه من الغرق ، فتتحرك فطرته المغروسة في أعماقه والتي تشده إلى الخالق ، وتستيقظ هذه الفطرة وتدخل إلى دائرة الفعلية بعد أن كانت نائمة ، وتفرض نفسها عليه فرضا في المواقف الصعبة ، والمواقف الصعبة طريق إلى إشراق نور الفطرة ، ولكن البعض بعد أن يرفع الإله عنه الضر يرجع إلى ما كان عليه سابقا من الشرك أو الإلحاد ، ويفسر رفع الضرر على أساس الأسباب الظاهرية بعد أن أصابه اليأس من هذه الأسباب الظاهرية .

"ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ" النحل٥٤

"أَلَمْ تَرَ أَنَّ الفُلْكَ تَجْرِي فِي البَحْرِ بِنِعْمَتِ اللهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى البَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ" لقمان ٣١-٣٢ ختّار : غدّار .

"هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ المَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُم مَّتَاعَ

الحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ"
يونس٢٢-٢٣

"فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى البَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ" (العنكبوت٦٥)

"وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ" الروم٣٣

"وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ للهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ" الزُّمَر٨

"فَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ" الزمر٤٩

"وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" يونس١٢

إن هؤلاء تدعوهم فطرتهم إلى الرجوع إلى خالقهم ، وشمعة الفطرة لا تنطفئ تماما ، وتذكرهم لله تذكر خالص من الشوائب ، **"مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ"** ، والاختلافات الظاهرية لا تؤثر في الفطرة ، والفطرة أصل ومحور عند كل إنسان تظهر في المواضع الصعبة التي يحتاج فيها الإنسان إلى القوة المطلقة ، وهذا الميل الفطري مشترك ين جميع الناس سواء كان مؤمنا أم ملحدا ، وجاء الأنبياء ع لإحياء هذه الفطرة ،

ولكن بعد نجاتهم يرجعون إلى دنياهم فيغفلون مرة أخرى عن فطرتهم لوجود الموانع لا لعدم المقتضي ، فالمقتضي – وهو الفطرة – موجود ، ولكن عبادة الدنيا والذنوب تمنع الإنسان من الالتفات إلى الخالق .

وفي الرواية قال رجل للإمام الصادق ع : يا ابن رسول الله ، دلّني على الله ما هو فقد أكثر عليّ المجادلون وحيّروني؟ فقال ع له : يا عبد الله هل ركبت سفينة قط؟ قال : نعم . قال ع : فهل كُسِرَ بك حيث لا سفينة تنجيك ولا سباحة تغنيك؟ قال : نعم . قال ع : فهل تعلّق قلبك هنالك أن شيئا من الأشياء قادر على أن يخلّصك من ورطتك؟ قال : نعم . قال الصادق ع : فذلك الشيء هو الله القادر على الإنجاء حيث لا منجي ، وعلى الإغاثة حيث لا مغيث . (البحار ج٣ ص٤١ ب٣ من كتاب التوحيد ح١٦ ، التوحيد للشيخ الصدوق باب٣١ ص٢٣١ ح٥)

والروايات الدالة على فطرية التوحيد ووجود الله تعالى بشكل مستقل أو ضمن فطرية الدين كثيرة ، ذكرت في بحار الأنوار ج٣ ب١١ من كتاب التوحيد ، منها :

ما روي عن النبي ص : "كل مولود يولد على الفطرة . . ." . البحار ج٣ ص٢٨١ ب١١ من كتاب التوحيد ح٢٢

ومن الروايات الدالة على فطرية وجود الله تعالى بوجود آياته ما روي عن الإمام الصادق ع حينما قال له ابن أبي العوجاء : ما منعه إن كان الأمر كما تقول أن يظهر لخلقه ويدعوهم إلى عبادته حتى لا

يختلف منهم اثنان؟ وَلِمَ احتجب عنهم وأرسل إليهم الرسل؟ ، ولو باشرهم بنفسه كان أقرب إلى الإيمان به؟فقال ع : "ويلك! وكيف احتجب عنك من أراك قدرته في نفسك؟! نشوؤك ولم تكن، وَكِبَرُكَ بعد صِغَرِكَ ، وقوّتك بعد ضعفك، وضعفك بعد قوتك، وسقمك بعد صحّتك، وصحّتك بعد سقمك، ورضاك يعد غضبك، وغضبك بعد رضاك، وحزنك بعد فرحك، وفرحك بعد حزنك، وحبّك بعد بغضك، وبغضك بعد حبّك، وعزمك بعد إبائك، وإباؤك بعد عزمك، وشهوتك بعد كراهتك، وكراهتك بعد شهوتك، ورغبتك بعد رهبتك، ورهبتك بعد رغبتك، ورجاؤك بعد يأسك، ويأسك بعد رجائك، وخاطرك بما لم يكن في وهمك، وعزوب (أي غياب) ما أنت معتقده من ذهنك" . ويقول ابن أبي العوجاء تعليقا على كلام الإمام ع : وما زال يَعُدُّ عليّ قُدْرَتَه التي في نفسي التي لا أدفعها حتى ظننت أنه (أي أن الله سبحانه) سيظهر فيما بيني وبينه . (البحار ج٣ ص٤٢-٤٣ ب٣ من كتاب التوحيد ح١٨ ، التوحيد للشيخ الصدوق باب القدرة ص١٢٧ ح٤)

وقال الإمام الحسين ع في دعاء يوم عرفة : "كيف يستدلّ عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك؟! أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك؟! متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدلّ عليك؟! ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك؟! ،

عميت عين لا تراك ولا تزال عليها رقيبا، وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيبا" . (البحار ج٦٤ ص١٤٢)

القواعد الفطرية المحرِّكة للبحث عن الإله الخالق :

ولنبدأ بطرح بعض القواعد الفطرية الموجودة عند الإنسان والتي تحركه وتحفّزه للبحث عن الإله الخالق للكون ، وسترون أن هذه القواعد الفطرية موجودة عند كل إنسان ، ولكن بعض الناس لا يستفيدون منها للوصول إلى الإله الخالق ، والقواعد الفطرية هي :

القاعدة الفطرية الأولى : حب المعرفة والعلم والاستطلاع :

من طبيعة الإنسان أنه يبحث عن العلم والمعرفة ، البعض يبحث ضمن دائرة ضيقة لا تتعدى حدود بطنه ، فيبحث عن أنواع الأطعمة والأشربة ، والبعض القليل يبحث ضمن دائرة أوسع يصل إلى حدود هذا الكون الرحيب الواسع ، والأسئلة عند الإنسان لا تنتهي ، والطفل أصدق مثال ، فهو حينما يرى الشيء لأول مرة يكون عنده فضول لمعرفة تفاصيل هذا الشيء ، فتراه يفتح اللعبة ويقلبها ، وقد يفكِّك اللعبة وهدفه معرفة تفاصيلها ، والأب والأم يقولان عنه مخرّب ، ولكنه في الواقع ينطلق من فطرته وحبه للعلم والمعرفة ، وهكذا الإنسان حينما يرى أي شيء لأول مرة فإنه يتساءل عن كيفية صنعها وما تحتويه ، فحينما ترى سيارة تتساءل عن الأجهزة الموجودة فيها ، فتدخل فيها وتبدأ باللعب بالمفاتيح والأزرار لتتعرف على عملها ووظائفها ، وهذا كله انطلاق من فطرته ، ويتساءل البعض

بأنه لماذا ينطلق العلماء إلى خارج حدود الأرض إلى الكواكب الأخرى ، والجواب بسيط وهو أنه يبحث عن المعرفة لأنه يريد أن يعرف هل توجد كائنات أخرى على الكواكب الأخرى وفي المجرات البعيدة ، وهل الإنسان هو الكائن الوحيد المفكر أو توجد كائنات أخرى مفكرة في هذا الكون ، والبعض مع وجود هذه الفطرة لا يُفَعِّلُ فطرته ، فيكون أقصى ما يهتم به هو الطعام والشراب والمتع الدنيوية الزائلة لا أكثر من ذلك ، والفطرة تحتاج إلى تفعيل كما أن العقل والسمع والبصر تحتاج إلى تفعيل .

"وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا" الإسراء٣٦

لذلك فإن الإنسان الذي عنده القوة العاقلة المفكِّرة حينما يرى العجائب الموجودة في نفسه ويرى الكون المترامي الأطراف ونظامه العجيب فعنده حب المعرفة والاستطلاع ليعرف من أوجده وأوجد هذا الكون ، فهو يرى السماء ونجومها والرعد والبرق والرياح والمطر والجبال والبحار والأنهار والمحيطات والبشر والحيوانات والطيور والأسماك ، ويرى أنها تبدأ وتتغير وتفنى ، ويرى التغيّرات الكونية ، فيبدأ بطرح أسئلة منطلقة من فطرته : من الذي أوجدني؟ من أين أتيت؟ لماذا أوجدني؟ إلى أين سأذهب بعد موتي؟

"من أوجدني؟ ومن أين أتيت؟" سؤال عن مبدأ الوجود ، وجوابه إثبات وجود الخالق الذي نقله من العدم إلى الوجود ، وإثبات وحدانية الخالق وعدم وجود شريك له .

"لماذا أوجدني؟" سؤال عن الغاية من خلقه ، وجوابه إثبات حكمة الخالق الذي له غاية من الخلق وهي تكليفه ، وإثبات الحاجة إلى الرسل لإبلاغ تكاليف الخالق إلى الخلق .

"إلى أين سأذهب بعد موتي؟" سؤال عن النهاية التي يذهب إليها بعد موته ، وجوابه إثبات المعاد وعالم الآخرة والحياة بعد الموت .

وهذه أسئلة فطرية يطرحها كل إنسان في كل زمان ومكان مهما كانت ظروفه المعيشية ، وجواب هذه الأسئلة هي أصول المعارف العقائدية : الله تعالى وأهم صفاته التوحيد وتنزّهه عن الشريك والتركيب من أجزاء ، والنبوة ، والمعاد ، ويتفرع العدل على الإيمان بالله تعالى ، وتتفرع الإمامة على النبوة .

القاعدة الفطرية الثانية : البحث عن أسباب الأشياء وعللها :

من فطرة الإنسان وطبيعته أنه يبحث عن أسباب الأشياء وعللها ، فإذا رأى شيئا لأول مرة فإنه يسأل : من أين أتى ومن الذي صنعه وأوجده؟

وإذا رأى شيئا تحرك من مكانه فإنه يسأل : من الذي حرّكه؟

وهذه القاعدة الفطرية موجود عند كل إنسان ، فيرى الكون ويبحث عن علة إيجاد هذا الكون بكل ما فيه من مجرات ونجوم وكواكب

وأقمار ، فيتساءل عن خالق هذا الكون وموجده وصانعه ، ويتساءل عن صفات هذا الخالق ، وفي الإنسان منذ طفولته ميل فطري طبيعي إلى التساؤل عما يجري حوله ، ورغبة ملحّة في الاطلاع على حقائق الأشياء وعللها وأسبابها .

القاعدة الفطرية الثالثة : البحث عن الأكمل :

والقاعدة ليست البحث عن الكمال بل هي البحث عن الأكمل ، فيبحث الإنسان دائما عن الأكمل لأنه بحث فطري في الإنسان ، ولكنه قد يخطئ في تشخيص مصداق الأكمل الحقيقي ، فيعتبر ما لا يكون الأكمل هو الأكمل ، فيتّجه نحوه ويتوهّم أنه الأكمل مع أن الأكمل هو غيره ، والفطرة لا تنمحي ، ولكن الإنسان يغلط في كيفية استعمالها .

وتراه يطبق هذا الأمر في حياته الدنيوية حينما يريد أن يشتري أي شيء ، فيبحث عن البضاعة الأفضل أي الأكمل ، وإذا رأى بضاعة ناقصة فإنه يبحث عن بضاعة أكمل من البضاعة السابقة ، وإذا رأى أن البضاعة الثانية فيها نقص فإنه يبحث عن بضاعة ثالثة أكمل .

وهذه الفطرة تدفعه للبحث عن الأكمل الذي ليس فوقه كمال ، فيرى أن جميع الناس عندهم علوم ناقصة ، فيبحث عن الأعلم الذي لا أعلم فوقه ، والذي لديه العلم المطلق ، والذي عنده العلم المطلق هو الإله ، ويبحث عن الأقدر الذي ليس فوقه قادر ، فيصل إلى العالم علما مطلقا الذي لا يغيب عنه شيء في السماوات والأرضين ،

ويصل إلى القادر قدرة مطلقة الذي لا حد لقدرته ، فيكون هذا الأعلم الأقدر هو الإله ، وكل إنسان بفطرته يحب التعلق بالكمال المطلق غير المقيَّد بأي قيد وغير المحدود بأي حدّ ، والذي عنده الكمال المطلق هو الأكمل الذي ليس فوقه أكمل منه ، فكل الكمالات تقف عنده بلا أي تقييد أو حدود .

وهذه القاعدة الفطرية تطبق في جميع مجالات الدين ، ففي الفقه العملي نبحث عن الفقيه الأعلم ، وفي الفقه الأخلاقي نبحث عن الأكمل في الصفات القلبية ، وفي العقائد توصلك هذه القاعدة إلى وجود أكمل موجود ، وهو الإله الخالق لهذا الكون ، والبعض يتوهم أن البقرة أو القرد أو الفأر أو غير ذلك هو الإله فيعبده أو رمز للإله فيقدسه ، فهو يؤمن بوجود إله ، ولكنه يخطئ في تشخيص مصداق الإله ، فالاعتقاد بالإله الأكمل موجود عند جميع الناس ، ولكنهم قد يشخّصونه تشخيصا خاطئا .

"وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ ءَابَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ المُبْطِلُونَ" الأعراف ١٧٢-١٧٣

هذا القصة قد تكون قصة تكوينية ، بمعنى أنها ليست من قبيل الألفاظ ووجود الكلام بين الله والذرية ، وإنما هي قصة رمزية تعبّر عن

الواقعة التكوينية ، وهذا مثل الآية الكريمة التي يوجد فيها كلام بين الله والسماء والأرض :

"ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ" فصلت١١.

فالقصة القرآنية إذا كانت تعبيرا عن أمر تكويني فإنها قصة رمزية معبّرة عن الأمر التكويني ، وليست من قبيل الألفاظ والكلام ، وفي القرآن كثير من القصص الحقيقية كقصص الأنبياء ع ، وهي ليست قصصا رمزية أو خيالية .

في الرواية عن زرارة قال : سألت أبا عبدالله (أي الإمام جعفر الصادق ع) عن قول الله : **"وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى"** (الأعراف١٧٢) . قال : ثبتت المعرفة في قلوبهم ونسوا الموقف ، سيذكرونه يوما ما ، ولولا ذلك لم يدر أحد مَن خالقه ولا من رازقه . المحاسن للبرقي ج١ ص١٦١ ح٢١

في الرواية عن زرارة قال : سألت أباجعفر الباقر ع عن قول الله عز وجل : **"فِطْرَتَ اللهِ الّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا"** ، قال : فطرهم على معرفة أنه ربّهم ، ولولا ذلك لم يعلموا إذا سئلوا من ربّهم ومن رازقهم . (المحاسن للبرقي ج١ ص١٦١ ح٢٠)

وفي رواية : فطرهم على المعرفة . الكافي ج٢ باب فطرة الخلق على التوحيد ح٤ .

وورد في صحيحة عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله ع قال : سألته عن قول الله عز وجل : **"فِطْرَتَ اللهِ الّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا"** ، ما تلك الفطرة؟ قال ع : "هي الإسلام ، فطرهم الله حين أخذ ميثاقهم على التوحيد ، قال : **"أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ"** ، وفيه المؤمن والكافر" . الكافي ج٢ ص١٢ ب فطرة الخلق على التوحيد من كتاب الإيمان والكفر ح٢

إن الإسلام هو دين الفطرة .

سئل الإمام الصادق عن الآية **"فِطْرَتَ اللهِ الّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا"** ، فقال ع : التوحيد . الكافي ج٢ ص١٢ ح١

والإنسان يصل بفطرته إلى وجود أكمل الموجودات ، وهو الإله الخالق لهذا الكون .

سؤال : هل أكمل الموجودات يكون واحدا أو متعددا ؟

الجواب :

إن أكمل الموجودات يكون واحد لا متعددا ، لذلك فإن التوحيد من فطرة الإنسان ، وهذا ما أشارت إليه الرواية ، فمن خلال القاعدة الفطرية "البحث عن الأكمل" يصل الإنسان إلى توحيد الإله الخالق وأنه واحد ، فوصلنا إلى التوحيد بتطبيق قاعدة فطرية ، فالإنسان مخلوق بحسب فطرته على التوحيد ، والإسلام هو دين التوحيد ، ودين التوحيد هو دين الفطرة ، ففي فطرة كل إنسان الاعتقاد بإله واحد لا شريك له بناء على هذه القاعدة الفطرية .

وكان الميثاق على توحيد الله وربوبيته ، فبالفطرة يعرف الإنسان توحيد الله وربوبيته ، وما دام أن التوحيد من فطرة الإنسان فلا يوجد عذر للشرك ، لذلك جاء في آية الميثاق : **"أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ ءَابَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ"** ، فلا يمكن أن يعتذر الإنسان بأنه وجد آباءه مشركين فصار مشركا ، فيقال له بأن هذا العذر غير مقبول لأن التوحيد مندكّ في فطرتك ولا ينفك عن وجودك .

إن معرفة الأكمل – الذي هو الإله الخالق للكون – موجودة عند جميع الناس ، ولكنهم قد يخطئون في تشخيص مصداق الإله الأكمل ، وهذه المعرفة – أي معرفة الأكمل – أمر فطري موجود عند جميع الناس سواء كان الإنسان مؤمنا بالإله الأكمل أم كان ملحدا ، فالملحد في حالة الخطر وفي المواقف الصعبة ينفتح عنده باب فطرته ، فينتظر الفرج من قوة خفية قادرة على حل مشكلته ، وهذه القوة الخفية القادرة التي لا ضعف ولا عجز فيها هي الإله الأكمل الذي يعتقد به في قرارة نفسه وإن كان ينكر بلسانه ، والآيات الكريمة والروايات الشريفة تبيّن أن كل إنسان يعرف أن الله بعينه وشخصه هو الإله الأكمل ، ولكنه يغفل عن ذلك لوجود الموانع التي تحيط به كشرك آبائه ، فإذا عاش في بيئة فإن الإنسان يتأثر ببيئته والأفكار الموجود عند الناس حسنها وسيئها وبالتعلقات المادية والمصالح الشخصية إلا إذا استعمل عقله ورجع إلى فطرته لتمييز الصحيح من الخاطئ .

ونرى أن فرعون عندما تيقّن بالغرق قال بأنه آمن بإله بني إسرائيل .

"وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ البَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ المُسْلِمِينَ" يونس٩٠ .

فجاءه النداء الإلهي سريعا : **"ءَالآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ المُفْسِدِينَ"** يونس٩١

وجعله الله آية لمن يأتي بعده في المستقبل ، يقول تعالى : **"فَاليَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَاتِنَا لَغَافِلُونَ"** يونس٩٢

القاعدة الفطرية الرابعة : حب المنفعة ودفع الضرر :

من فطرة الإنسان أنه يحب المنفعة ويريد أن يدفع جميع أنواع الضرر والألم والأذى عن نفسه سواء أكانت مادية أم نفسية ، حتى لو كان احتمال الضرر ضعيفا ، فإذا احتمل الإنسان وجود خالق لهذا الكون فإن هذا الخالق يريد قطعا أن يكلفه ببعض التكاليف فيطلب منه الإتيان ببعض الأعمال والابتعاد عن بعض الأعمال الأخرى ، فالدافع هو حب المنفعة ودفع الضرر .

ومن أقوى الأدلة على وجود الإله هو احتمال وجوده ، فنفس احتمال وجود الإله يكفي لأن نعتقد بوجوده ، ونرتب الأثر على هذا الاحتمال حتى ندفع عن أنفسنا الضرر فيما لو تبيّن وجود إله واقعا ،

ويحتمل الإنسان أنه إذا التزم بأوامر ونواهي الخالق فإنه ينتفع بذلك ويحصل على مجموعة من المنافع .

"وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ قَالَ أَفَرَءَيْتُمْ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ أَنتُمْ وَءَابَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَن أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ" الشعراء٦٩-٨٩

العبادة تكون إما من أجل الربح والمنفعة وإما من أجل دفع الضرر والعقاب ، **"هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ"** ، والمقصود النفع والضرر الماديين والمعنويين بقرينة ما ذكره إبراهيم ع بعد ذلك من المنافع كالهداية والطعام والشراب والشفاء والإحياء والمغفرة والإلحاق بالصالحين وغير ذلك ، ولم تكن عندهم إجابة إلا اتباع الآباء وتقليدهم تقليدا أعمى ، **"قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ"** .

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ . . ." الأنفال٢٤

والمنفعة هي الحياة الحقيقية التي هي الحياة المعنوية التي يعيشها المؤمن الذي يستجيب لله تعالى ولرسوله ص ، وكأن الإنسان قبل الاستجابة لله تعالى والرسول ص كان قلبه ميتا فصار قلبه حيا بفضل استجابته ، فالرسول ص يدعو إلى الحياة الحقيقية ، وإذا اكتسب الحياة الحقيقية فإنه يكسب الحياة المادية أيضا لأنه سيشعر بالرضا من حياته الدنيوية مهما كانت المشاكل والمصاعب فيها لأن هذه المصاعب تربطه بالله تعالى أكثر وتؤدي به إلى الحياة الحقيقية في الآخرة .

"لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى المُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ" آل عمران١٦٣

والمنفعة هي تلاوة الآيات عليهم أولا ، واكتساب علم الكتاب والحكمة من بعد الجهل ثانيا ، وتزكية النفس وتربيتها ثالثا ، ونتيجة الثلاثة هي الهدى من بعد الضلال .

". . . يَأْمُرُهُمْ بِالمَعْرُوفِ وَيَنهَاهُمْ عَنِ المُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ . . ." الأعراف١٥٧

والمنفعة هي وضع الإصر والأغلال التي كانت عليهم ، والإصر هو العبء الثقيل والتكليف الشاق .

وفي الآية : ". . . **رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا** . . ." البقرة٢٨٦

وأصل كلمة "الإِصْر" هو الثقل الذي يربط بقدم السجين ، والأغلال هي القيود ، وأصل كلمة "الأغلال" هو الأطواق والسلاسل التي تقيَّد بها الأعناق ، ويمكن تفسير الإصر والأغلال بالتكاليف الشاقة والامتحانات العسيرة التي حلّت بالأمم السابقة ، ولكن يمكن حملهما على معنى أوسع يشمل جميع أنواع القيود الناتجة من الجهل والشهوات والذنوب والاستبداد وغيرها .

"**وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ**" التوبة٧٢

والمنفعة هي الحصول على الجنات وعلى رضوان الله تعالى ، ورضوان الله تعالى أكبر من كل نعم الجنة .

ويحتمل الإنسان أنه إذا لم يلتزم بأوامر ونواهي الخالق فإنه يعرِّض نفسه للعقاب أولا أو لفقدان الثواب ثانيا أو لفقد رضا الخالق ثالثا ، وهذه ثلاثة أضرار محتملة .

"**فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ**" فصلت١٣

". . . **مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ**" سبأ٤٦

"كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الجَحِيمِ" المطففين١٥-١٦

هو يريد أن يدفع هذه الأضرار المحتملة ، وكلما كان الاحتمال أقوى والنفع والضرر أعظم كان الحذر أكبر والبحث والتحقيق أكثر ، فهو يلتزم بأوامر الخالق ويبتعد عن نواهيه ، فإذا كان هناك خالق فعلا فيكون في الجانب الآمن ويكون من الفائزين ، وأما إذا لم يلتزم وكان الخالق موجودا فعلا فإنه يكون من الخاسرين .

"وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ" غافر٢٨

عن الإمام موسى الكاظم ع أن أحد أصحابه سأله عن الضعفاء (أي المستضعفين) ، فكتب له الإمام ع في الجواب : "الضعيف من لم تُرْفَعْ إليه حُجَّةٌ ، ولم يعرف الاختلاف ، فإذا عرف الاختلاف فليس بمستضعف" .أصول الكافي ج٢ باب المستضعف ص٤٠٦ ح١١

عن الإمام الصادق ع : "من عرف اختلاف الناس فليس بمستضعف" أصول الكافي ج٢ باب المستضعف ص٤٠٦ ح١٠

الإنسان الذي يعرف بوجود اختلاف الناس في مسألة من المسائل فإن عقله يدعوه إلى البحث للوصول إلى الرأي الصحيح ، والذي

يعرف اختلاف الناس ليس مستضعفا ، والمستضعف هو المستضعف الفكري الذي هو الجاهل القاصر .

عن النبي ص : أربعة تلزم كل ذي حجى وعقل من أمتي . قيل :يا رسول الله ، ما هنّ؟ قال : استماع العلم وحفظه ونشره والعمل به . تحف العقول ص٤٠

"وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنَ هَذِهِ القَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا" النساء٧٥

"إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ المَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا إِلَّا المُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا فَأُولَئِكَ عَسَى اللهُ أَن يَعْفُوَ عَنهُمْ وَكَانَ اللهُ عَفُوًّا غَفُورًا" النساء٩٧-٩٩

ورد عن الإمام الصادق ع أنه قال لابن أبي العوجاء : "إن يكن الأمر كما تقول - وليس كما تقول - نجونا ونجوت ، وإن يكن الأمر كما نقول - وهو كما نقول - نجونا وهلكت" . البحار ح٣ص٤٧ب٣من أبواب التوحيد ح٢٠

يرى الإنسان في المجتمعات المختلفة الأديان والمذاهب المختلفة والآراء المتناقضة ، فيقع الإنسان في خوف ، ويريد أن يسلك طريق النجاة ليدفع عن نفسه الخوف ، وهنا لا بد أن يختار من بين هذه الأديان والمذاهب إما اتباعا للهوى وتقليدا للآخرين ، وهذا لا يدفع عنه الخوف ، وإما أن يختار عن دليل مقنع وبرهان واضح ، فيندفع عنه الخوف ويزول ألمه ، فالمعرفة واجبة ، ولكن لا بد أن تكون هذه المعرفة عن دليل وبرهان حتى يدفع الضرر المحتمَل .

اتخاذ القرار للإيمان بالإله الخالق :

على الإنسان أن يتّخذ قراره في اختيار الطريق عن اقتناع بالدليل لا عن تقليد للآباء والأجداد أوالأصدقاء أو المجتمع ، ويجب على الإنسان تحصيل المعرفة بالطريق الذي يريد أن يختاره في حياته لأنه يترتب عليه جنة أو نار ، فالأمر يتعلّق بوجوده وحياته ومصيره .

"وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ" البقرة ١٧٠

"وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا ءَابَاءَنَا وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللهَ لَا يَأْمُرُ بِالفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ" الأعراف ٢٨

وعملية اتخاذ القرار هي العملية التي تكون مبنيّة على الدراسة والتفكير الموضوعي للوصول إلى قرار معيّن ، وتأتي في حالة وجود بدائل وخيارات ، فيقع في حيرة بين هذه البدائل ، ويريد أن يختار أحد هذه

البدائل بالموازنة بينها على أساس المصالح والمفاسد المترتبة على كل بديل ، فالقرار هو اختيار أنسب البدائل ، وقد يكون قراره رفض جميع البدائل لأسباب ، منها : عدم وضوح البدائل ، وعدم وجود معلومات كافية ، أو لوقوعه في الضرر إذا اختار أحدها ، ورفض جميع البدائل هو قرار أيضا ، ويتوقف نجاح القرار على صحة المعلومات ودقّتها ، وعلى رجاحة عقل الإنسان الذي يختار ويقرّر ، وكل إنسان يمارس عملية اتخاذ القرار في الأمور البسيطة في حياته الاعتيادية ، وكذلك في الأمور المصيرية المرتبطة بالفرد أو المجتمع ، ويمكن العمل بعملية اتخاذ القرار في مجال الإيمان بالإله خالق الكون ، وهو الله تعالى .

للوصول إلى الإيمان بوجود إله خالق لهذا الكون نأتي إلى النقاط التالية :

النقطة الأولى :

جاء الإنسان إلى هذه الدنيا دون اختيار منه ، ولم يستشره أحد للدخول في هذه الحياة .

النقطة الثانية :

يسأل الإنسان نفسه : وجدت نفسي في هذه الدنيا فهل توجد غاية وهدف من وجودي ؟ وما هو المطلوب مني حتى أصل إلى هذه الغاية ؟

النقطة الثالثة :

يرى الإنسان أن الناس حوله يموتون واحدا بعد الآخر وخاصة والديه وأقربائه وأصدقائه ، وهو أيضا سيموت في يوم ما ، وأن العد التنازلي يبدأ بمجرد دخوله إلى الحياة ، ففي نهاية كل يوم ينقص من حياته يوم ، فهو يتجه إلى قبره ، وسيدخلها في يوم ما إن عاجلا أو آجلا .

في رواية : جاء رجل إلى علي بن الحسين عليهما السلام يشكو إليه حاله فقال : مسكين ابن آدم له في كل يوم ثلاث مصائب لا يعتبر بواحدة منهن ، ولو اعتبر لهانت عليه المصائب وأمر الدنيا ، فأما المصيبة الأولى فاليوم الذي ينقص من عمره . قال : وإن ناله نقصان في ماله اغتمّ به ، والدرهم يخلف عنه ، والعمر لا يرده شيء ، والثانية أنه يستوفي رزقه ، فإن كان حلالا حوسب عليه ، وإن كان حراما عوقب عليه . قال : والثالثة أعظم من ذلك . قيل : وما هي ؟ قال : ما من يوم يمسي إلّا وقد دنا من الآخرة مرحلة لا يدري على الجنة أم على النار . وقال : أكبر ما يكون ابن آدم اليوم الذي يلد من أمه . (بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج٧٥ ص١٦٠ ح٢٠)

النقطة الرابعة :

لا يعلم الإنسان أنه بعد خروجه من هذه الحياة هل ينتهي كل شيء أو ينتقل إلى حياة أخرى يكون خالدا فيها ؟

"قَالُوا أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ" المؤمنون٨٢

النقطة الخامسة :

لا يعلم الإنسان أنه إذا انتقل إلى حياة أخرى بعد الموت فما هو مصيره؟ هل سيعيش في نعيم وسعادة أو في جحيم وتعاسة؟

النقطة السادسة :

يبحث الإنسان عن تفسير لما يحدث فيما يراه من الكون ، يريد تفسيرا للسماء والأرض ، وحركة الشمس والقمر والنجوم ، والليل والنهار ، والبحار والأنهار وحركة السفن فيها ، والرياح والأمطار والرعد والبرق ، ونمو النباتات والأشجار وتنوعها ، والحشرات والحيوانات وغرائزها ، والتعقيد الموجود في أعضاء بدنه وأجهزته ، وكيفية التكاثر بين الزوجين ، ونمو الجنين في رحم الأم ، فهو يريد تفسيرا لكل شيء يحدث حوله .

"إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الأَلْبَابِ" آل عمران١٩٠

النقطة السابعة :

يعلم الإنسان أن له عقلا مفكرا وقدرات إدراكية استثنائية لا توجد عند باقي الكائنات حوله ، فهو قادر على اكتساب اللغة وتركيب الجمل لنقل المعاني التي يفكر بها إلى الآخرين ، وقدرته على تحليل الأفكار وتركيبها واستنتاج أفكار إبداعية جديدة .

"وَاللهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" (النحل٧٨)

النقطة الثامنة :

يرى الإنسان وجود الشرور في هذا العالم ، كالفقر والأمراض والسيول والزلازل والبراكين والجفاف والأمراض المعدية والجرائم وظلم الإنسان لأخيه الإنسان ، فيريد تفسيرا لها .

النقطة التاسعة :

يبحث الإنسان عن تفسير لتغيّر الكائنات حوله ، فهي تبدأ صغيرة وتنمو ، ثم تذبل وتضعف ، ثم تموت وتتلاشى ، ويأتي غيرها إلى هذه الحياة ، وتسير بنفس الدورة ، يكون صغيرا وينمو ثم يضعف ويموت .

"أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجَ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الأَلْبَابِ" الزمر ٢١

النقطة العاشرة :

يسأل الإنسان نفسه : هل التفسيرات العلمية الآلية لظواهر الكون واكتشاف عللها المادية الطبيعية كافية لإشباع الفضول العلمي أو لا بد أن تكون هناك تفسيرات غيبية ما وراء الطبيعة تسير جنبا إلى جنب التفسيرات العلمية وأن هناك علة غيبية خلف هذه العلل المادية ؟

النقطة الحادية عشرة :

يجد الإنسان نفسه حائرا بين ثلاثة خيارات متنافية ، الخيار الأول يدعو لاتخاذ قرار الإيمان بالإله ، والخيار الثاني يدعو إلى قرار الجحود بالإله ، والخيار الثالث هو أن يكون لاأدريًّا ، ولكل من هذه

الخيارات مصالح ومفاسد ، والخيار الثالث يرجع إلى الخيار الثاني من حيث فقد المصالح المترتبة على الإيمان بالإله ، فمن ناحية عملية يوجد خياران فقط .

والذين يدعون إلى الإيمان بالإله يؤكدون أنه موجود فعلا ، وأنه الخالق والرب والمهيمن والعليم بكل شيء والقادر على كل شيء ، وأنه خالق الإنسان ، وأن الإنسان سيعود إليه ، وأنه إذا آمن بالإله إيمانا حقيقيا فإنه سيعيش بعد موته في نعيم أبدي ، وأنه إذا جحد بالإله وأنكر وجوده فسيواجه بعد موته عذابا أبديا .

والذين يدعون إلى الجحود بالإله يؤكدون أن الإيمان بالإله خرافة ، وأنه لا وجود لعالم آخر بعد الموت ، وأن التخويف من النار والترغيب في الجنة إنما هو خداع ووهم وسراب ، ويكتفي هؤلاء بتقديم تفسيرات علمية آلية لظواهر الكون ، ويفتخرون بأن العلوم الطبيعية قادرة على كشف العلل المادية لتلك الظواهر ولا نحتاج إلى التفسيرات الغيبية ، ويصرّون على أن الإنسان كبقية الكائنات الأخرى هو نتاج صراع طويل من أجل البقاء ، وأنه مجرّد حفنة تراب ، ولا ينطوي على أي جانب غيبي ، وأنه لا يوجد غاية وهدف لهذا الكون ، ولا غاية من وجود الإنسان في هذا العالم ، ويجدر بالإنسان أن يتمتع بحريته ويفعل ما يحلو له ، ولا يقيّد نفسه بأوامر ونواهٍ لموجود غيبي ، ولا يوجد حساب ولا نعيم في الجنة ولا عقاب في النار .

النقطة الثانية عشرة :

يرصد الإنسان مصالح ومفاسد الخيارين السابقين ، ويوازن بين المصالح والمفاسد ، فإذا احتمل ولو احتمالا ضعيفا أنّ كلام الداعين للإيمان بالإله من أنبياء وحكماء وفلاسفة وصالحين هو كلام صادق فسيرجِّح قرار الإيمان بالإله لأهمية المصالح ولأهمية العواقب المترتبة عليه ، وخطورة الأضرار المترتبة على الجحود إذا كان كلام الداعين للإيمان بالإله مطابقا للواقع ، وعلى فرض أن كلام الداعين للإيمان بالإله ليس مطابقا للواقع فإن الإنسان لا يستفيد شيئا ولا يخسر شيئا إذا كان لا يوجد حياة ولا حساب ولا جنة ولا نار بعد الموت لأنه يتلاشى ويفنى في القبر ، نعم قد تفوته بعض الملذات ، ولكن الملذات إلى زوال على أي حال .

النقطة الثالثة عشر :

يتّخذ الإنسان قرارا حاسما بالإيمان بالإله انطلاقا من النقاط السابقة ، وعلى ضوء الموازنة بين المصالح والمفاسد المترتبة على الخيارين السابقين .

وهذا النحو من اتخاذ القرار له جذور في القرآن الكريم والروايات الشريفة ، وسيأتي ذكر الآيات والروايات الدالة على ذلك ، ولكن قبل ذلك نبيّن ما ذكره بليز باسكال ، وهو مشابه للنقاط التي مرت سابقا .

رهان باسكال :

هو رهان بين مؤمن وملحد على وجود الإله أو عدم وجود الإله على أساس الاستدلال العقلي ، ومسألة مكسب عظيم أو خسارة كبيرة ، وهو قرار للإيمان بالإله في حالة الحيرة وعدم التّأكّد من وجود الإله ، وهي حجة عملية ، وخلاصة كلامه هي أنه بغض النظر عن مسألة وجود أو عدم وجود الإله في الواقع فإنه توجد في مسألة الإيمان بالإله فرضيتان :

الفرضية الأولى : أن يؤمن الإنسان بالإله :

ويوجد هنا احتمالان :

الاحتمال الأول :

أن يكون الإله موجودا فعلا ، وعندها سيذهب الإنسان إلى الجنة ، ويعيش في حياة أبدية وسعادة دائمة .

الاحتمال الثاني :

أن لا يكون الإله موجودا فعلا ، وعندها لا يخسر الإنسان شيئا .

الفرضية الثانية : أن لا يؤمن الإنسان بالإله :

ويوجد هنا احتمالان :

الاحتمال الأول :

أن يكون الإله موجودا فعلا ، وعندها سيذهب الإنسان إلى جهنم ، ويخسر كل شيء ، ويعيش في خسارة أبدية وعذاب دائم .

الاحتمال الثاني :

أن لا يكون الإله موجودا فعلا ، وعندها لن يكسب شيئا ، ولن يخسر شيئا .

وعندما نوازن بين الفرضيتين نجد أن الفرضية الأولى مرجَّحة على الفرضية الثانية ؛ لأن الإله لو كان موجودا فعلا فإما أن يفوز الإنسان بسعادة أبدية لو آمن به ، أو يعيش في خسارة أبدية لو جحد وجوده ، وإذا لم يكن الإله موجودا فعلا فلن يخسر شيئا سواء آمن به أم جحد وجوده ، وعلى ضوء ذلك لو راهن على أن الإله موجود كسب كل شيء بناء على الفرضية الأولى ، ولم يخسر أي شيء بناء على الفرضية الثانية .

إن تأثير الاعتقادات على أفعال الإنسان وسلوكه كبير جدا لأنها تؤطِّر نظرته إلى الكون بإطار خاص ، وبعد ذلك تنعكس على أفعاله الخارجية ، ويمكن القول بأن الاعتقادات التي يؤمن بها الإنسان أو ينكرها في الدنيا تتحوّل إلى أفكار ، والأفكار تتحوّل إلى كلمات ، والكلمات تتحوّل إلى أفعال ، والأفعال تتحوّل إلى عادات وطباع ، والعادات والطباع تحدّد شخصيَّتَكَ وملكاتِكَ القلبيّة ، وشخصيَّتُكَ وملكاتُكَ القلبيّة تحدّد مصيرَك الأبديّ بعد الموت .

الفقرة السابقة اقتبستها مع بعض الإضافات من قول منسوب لفرانك أوتلو (١٨٥٦-١٩٣٠ م) وهو : راقب أفكارَك لأنها ستصبح كلماتٍ ، راقب كلماتِك لأنها ستصبح أفعالاً ، راقب أفعالك لأنها

ستصبح عاداتٍ ، راقب عاداتِك لأنها ستصبح سماتِ شخصيَّتِكَ ، راقب سماتِ شخصيَّتِكَ لأنها ستحدّد مصيرَك .

إشكال من الملحد الجاحد :

على الإنسان أن يعيش بنحو حسن ويجعل الحياة أفضل ، فإن لم يكن الإله موجودا فهو لن يخسر شيئا ، وسيظل حيًّا في قلوب الناس ، وإن كان الإله موجودا فسيجازيه على أعماله الحسنة سواء آمن به أم لم يؤمن به .

الجواب :

لو عاش الملحد حياة فاضلة ولم يكن الإله موجودا فهو لن يخسر شيئا ، ولكن إن كان الإله موجودا فلن يفوز بالجزاء الحسن لأن المطلوب ليس مجرّد أن يكون الفعل بذاته حسنا ، بل المطلوب أن يصدر الفعل الحسن بنية التقرب إلى الإله .

"إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ المُتَّقِينَ" المائدة٢٧

"إِنَّ الّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" الأحقاف ١٣-١٤

وسيواجه الملحد الجاحد عواقب وخيمة وإن عاش حياة فاضلة لأن الإيمان بالإله هو رأس الفضائل ومنبع الأعمال الصالحة ، بالإضافة إلى أن كثيرا من الأعمال لا يقطع العقل بحسنها أو قبحها ، فالملحد

قد يتورّط بأعمال يحسبها حسنة ، ولكنها في الواقع تكون قبيحة ، ويأتي التفصيل في بحوث العدل الإلهي .

رهان باسكال مرة أخرى :

لسنا بصدد إثبات وجود الله لا يقينا ولا رجحانا ، نسأل كل إنسان : **كيف تريد أن تعيش ؟ هل تعيش على فرضية وجود الله أو على فرضية عدم وجود الله ؟**

هنا يكون النظر إلى البعد العملي لا البعد النظري ، مثلا من يعتقد حقيقة بوجود الآخرة يختلف من حيث العمل عن الذي لا يعتقد بوجود الآخرة ، ومن يعتقد بأنه إذا مشى في هذا الطريق فإنه يُقْتَلُ بنسبة ١% فإنه يسلك طريقا آخر ، وهنا يحتاط ، ومن يدخل في التجارة فإن احتمال الخسارة موجود ولو بنسبة ١% ، ومع ذلك يدخل في التجارة ، وهنا لا يحتاط ، فهناك احتمال ١% يؤثر في العمل ويجعله يسلك طريقا آخر ، وهنا احتمال ١% ليس له تأثير في العمل فيدخل في التجارة ، ونرى أن الاحتمال واحد ، ولكن النتيجة مختلفة ، فتارة يحتاط ، وتارة أخرى لا يحتاط ، فلماذا هذا الفرق ؟

إذا كنا ندور مدار قوة الاحتمال وضعف الاحتمال فإننا نرى أنه يوجد فرق بين الحالتين ، ومعنى ذلك أنه يوجد شيء آخر يؤثر في النتيجة ، وهو مؤدّى الاحتمال وما وقع عليه الاحتمال وهو المحتمَل ، ففي الحالة الأولى المحتمَل هو أن يقتل ، وهذا المحتمَل يهتم به الإنسان

لأنه يؤدي إلى خسارة حياته فيحتاط ، وفي الحالة الثانية المحتمَل هو أن يخسر ، وهذا يتحمّله الإنسان فلا يحتاط ، فقد يخسر في مورد ، ولكن من الممكن أن يربح في مورد آخر .

إذن :

توجد عدة حيثيات : تارة ينظر إلى أهمية الاحتمال فقط ، وتارة ينظر إلى أهمية المحتمَل فقط ، وتارة ينظر إلى أهمية الاحتمال والمحتمَل معا .

نرجع إلى موضوع وجود الإله :

بعد هذه المقدمة نرجع إلى موضوع وجود الإله ، هنا لا نريد إثبات وجود الإله أو عدم إثبات وجوده ، لو كان احتمال وجود الإله ١% أو ١ من ألف أو واحد من مليون فالاحتمال ضعيف جدا ، ولكن مؤدى الاحتمال الذي هو المحتمَل خطير جدا ، فيأتي السؤال التالي :

إذا تبين بعد ذلك أن الإله موجود والآخرة موجودة والثواب والعقاب موجودان والخلود في الجنة والخلود في النار موجودان فهل يعيش الإنسان في الدنيا عيشة كأن الإله موجود أو عيشة كأن الإله غير موجود ؟ ماذا يقول عقلك أيها الإنسان ؟

الجواب :

العقل يقول بما أن المحتمل خطير جدا ، فلا بد أن يعيش الإنسان في الدنيا كأن الإله موجود ، فيريد أن يدفع الضرر المحتمَل ، ونرى في القرآن عدة موارد تقول بأن النبي ما هو إلا نذير .

". . . **إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ**" الأعراف ١٨٤

". . . **إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ**. . ." هود ١٢

"**إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ**" الشعراء ١١٥

"**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ**" هود ٢٥

"**وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ**" الحجر ٨٩

"**تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا**" الفرقان ١

ويقول القرآن عن الفقهاء : ". . . **وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ** . . ." التوبة١٢٢

والإنذار يتناسب مع الخوف الذي يؤدي إلى دفع الضرر المحتمل ، وجاء القرآن بالإنذار لأن أكثر الناس يحركهم الخوف لا البشارة ، لذلك تقول الآية :

"**نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ**" المدثر ٣٦

"**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ**" الحج ٤٩

إذن فالمحتمل خطير جدا ، فلا بد أن يعيش الإنسان في الدنيا كأن الإله موجود ، فيريد أن يدفع الضرر المحتمَل وهذا يسمى بـ "رهان باسكال" ، فلو كانت عيشته بناء على عدم وجود الإله فإن النتيجة خطيرة لأنه سيخسر حياته الأبدية في الآخرة ، ويكون مخلدا في نار جهنم ، ولا مجال للرجوع إلى الدّنيا ، وبالتالي يخسر الرهان ، ولا يمكن للإنسان أن يقول بأنه لا يعتني بهذا المحتمل الخطير ، والإنسان لا يريد الألم والضرر ولو كان محتملا .

"حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ المَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ" المؤمنون ٩٩-١٠٠

راجع كتاب "بليز باسكال وفلسفة الإنسان" - راوية عبد المنعم عباس .

وهم الإله – ريتشارد دوكنز ص١٠٥ تحت عنوان "رهان باسكال" : بحسب عالم الرياضيات الفرنسي الكبير بليز باسكال فإنه مهما قلّت الدلائل على وجود الله (الإله) فإن العقوبة التي تنتظر الاختيار الخاطئ هي أكبر ، أحكم الطرق هي الإيمان بالله (بالإله) ؛ لأنك لو كنت مصيبا ستربح النعمة الكبرى ، ولو كنت مخطئا فلن يكون هناك فرق ، بينما إن لم تؤمن بالله (بالإله) وكنت مخطئا فأنت محكوم للعنة أبدية ، ولو كنت مصيبا فلن يكون هناك أي فرق ، وعلى ذلك فالقرار لا يحتاج لذكاء ، عليك الإيمان بالله (بالإله) . انتهى

إشكال :

هذا الطريق لا يثبت وجود الإله .

الجواب :

هذا الطريق لا يريد أن يثبت وجود الإله ، وإنما يريد أن يبيّن كيف يعيش الإنسان ، هل يعيش بناء على "كأن الإله موجود" أو بناء على "كأن الإله غير موجود" ؟

ويأتي موضوع وهو أنه هل المطلوب هو الإيمان فقط أو أن المطلوب هو العمل بناء على الإيمان؟

إن الإيمان يقدم للإنسان منهجا لحياته ومقوّما لسلوكه وموجِّها لأعماله .

لا بد أن يختلف سلوك المؤمن في الدنيا عن سلوك غير المؤمن ، فالاعتقاد له آثار تترتب عليه ، وبدون الإتيان بالآثار فإن الإنسان لا يكون معتقدا حقيقة أو أن اعتقاده ضعيف مغفول عنه ، فالاعتقاد الراسخ يؤدي إلى ترتّب الآثار بدون تكلف وتصنع .

قرار الإيمان بالله في القرآن الكريم والروايات الشريفة :

التفكير بالنعيم الأبدي والخسارة الدائمة وأهمية دفع الضرر المحتمل ينسجم مع القرآن الكريم ، مثلا مفهوم التقوى يستبطن معنى الوقاية والحذر ودفع الضرر المحتمل .

مثلا محاولة مؤمن آل فرعون للوقوف أمام تهوّر فرعون تنسجم مع الحجة العملية لاتخاذ قرار الإيمان بالإله ، وأسلوب تبشير وإنذار الأنبياء ع يثير شعور الإنسان بأهمية الضرر المحتمل ، ويلفت نظر الإنسان إلى تفاهة الخيار الدنيوي ، وعدم استناد مزاعم الملحدين والمشككين إلى علم ودليل .

إن الشخص الذي يريد أن يتخذ القرار إذا كان من الذين يهتمون بالربح والفوز واللّذّة فإن جانب المصالح يكون محفِّزا له ، وهو الراجي

، وإذا كان من الذي يتجنبون الخسارة والألم والضرر فإن جانب المفاسد يكون محفّزا له ، وهو الخائف .

شواهد من القرآن الكريم :

الشّاهد القرآنيّ الأول :

مؤمن آل فرعون استعمل الحجة العملية عندما تدخّل لإنقاذ موسى ع من بطش فرعون ، وأراد تنبيه قومه بأنهم إن كذّبوا موسى ع وكان موسى ع صادقا فيما يقول فيترتب على قرارهم نتائج وخيمة كما واجهها قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم ، وإن كان موسى ع كاذبا فلن يواجهوا أي خسارة .

"وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الفَسَادَ وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الحِسَابِ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ يَا قَوْمِ لَكُمُ المُلْكُ اليَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الأَرْضِ فَمَن يَنْصُرُنَا مِن بَأْسِ اللهِ إِن جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الأَحْزَابِ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ يَوْمَ

تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ" غافر٢٦-٣٣

الشّاهد القرآنيّ الثّاني :

يتحدث القرآن عن الخسارة ، والأخسرين أعمالا ، والخسران المبين الواضح ، وعن يوم الحسرة والندامة .

- الإيمان بالباطل والجحود بالله مثال واضح على الخسارة :

". . . وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللهِ أُولَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ" العنكبوت٥٢

- عبر القرآن عن يوم القيامة بأنه يوم الحسرة والندامة :

"وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ" مريم٣٩

- يرسم القرآن مشهد الحسرة يوم القيامة ويوجه تحذير قبل فوات الأوان :

"وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ المُتَّقِينَ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى العَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ المُحْسِنِينَ بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ ءَايَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الكَافِرِينَ" الزُّمَر٥٥-٥٩

– القرآن يشير إلى أنهم لا يعلنون حالة الندم ، وإنما يحتفظون بها في صدورهم :

". . . **وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا العَذَابَ** . . ." يونس ٥٤ ، سبأ ٣٣

"وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا" الفرقان٢٧

– تحدّث القرآن عن الفوز العظيم ، والفوز المبين ، والفوز الكبير :

"تِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ" النساء١٣

"فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِه ذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ المُبِينُ" الجاثية٢٠

"إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ذَلِكَ الفَوْزُ الكَبِيرُ" البروج١١

شواهد من الروايات :

الشاهد الروائي الأول :

جرى حوار بين الإمام الصادق ع وبين عبدالكريم بن أبي العوجاء ، وابن أبي العوجاء من الجاحدين الذين لا يؤمنون بالله ولا بالبعث واليوم الآخر ، والإمام ع يستعمل في حواره الحجة العملية حيث إن المؤمنين ناجون دون الجاحدين إن طابق موضوع إيمانهم الواقع ، وأما الجاحدون فإن طابق موضوع معتقدهم الواقع فهم والمؤمنون سواء ،

ولا يكتفي الإمام ع بالحجة العملية ، بل يثير بعد ذلك الفطرة المحتجبة حيث يلفت ع نظر الجاحد إلى علمه الحضوري بالله تعالى من خلال تنبيهه إلى افتقاره إليه سبحانه في كل حالاته الجسدية والنفسية .

عن أحمد بن محسن الميثمي قال : كنت عند أبي منصور المتطبّب فقال : أخبرني رجل من أصحابي قال : كنت أنا وابن أبي العوجاء وعبد الله بن المقفع في المسجد الحرام ، فقال ابن المقفع : ترون هذا الخلق – وأومأ بيده إلى موضع الطواف – ما منهم أحد أوجب له اسم الإنسانية إلا ذلك الشيخ الجالس – يعني أبا عبدالله جعفر بن محمد عليهما السلام – ، فأما الباقون فرعاع وبهائم . فقال له ابن أبي العوجاء : وكيف أوجبت هذا الاسم لهذا الشيخ دون هؤلاء ؟ قال : لأني رأيت عنده ما لم أره عندهم . فقال له ابن أبي العوجاء : لا بد من اختبار ما قلت فيه منه . قال : فقال ابن المقفع : لا تفعل ، فإني أخاف أن يفسد عليك ما في يدك (أي من العقائد) . فقال : ليس ذا رأيك ، ولكن تخاف أن يضعف رأيك عندي في إحلالك إياه المحل الذي وصفت . فقال ابن المقفع : أَمَا إذا توهمت علي هذا فقم إليه وتحفظ ما استطعت من الزلل ، ولا تثني ("ولا تثني" نفي في معنى النهي ، وفي توحيد الصدوق لا تُثْنِ بصيغة النهي ، وهو أظهر ، وعلى التقديرين مشتق من الثّني ، وهو العطف والميل أي : لا ترخ عنانك إليك بأن تميل إلى الرفق والاسترسال والتساهل فتقبل منه

بعض ما يلقى إليك . (آت)) عنانك إلى استرسال فيسلمك إلى عقال ("فيسلمك" من التسليم أو الإسلام ، "إلى عِقال" – وهي ككتاب – ما يشدّ به يد البعير ، أي : يعقلك بتلك المقدمات التي تسلمت منه بحيث لا يبقى لك مفر كالبعير المعقول . . . (آت)) . . . قال : فقام ابن أبي العوجاء ، وبقيت أنا وابن المقفع جالسين ، فلما رجع إلينا ابن أبي العوجاء قال : ويلك يا ابن المقفع ما هذا ببشر ، وإن كان في الدنيا روحاني يتجسد إذا شاء ظاهرا ويتروّح إذا شاء باطنا فهو هذا . فقال له : وكيف ذلك ؟ قال : جلست إليه ، فلما لم يبق عنده غيري ابتدأني فقال : إن يكن الأمر على ما يقول هؤلاء – وهو على ما يقولون يعني أهل الطواف – فقد سلموا وعطبتم (أي هلكتم) ، وإن يكن الأمر على ما تقولون – وليس كما تقولون – فقد استويتم وهم . فقلت له : يرحمك الله ، وأيّ شيء نقول وأي شئ يقولون ما قولي وقولهم إلا واحدا ؟ فقال : وكيف يكون قولك وقولهم واحدا وهم يقولون : إنّ لهم معادا وثوابا وعقابا ويدينون بأن في السماء إلها وأنها عمران وأنتم تزعمون أن السماء خراب ليس فيها أحد ؟ قال : فاغتنمتها (أي أعددت أقواله غنيمة إذ من مدعياته انفتح لي باب المناظرة معه عليه السلام) منه ، فقلت له : ما منعه إن كان الأمر كما يقولون أن يظهر لخلقه ويدعوهم إلى عبادته حتى لا يختلف منهم اثنان ؟ ولم احتجب عنهم وأرسل إليهم الرسل ولو باشرهم بنفسه كان أقرب إلى الإيمان به ؟ فقال لي : ويلك

! وكيف احتجب عنك من أراك قدرته في نفسك : نشوءُك ولم تكن ، وكِبَرُكَ بعد صغرك ، وقوتك بعد ضعفك ، وضعفك بعد قوتك ، وسقمك بعد صحتك ، وصحتك بعد سقمك ، ورضاك بعد غضبك ، وغضبك بعد رضاك ، وحزنك بعد فرحك ، وفرحك بعد حزنك ، وحبك بعد بغضك ، وبغضك بعد حبك ، وعزمك بعد أناتك (أي تأخرك) ، وأناتك بعد عزمك ، وشهوتك بعد كراهتك ، وكراهتك بعد شهوتك ، ورغبتك بعد رهبتك ، ورهبتك بعد رغبتك ، ورجاءُك بعد يأسك ، ويأسك بعد رجائك ، وخاطرك (الخاطر من الخطور وهو حصول الشئ مشعورا به في الذهن . (آت)) بما لم يكن في وهمك ، وعزوب ما أنت معتقده عن ذهنك (حاصل استدلاله عليه السلام أنك لما وجدت في نفسك آثار القدرة التي ليست من مقدوراتك ضرورة علمت أن لها بارئا قادرا ، وكيف يكون غائبا عن الشخص من لا يخلو الناس ساعة عن آثار كثيرة تصل منه إليه . (آت)) ، وما زال يعدّد عليّ قدرته التي هي في نفسي التي لا أدفعها حتى ظننت أنه سيظهر فيما بيني وبينه . فلما كان من العام القابل التقي معه في الحرم فقال له بعض شيعته : إن ابن أبي العوجاء قد أسلم . فقال العالم ع : هو أعمى من ذلك ، لا يسلم . فلما بصر بالعالم قال : سيدي ومولاي . فقال له العالم ع : ما جاء بك إلى هذا الموضع ؟ فقال : عادة الجسد وسنة البلد ، ولننظر ما الناس فيه من الجنون والحلق ورمي الحجارة ؟ فقال له العالم ع : أنت بعد على

عتوّك وضلالك يا عبد الكريم . فذهب يتكلم فقال له ع : لا جدال في الحج . ونفض رداءه من يده وقال : إن يكن الأمر كما تقول – وليس كما تقول – نجونا ونجوت ، وإن يكن الأمر كما نقول – وهو كما نقول – نجونا وهلكت . فأقبل عبد الكريم على من معه ، فقال : وجدت في قلبي حزازة (أي وجع) فردّوني . فردّوه فمات . (الكافي ج١ ص٧٤-٧٨ ح٢

"سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ" الأعراف١٤٦

". . . أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا . . ." الأنعام١٣٠

الشّاهد الرّوائيّ الثّاني :

عن محمد بن عبدالله الخراساني خادم الرضا ع قال : دخل رجل من الزنادقة على أبي الحسن ع وعنده جماعة ، فقال أبو الحسن ع : أيّها الرجل ، أرأيت إن كان القولُ قولَكم – وليس هو كما تقولون – ألسنا وإياكم شَرْعًا سواءً ، لا يضرّنا ما صلّينا وصمنا وزكّينا وأقررنا ؟ فسكت الرجل ، ثم قال أبو الحسن ع : وإن كان القول وهو قولنا ألستم قد هلكتم ونجونا ؟ . . . . الكافي ج١ ص٧٨ ح٣

وكتب الإمام الخميني رض : أيها العزيز ، كلّ منّا لو أخبره طفل عمره عشر سنين أن حريقا وقع في بيته ، أو أن ابنه وقع في الماء ، وهو الآن يغرق ، فهل نترك الاشتغال بالعمل بالمهم ونرفع اليد عنه ونركض وراء تلك الأخبار الموحِشَة أو أننا لا نهتم لها ونجلس مع اطمئنان نفسي كامل؟ فالآن أيّ أمر حدث؟ إن جميع الآيات والأخبار والبراهين والعيان لم تؤثّر فينا تأثير خبر طفل ابن عشر سنين ؛ لأنها لو أثّرت لسلبت الراحة منّا ، فكيف يعالَج عمى الباطن والقلب هذا؟ هل هذا المرض القلبي يحتاج إلى طبيب وعلاج؟ هل هناك طريق لعلاج هذا الاحتجاب وهذه الظلمة؟ هل يمكن أن نقول لمن لم يهتم بخبر الأنبياء والكتب السماوية بمقدار اهتمامه بخبر الطفل غير البالغ أنه مؤمن وثبتت له خواصّ الإيمان؟ (جنود العقل والجهل ص ٢٨٣-٢٨٤)

وهذه الحجة العملية موجودة في تراثنا الأدبي ، حيث يقول أبو العلاء المعرّي :

قال المنجّم والطبيب كلاهما : لا تُحْشَرُ الأجسادُ ، قلتُ إليكما

إن صحّ قولُكما فلستُ بخاسرٍ أو صحّ قولي فالخسارُ عليكما

ونضيف هنا بأن من أقوى الأدلة على وجود الإله هو احتمال وجوده ، فنفس احتمال وجود الإله كاف لأن نعتقد بوجوده ، ونعمل على

أساس هذا الاعتقاد ، فنعمل على "كأن الإله موجود" إذا لم نعتقد بوجوده .

القاعدة الفطرية الخامسة : شكر المحسن والمنعم :

إذا احتمل الإنسان وجود خالق للكون فإن فطرته تدعوه إلى شكره ، بل شكر كل من ينعم عليه بما يناسب شأن المنعِم المشكور .

عن النبي ص : "إن الله جعل قلوب عباده على حُبِّ من أَحْسَنَ إليها وَبُغْضِ من أساء إليها" . تحف العقول ص٣٧

من فطرة الإنسان أنه يحب من يحسن إليه ، ويحب من كان محسنا إلى الناس وإن لم يكن محسنا إليه .

أمير المؤمنين ع : "الإنسان عبد الإحسان" . غرر الحكم ص٧٧ ح١٨١٣

وعنه ع : "بالإحسان تُمْلَكُ القلوبُ" . غرر الحكم ص٩٨ ح٢٣١٠

وعنه ع : "وَأَفْضِلْ على من شئت تكن أميره" . بحار الأنوار ج٧٧ص٤٢١

يرى الإنسان وجوده ووجود عقل فيه يفكر به ، وقد أعطاه الخالق وسائل تجعله يفهم ويتعلم ويعرف ، ويرى وجود النعم الكثيرة المحيطة به ، فكل ما يحتاجه الإنسان يراه موجودا في الطبيعة إما بشكل مباشر وإما بموادّه الأولية التي يمكن استخراج ما يحتاجه منه بعمليات فيزيائية أو كيميائية ، ولا يمكن أن توجد هذه النعم بدون خالق ، فيتوجّه إلى البحث عن خالق هذه النعم ، وهذا موجود في فطرة

الإنسان وطبيعته أنه إذا أنعم عليه شخص بشيء فإنه يريد معرفته وتوجيه الشكر إليه ، ونفس الأمر الذي يجري مع الأشخاص الذي يؤدون إليه الإحسان يجري أيضا مع خالق النعم ، فلا بد من معرفة المنعِم حق المعرفة ، وبعد ذلك يؤدي شكره بما يناسب شأن المنعم ومقامه حتى لا يقع في التقصير في شكره ، وشرع الله العبادات لكي يُعَبِّر الإنسان عن شكره للخالق المنعم ، فعبادة الخالق حاجة فطرية نابعة من شكر المنعِم ، ونبحث عن الخالق المنعِم بالتفكر والنظر والاستدلال لنعرفه بالمقدار الذي يمكن ، ونؤدي شكره على قدر طاقتنا ، وكلما كانت النعمة أهم وأوسع فإن العاطفة تتجه نحو المنعم وتسعي إلى معرفته من أجل أداء الشكر إليه ، فمسألة شكر المنعم إحدى المحركات إلى معرفة خالق الكون ومعرفة الدين الذي يريده خالق الكون ، وهذا أمر فطري عند الإنسان .

"وَاللهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" (النحل٧٨)

النعم الإلهية تحرك الإنسان إلى حسن الشكر ، وتدعوه إلى معرفة المنعم ، والآية تتحدث عن السمع والبصر والفؤاد أي العقل ، فعن طريق السمع يتعرف الإنسان على العلوم النقلية المسموعة ، وعن طريق البصر يشاهد الطبيعة وأسرارها ، ويتعرف على العلوم التجريبية ، وعن طريق العقل يتعرف على العلوم العقلية والاستدلالات المنطقية ، وهذا هو التدرج الطبيعي للتعلم عند الإنسان منذ طفولته ، فالطفل يولد

ولا يوجد عنده علم بالأشياء الخارجية ، وأول ما يبدأ التعلم عن طريق السمع ، ثم عن طريق البصر ، فبالسمع والبصر يدرك المحسوسات ، وبالعقل يدرك المعقولات ، فيبدأ باستعمال العقل في الاستدلالات العقلية والمنطقية ، والإنسان يصل إلى الكليات العقلية بعد العلم بالجزئيات التي تأتي عن طريق الحس كأن يرى زيدا وعمرا وبكرا الذين هم الجزئيات فيقول الإنسان الذي هو كلي ، ويطلع على العالم الخارجي بواسطة وسائل المعرفة الثلاث : السمع والبصر والعقل ، وتصور شخصا لا يملك أحد هذه الوسائل أو جميعها كيف يكون حاله ؟!

والهدف من السمع والبصر والفؤاد هو الشكر ، ولا يقصد الشكر اللساني فقط ، وإنما الشكر الفعلي ، وهو تفعيل هذه القوى الموجودة في الإنسان للوصول إلى معرفة خالق الكون والتوصل إلى معرفة الحق في كل شيء ، نعم توجد في الإنسان علوم فطرية موجودة في طبيعته وخلقته ، ولكنها عبارة عن قابليات واستعدادات ، فإذا استفاد منها الإنسان فإنها تتحول من القوة إلى الفعلية ، ويكون لها ثمار ونتاج في حياته .

"وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ" المؤمنون٧٨

الإنشاء هو إيجاد الشيء وإنمائه ، والآية إشارة إلى المسيرة التكاملية للأذن والعين والعقل في مرحلة الجنين ثم مرحلة الطفولة ثم المراحل

التالية ، فالله أوجدها وهو يقوم بإنمائها ، والمطلوب هو الشكر وهو تفعيل هذه القوى والاستفادة منها في طلب الحق ، ولكن القليل من الناس يُفَعِّلُونَ ويستفيدون من هذه القوى .

"وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ البَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" النحل١٤ ، مَواخِر : جمع ماخِرة من مَخَرَ ، بمعنى الشق والخرق ، كشق الماء بمقدّم السفينة ، أو شق الأرض بالمحراث .

والله سخر البحر للإنسان حتى يصل إلى شكر المنعم ، فيأخذ من البحر لحوم الأسماك الطازجة التي لم يبذل الإنسان جهدا في تربيتها بعد أن كانوا يعتمدون على اللحوم المجففة تحت أشعة الشمس والتي قد تسبب التسمم أحيانا ، ويأخذ أيضا الحلية والزينة التي تلبسها النساء ، ويعتمد على البحر في السفر ونقل الأمتعة من مكان لآخر ، وفي آخر الآية **"وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ"** ، فهذه النعم تحتاج إلى شكر ، والشكر يتطلّب معرفة المنعم ، وليس المطلوب الشكر اللساني فقط ، وإنما تفعيل هذه النعم بالاستفادة منها في الأمور المناسبة ، مثلا نقل الخير إلى الناس ، وعدم نقل المواد المضرة التي تسيء إلى الناس أو تدمّر البيئة ، كنقل الأسلحة المدمرة المحرمة دوليا ، أو نقل الأسلحة للاعتداء على الآخرين ، أو رمي النفايات السامة في المحيطات .

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ" فاطر٣

الخطاب موجّه إلى جميع الناس .

"فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ" النحل١١٤

هذه الآية تبيّن العلاقة بين النعمة والشكر والعبادة ، فالعبادة تكون لهذا المنعِم الذي رزقنا الحلال الطيب ، وهو الله تعالى ، والشكر يتطلّب معرفة المنعِم ليتّجه المنعَم عليه بالعبادة إلى هذا المنعِم .

"خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ خَلَقَ الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ وَالأَنعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ وَالخَيْلَ وَالبِغَالَ وَالحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ يُنبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ البَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ

تَشْكُرُونَ وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وِأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ" النحل ٣-١٨

ويقول تعالى :

"اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي البَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَءَاتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ" إبراهيم ٣٢-٣٤

ونرى بأن كلا القولين ورد في آخرها **"وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا"** ، والقول الأول فيه شكر النعمة حيث يقول تعالى : **"وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ"** ، والقول الثاني فيه كفر النعمة حيث يقول تعالى : **"إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ"** .

وهناك آيات أخرى كثيرة تذكّر الناس بنعم الله تعالى ، منها :

"أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ" لقمان ٢٠

شكر المنعِم في الروايات :

عن أمير المؤمنين ع : "ولو فكّروا في عظيم القدرة وجسيم النعمة لرجعوا إلى الطريق ، وخافوا عذاب الحريق ، ولكن القلوب عليلة ، والبصائر مدخولة" . نهج البلاغة خطبة ١٨٥

وروي عنه ع أيضا : "لو لم يتوعّد الله على معصيته لكان يجب أن لا يُعْصَى شكرا لنعمته" . نهج البلاغة الكلمات القصار الكلمة٢٩٠

وعن الباقر ع : كان النبي ذات ليلة عند عائشة فسألته : لماذا ترهق نفسك كل هذا الإرهاق بالعبادة في حين قد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر ؟ فقال ص : "ألا أكون عبدا شكورا" . أصول الكافي ج٢ باب الشكر ح٦

عن الإمام زين العابدين ع : "الحمد لله الذي لو حبس عن عباده معرفة حمده على ما أبلاهم من مننه فلم يحمدوه ، وتوسّعوا في رزقه فلم يشكروه ، ولو كانوا كذلك لخرجوا من حدود الإنسانية إلى حدّ البهيمية ، فكانوا كما وصف في محكم كتابه : "إِنْ هُمْ إِلَّا كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا" " (الفرقان٤٤). الصحيفة السجادية الدعاء الأول

القسم الثاني من الأدلة المثبتة لوجود الإله : الأدلة العقلية الاستدلالية :@@

(موقع mawdoo3.com ، موقع islam4u.com ، شرح أصول الكافي ملا صدرا الشيرازي ، تفسير الميزان ، المعجم الفلسفي جميل صليبا ، التحقيق في كلمات القرآن الشيخ حسن المصطفوي ،

نفحات القرآن الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، صحاح الجوهري ، مفردات الراغب الأصفهاني ، العين الخليل بن أحمد الفراهيدي ، لسان العرب لابن منظور ، مجمع البحرين ، نظرية المعرفة محاضرات الشيخ جعفر السبحاني بقلم الشيخ حسن محمد مكي العاملي)

أول سؤال يأتي :

ما هو العقل ؟

الجواب :

معنى العقل في اللغة :

العقل هو الحجر والحبس والمنع والصد والنهي ، وأصله المنع ، تشبيها له بعقل الناقة ، فالعقال يمنع الناقة من الشرود ، والعقال هو الحبل الذي يشد به ساق الناقة لمنعها من الحركة ، والعقل يمنع صاحبه من العدول عن سواء السبيل ، والعقل يحجر ويمنع ويحبس وينهى الإنسان عن ذميم القول والفعل ، ويمنع عن الجهل ، وعَقَلَ لسانَه أي حبسه عن الكلام ، والعقل الحصن أي القلعة التي تمنع الأعداء من الدخول إليها .

معنى العقل في الاصطلاح :

العقل قوة في النفس أو استعداد أو أداة عند كل إنسان يمكنه بواسطتها الإدراك ، والتفكير ، وتحليل المعلومات وتقييمها والتمييز بينها ، واتخاذ القرارات ، والاستنتاج من المعلومات السابقة ، والوصول إلى معلومات وحقائق جديدة ، والإتيان بمعلومات جديدة

هو الإبداع ، فالعقل قوة مفكرة في المعلومات السابقة ومُوَلِّدَة ومُنْتِجَة لمعلومات جديدة ، وهكذا تتطور جميع العلوم سواء الدينية أم الدنيوية ، وبالعقل يستوعب الإنسان العلوم النظرية ، والعقل يشخص الصلاح والفساد في الحياة ماديا ومعنويا ، وهو أقوى وسيلة لتحصيل السعادة والوصول إلى الكمالات .

والعقل هو الذي يمتاز به الإنسان عن الحيوانات ، فالإنسان يميز بين الخير والشر ، وبين النافع والضار ، وبين الحسن والقبيح ، وبين الكمال والنقصان ، وهو يحبس العاقل عن ذميم القول والفعل ، وبالعقل يستطيع الإنسان أن يسيطر على نفسه ويتغلب على أهوائه ، وهو أساس التكليف الديني والقانوني ، فالمجنون لا تكليف عليه ، والعقل نقيض الجهل ، فبالعقل يصل الإنسان إلى معرفة ما يجهله .

والعقل مصدر من مصادر المعرفة ، وعمل العقل هو ملاحظة الحوادث ، وتمييز بعضها عن بعض ، والبحث عن عللها وأسبابها ، ثم استنتاج الحقائق ، والعقل تتراكم فيه الانطباعات المختلفة والصور المتنوّعة من المحسوسات والمعقولات دون أن تمحى الانطباعات والصور السابقة ، والإنسان يزداد فهما كلما ازداد علما ، والعقل يطلق على عملية التفكير ، والعقل لا يحكم ببطلان فكرة أو استحالة شيء إلا إذا لزم اجتماع النقيضين كوجود الكتاب وعدم وجوده ، أو لزم اجتماع الضدين كالظلمة والنور .

أهمية العقل في الإسلام :

يدعو الإسلام إلى التعقل والتفكر والتذكر والتأمل ، فهناك آيات كريمة تحث الإنسان على التفكر ، وهدف هذه الآيات بيان الوسائل التي تنبّه فطرته وتوقظ عقله ، فينتبه إلى الحقائق والمعارف التي يتساءل عنها ويطلب أجوبتها ، فتدعوه إلى التفكر في الخلق والكون ، وبالعقل يستدل الإنسان ويستنبط ويحفظ ويدبّر ويعلّل ويبرّر ، والآيات الكونية آيات آفاقية وأنفسية ، والآيات الآفاقية هي الآيات الموجودة في الأرض أو في السماء ، والآيات الأنفسية هي العجائب الموجودة في خلقة الإنسان جسده وروحه .

-"سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبيّن لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد" فصلت ٥٣

-"قل انظروا ماذا في السماوات والأرض . . ." يونس ١٠١

انظروا إلى المخلوقات المختلفة التي لها أنظمة عجيبة ولها تناسق وانسجام في خلقها .

-"أو لم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى" الروم٨

التفكر في أنفسهم قد يعني التفكر حال الخلوة التي يمكن أن يتفكر الإنسان فيها مع عدم الانشغال الذهني بأي شيء آخر ، وقد يعني التفكر في الأنفس وما فيها من دقة الخلق والانسجام بين أعضاء الجسد ، فنفس الخلية حينما تتجمع مع غيرها تارة تكوّن القلب وتارة تكوّن الكبد وتارة تكوّن الكلية ، وهكذا باقي الأعضاء .

"إلا بالحق" معناه أن الله خلق السماوات والأرض لغاية وهدف ، ولم يخلقها عبثا .

هذه الآية تدعو إلى التفكر في خلق السماوات والأرض ، وهذا التفكر يؤدي إلى معرفة حكمة الله من الخلق ، وأنه يوجد أجل مسمى ، وأن كل شيء ينتهي إلى الله عز وجل .

والآيات الكريمة تعرض دقة صنع خالق الكون ، والآيات التي تدعو إلى التفكر والتدبر في الكون بالنظر المباشر كثيرة .

-"قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير" العنكبوت٢٠

أمر من الله إلى الناس بالسير في الأرض ليعرفوا كيف بدأ الخلق مع اختلاف الأشكال والألوان وكثرة عددهم ، والله ينشئ النشأة الآخرة كما أنشأ النشأة الأولى .

-"أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت" الغاشية١٧-٢٠

تدعو الآيات إلى النظر إلى بعض مخلوقات الله تعالى التي تدل على تدبير الله ، فيعرف الإنسان أن له ربًّا ، فيتوجه إليه بالعبادة ، والمطلوب النظر والتفكر لا مجرد المشاهدة ، وبالنظر يتوصل الإنسان إلى معرفة الخالق المدبّر ، وانتقال الذهن من المعلول إلى العلة يسمى بـ "البرهان الإنيّ" في مقابل "البرهان اللّمّيّ" الذي هو انتقال الذهن من العلة إلى المعلول .

وذكرت الآية الإبل لأنه الحيوان الموجود عند العرب في الجزيرة العربية ، وهم يستفيدون منها ويعرفون فوائدها وخاصة حينما يسافرون مسافات طويلة عبر الصحراء فإنه يلاحظون أنها لا تحتاج إلى الماء ، ويمكن أن تبقى أيام طويلة من غير أن تشرب الماء ، فيدعوهم الله إلى التفكر في كيفية خلقتها ، والإبل من باب المثال وذكر المصداق الأكثر وجودا عندهم ، ولو نزل القرآن الكريم في مكان آخر لطلب منهم النظر في أكثر الحيوانات الموجودة عندهم .

وهنا ملاحظة وهي أن القرآن في بعض الآيات يذكر المفهوم ، والإنسان يحدّد المصاديق ، وفي بعض الآيات يذكر المصداق ، فهنا لا بد من تحديد المفهوم الذي يريده القرآن ، وتطبيق المفهوم على مصاديق أخرى لا أن القرآن الكريم يريد هذا المصداق بالخصوص ، ومعناه وجود مصاديق أخرى عند الأقوام الآخرين ، وذكر المصداق والمثال لا يتنافى مع عالمية الإسلام لأنه من المصداق تذهب إلى المفهوم ومنه إلى مصاديق أخرى ، لذلك على الإنسان أن يحدّد أن الآية تريد المفهوم أو المصداق ، وهل تريد هذا المصداق بالذات أو أنه من باب المثال فقط .

"إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح

والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون" (البقرة١٦٤)

ونرى في الآية الكريمة الدعوة إلى التعقل "لآيات لقوم يعقلون" ، فالذي يستفيد من هذه الآيات هو العاقل فقط ، فالعاقل حينما يرى هذه الظواهر الكونية التي تسير وفق نظام دقيق بما ينفع الناس ويضمن استمرار الكائنات الحية وبقاء المخلوقات هذا العاقل يصبح على يقين من أن هذا النظام لا بد له من منظّم ، وأن هذا المعلول لا بد له من علة ، وأن هذا المخلوق لا بد له من خالق .

"سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين" (الأعراف١٤٦)

لا يستفيد المتكبر من آيات الله لأنه يرى نفسه فوق كل الأشياء ، فكأنه يفقد عقله حيث يظن بأن لا أحد أفهم منه وأعقل ، فلا يستفيد من الآخرين ولا من الآيات الدالة على الله ؛ لأنه يكذِّب بها ويغفل عنها ولا يهتم بها لأنه يرى نفسه أفضل من غيره حتى من الأنبياء ع .

"وكأيّن من آية في السماوات والأرض يمرّون عليها وهم عنها معرضون" يوسف١٠٥

هذا لأنه لا يرغب أن يفكر في آيات الله ، فيعرض عنها لوجود موقف مسبق عنده ، وهو اعتقاده بعدم وجود إله خالق للكون .

يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

"خلق السماوات والأرض بالحق تعالى عما يشركون خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرءوف رحيم والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون وما ذرأ لكم في الأرض مختلفا ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يذكرون وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون وعلامات وبالنجم هم يهتدون أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم" (النحل٣-١٨)

ونرى في هذه الآيات الكريمة الحث على التفكر والتعقل والذكر ، "إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون" ، "إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون" ، "إن في ذلك لآية لقوم يذكرون" .

العقل في القرآن الكريم :

القرآن يعتبر العقل من المصادر الأساسية للعلم والمعرفة ، والقرآن يدعو جميع الناس إلى التعقل والتفكر في جميع الأمور .

ولم يرد لفظ "العقل" في القرآن ، بل ورد فعل العقل ، وهو التعقل ، فيأتي مثل يعقلون وتعقلون .

"إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون" الأنفال٢٢

"وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير"

"أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون"

"صم بكم عمي فهم لا يعقلون"

"إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون"

"إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون"

"كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون"

"كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون" البقرة٢٤٢

التعقل هو هدف الخلق ، وكلمة "لعل" تفيد بيان الهدف .

"ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون"

"أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون"

التعقل يؤدي إلى الهداية ، وانتفاء العقل يؤدي إلى الضلال .

"اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم لا يعقلون"
"إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون"
"تحسبهم جميعا وقلوب شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون"
"وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون"
"أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون"
"أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون"
والآية تريد أن توبخ الناس على عدم التعقل ، فالسؤال سؤال توبيخي .
وقد تأتي الآية بصيغة جملة شرطية :
"قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون" آل عمران١١٨
والتعابير المختلفة : لعلكم تعقلون ، أفلا تعقلون ، إن كنتم تعقلون ، تبين أن الله وهب العقل للإنسان ليقوم بتفعيله والاستفادة منه لإدراك الحقائق وفهمها ، وإذا ترك الاستفادة من العقل فإن الله يوبخه ، ويستحق الإنسان التوبيخ على عدم تفعيل العقل ، وهذا يدل على أهمية العقل في الإسلام ، لذلك فإن العقل من مصادر استنباط الأحكام الدينية ، والعقل أشرف جزء في الإنسان ، والعلم الذي يتعلق بدراسة العقل هو علم المعارف العقلية ، وهو المسمى بالفلسفة ، ومن هنا تأتي أهمية دراسة علم الفلسفة أي علم المعارف العقلية .

ووردت تعبيرات أخرى عن العقل ، مثل : اللب وجمعه ألباب ، والفؤاد والقلب والنُّهَى ، وكل منها يتعلق ببعد من أبعاد العقل ، وهذه الألفاظ في الاستعمال القرآني ليست عشوائية ، وإنما تكون متسقة مع موضوع الآية .

"إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب" آل عمران١٩٠

من يستفيد من آيات الله هم أولو الألباب أي أولو العقول وهم الذين فعّلوا العقل ونقلوه من القوة إلى الفعل ، وخلصت عقولهم من الأوهام ، واستفادوا من العقل في الاستنتاج والاستنباط ، فهم بكل بساطة يربطون بين الآيات الكونية ووجود خالق لها ، ويدركون وقائع نظام الخلق ، ويرون جمال الخالق من خلال المخلوقات ، والأمر بديهي فطري قبل أن يكون عقليا استدلاليا ، والاستدلال بسيط ولا يحتاج إلى جهد كبير ، كل حادث يحتاج إلى محدث خالق ، والكون حادث ، فالنتيجة هي أن الكون يحتاج إلى خالق ، وهذا استدلال عقلي بسيط ، وقبل هذا هو أمر فطري حتى الطفل الصغير يعرفه ، ونرى أهمية العقل كطريق لمعرفة الله عز وجل .

"والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هو أولو الألباب" الزمر١٧-١٨

واللب هو الخالص والصفوة من الشيء ، ويطلق على باطن الفواكه لأنه خالص من القشر ، لذلك يطلق على الدرجة العالية من العقل .

"والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون" النحل٧٨

والفؤاد أصل معناه هو وضع الخبز على الرماد أو الحصى الحارة لكي يخبز جيدا ، ويطلق أيضا على طبخ اللحم وشويه ، لذلك فالعقل عندما ينضج يطلق عليه فؤاد ، ويضيف الراغب في مفرداته أن الفؤاد هو القلب مع زيادة وهي الإنارة واللمعان ، والفؤاد مرتبة عالية من مراتب العقل .

والآية أشارت إلى خروج الإنسان من بطن وهو لا يعلم شيئا ، وأوضحت الآية وسائل المعرفة ، وبدأت بقوة السمع ، والعلوم التي تأتي من هذا الطريق هو العلوم النقلية من خلال الإصغاء إلى أقوال الآخرين ، ثم ذكرة قوة البصر التي تميز الأشياء بعد مشاهدتها ، ثم ختمت بالفؤاد الذي يدرك الحقائق غير المحسوسة .

"وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشا فنقبوا في البلاد هل من محيص إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد" ق٣٦-٣٧

والقلب أصله تغير الشيء وتحوله ، ويطلق على العضو الذي يضخ الدم في الجسم ، وهو القلب الجسمي ، ويطلق أيضا على العقل والعلم والفهم ، وهو القلب الروحي ، وكلاهما في حركة وتغير وتحول

مستمر ، ويطلق القلب أيضا على مركز الشيء ، مثل قلب الجيش ، ويطلق أيضا على خالص كل شيء .

أشارت الآية إلى الأقوام الذين كانت عندهم القدرة والقوة ، وأهلكوا بطغيانهم وفسادهم ، إن في ذلك (أي في سيادتهم ثم إبادتهم) ذكرى لمن له قلب أي عقل ، أو ألقى السمع أي يصغي للنصيحة .

"كلوا وارعوا أنعامكم إن في ذلك لآيات لأولي النهى" طه٥٤

أشارت الآية إحياء الأرض وإنبات الزرع الذي يغذي الإنسان والأنعام ، وهذه الأمور آيات يدركها أصحاب النهى ، والنهى هو العقل الذي ينهى عن الأفعال القبيحة .

أفعال العقل :

وهناك تعبيرات استعملت في القرآن لبيان مهمة العقل ، مثل : العلم ، الذكر ، الفكر ، الفقه ، البصيرة ، الدراية .

"إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فأما الذين ءامنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين" البقرة٢٦

"وقالوا لولا نُزِّلَ عليه ءاية من ربه قل إن الله قادر على أن ينزل ءاية ولكن أكثرهم لا يعلمون" الأنعام٣٧

"ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون" البقرة٢٢١

الهدف من بيان آيات الله هو التذكر ، والتذكر هو الحفظ والخطور في الذهن ، وهو من وظائف العقل ، وإذا لم يوجد التذكر عند الإنسان فإنه لا يستطيع الاستفادة من معلوماته .

"إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون" الأعراف٢٠١

التذكر هو حالة في الإنسان تمكنه من حفظ ما أدرك واستحضاره في الذهن عند الحاجة ، وهذا الأمر يتم بالقلب أو باللسان ، وهو في مقابل النسيان ، والمتقون إذا ابتلوا بوساوس الشيطان تذكروا الله وأبصروا وأدركوا الحقيقة فينجون من شباك الشيطان .

والبصيرة والإبصار هو الرؤية ، والبصر الحسي هو الرؤية بالعين الظاهرة ، والبصر المعنوي يتم بواسطة العين الباطنة أي العقل وهو الإدراك العقلي ، والمراد في الآية هو البصر المعنوي .

"بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره" القيامة١٤

والإنسان أعرف بنفسه من كل أحد .

"أفلا تتذكرون" الأنعام٨٠ ، هود٢٤ ، النحل٩٠ ، المؤمنون٨٥ ، الصافات١٥٥ .

آيات فيها توبيخ ولوم للإنسان .

قليلا ما تذكّرون" النحل٩٢ .

الآية توبخ الذين لا ينتفعون من العقل والفكر ، فلا يحفظون الحقائق ولا يتذكرونها .

"قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون" الأنعام٥٠

الاستفهام استنكاري ، والآية تلوم الذين لا يتفكرون .

"أولم يتفكروا في أنفسهم" الروم٨

"لعلكم تتفكرون" البقرة٢١٩

"لقوم يتفكرون" يونس٢٤ ، الرعد٣١ ، النحل١١

الفكر هو فعالية العقل ، وهو تحليل المسائل للوصول إلى أعماقها ، وهو قوة تؤدي إلى تحصيل المعلوم ، وفي علم المعارف العقلية (علم الفلسفة) حقيقة الفكر تتركب من حركتين : حركة نحو المقدمات ، ثم حركة من المقدمات إلى النتيجة ، ومجموع هاتين الحركتين اللتين تؤديان إلى العلم والمعرفة هو "الفكر" ، وفي علم التفكير الصحيح (علم المنطق) : الفكر هو حركة الذهن بين المجهول والمعلوم : حركة من المجهول إلى المعلوم ، وهي الحركة الذاهبة إلى المعلومات ، وحركة بين المعلومات ، وهي الحركة الدائرية بين المعلومات ، وحركة من المعلوم إلى المجهول ، وهي الحركة الراجعة إلى المجهول ، فالفكر يتركب من ثلاث حركات : الحركة الذاهبة والحركة الدائرية والحركة الراجعة .

"انظر كيف نصرف لهم الآيات لعلهم يفقهون" الأنعام٦٥

الفقه في اللغة هو الفهم بشكل عام ، والفقه هو الاطلاع على أمر خفي بالاستعانة بأمر ظاهر ، والفقه العملي هو العلم بالأحكام العملية ويحصل بالاستنباط من الأدلة الشرعية .

"لقوم يفقهون" الأنعام٩٨

"لو كانوا يفقهون" التوبة٨١

"بل كانوا لا يفقهون إلا قليلا" الفتح١٥

وهذه الآيات تبين أهمية الفهم والإدراك العقلي .

"قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني" يوسف١٠٨

على بصيرة أي على علم .

البصيرة اشتقت من البصر ، ولها ثلاثة معانٍ : العين ، وقوة العين ، وقوة الإدراك والعلم ، والأصل هو العلم سواء حصل بالحس أم بالعقل ، والبصيرة في الآيات بمعنى المعرفة الحاصلة عن طريق العقل .

"يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا" الأحزاب٦٣

"إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير" لقمان٣٤

الدراية هي العلم والخبرة بشكل علم ، أو العلم والخبرة في الأمور الخفية ، واستعمال الدراية مع أداة النفي يدل على أن الدراية مرتبة عالية من الفهم والإدراك الذي لا يحصل لكل إنسان .

وكل من الألفاظ التي تبين مهمة العقل تعبر عن بعد من أبعاد العقل ، وكل كلمة تستعمل في موضعها المناسب ، فإذا أريد البحث عن الخبرة مع الدقة استعمل القرآن الدراية ، وإذا أريد البحث عن التحليل

العقلي استعمل الفكر ، وإذا أريد البحث عن أمر خفي ومعرفته بالاستعانة بأمر محسوس استعمل الفقه ، وإذا أريد البحث عن الخبرة المقترنة بالحفظ والحضور بالبال استعمل الذكر ، ، وهكذا كل مفردة تستعمل في محلها المناسب بحسب معنى الآية .

تعابير القرآن لبيان مراتب الإدراك :

والتعبيرات المستعملة لبيان مهمة العقل وأفعاله لها مراتب مختلفة ، يبدأ من مرتبة الإدراك البسيط وهو العلم ، ثم إلى مرتبة إدراك المسائل الخفية من المسائل الواضحة وهو الفقه ، ثم مرتبة التحليل العقلي وهو الفكر ، ثم مرتبة الحفظ في الذهن والحضور في البال وهو الذكر ، ثم مرتبة الإدراك العميق لحقائق الأمور وهو النهى ، ثم مرتبة النظر الذهني العميق وهو البصيرة .

ومن مراتب الإدراك أيضا : الظّنّ ، الزّعم ، الحسبان ، اليقين ، علم اليقين ، عين اليقين ، حق اليقين ، وجاءت هذه التعابير في آيات مختلفة .

تنبيه :

الآيات القرآنية تطرح مراتب مختلفة ، حتى الخطابات القرآنية لها مراتب مختلفة ، بعض الآيات تتحدث من الناس بشكل عام ، فتقول : "يا أيها الناس" ، وبعض الآيات تتحدث مع المؤمنين ، فتقول : "يا أيها الذين ءامنوا" ، وبعض الآيات تتحدث مع العلماء ، فتقول : "وما يعقلها إلا العالمون" ، وهكذا نجد أن الآيا القرآنية موجهة إلى

مختلف طبقات الناس ، فجميع الناس يستفيدون من القرآن كل شخص بحسب استيعابه ودرجته الذهنية .

"أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا . . ." [1] .

أهمية العقل في الروايات :

ذكر العقل يوجد في مئات الروايات ، وأكدت الروايات على أهمية العقل .

النبي ص : قوام المرء عقله ، ولا دين لمن لا عقل له . بحار الأنوار ج١ ص٩٤ ح١٩ .

النبي ص : لكل شيء آلة وعُدَّة ، وآلة المؤمن وعدّته العقل ، ولكل شيء مطية ، ومطية المرء العقل ، ولكل شيء غاية ، وغاية العبادة العقل . بحار الأنوار ج١ ص٩٥ ح٣٤

أمير المؤمنين ع : لا غنى كالعقل ، ولا فقر كالجهل . نهج البلاغة الكلمات القصار رقم٥٤

أمير المؤمنين ع : إن الله تبارك وتعالى يحاسب الناس على قدر عقولهم . بحار الأنوار ج١ص١٠٦ح٢

أمير المؤمنين ع : العقل صاحب جيش الرحمن ، والهوى قائد جيش الشيطان ، والنفس متجاذبة بينهما ، فأيهما غلب كان في حيّزه . غرر الحكم الآمدي

---

[1] الرّعد ١٧ .

أمير المؤمنين ع : العقول أئمة الأفكار ، والأفكار أئمة القلوب ، والقلوب أئمة الحواس ، والحواس أئمة الأعضاء . بحار الأنوار ج١ ص٩٦ ح٤٠

أعضاء الإنسان تعتمد على حواسه ، والحواس تعتمد على العواطف ، والعواطف تعتمد على الأفكار ، والأفكار تعتمد على العقل .

الإمام الصادق ع : إن الثواب على قدر العقل . أصول الكافي ج١ ص١٢ ح٨

الإمام محمد الباقر ع : لما خلق العقل استنطقه ، ثم قال له : أقبل . فأقبل . ثم قال له : أدبر . فأدبر . ثم قال : وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا هو أحب إلي منك ، ولا أكملتك إلا فيمن أحب ، أما إني إياك آمر ، وإياك أنهى ، وإياك أعاقب ، وإياك أثيب .

الإمام الباقر ع : لا مصيبة كعدم العقل . بحار الأنوار ج٧١ ص١٦٥

الإمام موسى الكاظم ع قال لهشام : يا هشام ، إن لله على الناس حجتين : حجة ظاهرة ، وحجة باطنة ، فأما الظاهرة فالرسل ، وأما الباطنة فالعقول . الكافي ج١ ص١٦ .

وقال الإمام الكاظم ع : يا هشام ، ما بعث الله أنبياءه ورسله إلى عباده إلا ليعقلوا عن الله ، فأحسنهم إجابة أحسنهم معرفة ، وأعلمهم بأمر الله أحسنهم عقلا ، وأكملهم عقلا أرفعهم درجة في الدنيا والآخرة . الكافي ج١ ص١٦

الإمام جعفر الصادق ع : إن الثواب على قدر العقل . الكافي ج١ ص١٢ .

القواعد العقلية لا تقبل التخصيص :

إن القواعد العقلية لا تقبل التخصيص والاستثناء ، نعم القوانين التشريعية والوضعية تقبل التخصيص والاستثناء .

مثال القاعدة العقلية :

النقيضان لا يجتمعان ، لا يوجد لها استثناء .

مثال القانون التشريعي :

تجب الصلاة على كل مكلف ، ولكن المرأة الحائض تستثنى فلا تجب عليها الصلاة ، فيتم التخصيص ، وتكون المسألة : تجب الصلاة على كل مكلف إلا المرأة حالة كونها حائضا .

مثال القانون الوضعي :

من يخالف قانون السير عليه غرامة إلا إذا كان غريبا عن البلد ، فكونه غريبا عن البلد تخصيص واستثناء من القانون .

عودة إلى الأدلة العقلية الاستدلالية :

يعتمد الدليل العقلي الاستدلالي على الانتقال من النتيجة والمعلول إلى السبب والعلة ، والقاعدة العقلية تقول إن كل معلول يحتاج إلى علة ، وكل أثر يحتاج إلى مؤثِّر ، وهذه القاعدة موجودة عند جميع الناس ، وهي قانون السببية ، فحينما يرى الإنسان شيئا يدرك بعقله أن هذا الشيء له صانع وخالق ، يرى بيتا متقن الصنع أو سيارة

دقيقة الصناعة فيدرك بعقله أن هذا البيت وهذه السيارة لهما بنّاء وصانع ، وأن البيت لم يَبْنِ نفسه ، وأن السيارة لم تصنع نفسها ، وهذا الأمر العقلي موجود حتى عند الطفل ، فإذا رأى لعبة فيعرف أن أحدا قد أحضرها ، فهو يعرف السبب لوجود هذه اللعبة ، فيربط بين المعلول والعلة ، ويدرك أن المعلول لا يوجد بنفسه ، وأنه لا بد من وجود سبب لوجود هذه اللعبة في الغرفة ، والاستدلال العقلي لا يخطئ إذا استند إلى مقياس دقيق ، كما في الرياضيات فإن علماء الرياضيات لا يخطئون لأنهم يستندون إلى أسس دقيقة ، لذلك فالنتائج التي يصلون إليها تكون قطعية .

ومن الجزئيات ننطلق إلى الكون لنتساءل عن علة وجوده ، فكل حادث له مُحْدِث ، فنرى النجوم والقمر والسماء والأرض فنتساءل : من الذي أوجدها ؟

الأدلة العقلية على وجود إله للكون :

إننا لا نؤمن بالله اعتمادا على الوراثة والبيئة ، ولا على الوحي مستقلا عن حكم العقل ، بل نؤمن بالله كعقلانيين لا كمتدينين فقط ، وعلماء الفلسفة يعتمدون على العقل وحده ، وعلماء الدين يعتمدون على العقل والوحي لأنهم يعتقدون أن العقل يستقل في معرفة أصول المعارف كوجود الخالق وإرسال الرسل وبعض المسائل الأخرى ، ولكن العقل يحتاج إلى الوحي في معرفة تفاصيل كثير من المسائل التي لا يمكن التوصل إليها عن طريق العقل وحده .

وتتفاوت الأدلة العقلية بين البساطة والتعقيد ، فيأخذ الإنسان ما يناسبه حسب عقله ، والطريق الطبيعي إلى معرفة الخالق والإيمان به هو العقل ، والنظر إلى ملكوت السماوات والأرض ، ويستحيل أن توجد بدون موجِد وخالق ، وهذا الكون له مبدأ وفاعل وخالق وموجد ، ويطلق عليه "المبدأ الفاعلي" ، فهذا الموجود لم يكن موجودا ثم وجد فله خالق .

ومن الأدلة العقلية ما يلي :

الدليل العقلي الأول : الآيات الآفاقيّة والأنفسيّة :

هذا الدليل من أبسط الأدلة ، ويناسب جميع الناس ، فهذا كتاب الوجود أمامكم فتعقّلوه ، فالإنسان حينما يرى جسده بأعضائها الدقيقة الصنع ويرى الأرض والجبال والسهول والأنهار والغابات والسماء والنجوم والكواكب المتقنة الصنع يعلم بوجود خالق لها لأنها لم توجِد نفسَها ، فلا بد من وجود إله خلقها وأوجدها بهذه الدقة من الصنع ، ولا يمكن أن توجد صدفة واتّفاقا لأن الصدفة لا تعطي النظام والاتساق والنسق الواحد ، فالعقل يحكم بأن الوجود يحتاج إلى موجِد ، فتلك القاعدة العقلية وهي الانتقال من المعلول إلى العلة يستفيد منها الإنسان للوصول إلى وجود خالق لهذا الكون ، ومن الشواهد الكونية ينطلق عقل الإنسان إلى الإيمان بالخالق المبدع المدبِّر ، ويكون حكم العقل بوجود الخالق بديهيا كحكمه بأن الكل أكبر من الجزء وأن النقيضين لا يجتمعان ، والقوانين الدقيقة المتقَنة وراءها

علة أوّليّة ذات علم وقدرة وقصد وغاية ينتهي إليها كل شيء ، وهنا نستفيد من طريق الحس والعلم أو طريق الطبيعة أو طريق قراءة الخلق والنظر في الآيات الآفاقية والأنفسية .

ولنأخذ مثال الساعة ، فصانعها نظّم أجزاءها وربط بين هذه الأجزاء بشكل معقَّد ودقيق جدا بحيث تعطينا الساعة والدقيقة والثانية ، وبعض الساعات بالإضافة إلى ذلك تعطينا اليوم والشهر والسنة ، وتستند الساعة إلى السبب المباشر لحركتها ، وينتهي السبب لا محالة إلى الإنسان الصانع ، وهكذا أجزاء الكون تحركها القوانين المتقَنة ، وتنتهي القوانين لا محالة إلى الإله الخالق .

إشكال هيوم :

لا يمكن تشبيه الكون بالساعة والآلات الصناعية ، فالشبه لا يعني المشابهة والمطابقة من كل جهة ، فقد يكون للساعة صانع ومصمم ذكي بالضرورة ، ولكن هذا ليس معناه وجود صانع خالق للعالَم الطبيعي ، مثلا نرى أن الحيتان تشبه الأسماك ، ولكن الأسماك تبيض ، وهذا ليس معناه أن الحيتان تبيض بل هي تلد ، فمن الممكن أن الإنسان يقف خلف مصنوعاته ، ولكن لا يوجد إله خلف العالَم .

الجواب :

إن الدليل ليس قائما على أساس تشبيه الكون بالساعة ، وإنما هو قائم على أساس القاعدة الفطرية والعقلية والعرفية التي تقول إن كل معلول يحتاج إلى علة ، وكل أثر يحتاج إلى مؤّثر ، وكل حادث يحتاج

إلى سبب ، وهي القاعدة العامة في السببية ، والساعة مصداق لهذه القاعدة ، والكون مصداق آخر لهذه القاعدة ، ولا توجد علاقة بين المصداق الأول والمصداق الثاني ، فكل مصداق مستقل عن المصداق الآخر ، وعلاقة كل مصداق تكون مع القاعدة العامة ، وهنا ننطلق من النظام الدقيق إلى المنظِّم والمدبِّر والصانع والخالق العالم القادر ، فيوجد ربط بين النظام الدقيق وبين المنظِّم العالم القادر ، فننتقل من الواقع الخارجي لإثبات الموجد والخالق وهو العلة الفاعلية ، فالذهن ينتقل من الساعة إلى الصانع ، وينتقل الذهن أيضا من العالم إلى الخالق ؛ لأن الذهن ينتقل من الأثر إلى المؤثِّر ، ومن بعض صفات الأثر إلى بعض صفات المؤثِّر ، ولا ننتقل من خلال تشبيه الكون بالساعة ، وإنما مثال الساعة مثال تقريبي واضح ومفهوم لجميع الناس لتقريب الصورة وبيان مصداق للنظام والمنظِّم والمعلول والعلة والأثر والمؤثِّر والحادث والسبب ، لا لإثبات أن الكون له خالق ، ومن لا يعتقد بوجود خالق يقول بوجود الربط بين النظام والطبيعة العمياء الصماء ، فالطبيعة العمياء الصماء التي لا علم لها ولا حكمة ولا قدرة تخرج نظاما فيه العلم والحكمة والقدرة ، فهم نسبوا النظام الموجود في الكون إلى طرف آخر ، ونحن أيضا ننسبه إلى طرف آخر ، نحن ننسب النظام إلى منظِّم عالم قادر حكيم ، نسمّيه الإله الخالق والصانع الحكيم ، وهم يسمّونه المصمِّم الذكي ، فنحن جميعا متفقون على وجود المنظِّم ، ولكن اختلفنا في مصداق المنظِّم .

"قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ . . ." [٢] .

ولا بد أن يكون هذا الخالق عالما قادرا حكيما له إرادة وتدبير ، فمن المستحيل أن يوجد نظام بمحض الصدفة ، بل لا بد أنه وجد نتيجة لإرادة مدبِّرة ، والحكمة معناها الإتقان في الفعل ، والتّنزّه عن فعل ما لا ينبغي فعله ، والحكيم هو الذي يتقن ما يفعله ، ويتنزّه عن اللغو والعبث والظلم وكل أمر قبيح ، وبالتالي يثبت عدله في التكوين والتشريع والجزاء ، ولا يكون عابثا فيثبت وجود غاية وهدف للخلق ، ويثبت لزوم التكليف ، ومعرفة التكليف تحتاج إلى إرسال الأنبياء والرسل ، وبالحكمة تنحل مسألة الشرور والكوارث في الكون ، وبالحكمة يثبت كون الإنسان مختارا في أفعاله غير مجبور عليها ، وبالحكمة نثق بوعده تعالى ووعيده ، وهناك أمور أخرى تثبت بناء على حكمة الخالق ، والعقل يثبت حكمة الخالق ، ولو لم نقل بحكمة الخالق لترتّب على ذلك الظلم والعبث والكذب والقبائح التي لا تليق حتى بالإنسان العاقل ، فبطريق أولى لا تليق بالخالق سبحانه .

-"سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبيّن لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد" فصلت ٥٣

الآفاق هي الأطراف ، فآفاق الأرض هي أطرافها ، وآفاق السماء هي أطرافها ، وذكرت الآفاق مطلقة فتكون شاملة جميع الأطراف

---

[٢] إبراهيم : ١٠ .

شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، والنفس لها معنى واسع فتشمل الروح وجميع أجزاء البدن ، والهدف هو أن يتبيّن لهم أن الله هو الحق ، وقوله "سنريهم" استعملت السين الدال على المستقبل القريب ، واستعملت الفعل المضارع الدال على الاستمرارية ، ففي كل يوم تنكشف للإنسان حقائق جديدة عن هذا العالم ، وتتجلى له أسرار جديدة ، حيث يتوصل العلماء في كل يوم إلى اكتشافات جديدة دالة على وجود خالق لهذا الكون .

-سئل أعرابي عن دليل يدل على وجود خالق للكون فقال بكل عفوية : البعرة تدل على البعير ، وأثر الأقدام يدل على المسير ، أفسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج لا تدلان على العلي القدير؟!

أفعال الله لها غايات ولا يوجد فيها عبث :

العقل يدرك إدراكا بديهيا قطعيا بأن أفعال الله تعالى لها غايات لأن الخالق لا يكون عابثا ، والعبث يكون نقصا يحكم العقل بقبحه ولزوم تنزّه كل عاقل عنه ، فكلّ عاقلٍ مدرِك له غاية في فعله ، وبطريق أولى لا يكون الخالق عابثا لأنه الكمال المطلق ، وكل فعل خالٍ عن الغرض هو فعل عبثيّ ، فالخالق له غاية وغرض من كل فعل ، ولا يكون الإله مستكمِلا نفسه بذلك الغرض ولا يحتاج هذا الغرض لنفسه لأنه كامل مطلقا ، والغاية من فعله تعالى هو استقرار النظام الكوني واستكمال الموجودات لأنها ناقصة وتتكامل ، فالغاية والغرض

راجع إلى غيره لا إليه سبحانه ، وهذا مقتضى القول بالحسن والقبح الفطريين على أساس العقل الفطري .

"أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون" المؤمنون١٥

فالله تعالى لم يخلق الخلق عبثا ، وإنما خلقهم لغاية وغرض لأنه حكيم ، والحكيم لا يقوم بأفعال عبثية بلا هدف وغاية ، بل كل أفعاله لها غايات وأغراض .

"وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين" الدخان٣٨

"وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار" ص٢٧

وهذه الآيات تنفي العبث عن خلقه تعالى السماوات والأرض وما بينهما .

"وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون" الذاريات٥٦

هذه الآية تنفي العبث عن خلقه تعالى للجن والإنس ، فغرض خلق الجن والإنس هو الوصول إلى مقام العبودية ، وبالعبودية يصلون إلى أعلى درجات الإيمان .

"ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكّرون" الذاريات٤٩

"أيحسب الإنسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوّى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى" القيامة٣٦-٣٩

"وأنه خلق الذكر والأنثى" النجم٤٥

"وهو الذي مدّ الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون" الرعد٣

خلق الله تعالى في كل صنف زوجين الذكر والأنثى ، فلم يجعل جميع الأصناف ذكورا فقط أو إناثا فقط ، والغاية من ذلك هي حفظ النوع ، ولم يحدث هذا التقسيم صدفة بلا موجِد عالم قادر حكيم .

وهذه الآيات القرآنية إرشاد إلى حكم العقل .

وهكذا نرى أن العقل والقرآن يبيّنان تنزيه الله سبحانه عن العبث ، وأن أفعاله تعالى لها غايات وأغراض وأهداف ، ولوجود الغاية المترتبة على الواقع الخارجي تثبت الحاجة إلى الخالق ، ويثبت أن هذا الخالق عالم حكيم قادر سميع بصير وباقي الصفات الكمالية الجمالية ، وننطلق من الواقع الخارجي لإثبات الغاية من الخلق وهو العلة الغائية .

من الآيات الأنفسية خلق الإنسان :

"خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنى تصرفون" الزمر٦

"هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين" لقمان١١

"ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة

عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين" (المؤمنون ١٢-١٤)

يكون الجنين في ظلمات ثلاث : البطن والرحم والمشيمة ، وتبدأ رحلته بالنُّطْفَة ، ثم العَلَقَة حيث تتحوّل النطفة إلى دم متجمّد ، ثم المضغة حيث تتحوّل العلقة إلى قطعة لحم بمقدار يمكن مضغها وأكلها ، ثم العظام حيث تتحوّل العلقة إلى عظام ، ثم يكسو اللحمُ العظامَ ، ويظهر أن خلق العظام في الجنين يكون قبل تكوّن اللحم لا أن اللحم يتكوّن أوّلا ثم يتكوّن العظام في وسط اللحم ، ثم تأتي مرحلة نفخ الرّوح الإنسانية حيث يقول القرآن الكريم "ثم أنشأناه خلقا آخر" ، وورد عن الإمام الباقر ع تفسير إنشائه خلقا آخر بأنه نفخ الروح فيه ، والجنين حينما يتحرك في الرحم تكون فيه حياة أشبه بالحياة النباتية ، فيكون عنده الحس والحركة ، ثم يقول القرآن الكريم "فتبارك الله أحسن الخالقين" ، وهذا التعبير القرآني لم يأتِ في خلق السماوات والأرض الذي وصفه الله تعالى بأنه أكبر من خلق الناس .

"لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون" غافر٥٧

ويقول تعالى :

"هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون" غافر٦٧

في هذه الآية يذكر الله تعالى مراحل نمو الإنسان من التراب إلى النطفة إلى العلقة إلى الطفولة إلى الشباب إلى الكهولة ، ويطلب الله منّا التّعقّل وإعمال العقل حينما نرى آياته في الخلق والنمو .

ويقول تعالى :

"أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين" يس٧٧

بداية خلق الإنسان من نطفة لا قيمة لها ، ولكنه بعد ذلك يعطيه الله القوة ، فيصير خصيما لله غير مطيع له ومخالفا لأوامره ونواهيه ، بدل أن يشكر الله على نعمه الكثيرة التي لا تحصى .

ورد في توحيد المفضّل أنه قال للإمام الصادق ع : صف لي نشوء الأبدان ونموّها حالا بعد حال حتى تبلغ التمام والكمال . فقال ع : "أوّل ذلك تصوير الجنين في الرّحم حيث لا تراه عين ، ولا تناله يد ، ويدبّره حتى يخرج سَوِيًّا مستوفيًا جميع ما فيه قوامه وصلاحه من الأحشاء والجوارح والعوامل إلى ما في تركيب أعضائه من العظام واللحم والشحم والمخّ والعصب والعروق والغضاريف . . ." . البحار ج٣ ص٦٨ ب٤ من كتاب التوحيد

ويوجد تلازم بين الخلق والعلم :

"ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه" ق١٦

من الآيات الآفاقية السماوات والأرض :

يقول تعالى :

"والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون والأرض فرشناها فنعم الماهدون" الذاريات٤٧-٤٨

تتكلم الآية عن توسعة الكون ، وهذه إشارة إلى علماء الفضاء ليبحثوا عن حقيقة توسعة الكون ، ويبدو أن العلم الحديث قد يوصل إلى هذه الحقيقة .

"الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون" الرعد٢

توجد أعمدة غير مرئية رفعت السماوات عليها ، وقد تكون هذه الأعمدة هي التعادل بين القوتين الجاذبة والدافعة .

"والسماء ذات الحبك"

عن الحسين بن خالد أنه سأل الإمام الرضا ع عن قول الله "والسماء ذات الحبك" . فقال ع : "هي محبوكة إلى الأرض" . وشبك بين أصابعه ، قال له كيف تكون محبوكة إلى الأرض والله يقول " رفع السماء بغير عمد ترونها" ؟ فقال ع : "أليس الله يقول "بغير عمد ترونها"؟" قال : بلى . فقال ع : "ثَمَّ عمد ، ولكن لا ترونها" . (تفسير القمي ج٢ص ٣٢٨، ثَمَّ : هناك)

وورد عن ابن أبي عمير عن بعض أصحابنا عن أبي عبدالله ع قال : قال أمير المؤمنين ع : "هذه النجوم التي في السماء مدائن مثل المدائن التي في الأرض مربوطة كل مدينة إلى عمود من نور ، طول ذلك

العمود في السماء مسيرة مائتين وخمسين سنة" . البحار ج٥٨ ص٩١

"وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون" الأنبياء٣٢

يحتمل أن السماء هي الغلاف الجوي المحيط بالأرض ، وهي تمنع من وصول الأشعة المميتة إلى الأرض ، وتمنع اصطدام الأحجار السماوية من الشهب والنيازك بالأرض لأن الغلاف الجوي يقلل سرعة الأحجار السماوية ويؤدي إلى اختراقها باحتكاكها بالغلاف الجوي الذي هو كالدرع الواقي للأرض ، وبعض الشهب والنيازك قد تخترق الغلاف الجوي وتضرم الحرائق في الأرض ، وهو تنبيه للإنسان أنه لولا هذا الغلاف الجوي لحلت بهم الكوارث المميتة .

"إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار" آل عمران١٩٠-١٩١

ربطت الآيات الشريفة بين رؤية الآيات الكونية في السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والذي كان الدليل على وجود إله خالق للكون وبين الاستفادة الروحية من هذه الآيات المذكّرة بالله والنافية لاحتمال خلقها خلقا باطلا ، ولكن لا يستفيد من ذلك إلا أولو الألباب أي أصحاب العقول ، وهذا معناه أهمية دور العقل في هداية الإنسان والاستفادة من الآيات الكونية للاهتداء إلى وجود

خالق للكون ، وسنبحث في بعض البحوث القادمة إن شاء الله تعالى عن دور العقل وأهميته في الإسلام لأن القرآن الكريم يدعو إلى التفكر والتعقل .

روى الشيخ الطوسي بسند صحيح عن معاوية بن وهب قال : سمعت أبا عبدالله ع يقول – وذكر صلاة النبي ص – : "كان يؤتى بطهور فيخمّر عند رأسه ، ويوضع سواكه تحت فراشه ثم ينام ما شاء الله ، فإذا استيقظ جلس ثم قلّب بصره في السماء ، ثم تلا الآيات من آل عمران "إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار . . ." ، ثم يستنّ ويتطهّر ثم يقوم إلى المسجد فيركع أربع ركعات على قدر قراءته ركوعه ، وسجوده على قدر ركوعه ، يركع حتى يقال متى يرفع رأسه ، ويسجد حتى يقال متى يرفع رأسه ، ثم يعود إلى فراشه فينام ما شاء الله ، ثم يستيقظ فيجلس فيتلو الآيات من آل عمران ، ويقلّب بصره في السماء ، ثم يستنّ ويتطهّر ويقوم إلى المسجد فيصلي أربع ركعات كما ركع قبل ذلك ، ثم يعود إلى فراشه فينام ما شاء الله ، ثم يستيقظ فيجلس فيتلو الآيات من آل عمران ويقلّب بصره في السماء ، ثم يستنّ ويتطهّر ويقوم إلى المسجد فيوتر ويصلي الركعتين ثم يخرج إلى الصلاة" . تهذيب الأحكام ج٢ ص٣٣٤ ب ١٥ من كتاب الصلاة ح٢٣٣

وعن الإمام الرضا ع : "إني لما نظرت إلى جسدي فلم يمكنّي زيادة ولا نقصان في العرض والطول ودفع المكاره عنه وجرّ المنفعة إليه

علمت أن لهذا البنيان بانيًا ، فأقررت به مع ما أرى من دوران الفلك بقدرته ، وإنشاء السحاب وتصريف الرياح ومجرى الشمس والقمر والنجوم وغير ذلك من الآيات العجيبات المتقَنات ، علمت أن لهذا مُقَدِّرًا ومُنْشِئًا" . عيون أخبار الرضا ع ج١ ص١٣٢ ب١١ ما جاء عن الرضا ع من الأخبار في التوحيد ح٢٨

وعن الرضا ع : "ووضع كل شيء موضعَه بعلمه" بحار الأنوار ج٤ ص٦٥

فوضع كل شيء في موضعه يتطلب علما ، فإتقان المصنوع ودقته يدلان على علم الصانع ، والله خالق كل شيء ، فيكون عالما بكل شيء .

"وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين" الأنعام٥٩

"قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السماوات والأرض" آل عمران١٣

"عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين" سبأ٣

الدليل العقلي الثاني : وجود إلهين يؤدي إلى فساد الكون :

نضرب مثالا عرفيا : في المؤسسة التجارية يوجد مدير واحد ، ولو وجد مديران فإنه يؤدي إلى الفوضى في هذه المؤسسة ، فكل مدير

سيصدر قرارا قد يخالف المدير الآخر أحيانا ، وهذا يؤدي إلى الاختلاف والنزاع بينهما أحيانا إلى أن يصل الأمر بينهما إلى الاختلاف الدائم ، وتكون النتيجة إغلاق المؤسسة ، وهذا تماما ما سيحدث لو وجد إلهان في الكون ، فكل إله قد لا يريد أمرا لا يريده الإله الآخر ، ويقع الاختلاف والنزاع بينهما ، وهذا يؤدي إلى فساد الكون ودماره كما هو حال المؤسسة .

"لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا" الأنبياء٢٢

قد تقول بأنه يمكن أن يتفق المديران على إدارة المؤسسة ، فالجواب أنه لا بد أن يقع الخلاف بينهما ولو في مسألة واحدة ، وكل منهما يصر على رأيه ، ونصل إلى نفس النتيجة وهو إغلاق المؤسسة .

ومع وجود إلهين في الكون فالنتيجة أشد ؛ لأن الإله لا بد أن يكون مطلق القدرة في التصرف ، وإذا في مورد واحد يكون للإله الآخر التصرف فمعناه عدم وجود القدرة المطلقة عند الإله ، فهذا لا يكون إلها ، والآخر لا يكون إلها أيضا .

إذا قلت بأن الإلهين يمكن لهما أن يتفقا في إدارة جميع الكون ، فالجواب أن هذا فيه تحديد للقدرة المطلقة للإله ، بالإضافة إلى وقوع الاختلاف بينهما ولو في أمر واحد ، وكل منهما يريد أن يكون أمره هو الواقع ، فيصلان إلى الاختلاف والتنازع ويفنى الكون ، وإذا قلت بأنهما يتقاسمان الإدارة ، فأحدهما يدير نصف الكون والإله الآخر يدير نصف الكون الأخر ، فالجواب أنه تحديد للقدرة المطلقة للإله ،

وإذا كان كل نصف قد خلقه إله فإن كل إله يذهب بما خلق ، ولا بد أن يكون الإله خالقا لجميع الكون ، وفي الحالتين – أي في حالة تقاسم إدارة كون واحد وحالة تقسيم الكون إلى قسمين – لا يكون كلاهما إلها لوجود النقص فيهما من حيث القدرة والخلق ، فقدرة كل واحد ليست مطلقة ، وخلق كل منهما ليس لجميع الكون ، بالإضافة إلى أن كل إله يريد أن يعلو فوق الإله الآخر ويكون هو المسيطر ، فيقع الاختلاف بينهما ويفنى الكون .

"وما كان معه من إله إذًا لذهب كل إله بما خلق" المؤمنون٩١

"قل لو كان معه ءالهة كما يقولون إذًا لابتغوا إلى ذي العرض سبيلا سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا" الإسراء ٤٢-٤٣

"وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السماوات والأرض كل له قانتون بديع السماوات والأرض وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون" البقرة١١٦-١١٧

كل ما في الكون يكون خاضعا للإله الواحد ، ولا يمكن أن يكونوا خاضعين لإلهين ، والإله حينما يخلق فإنه يكون بديعا لما خلق ، فهو بديع السماوات والأرض حيث يخلق الشيء ويكون مبدعا له وخالقا له من غير شيء ولا من مثال سابق بأن يكون مقلِّدا لأحد في الخلق ، فإذا كان خالقا لكل شيء فلا يكون له قرابة لأحد من خلقه ، بأن يكون له ولد ممن خلق ، ولا يحتاج الإله إلى شيء ليخلق منه الكون ، ولا يحتاج إلى زمن ليخلق الأشياء ، ولا يحتاج إلى الجوارح كاليد

ليخلق بواسطتها ، ولا يوجد مثال سابق لما خلق ، فإذا أراد شيئا فإنما يقول له كن فيكون مباشرة بلا فاصلة زمنية بل يقع في نفس الوقت ، وإذا أراد الخالق شيئا من ناحية تكوينية فإنه يقع لا محالة .

روى هشام بن الحكم في حديث الزنديق الذي أتى أبا عبدالله ع ، فكان من قول أبي عبدالله ع : "لا يخلو قولك من أنهما اثنان من أن يكونا قديمين قويّين أو يكونا ضعيفين ، أو يكون أحدهما قويًّا والآخر ضعيفا ، فإن كانا قويّين فلم لا يدفع كل واحد منهما صاحبه ويتفرّد بالتدبير؟! ، وإن زعمت أن أحدهما قويّ والآخر ضعيف ثبت أنه واحد كما نقول للعجز الظاهر في الثاني ، وإن قلت إنهما اثنان لم يَخْلُ من أن يكونا متّفقين من كل جهة أو مفترقين من كل جهة ، فلما رأينا الخلق منتظما والفلك جاريا واختلاف الليل والنهار والشمس والقمر دلّ صحة الأمر والتدبير وائتلاف الأمر على أن المدبّر واحد" . كتاب التوحيد ص٢٤٣-٢٤٤ ب٣٦ ح١

إن كانا قويّين تدافعا وفسد العالم ، وإن كان أحدهما قويا والآخر ضعيفا تفرّد القوي بالألوهية ، وإن كانا ضعيفين عاجزين لم يكن أحد منهما إلها .

وورد عن هشام بن الحكم بسند صحيح قال : قلت لأبي عبدالله ع : ما الدليل على أن الله واحد؟ قال ع : "اتصال التدبير وتمام الصنع ، كما قال الله عز وجل : "لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا" " . التوحيد ص٢٥٠ ب٣٦ ح٢

وورد عن أمير المؤمنين ع في وصية له لابنه الحسن ع : "واعلم – يا بنيّ – أنه لو كان لربّك شريك لأتتك رسله ، ولرأيت آثار ملكه وسلطانه ، ولعرفت أفعاله وصفاته ، ولكنه إله واحد كما وصف نفسه ، لا يضادّ في ملكه أحد" . نهج البلاغة رسالة ٣١

أحد الإلهين أرسل الرسل وأنزل الكتب ونسب جميع آيات الآفاق والأنفس إلى نفسه ، والإله الآخر المفروض لم يفعل شيئا من ذلك ، وهذا دليل على أنه ليس إلها ، بل الإله هو الذي يفعل كل ذلك .

الدليل العقلي الثالث : الإمكان والوجوب :

المؤسس لدليل الإمكان هو الفارابي ، وبعد ذلك انتقل البرهان إلى ابن سينا في كتابه الإشارات وغيره من كتبه ، ثم انتقل البرهان إلى كلمات الغزالي – صاحب كتاب إحياء علوم الدين – في كتابه مقاصد الفلاسفة ثم في كتابه تهافت الفلاسفة الذي هو نقد لمقاصد الفلاسفة ، ثم انتقل إلى ابن رشد الذي نقد كتاب تهافت الفلاسفة في كتابه تهافت التهافت فرد على الغزالي في نقده لهذا البرهان ، ولما ترجمت آثار ابن رشد انتقل البرهان إلى الغرب ، ومن الذين تبنوا هذا البرهان هو المفكر القس المسيحي توماس كوياس ويسمى توماس الإكويني ، وعندما انتشر البرهان في الفكر الغربي جاءت النقوض من مفكرين غربيين ، من أهمهم برتراند رسل وديفيد هيوم ورونالد هيبرين ، بدأوا بنقد هذا البرهان ، وقد قرر هذا البرهان بعدة بيانات ، وكله يدور حول محورية الإمكان والوجوب .

في هذا الدليل ننتقل من الواقع الخارجي إلى الفاعل للخلق لا إلى الغاية من الخلق ، والهدف من هذا الدليل هو إثبات موجود أزلي بناء على أصالة الواقعية أي أن الواقع الخارجي حقيقي وليس وهما أو خيالا ، فجميع الموجودات لها واقعية ، وليست وهما ولا خيالا .

سؤال : ما معنى الإمكان ؟

الجواب :

المقصود من الإمكان هو الإمكان المنطقي والفلسفي ، وهو أنه لا يوجد لدى العقل وفق ما يدركه من قوانين – قبل إجراء أي تجربة – ما يبرّر رفض الشيء والحكم باستحالته .

مثال الاستحالة المنطقية :

انقسام العدد ثلاثة إلى قسمين بدون كسر ليس له إمكان منطقي ؛ لأن العقل يدرك – قبل إجراء أي تجربة – أن الثلاثة عدد فردي لا زوجي ، فيستحيل أن تنقسم بالتساوي بدون كسر ، وإذا انقسمت بالتساوي بدون كسر فمعناه أن الثلاثة عدد زوجي ، وكون الثلاثة فردا وزوجا في وقت واحد معناه التناقض ، والتناقض مستحيل منطقيا .

مثال الإمكان المنطقي :

دخول الإنسان في النار دون أن يحترق ليس مستحيلا منطقيا ، فمن الممكن عقلا أن يدخل إنسان إلى النار ولا يحترق .

وتأتي الأسئلة التالية :

السؤال الأول : هل يمكن أن يجتمع النقيضان أو لا يمكن ؟

الجواب :

النقيضان لا يجتمعان ، فيستحيل أن يكون هذا الكتاب موجودا وغير موجود في نفس الوقت ، فالوجود والعدم يستحيل أن يجتمعا في وقت واحد ، فلا يمكن أن يكون الشيء مستقلا وغير مستقل في نفس الوقت ، ولا يمكن أن يكون الشيء محتاجا وغير محتاج في نفس الوقت ، ولا يمكن أن يكون الشيء غنيا وفقيرا في نفس الوقت .

السؤال الثاني : هل يمكن أن يكون الشيء موجِدا لنفسه أو لا يمكن ؟

الجواب :

هذا مستحيل لأنه إذا أراد أن يوجِد نفسه فلا بد أن يكون موجودا في رتبة سابقة ؛ لأن الشيء ما لم يوجَد لا يوجِد ، وإذا كان موجودا من قبل وأوجد نفسه فيكون تحصيلا للحاصل ، فهو علة وهو معلول في نفس الوقت ، ولا يمكن أن يكون الشيء علة لنفسه ومعلولا لنفسه .

السؤال الثالث : الكون لم يكن موجودا ثم وُجِدَ أي انتقل من حالة العدم إلى حالة الوجود ، فالكون يمكن أن يوجد ويمكن أن لا يوجد ، وإذا وُجِدَ فإنه يحتاج إلى علة تنقله إلى الوجود ، فما الذي نقل الكون من العدم إلى الوجود ؟ وهل يمكن أن يوجد بلا سبب أو لا يمكن؟

الجواب :

لا يمكن أن تكون العلة هي نفس المعدوم لأنها كانت معدومة سابقا ، والمعدوم لا يمكن أن يوجِد شيئا لا نفسَه ولا غيرَه ، فالمعدوم لا يمكنه أن يفعل شيئا ، والمادة لا يمكن أن تخلق نفسها لأنها قاصرة قصورا ذاتيا عن خلق نفسها وإيجاد نظامها وتركيبها ، والمادة تعجز عن إعطائنا نظرة علمية أو فلسفية عن الخلق وما فيه من تطوّر ونظام ، بالإضافة إلى أن المادة لا يمكن أن تكون أزلية قديمة ؛ لأنها لم تكن موجودة ثم وجدت .

إذن لا بد أن تكون العلة خارجية وقوة وراء المادة ومتميّزة عن المادة ، هذه العلة الخارجية إذا كانت معدومة سابقا فلا يمكن أن توجِد نفسَها ولا غيرَها ، إذن السلسلة لا بد أن تنتهي إلى شيء لا يكون معدوما سابقا ، بمعنى أنه دائم الوجود سابقا ولاحقا ، فلا يكون معدوما سابقا ولا معدوما لاحقا ، فلا يكون مسبوقا بالعدم فهو أزلي ، ولا يكون ملحوقا بالعدم فهو أبدي ، والأزلي الأبدي هو السرمدي ، وإذا كان دائم الوجود فهو واجب الوجود أي أن ذاته تقتضي الوجود لا أن الوجود مفاض عليه من الخارج ، فهو ما اقتضت ذاته وجوده بالضرورة ، ويكون هو الخالق الحي دائما ، وما عداه يكون ممكن الوجود أي يمكن أن يوجد ويمكن أن لا يوجد ، فالخالق واحد والمخلوقات الممكنة متعددة وكثيرة ، فالقوة التي وراء المادة هي التي تمدّنا بالتفسير الصحيح لوجود الكون ونظامه ، والشيء يحتاج إلى

علة لأنه ممكن لا لأنه حادث ، والحدوث سيأتي في دليل آخر ، فالموجود إما أن يكون واجب الوجود وإما أن يكون ممكن الوجود ، والممكن هو ما يحتاج إلى علة تخرجه من كتم العدم إلى الوجود ، ويوجد تلازم بين ممكن الوجود وواجب الوجود ، فإذا كان الشيء ممكنا فإنه يحتاج إلى علة ، وعلته النهائية في آخر السلسلة هي واجب الوجود ، فعالم الإمكان يكشف عن وجود علة أوجدته ، ويستحيل أن يوجد الشيء بلا سبب أي صدفة بالصدفة المطلقة ، فالشيء إذا لم يكن موجودا ثم وجد فيستحيل أن يوجد بلا سبب ، فلا بد من وجود سبب وعلة لوجوده ، وهذا هو قانون السببية ، وجميع العلوم تعتمد على قانون السببية ، وقانون السببية قانون عقلي فلسفي وليس قانونا تجريبيا ، فتكون الفلسفة قبل العلوم ؛ لأن العلوم تعتمد على العقل والفلسفة في الوصول إلى القوانين العلمية .

الميزان في تفسير القرآن – العلامة الطباطبائي : فالقرآن يحكم بصحة قانون العلية العامة بمعنى أن سببا من الأسباب إذا تحقق مع ما يلزمه ويكتنف به من شرائط التأثير من غير مانعٍ لزمه وجود مسببَّه مترتبا عليه بإذن الله سبحانه ، وإذا وجد المسبَّب كشف ذلك عن تحقق سببه لا محالة . انتهى

بين الفيزياء والفلسفة – فيليب فرانك ص٢٥–٢٦ تحت عنوان "الفصل الأول قانون السببية والخبرة" : . . . وهدف هذا البحث هو ربط هذا التصور بالمبدأ الذي يُعَدُّ بشكل ما الأكثر عمومية في

جميع العلوم النظرية ، ألا وهو قانون السببية ، لقد نبع الدافع المباشر لهذا المسعى من كتاب ذي مسار معاكس ، وإن كان بحق عملا متوازنا حصيفا بكل المقاييس ، وهو كتاب التصورات والمبادئ في العلوم الطبيعية . . . الذي وضعه هانز دريش ، وبيّن فيه أن قانون حفظ الطاقة ذو لب قبلي ، وهذا اللب في صيغته الدقيقة ليس سوى قانون السببية بعينه ، ولكي يشرح ذلك يعرض دريش سلسلة من البراهين البارعة تبيّن أن التجربة لا يمكن أبدا أن تدحض هذا المبدأ الذي نحن بصدده . . . تقول القضية التي سنحاول إثباتها بأن قانون السببية الذي هو أساس كل علم نظري ، لا يمكن إثباته أو دحضه بالتجربة ، ليس لأنه حقيقة معروفة سلفا ، وإنما لأنه تعريف تقليدي محض . انتهى

تعليق :

يستحيل أن تنفي التجربة قانون السببية ؛ لأن التجربة قائمة على قانون السببية ، فلا يمكن للتجربة نفي هذا القانون ، وقانون السببية قانون عقلي فلسفي لا تجريبي .

أقوى براهين د. جون لينكس في تفنيد مغالطات منكري الدين – جمعه وعلق عليه م. أحمد حسن – ص٥٤ – أيهما أولا العلم أو الفلسفة : ولكن كما ذكرنا آنفا أن الصفحة البيضاء للعقل المنفتح تماما والحر من الأسبقيات الفلسفية الذي يقوم بدراسة العالم الطبيعي – هي صورة مضلِّلة ، بل المحتمل أن العكس تماما هو الصحيح ،

يقول المختص بعلم المناعيات جورج كلين إن إلحاده لا ينبني على العلم ، ولكنه التزام إيماني بمبدأ أولي سابق ، وذلك عندما كتب معلقا على رسالة صديق له ذكر أنه لاأدري : "أنا لست لاأدريا ، أنا ملحد ، وموقفي لا ينبني على العلم بل على الاعتقاد . . . غياب الخالق وعدم وجوده هو إيماني من طفولتي ، واعتقادي كبالغ لا يتزحزح قيد أنملة" . انتهى

تعليق :

الصفحة البيضاء للعقل الحر من الأسبقيات الفلسفية هي صورة مضلِّلة ، فلا يمكن الدخول في العلوم الطبيعية والتجريبية بدون القواعد الفلسفية ، وإنما العلم الطبيعي والتجريبي يحتاج إلى الفلسفة ، فالفلسفة سابقة على العلوم الطبيعية والتجريبية ، ومن يريد أن ينفي وجود الإله بواسطة العلوم الطبيعية لا يمكنه ذلك ؛ لأن العلوم الطبيعية والتجريبية مرتبطة بالحس ، ووجود الإله غير مرتبط بالحس ، فلا يمكن عن طريق الحس نفي أمر غير حسي ، وإنما يمكن نفي الأمر الحسي فقط عن طريق الحس ، فيوجد عالمان : عالم الحس ، وعالم الغيب أي ما وراء الحس ، وعالم الحس تبحث فيه العلوم الطبيعية والتجريبية ، وعالم ما وراء الحس يتناوله العقل والفلسفة ، والإلحاد ليس مبنيا على العلوم الطبيعية والتجريبية ؛ لأن إثبات وجود الإله مرتبط بقانون السببية ، والعلوم الطبيعية لا تستطيع أن تنفي قانون السببية ، ومن يقول بأن العلوم الطبيعية أوصلته إلى الإلحاد فكلامه

فيه مغالطة وعدم فهم البحث ؛ لأن وجود الإله غير مرتبط بالعلوم الطبيعية ، وإنما مرتبط بالقواعد العقلية الفلسفية .

والبعض حاول نفي قانون السببية ، ولكن لا يوجد عندهم دليل .

كَوْنٌ من لا شيء – لورانس كراوس –تعليق ريتشارد دوكنز–ترجمة غادة الحلواني– ص١٨–١٩: وبالفعل ربما يكون ضروريا لكي يصبح الكون موجودا أن يخرج شيء ما من لاشيء ، علاوة على ذلك تطرح كل العلامات أن كوننا قد يكون انبثق بهذه الكيفية ، إني أبرز كلمة "قد" هنا لأننا ربما لا نحصل أبدا على بيانات تجريبية كافية لحل هذا السؤال حلا واضحا لا لبس فيه ، ولكن الحقيقة "أن الكون خلق من لاشيء" حقيقة دالة على الأقل بالنسبة لي . انتهى

تعليق :

هو يعتقد أن الكون لم يكن موجودا ثم وجد ، فالنتيجة أن الكون ليس مستقلا ، ولو كان مستقلا لما كان معدوما ، والانتقال من العدم إلى الوجود يحتاج إلى سبب ، فغير المستقل يحتاج إلى سبب لكي يوجد ، ويقول بأن الكون انبثق بهذه الكيفية أي خرج شيء من لاشيء ، ولكن العدم ليس شيئا حتى يخرج منه شيء ، لذلك فالتعبير : خلق من لاشيء ، تعبير خاطئ ، والتعبير الصحيح هو : خلق لا من شيء ، كما في الروايات ، وهو لا يعتقد بوجود خالق للكون مع أنه لا توجد عنده بيانات كافية وهو يقول "قد" أي احتمال ثم يقول الحقيقة بالنسبة لي!! ، ويقول بأنه لا يمكن أن نحصل من التجربة

دليلا على نفي قانون السببية ، ومن فطرة الإنسان أنه إذا لم يكن الشيء موجودا ثم وجد فإنه يبحث عن سبب وجوده ، من أو ما الذي أوجده ؟

وهذه الفطرة عن قانون السببية موجودة عند المؤمن والملحد ، لذلك يحاول الملحد نفي هذا الأمر الفطري ، ونرى أنه يقول : ولكن الحقيقة "أن الكون خلق من لاشيء" حقيقة دالة على الأقل بالنسبة لي ، ولا يمكنه أن ينفي قانون السببية ، لذلك يقول حقيقة على الأقل بالنسبة له فقط ؛ لأنه لا يوجد عنده دليل على نفي هذا القانون لأنه قانون فطري عند كل إنسان حتى الملحد .

أركان قانون السببية :

قانون السببية الفلسفي يقوم على ركنين :

الركن الأول :

إذا وجد أ فإنه يحتاج إلى سبب وهو ب ، فالظاهرة تحتاج إلى سبب لكي توجد .

الركن الثاني :

إذا وجد ب فقطعا يوجد أ ، فإذا وجد السبب فقطعا يوجد المسبَّب وهو الظاهرة ، وإذا استطعت أن توجِد السبب فأنت على يقين من وجود المسبَّب ، وهو قانون الحتمية ، والحتمية معناها أنه إذا وجد السبب فحتما يوجد المسبَّب ، فالمسبَّب حتمي والنتيجة يقينية ، والحتمية هي من خصائص ولوازم السببية الفلسفية .

اختراق عقل – د. أحمد إبراهيم – ص٨٤ : ويضرب أمثلة تبيّن الفرق بين السببية والحتمية ، فيبدأ بالسببية ويجعلها علاقة حاكمة بين الأشياء تُظْهِرُ قيام النتيجة بالسبب بصرف النظر عن تحديد الزمان والمكان لهذه العلاقات ، فالسببية علاقة قائمة بشكل مطلق بصرف النظر عن التعيين في الزمن . انتهى

تعليق :

البعض من الذين يعتقدون بأن قانون السببية تجريبية قالوا بأن ميكانيكا الكم تنفي قانون السببية ، ولكن ميكانيكا الكم تريد أن تنفي الملازمة بين السببية والحتمية ، فيمكن أن توجد الحتمية ولا توجد السببية ، فالحتمية موجودة بلا سبب ، ويمكن أن توجد السببية ولا توجد الحتمية ، فالسببية موجودة بدون وجود الحتمية ، ونظرية الكم لا تهدم السببية ، وإنما تهدم خاصية من خواص قانون السببية ، وهي الحتمية ، فالسببية موجودة ، ولكن الحتمية غير موجودة ، فهي بصدد إنكار اليقين بالنتيجة ، وعند القائلين بميكانيكا الكم مبدأ الريبة أي مبدأ عدم اليقين .

الموسوعة العربية العالمية ص٥٤٦ : ويعد مبدأ الريبة من الأفكار الأساسية الأخرى في ميكانيكا الكم ، ووفقا لهذا المبدأ فإن وضع جسيم ما وسرعته لا يمكن قياسهما بدقة على نحو متزامن ، وهذا المبدأ صحيح ؛ لأن الجسيم له خواص موجية معينة ، وبالإضافة إلى

ذلك فإن الطريقة المستخدمة لتحديد وضع الجسيم وسرعته لا تسمح بدقة لا حدود لها . انتهى

تعليق :

لا يمكن تعيين موضع الجسيم وسرعته في نفس الوقت ، فإما أن تعين موضعه ، وإما أن تحدد سرعته ؛ لأنك إذا عينت موضعه فهو ثابت في هذا المكان ، فتكون سرعته صفر ، وإذا حددت سرعته فإن الجسيم يكون على شكل موجة فيكون منتشرا غير ثابت في موضع واحد ، بل هو يتحرك من موضع إلى آخر ، فلا يمكن أن تراه في موضع واحد ، وحينما يتحرك فليس له موضع واحد ، وأما حينما يكون في موضع واحد فسرعته صفر ، وهنا قانون السببية حاكم ، ولكن قانون اليقين بالموضع والسرعة غير موجود ، والذرة لها خواص الجسم ، ومن خلالها يتعين الموضع ، ولها خواص الموجة ، ومن خلالها تتحدد السرعة ، ولكل من الجسم والموجة قوانينهما الخاصة ، فلا يمكن جمعهما في وقت واحد .

اختراق عقل – د. أحمد إبراهيم – تحت عنوان "نبذة مختصرة عن عجائب ميكانيكا الكم" – ص٧١ : ثبت أن للإلكترونات والفوتونات خواص موجية وجسمية في نفس الوقت ، فهي تتصرف أحيانا كجسم وأحيانا كموجة ، فيما يعرف بمثنوية الموجة والجسيم wave-particle duality ، وهذا في حد ذاته قد يكون تناقضا لأن الجسم يكون محدَّدا متحيِّزا في المكان ، والموجة تكون

منتشرة غير محدَّدة وغير متحيِّزة في المكان ، ولكن هذا ما تم رصده لطبيعة هذه الأشياء دون الذرية . انتهى

بين الفيزياء والفلسفة – فيليب فرانك ص١٣١ الفصل التاسع : الحتمية واللاحتمية في الفيزياء الحديثة : حين يصف الفلاسفة وجهة نظرهم في النظريات الجديدة في الفيزياء ، فإنهم عادة ما يتخذون أحد اتجاهات ثلاثة : (١) النظرية الجديدة تناقض النظام الفلسفي الصحيح ، ولذلك فهي باطلة . (٢) النظرية الجديدة هي تأكيد ممتاز للنظام الفلسفي الصحيح ، لذا تستحق الترحيب . (٣) النظرية الجديدة يمكن استخدامها لإدخال تعديلات تزيد أو تقل في أهميتها على النظام الفلسفي الصحيح ، لذلك فهي ذات قيمة ما . انتهى

تعليق :

إذا جاءت نظرية فيزيائية جديدة كميكانيكا الكم ، فإن الفلاسفة لهم ثلاثة اتجاهات :

١–النظرية الجديدة تناقض القواعد الفلسفية الصحيحة ، فتكون النظرية الجديدة باطلة .

٢–النظرية الجديدة تأكيد للقواعد الفلسفية الصحيحة ، فتكون النظرية الجديدة تستحق الترحيب .

٣–النظرية الجديدة يمكن استخدامها لإدخال تعديلات على القواعد الفلسفية الصحيحة ، لذلك فلها قيمة ما .

الموسوعة العربية العالمية ج٢٤ ص٥٤٦ : ميكانيكا الكم ميدان من ميادين علم الفيزياء ، يصف تركيب الذرة وحركة الجسيمات الذرية ، ويوضح كذلك كيف تمتص الذرات الطاقة في شكل ضوء ، وكيف تطلقها ، ويوضح طبيعة الضوء .

نبذة تاريخية : طرح عالم الفيزياء الألماني ماكس بلانك في ١٩٠٠ فكرة الكمات لتفسير طيف الضوء المنبعث من أجسام ساخنة بعينها ، وفي ١٩٠٥ قام عالم الفيزياء الألماني المولد ألبرت أينشتاين بتوسيع نطاق فكرة بلانك . . . واقترح نيلز بور عالم الفيزياء الدنماركي نظرية التركيب الإلكتروني للذرة في عام ١٩١٣ م ، وأوضح كيف تشع الذرة الضوء ، ويطلق العلماء على عمل بور نظرية الكم للتمييز بينه وبين النسق الأوسع نطاقا لميكانيكا الكم . . . .انتهى

التصميم العظيم – ستيفن وكنج ص ٨٥ : في أول ألفي عام أو نحو ذلك من التفكير العلمي كان الحدس والتجارب العادية هما أساس التفسير النظري ، ومع تحسّن التكنولوجيا واتساع نطاق الظواهر التي يمكننا ملاحظتها ، بدأنا نجد أن الطبيعة تتصرف بطرق أقل وأقل تماشيا مع تجاربنا اليومية وبالتالي مع حدسنا ، كما برهنت على ذلك تجربة كرات بَكي ، فتلك التجربة تمثّل بشكل نموذجي نوعا من الظواهر التي لا يستطيع العلم التقليدي أن يشملها ، لكن يمكن وصفها بما يسمى ميكانيكا الكم . . . لقد تطورت مبادئ ميكانيكا الكم في العقود الأولى من القرن العشرين ، بعد أن اتضح أن نظرية

نيوتن لا تكفي لوصف الطبيعة على المستوى الذري وما تحت الذري ، فالنظريات الأساسية للفيزياء تقوم بوصف قوى الطبيعة وكيفية تعامل الأشياء معها ، والنظريات الكلاسيكية مثل نظرية نيوتن قد بنيت وفق إطار يعكس خبرات الحياة اليومية ، حيث يكون للأشياء المادية وجود فردي ، وتتواجد في أماكن محدّدة ، وتتبع مسارات معيّنة ، وهكذا ، إن ميكانيكا الكم تمنحنا إطارا لفهم كيفية عمل الطبيعة على المستوى الذري وما تحت الذري . . . فإنها تملي علينا مخططا من المفاهيم المختلفة كليا ، يكون فيه موضع الشيء ومساره وحتى ماضيه ومستقبله غير محدّد بدقة . انتهى

اختراق عقل – د. أحمد إبراهيم – تحت عنوان "أشهر الشبهات حول دليل السببية والرد عليها" ص٦٧-٦٨ : لما كان لدليل السببية كل هذا الحضور البدهي لدى الناس عاميهم وعالمهم في قضية إثبات وجود الخالق جل وعلا ، فقد نال مؤخرا النصيب الأكبر من محاولات الملاحدة الطعن فيه أو محاولة إسقاطه ولو بادعاء عدم تعميمه ، بأي شكل متسترين في ذلك بستار العلم زعموا ، وكان من أشهر تلك المحاولات قولهم : ١- ميكانيكا الكم هدمت السببية . . .

١- هل هدمت ميكانيكا الكم السببية ؟

هذه هي الشبهة الأشهر والأعم على الإطلاق ، والتي يندرج تحتها معظم الشبهات الأخرى التي يشغب بها هؤلاء على دليل السببية ،

وذلك لأن فيزياء الكم من أعقد وأقوى العلوم البشرية ، فلها سلطان علمي كبير ، فلو كان ممكنا لها أن تعارض السببية فعلا لكان لهذه المعارضة أثر كبير في النفوس ، ثم هي مجال مليء بالعجائب التي حارت فيها أنبغ العقول ، فلا عجب أن يتم استخدامها في هذا الغرض المضلِّل (هامش : لا بد أن يكون النقاش نقاشا علميا بدون طرح الاتهامات ؛ لأن الطرف الآخر يمكنه أن يتهمك أيضا بأنك تريد تضليل الناس ، وفي القضايا العلمية لا بد أن نحافظ على النقاش العلمي) ، لكن ينبغي أن نتعرف على شيء من عجائب هذا العلم أولا قبل أن نتكلم عن انتهاكه أو عدم انتهاكه للسببية . انتهى

سؤال : هل يمكن للعلم أن ينقض قانون السببية أو لا ؟

الجواب :

قانون السببية يكون قبل العلوم الطبيعية ، وما يأتي بعد لا يمكن أن ينقض ما قبله لأن البعد قائم على ما هو قبل ، فلا يمكن للعلوم الطبيعية أن تنقض قانون السببية ، وكذلك لا يمكن للبعد أن يثبت ما قبله لأنه ثابت قبله ، فلا يمكن للعلوم الطبيعية أن تثبت قانون السببية أيضا ، ونظرية الكم من علم الفيزياء ، فتكون من العلوم الطبيعية ، فلا يمكن لها أن تثبت أو تنفي أصل قانون السببية ، ولو فرضنا بأنه في نظرية الكم لا يجري قانون السببية فهذا لا يضر أصل قانون السببية ، وعدم جريان قانون السببية في مصداق معين لا يضر بأصل القانون ، نعم في هذا المورد لا يجري ، وهذا لا يستلزم عدم

جريانه في باقي الموارد ، وقانون السببية يدخل في دائرة العقل فهو قانون عقلي فلسفي ، فلا تثبته ولا تنفيه التجربة ، هذا هو الإشكال الأول .

والإشكال الثاني أنه لو سلمنا أن نظرية ميكانيكا الكم تعارض قانون السببية فلا بد أن نعرف أنها تنفي أصل قانون السببية الفلسفية أو بعض خصائص قانون السببية الفلسفية .

اختراق عقل – د. أحمد إبراهيم – ص٨٢–٨٩ : والآن نعود إلى إجابة السؤال (هل ميكانيكا الكم هدمت السببية؟) .

الحقيقة هي إن فيزياء الكم هدمت الحتمية Determinism ، ولم تهدم السببية Causality ، والفرق بينهما يشرحه لنا العالم الفيزيائي الحاصل على جائزة نوبل في الفيزياء ماكس بورن أحد مؤسسي ميكانيكا الكم في كتابه . . . فقد عقد فصلا في أول الكتاب . . . يفرق فيه بين معنى الحتمية التي هدمتها ميكانيكا الكم وبين معنى السببية الذي ما زال قائما هناك ، وقد حرر بالفعل معنى السببية بدقة ووقف على المعنى نفسه الذي بينته في أول هذا الفصل ، وسوف أضع بعض الاقتباسات من كتاب ماكس بورن تبين الأمر ، يقول : . . . الترجمة : "القول بأن الفيزياء قد تخلت عن السببية هو قول لا أساس له من الصحة ، صحيح أن الفيزياء الحديثة قد تخلت عن بعض الأفكار التقليدية وعدلت فيها ، لكن لو توقفت الفيزياء عن البحث عن أسباب الظواهر فلن تصبح حينها علما" . . . ويضرب

أمثلة تبين الفرق بين السببية والحتمية ، فيبدأ بالسببية ويجعلها علاقة حاكمة بين الأشياء تُظْهِرُ قيام النتيجة بالسبب بصرف النظر عن تحديد الزمان والمكان لهذه العلاقات ، فالسببية علاقة قائمة بشكل مطلق بصرف النظر عن التعيين في الزمن . . . ثم ذكر مثالا على علاقة حتمية غير سببية ، وهي جدول مواعيد القطارات ، فهو حتمي محدد في الزمان ، لكنه غير سببي ، فليس هناك سبب حقيقي يحكم تلك العلاقة ، ولذلك يمكننا تغيير هذه المواعيد كما نشاء . . . وأخيرا يقول بكل وضوح أن الحتمية ليست هي السببية ، وأن الحتمية هي التي هدمتها ميكانيكا الكم ، وأن السببية هي البحث في اعتماد الأشياء في وجودها على أشياء أو شروط معينة ، وهذا ما زال صحيحا في فيزياء الكم . . . هل يمكن أن نرضى بقبول المصادفة ؟ . . . للإجابة على هذا السؤال أقول إنه ليست السببية المفهومة بشكل صحيح هي التي سقطت ، وإنما الذي سقط فقط هو الفهم التقليدي لها المتمثل في تحديد هويتها بأنها (هامش : أي أن السببية) هي نفسها الحتمية ، لقد سعيت جاهدا لأوضح أن هذين المفهومين غير متطابقين ، السببية في تعريفي هي الفرضية القائلة بأن الحالة الفيزيائية المعينة تعتمد على الأخرى ، والبحث السببي يعني الكشف عن هذا الاعتماد ، وهذا ما زال صحيحا حتى في فيزياء الكم . . . وهنا ننتقل من كلام ماكس بورن إلى الأبحاث العلمية الحديثة التي تصرح بأن الحتمية غير السببية ، وبأن الحتمية لو كانت انهارت بميكانيكا

الكم ، فالسببية قائمة هناك ، بل هي أولى مسلمات ميكانيكا الكم . . . السببية في مجال العلوم دائما ما تتعلق بمبدأ السبب والنتيجة ، وكثيرا ما يُسَاءُ تفسيرها بطريقة ساذجة ، فيتم اعتبارها مرادفا للحتمية ، ومن خلال وجهة النظر هذه يمكن أن يكون من المستغرب أن نعتبر السببية هي البدهية أو المسلمة الأولى لنظرية الكم ، والتي اشتهرت بأنها نظرية مبدأ عدم اليقين . . . إذن فيزياء الكم لم تسقط السببية كما علا الضجيج بذلك كثيرا ، وإنما أسقطت الحتمية .انتهى

تعليق :

الدليل الذي نحتاجه في إثبات وجود الإله هو السببية وليس الحتمية ، وعلم الفيزياء يعتمد على قانون السببية ، ولو تخلى الفيزياء عن السببية فإنها لا تكون علما ، وقال "بصرف النظر عن تحديد الزمان والمكان" ؛ لأنه في ميكانيكا الكم إذا أراد أن يحدد المكان فلا يمكن تعيين السرعة ، وإذا أراد أن يقيس السرعة فلا يمكنه تحديد المكان ، وهذا لا ينفي السببية ، وفيزياء الكم يعتمد على قانون السببية ، ومع عدم وجود السببية فالكون كله سينغمس في الفوضى ، وفيزياء الكم يأخذ بالسببية ، ولكن يقول بأن نتائج السببية ليست حتمية .

التصميم العظيم – ستيفن هوكنج ص٨٩-٩١ : أحد المعتقدات الرئيسة الأخرى في ميكانيكا الكم هو مبدأ الريبة (أو مبدأ اللايقين) الذي صاغه فيرنر هايزنبرجWerner Heisenberg في عام ١٩٢٦ ، فمبدأ الريبة يخبرنا بأن هناك حدودا لقدرتنا على قياس

بيانات محدّدة بشكل متزامن ، مثل موضع الجسيم وسرعته . . . قد يبدو أن فيزياء الكم تقوّض فكرة أن الطبيعة محكومة بالقوانين ، لكن ليس هذا هو الحال ، وبدلا من ذلك فإنها تقودنا لقبول شكل جديد من أشكال الحتمية ، نظرا لحالة النظام في وقت ما ، فقوانين الطبيعة تحدد الاحتمالات المختلفة لكل من الأزمنة الماضية والقادمة بدلا من تحديد ماض معيَّن ومستقبل معيَّن على وجه اليقين . . . وفقا لفيزياء الكم لا تهم كمية المعلومات التي نحصل عليها أو مدى قوة قدراتنا الحوسبية ، فنتائج العمليات الفيزيائية لا يمكن التنبؤ بها بثقة لأنها غير محدَّدة بيقين . انتهى

تعليق :

يؤكد هوكنج أن الطبيعة محكومة بالقوانين ، وفيزياء لا تنفي السببية ، ولا تنفي الحتمية أيضا ، ولكنها تعطي شكلا جديدا للحتمية .

النتيجة :

١-قانون السببية خارج عن دائرة العلوم الطبيعية ؛ لأنه قانون عقلي لا تجريبي .

٢-لو سلمنا بأن قانون السببية داخل في دائرة العلوم الطبيعية فإن ميكانيكا الكم لم تسقط قانون السببية ، وإنما أسقطت الحتمية ، ونحن في إثبات وجود الإله نحتاج إلى قانون السببية لإثبات وجوده .

٣-القوانين التي وصل إليها العلماء في ميكانيكا الكم من الممكن أنها خاطئة ، فقد توجد قوانين أخرى ، مثلا قوانين نيوتن طرحت على

أنها يقينية مطلقة من حيث الزمان والمكان ، ثم جاء إينشتاين بالنظرية النسبية وأن القوانين يقينية ولكنها نسبية من حيث الزمان والمكان ، ثم جاءت ميكانيكا الكم ولم تقبل اليقينية ولا النسبية الحتمية ، وقالت بالسببية غير الحتمية ، ومن الممكن أن يأتي العلماء بنظرية جديدة لا تقبل النظريات الثلاثة السابقة .

تعليق :

"ذلك مبلغهم من العلم"

"وفوق كل ذي علم عليم"

الجائزة الكونية الكبرى لغز ملاءمة الكون للحياة – بول ديفيز ص٢٨ : إلا أن السؤال الأكثر ملاءمة هو : هل القوانين الموجودة في الكتب هي بالفعل قوانين الفيزياء أم هي أفضل الاجتهادات بشأنها فقط؟ ، إن قلة نادرة من علماء الفيزياء هم من يزعمون أن القوانين الموجودة في الكتب اليوم هي في صورتها النهائية ؛ إذ أن هذه القوانين على الأرجح هي أقرب ما توصلنا إليه عن القوانين الحقيقية فقط ، إلا أن علماء الفيزياء يؤمنون بأنه مع تقدم العلم ستلتقي القوانين الموجودة في الكتب في قانون واحد مطلق . انتهى

جواب السؤال الثالث :

كان السؤال الثالث هو :

الكون لم يكن موجودا ثم وُجِدَ أي انتقل من حالة العدم الفلسفي – أي العدم المحض لا العدم الفيزيائي الذي هو الفراغ – انتقل من حالة

العدم إلى حالة الوجود ، فالكون يمكن أن يوجد ويمكن أن لا يوجد ، وإذا وُجِدَ فإنه يحتاج إلى علة تنقله إلى الوجود ، فما الذي نقل الكون من العدم إلى الوجود ؟ وهل يمكن أن يوجد بلا سبب أو لا يمكن؟

الجواب :

يستحيل أن يوجد شيء من العدم بالصدفة المطلقة ، بل لا بد من وجود علة وسبب لينتقل الشيء من اللاوجود إلى الوجود ، وكل جهود علماء الطبيعة لم تنصب على أن هذا الكون وجد بسبب أو من غير سبب لأن حاجة الكون إلى سبب وعلة لإيجاده أمر بديهي ، وإنما انصبت جهودهم على اكتشاف قوانين الكون .

التصميم العظيم – ستيفن هوكنج – عنده عنوان "سيادة القانون" ، فالقانون له السيادة في الكون .

وعند هوكنج ثلاثة تساؤلات أصلية :

التصميم العظيم – هوكنج – ص٣٩–٤٠ :

١–ما مصدر القوانين؟

٢–هل هناك أية استثناءات للقانون ، كالمعجزات مثلا ؟

٣–هل توجد فقط مجموعة واحدة من القوانين الممكنة؟

لقد طرحت تلك الأسئل المهمة بطرق مختلفة من قبل العلماء والفلاسفة واللاهوتيين ، وتم تقديم إجابات تقليدية عن السؤال الأول – وهي إجابات كبلر وجاليليو وديكارت ونيوتن – والتي كان مفادها

أن هذه القوانين من صنع الله ، إلا أن هذا لا يعدو كونه تعريفا للإله على أنه تجسيد لقوانين الطبيعة . انتهى

إينشتاين له عبارة يقول : من أهم قوانين هذا العالم أنها صممت بطريقة يمكن للإنسان أن يفهمها .

بعض الآيات والروايات :

"وتوكل على الحي الذي لا يموت" الفرقان٥٨

الحي الذي يموت يحتاج إلى الحي الأزلي الأبدي الذي لا يموت ، فالذي يموت يكون محتاجا غير مستقل ، والذي لا يموت يكون مستقلا غير محتاج إلى شيء .

عن الباقر ع : "إن الله تبارك وتعالى كان ولا شيء غيره ، نورا لا ظلام فيه ، وصادقا لا كذب فيه ، وحيًّا لا موت فيه ، وكذلك هو اليوم ، وكذلك لا يزال أبدا" . التوحيد للشيخ الصدوق ص١٤١

في نهج البلاغة في أول خطبة روي عن أمير المؤمنين ع قوله : "وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه" .

فيأتي السؤال التالي :

كيف يكون الإيمان بالله كاملا وخالصا لوجهه الكريم بنفي الصفات عنه ، فكيف ننفي الوجود وباقي الصفات عن الله تعالى وقد نعت نفسه بكثير من الصفات كالرحمن الرحيم ، والقدير العليم ، والغفور الودود؟

الجواب :

قبل الجواب عن السؤال لا بد من بيان أن الصفات على نوعين :

النوع الأول :

وصف الشيء بحقيقته وطبيعته بحيث تكون الصفة بيانا لذات الموصوف بلا زيادة على الذات ، فالصفة تكون ضرورية وثابتة للموضوع ، ويستحيل أن لا تكون ثابتة له ، كوصف الإنسان بالإنسانية ، فهذه الصفة ليست منفصلة عن طبيعة الموصوف وذاته ، ولا تضيف إليها شيئا زائدا .

النوع الثاني :

وصف الشيء بما هو خارج عن حقيقته وطبيعته وزائد عليها ، كوصف الإنسان بالعلم ، فالعلم صفة زائدة على ذات الإنسان ؛ لأنه لم يكن عنده علم ثم صار عنده علم ، فاكتسب شيئا جديدا .

وفي الجواب عن السؤال السابق يكون مراد أمير المؤمنين ع نفي الصفات عن الله سبحانه من النوع الثاني أي الصفات الخارجة عن الذات والزائدة عليها ، وأما الصفات الإيجابية الثبوتية التي وصف الله بها ذاته المقدسة – كالعلم والقدرة – فهي من النوع الأول ، وكذلك الوجود فهي من صفات الذات لا زائدة عليها ، فهو تعالى واجب الوجود ، وواحد أحد ، ومنزَّه عن الأعراض والحوادث ، فالوجود عين ذاته ، والعلم عين ذاته ، وكذلك باقي الصفات ، فصفات الله تعالى عين ذاته لا زائدة على الذات ، وإذا قلنا بأن الصفة ليست عين ذات

واجب الوجود لزم تعدد واجب الوجود أي تعدد الآلهة الخالقة للكون ، وهو عين الشرك .

بعبارة أخرى :

إذا قلنا بأن الممكن لا علة لوجوده فإن هذا القول باطل للمبدأ البديهي ، وهو مبدأ السببية العام ، فكل ممكن إذا وُجِدَ لا بد له من علة تنقله من العدم إلى الوجود .

السببية العقلية معناها اللزوم والضرورة وعدم الانفكاك بين شيئين ، واللزوم والضرورة أمر غير محسوس ، فهو مفهوم يدرك ولا يحس به في الخارج ، فإذا وجد أ فلا بد أن يوجد ب ، كالأربعة والزوجية ، فالعدد أربعة عدد زوجي ، فيلزم أن يكون العدد أربعة زوجا ، وهذا اللزوم بينهما لا يحس بالحواس ، فهو ليس أمرا محسوسا بل هو أمر معقول ، وإذا وجد السبب فلا بد أن يوجد المسبَّب ، وإذا وجد المسبَّب فلا بد أن يوجد له سبب ، فيوجد تلازم بين السبب والمسبّب ، بين العلة والمعلول .

إذا قلنا بأن الممكن له علة لوجوده ، فهذه العلة لها أربعة احتمالات :

١-أن يكون الممكن أوجد نفسَه بنفسِه ، وهذا مستحيل لأنه يلزم الدور ، والدور باطل لأن معناه توقف الشيء على نفسه ، فيستحيل أن يكون أ علة لوجود أ .

٢-أن يكون الممكن الأول أوجده الممكن الثاني ، والممكن الثاني أوجده الممكن الأول ، وهذا مستحيل لأنه يلزم الدور ، والدور باطل

، لأن العلة تصير معلولة ، والمعلول يصير علة ، فيكون الشيء سببا لشيء ومعلولا له في نفس الوقت ، فيستحيل أن يكون أ معلولا لـ ب ، وب معلولا لـ أ .

٣-أن يكون الممكن الأول أوجده الممكن الثاني ، والممكن الثاني أوجده الممكن الثالث ، والممكن الثالث أوجده الممكن الرابع ، وهكذا يتسلسل الأمر إلى ما لانهاية ، وهذا مستحيل لأنه يلزم التسلسل ، والتسلسل باطل ، فيستحيل أن يكون أ معلولا لـ ب ، وب معلولا لـ ج ، وج معلولا لـ د ، وهكذا إلى ما لا نهاية .

٤-نفس الاحتمال الثالث مع انتهاء السلسلة إلى موجود واجب الواجب بذاته ، وهذا هو الصحيح ، وهو صدور جميع الممكنات من موجود واجب الوجود بذاته ، هو خالق كل شيء ، وهو علة العلل وليس معلولا لشيء لأن سلسلة علل الممكنات يجب أن تنتهي بالواجب لأن التسلسل محال ، وهذا الخالق هو الإله الذي سمّى نفسه "الله" باللغة العربية ، وهو الاسم الموجود عند المسلمين ، وعند غير المسلمين له أسماء أخرى .

أقسام الشيء في عالم الوجود الخارجي :

في عالم الوجود الخارجي الشيء له حالة من ثلاث حالات :

١-إما أن يكون الشيء واجب الوجود لذاته أو ضروري الوجود لذاته ، فاقتضت ذاته وجوب وجوده بالضرورة ، مثل وصف الأربعة

بالزوجية ، فالزوجية لا تنفك عن الأربعة ، وهي ضرورية الثبوت للأربعة ، مثل هذا الموجود يسمى اصطلاحا "واجب الوجود" .

٢-وإما أن يكون الشيء ممتنع الوجود لذاته أو مستحيل الوجود لذاته ، فاقتضت ذاته امتناع وجوده بالضرورة ؛ لأنه لا يقبل الوجود الخارجي ، كاجتماع النقيضين ، فلا يمكن وجود النقيضين في نفس الوقت لأنه ممتنع لذاته ، وكذلك لا يمكن وجود المعلول بلا علة ، مثل هذا الموجود يسمى اصطلاحا "ممتنع الوجود" .

٣-وإما أن يكون الشيء ممكن الوجود ، فهو الذي يخلو من اقتضاء الوجود لذاته وامتناع الوجود لذاته ، فهو ليس ضروري الوجود ولا ضروري العدم ، فهو ليس واجبا ولا ممتنعا ، فذاته لا تقتضي الوجود ولا تقتضي العدم ، وإنما يحتمل أن يكون موجودا ، ويحتمل أن لا يكون موجودا ، فالإمكان هو استواء النسبة بين الوجوب والامتناع ، مثل هذا الموجود يسمى اصطلاحا "ممكن الوجود" ، مثل وجود الغيم في السماء .

السؤال الرابع : هل جميع هذه الموجودات مستقلة -أي لا تحتاج إلى الغير- أو جميعها غير مستقلة -أي تحتاج إلى الغير- أو بعضها مستقلة وبعضها غير مستقلة؟

لا بد أن نبطل أن جميعها مستقلة ونثبت أنها غير مستقلة لكي يثبت وجود موجود مستقل ، وهو موجود لا يحتاج إلى علة لإيجاده ، وهو واجب الوجود ، ومن أهم الأركان في هذا الدليل هو قانون السببية ،

وأن الشيء إذا كان عدما محضا ولم يكن موجودا ثم وجد فإنه يحتاج إلى علة وسبب ، ويوجد فرق بين العدم المحض الفلسفي وبين العدم الفيزيائي ، العدم المحض الفلسفي هو اللاشيئية في قبال الشيئية ، والعدم الفيزيائي ليس هو اللاشيئية بل هو الفراغ ، وهو فراغ نسبي ، والكلام عن الفرق يكون في بحث الانفجار العظيم ، فالانفجار العظيم لم يكن عن عدم محض فلسفي بل كان عن فراغ .

إذن :

من أهم أركان برهان الوجوب والإمكان هو قانون السببية ، فالشيء إذا لم يكن ثم كان فإنه يحتاج إلى علة وسبب لإيجاده ، والبحث في السببية بحث عقلي فلسفي لا تجريبي ، فقانون السببية قضية قبلية لا بعدية ، أي قبل الدخول في العلوم الطبيعية ، وفي القضايا القبلية لا نحتاج إلى العلوم الطبيعية التجريبية ، والعلوم الطبيعية التجريبية قائمة على قانون السببية ، والسببية من مبادئ العلوم الطبيعية التجريبية ، والتجربة لا يمكن أن تثبت قانون السببية ولا أن تنفيها ، وأما القضايا البعدية فإنها متوقفة على التجربة ، ولو سلمنا بأن قانون السببية قضية بعدية فإن التجربة يمكن أن تثبته أو تنفيه ، ومر سابقا أن ميكانيكا الكم لا تنفي السببية ، وإنما تنفي الحتمية ، ونفي الحتمية لا يعني الفوضوية ، فنفس أصحاب ميكانيكا الكم يقولون بأنها تثبت نوعا آخر من الحتمية غير الحتمية المبنية على الفيزياء التقليدية .

التصميم العظيم – ستيفن هوكنج ص٩١ : قد يبدو أن فيزياء الكم تقوّض فكرة أن الطبيعة محكومة بالقوانين ، لكن ليس هذا هو الحال ، وبدلا من ذلك فإنها تقودنا لقبول شكل جديد من أشكال الحتمية ، نظرا لحالة النظام في وقت ما ، فقوانين الطبيعة تحدد الاحتمالات المختلفة لكل من الأزمنة الماضية والقادمة بدلا من تحديد ماض معيَّن ومستقبل معيَّن على وجه اليقين . . . . انتهى

وميكانيكا الكم تعد من أهم إنجازات العلوم في القرن العشرين .

الموسوعة العربية العالمية – ج١٦ ص٣٨١ : العلم في مطلع القرن العشرين : تميزت بداية القرن العشرين الميلادي بإنجازات باهرة في الفيزياء من جرّاء استمرار العلماء في تحدّي الأفكار السائدة ، ففي عام ١٩٠٠ طرح الفيزيائي الألماني ماكس بلانك نظريته التي تسمى بنظرية الكم لتفسير الطيف الضوئي المنبعث . . . . انتهى

سؤال : ما هو موضوع نظرية الكم؟

الجواب :

الموسوعة العربية العالمية – ج١٠ ص٦٤٤ تحت عنوان "القوى داخل الذرة" : يتناول فرع الفيزياء المسمى بالميكانيكا الكمية مسألة القوى داخل الذرة وحركة الجسيمات تحت الذرية . انتهى

وقد استفاد ستيفن هوكنج من نظرية ميكانيكا الكم في أبحاثه عن الثقب الأسود .

الموسوعة العربية العالمية ج٢٦ ص٢٥٢ تحت عنوان "ستيفن هوكنج" : عالم فيزياء ، نظرية نجح في التوصل إلى ما يعدّ أهم اكتشافات في مجال الجاذبية ، منذ أن ابتدع عالم الفيزياء ألبرت أينشتاين النسبية العامة ، أي النظرية الحديثة عن الجاذبية عام ١٩١٥ م .

تذهب نظرية هوكنج إلى تأييد النظرية التي ترى أن نشأة الكون حدثت قبل ١٠ بلايين أو ٢٠ بليون سنة (هامش : البليون هو المليار) بانفجار . . . وترجع شهرة هوكنج إلى نظرياته الخاصة بما يعرف بالثقوب السوداء ، وهي أجسام غير مرئية في الفضاء ذات قوة جذب هائلة يستحيل حتى على الضوء الهروب منها ، وقد استعان هوكنج بمجال في الفيزياء يسمى ميكانيكا الكم ليبرهن على أن الثقب الأسود يطلق ذرات وإشعاعات . انتهى

والفرق بين نظرية أينشتاين ونظرية ميكانيكا الكم هو أن أينشتاين في نظريته يقبل الحتمية التي وصل إليها ، ويرفض الحتمية الموجودة في ميكانيكا الكم .

اختراق عقل – د. أحمد إبراهيم ص ٩٠–٩١ : ولما كان أينشتاين ينظر للزمن بنظرة مغرقة في الحتمية ، حيث يرى أن الماضي والحاضر والمستقبل موجود بالفعل وجودا حقيقيا . . . فكونك تقول إن الحاضر احتمالي والقياس يتغير في المستقبل ، كأنك تقول (بالنسبة لمن يتبنى النظرة الحتمية) عن شيء وقع بالفعل في الماضي أنه احتمالي

متغير ، وهذا جنون بلا شك ، وربما ذلك هو الذي جعل الصراع يحتدم بين أنصار الفكرة الحتمية وعلى رأسهم أينشتاين وبين أنصار الفكرة الاحتمالية التي تبنتها ميكانيكا الكم ، ولذلك فقد كان أينشتاين يرى أن ميكانيكا الكم ناقصة ، وأن هناك ثمة متغيّرات خفية ، لو علمناها لحصلنا على الحتمية الساكنة خلف هذه النتائج الاحتمالية التي تتحدث عنها ميكانيكا الكم ، فالحقيقة هي أن الصراع كان حول الحتمية ، ولم يكن حول السببية أبدا ، كما ظن البعض . انتهى

تعليق :

هذه الرؤية لأينشتاين مهمة جدا ، فالماضي موجود غير معدوم ، والمستقبل موجود أيضا ، ولكننا لا نراهما لأننا نعيش في الزمن الحالي ، ولكن من يكون فوق الزمان فهو يرى الماضي والحاضر والمستقبل ، وإذا كان الماضي موجودا فتوجد إمكانية رؤيته ، ولكن لو كان الماضي معدوما فتستحيل رؤيته ، والحاضر وليد الماضي ، والمستقبل متولد من الحاضر ، فتوجد حتمية الوجود بين الماضي والحاضر والمستقبل لا احتمال الوجود ، فمن يستطيع أن يعرف قوانين الماضي فإنه يستطيع أن يعرف الحاضر على نحو اليقين والحتم ، ومن يستطيع أن يعرف قوانين الحاضر فإنه يستطيع أن يعرف المستقبل على نحو القطع والحتم ، لذلك لا يقبل أينشتاين ميكانيكا الكم التي ترفض الحتمية ،

فالماضي ليس احتماليا لأنه وقع بالفعل فلا يمكن أن يكون احتماليا ولا يمكن أن يتغير بل هو يقيني الوقوع .

سؤال : نسأل هوكنج هل وصلتم في القوانين الفيزيائية إلى جميعها أو أنكم ما زلتم في بدايات الطريق ؟

لو قال وصلنا إلى آخر المطاف فيكون الحق مع القائلين بميكانيكا الكم ، ولو قال إننا في أوائل الطريق وهناك قوانين لا نعرفها فقد يكون الحق مع أنشتاين .

الجواب :

نترك الجواب لستيفن هوكنج :

التصميم العظيم – ستيفن هوكنج ص١٣-١٦ : وعادة ما يسأل الناس عددا من الأسئلة مثل : كيف يمكننا فهم العالم الذي وجدنا أنفسنا فيه؟ كيف يتصرّف الكون؟ ما حقيقة الواقع؟ من أين أتى كل ذلك؟ هل الكون كان بحاجة لخالق؟ ، معظمنا يمضي وقته في قلق بشأن تلك الأسئلة ، لكننا جميعا قلقون بشأنها بعض الوقت .

كانت تلك هي الأسئلة التقليدية للفلسفة ، لكن الفلسفة قد ماتت ولم تحافظ على صمودها أمام تطورات العلم الحديثة ، وخصوصا في مجال الفيزياء ، وأضحى العلماء هم من يحملون مصابيح الاكتشاف في رحلة التنقيب وراء المعرفة ، يهدف هذا الكتاب إلى تقديم الإجابات التي تفرضها الاكتشافات العصرية والنظريات العلمية الحديثة ، كما يوصلنا لصورة جديدة عن الكون وعن موقعنا فيه

بشكل يختلف كليا عن الصورة التقليدية ، ويختلف حتى عن الصورة التي قد نكون رسمناها منذ عقد أو عقدين فقط ، إلا أنه يمكننا تتبع المخططات الأوليّة لهذا الفهم الجديد لما يقرب من قرن مضى تقريبا .

طبقا للمفهوم التقليدي عن الكون فإن الأجسام تتحرك وفقا لمسارات وتواريخ محددة تماما ، فيمكننا تحديد موضعها الدقيق في كل لحظة من الزمن ، ومع أن هذا التفسير يصلح بما يكفي للأغراض اليومية إلا أنه في ثلاثينيات القرن العشرين بدا أن تلك الصورة "الكلاسيكية" لا يمكنها تفسير ما يبدو سلوكا عجيب يمكن ملاحظته على المستويات الذرية وما دون الذرية ، وبدلا من ذلك كان ضروريا أن يتم تبني إطار مختلف ، يسمى بفيزياء الكم ، وقد انتهى المآل لأن تصبح نظريات الكم صحيحة بشكل ملحوظ ، وذلك لِتَنَبُّئِها بالأحداث التي تجري عند هذه المستويات ، بينما تعيد إنتاج تنبّؤات النظريات الكلاسيكية القديمة أيضا ، عند تطبيقها في عالم الحياة اليومية الكبير ، لكن الفيزياء الكمومية والكلاسيكية تقومان على مفاهيم مختلفة جدا عن الواقع المادي . . . حتى مجيء الفيزياء الحديثة كان يعتقد بشكل عام أن هناك إمكانية للحصول على كافة أنواع المعارف عن العالم من خلال الملاحظة المباشرة ، فالأشياء هي ما تبدو عليه كما نستشعر ذلك . . . لكن هذا النجاح المذهل للفيزياء الحديثة المبني على مفاهيم . . . أثبت لنا أن هذا غير ممكن . . . لقد اكتشفنا في تاريخ العلم تتابعا أفضل وأفضل من النظريات والنماذج المتتالية من أفلاطون

حتى نظرية نيوتن الكلاسيكية إلى النظريات الحديثة للكم ، ومن الطبيعي أن نسأل : هل سيصل هذا التسلسل حتما إلى نقطة نهاية ، إلى النظرية النهائية للكون ، التي ستشمل كافة القوى ، وتتنبأ بكل ملاحظة يمكننا القيام بها ، أم سنستمر إلى الأبد في إيجاد نظرية أفضل ، دون العثور على هذه النظرية التي لا يمكن تعديلها ؟ ، فحتى الآن ليس لدينا إجابة محدَّدة عن هذا السؤال ، لكن لدينا نظرية مرشَّحة لأن تكون نظرية نهائية لكل شيء ، إن كانت توجد نظرية كتلك فعلا ، والتي تسمى النظرية "إم" . انتهى

الجائزة الكونية الكبرى لغز ملاءمة الكون للحياة – بول ديفيز ص٢٨ : إلا أن السؤال الأكثر ملاءمة هو : هل القوانين الموجودة في الكتب هي بالفعل قوانين الفيزياء أم هي أفضل الاجتهادات بشأنها فقط؟ ، إن قلة نادرة من علماء الفيزياء هم من يزعمون أن القوانين الموجودة في الكتب اليوم هي في صورتها النهائية ؛ إذ أن هذه القوانين على الأرجح هي أقرب ما توصلنا إليه عن القوانين الحقيقية فقط ، إلا أن علماء الفيزياء يؤمنون بأنه مع تقدم العلم ستلتقي القوانين الموجودة في الكتب في قانون واحد مطلق . انتهى

تعليق :

العلم لا يتوقف عند حد معيّن ، فلا توجد خطوط حمراء ، وكل الخطوط يمكن تجاوزها ، فالعلم متحرك لا يقف عند حد معيَّن ، فكل نظرية يكون لها دليل معين ، فإذا جاء دليل آخر فإن النظرية تتغير إلى

نظرية أخرى جديدة ، وهذه النظرية الثانية يمكن أن تتغير إلى نظرية ثالثة إذا كان يوجد عليها دليل ، وهذا يجري في جميع العلوم بما فيها العلوم الدينية ، فالمسائل تدور مدار الدليل ، وهكذا تتطور العلوم وتنتقل من مرحلة إلى مرحلة أخرى ، فإذا كان يوجد حكم ديني وعليه دليل ، ثم جاء دليل آخر فإن هذا الحكم الديني يتغير إلى حكم ديني آخر ، وفي الواقع ليس الحكم الديني هو المتغير ، وإنما فهم العلماء للدين هو المتغير ، فالحكم الواقعي ثابت ، وكل عالم يبذل جهده واجتهاده ليصل إلى هذا الحكم الواقعي ، فنجد اختلاف قراءات وأفهام العلماء ، فقراءات وأفهام العلماء للنص الديني يتغير ، والنص الديني من آية أو رواية ثابتة ، وكل عالم عنده الدليل الذي يدل على قراءته أو فهمه للنص الديني ، وكل قراءات وأفهام العلماء عبارة عن ظنون ، والظن فيه نسبة من الصحة ونسبة من الخطأ ، ولا يمكن لأحد أن يدعي أنه وصل إلى جميع الحقائق ، فالظنون لا تعطي جميع الحقائق ، نعم في مسألة معينة تصادف الحقيقة ، ولكن في مسألة أخرى تجانب الحقيقة ، ويصل إليها عالم آخر ، لذلك يجب على العلماء أن يحترموا بعضهم البعض ، ولا يكفر بعضهم بعضا ، وجميع العلماء مسلمون ، وجميع القراءات والأفهام هي ضمن الإسلام ، ولا يمكن لأحد أن يدعي أنه وصل يقينا إلى الحكم الواقعي ، وهذا يجري في العلوم الدينية والعلوم الدنيوية ، فبدأ العلماء بقوانين نيوتن ، وكان يعتقد بأنها هي الحقيقة المطلقة ، ثم جاء أينشتاين وأتى بنظرية النسبية

، والآن وصل العلماء إلى فيزياء الكم ، وأيضا العلم لا يقف عند هذا الحد ، وإنما سيصل علماء الطبيعة إلى قوانين وقوانين وقوانين ، وكذلك سيصل علماء الدين إلى قواعد وقواعد وقواعد ، وهكذا تتطور العلوم وتتقدم ، وإذا توقف العلم عند حد معين فإنه يموت وينتهي ، ولن يعطي أحد قيمة لهذا العلم ، وسينتقل البعض من الإيمان إلى الإلحاد إذا لم يستطع علماء الدين الإجابة على تساؤلات الناس وإشكالاتهم ، والإجابات قد تعتمد على قواعد جديدة ونظريات مستحدثة قائمة على أساس الدليل .

تعليق :

الصورة الجديدة للكون مبنية على ميكانيكا الكم ، وعدم معرفتنا بقوانين الثقوب السوداء ، وغيرها من المجهولات ، وهذه الصورة لم تكن موجودة عند نيوتن وأينشتاين .

سؤال : هل يمكن الوصول إلى نظرية توفق بين الحتمية التي يقول بها أينشتاين وبين الحتمية التي تقول بها ميكانيكا الكم ؟

الجواب :

النظرية الشاملة نموذج لنظرية كل شيء – محسن كرمنشاهي – ترجمة عدنان علي الشهاوي – المقدمة – تحت عنوان "الهدف" :

في هذا الكتاب أطرح مفهوما يمكنه إعادة تقديم الحقيقة الموضوعية كأداة لسبر غور الواقع ، وفي اعتقادي أن هذا النموذج لديه القدرة على إعادتنا إلى عالم حتمي . . . إن جهد وضع تفسير لما لم يفسَّر

يندرج ضمن السعي الطويل إلى نطاق نظرية كل شيء ، وتهدف ما تسمى نظرية كل شيء إلى حل حالات عدم التطابق بين النسبية العامة لأينشتين التي تشرح الجاذبية وبين فيزياء الكم التي تتناول الجسيمات تحت الذرية إذ أن هذين القسمين من معرفتنا (اللذان يتناولان القياسات الكبيرة والقياسات الدقيقة للكون) يتعارض أحدهما مع الآخر . . . غير أن التفسيرات المختلفة المقدَّمة عن شكل الفضاء في هاتين النظريتين ليست متوافقة ، ومن المفترض لنظرية كل شيء أن تزيل التعارضات ، وأن تحصر مفاهيم ميكانيكا الكم والنسبية العامة في نظرية كبيرة واحدة . انتهى

تاريخ موجز للزمن – ستيفن هوكنج ص ١٥١ : فلو اكتشفنا فعلا نظرية كاملة فإنه ينبغي بمرور الوقت أن تكون قابلة لأن يفهمها كل فرد بالمعنى الواسع ، وليس فقط مجرد علماء معدودين ، وعندها فإننا كلنا – فلاسفة وعلماء وأناسا عاديين وحسب – سنتمكن من المساهمة في مناقشة السؤال عن السبب في وجودنا نحن والكون ، ولو وجدنا الإجابة عن ذلك فسيكون في ذلك الانتصار النهائي للعقل البشري ؛ لأننا وقتها سنعرف الفكر الخلاق (هامش : في ترجمة أخرى : سنعرف عقل الإله) .انتهى

التصميم العظيم – ستيفن هوكنج ص١٦–١٧ : فحتى الآن ليس لدينا إجابة محدَّدة عن هذا السؤال ، لكن لدينا نظرية مرشَّحة لأن تكون نظرية نهائية لكل شيء ، إن كانت توجد نظرية كتلك فعلا ،

والتي تسمى النظرية "إم" M-theory . . . النظرية "إم" ليست نظرية بالمعنى المعتاد ، فهي عائلة كاملة من النظريات المختلفة ، كل منها يُعَدُّ وصفا جيدا للملاحظات في إطار بعض الحالات الفيزيائية فقط ، وهي تشبه الخريطة إلى حد ما ، فكما هو معروف لا يستطيع أحد إظهار كل سطح الأرض على خريطة واحدة . . . ولكي نرسم خريطة دقيقة للأرض بأكملها ، ينبغي استخدام مجموعة من الخرائط ، يغطي كل منها منطقة محددة ، وعندما يتم تركيب الخرائط بعضها مع بعض فإنها ستبين المنظور نفسه ، والنظرية "إم" تشبه هذا ، فالنظريات المختلفة ضمن عائلة النظرية "إم" قد تبدو مختلفة كليا ، لكن يمكن النظر إليها جميعا كأوجه للنظرية نفسها . . . . انتهى

"الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى"

"الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار" .

لم يقل القرآن خلقت هذه أي السماوات والأرض ، بل قال "خلقت هذا" ، وهذا اسم إشارة يشير إلى المفرد المذكر ، أي خلقت هذا الخلق ، فهو خلق واحد ، فيكون له قانون واحد وشفرة واحدة .

فك شفرة الكون – تشارلز سايف Charles Seife – المقدمة ص١٠-١١ : يقدم هذا الكتاب رؤية بانورامية لسعي الإنسان الحثيث إلى تفسير الظواهر الطبيعية التي يقابلها والتغلب على

الصعوبات التي يواجهها ، فليس هناك متعة أكثر من حل ألغاز الكون ، كيف بدأ ؟ وكيف تشكل ؟ ولماذا سارت الأمور وتسير على هذا النحو ؟ وما القوانين التي تتحكم في حركة أجزائه ؟ وما المصير الذي ينتظره ؟ وهل توجد أكوان أخرى غير هذا الكون ؟ وما طبيعة الحياة ؟ وهل لها غاية ؟ وهل هناك حيوات أخرى ؟ وكيف يمكننا كبشر تفسير ما لا يفسر حيث تتحطم أدواتنا المعرفية من المعادلات الرياضية إلى القوانين الفيزيائية حتى المبادئ والأسس التي يقوم عليه العلم نفسه ، كما يحدث في الثقوب السوداء أو في اللحظة التي سبقت الانفجار العظيم ؟ ، قد ينكص الوعي البشري إلى مرحلة التخيل والتصور والتوهم ، وهي المرحلة التي تخضع للشروط الذاتية بأكثر من خضوعها لموضوعية وعينا المشترك ، وقد تسترد الأسطورة أنفاسها بعد لهاثها الطويل أمام ضربات العلم التي توالت على مر آلاف السنين ، لكن يبقى العلم ، وسيظل نبراسا لوعينا الإنساني باتجاه معرفة بشرية ترتقي بنا وتلبي طموحاتنا في حياة تليق بمعجزة وجودنا كمخلوقات حية حتى الآن ، بمقدورها إعادة صياغة العالم الذي تعيش فيه .

في هذا الكتاب "فك شفرة الكون" يحاول المؤلف الإجابة عن هذه الأسئلة اعتمادا على أحدث نظريات المعرفة الإنسانية المتمثلة في "نظرية المعلومات" ، وهي النظرية المعنيّة بتقديم تفسير بشري لمظاهر هذا الكون المرئي وظواهره كافة ، بل وللأكوان غير المرئية ، حيث

يرى المؤلف أن المعلومات تقدم تفسيرا لوجود الكون ، كما أنها الأساس لنشوء الحياة على كوكب الأرض ، ولا يستبعد بالتالي وجود حيوات أخرى في أركان هذا الكون الشاسع ، ويقدّم تفسيرا معقدا لتكاثر الكائنات الحي كسبب لإعادة إنتاج هذه المعلومات لنفسها ، وتفسيرات أكثر تعقيدا لمعنى الوجود . انتهى

@@ سؤال : كيف يمكن الاستدلال ببرهان الوجوب والإمكان؟

الجواب :

قبل الدخول في كيفية الاستدلال بالبرهان ، نعتمد على بعض الأصول والقواعد الأساسية :

١-اجتماع النقيضين ممتنع .

٢-الدور ممتنع .

٣-الصدفة المطلقة الفلسفية ممتنعة : أي امتناع حدوث الشيء بلا أي سبب ، والشيء الذي لم يكن موجودا ثم وجد يحتاج إلى سبب لكي يوجد ، وإذا وجد الشيء فلا بد أن يكون هناك من أو ما قد أوجده ، والإشكالات الذي ذكرت على قانون السببية – كالإشكال الوارد من ميكانيكا الكم – هذه الإشكالات لا تنفي السببية ، وإنما تنفي الحتمية .

ويوجد أصل آخر ، ولبيان هذا الأصل نأتي إلى السؤال التالي :

هل العلوم التجريبية تحتاج إلى القواعد العقلية الفلسفية أو لا تحتاج ؟

وقد مر هذا البحث سابقا : أيهما أسبق : الفلسفة أو العلم التجريبي؟

نضيف بعض المعلومات على ما مر سابقا .

كتب عالم المعرفة رقم ٣ – التفكير العلمي – د. فؤاد زكريا ص٢٦ : وعلى أية حال فقد استطاع العلم الحديث بفضل جهود رواده الأوائل وإضافات العلماء اللاحقين أن يطوّر لنفسه منهجا أصبح يرتبط إلى حد بعيد بالدراسة العلمية ، ولعله من المفيد ونحن في معرض الكلام عن صفة التنظيم المنهجي في العلم أن نقول كلمة موجزة عن هذا المنهج ، لا بوصفه المنهج الوحيد الذي يمكن تصوره للعلم ، ولكن بوصفه المنهج الذي أصبح غالبا على الدراسة العلمية في ميادين العلم الطبيعي دون استبعاد أي تطورات أخرى ممكنة في المستقبل .

ويذكر المؤلف خمس خطوات :

١–المنهج العلمي يبدأ بمرحلةِ ملاحظةٍ منظمَّةٍ للظواهرِ الطبيعية التي يراد بحثها ، وعلى سبيل المثال فقطعة الحجر يمكن أن تدرس بوصفها ظاهرة فيزيائية إذا ركزنا على حركتها أو طريقة سقوطها ، ويمكن أن تدرس كيميائيا بتحليل المعادن أو الأملاح ، كما تدرس جيولوجيا بتحديد الطبقة الصخرية التي تنتمي إليها .

٢–الملاحظة الحسية المباشرة نادرا ما تستخدم في العلم المعاصر ، صحيح أنها في أوائل العصر الحديث كانت هي الوسيلة التي يلجأ

إليها العلماء ، والتي يدعو إليها فلاسفة العلم مثل بيكن ، من أجل جمع معلومات عن الواقع ، ولكن ذلك كان هو الوضع السائد قبل أن تكتشف أجهزة الملاحظة والرصد الحديثة ، وأبسط مثال على ذلك أن ملاحظة الطبيب للمريض في البلاد المتقدمة طبيا أصبحت أقل اعتمادا على اليد أو سماعة الأذن وازداد اعتمادها على الأجهزة الدقيقة في تسجيل ضربات القلب أو على التصوير بكاميرات داخلية أو على الأنواع الجديدة من الأشعة . . . .

٣-وتأتي بعد الملاحظة مرحلة التجريب ، حيث توضع الظواهر في ظروف يمكن التحكم بها ، مع تنويع هذه الظروف كلما أمكن ، وقد أصبحت التجارب العلمية بدورها أمرا شديد التعقيد في عصرنا هذا ، ولكنها مع ذلك لا تمثل المرحلة النهائية في العلم ، بل تظل مرحلة أولية ، وذلك لأن القوانين النهائية التي نتوصل إليها في هذه المرحلة قوانين جزئية تربط بين ظاهرة وأخرى ، وتقدم إلينا معرفة بجانب محدود من جوانب الموضوع الذي نريد بحثه ، ومن مجموع التجارب تتكون لدينا عدد كبير من القوانين الجزئية التي يبدو كل منها مستقلا عن الآخر ، والتي نظل في هذه المرحلة عاجزين عن الربط بينها ، والتجربة وحدها لا تتيح لنا أن نصل إلى "نظرية" لها طابع عام .

٤-في المرحلة التالية يستعين العلم بتلك القوانين الجزئية التي تم التوصل إليها في المرحلة التجريبية ، فيضمها كلها في نظرية واحدة ،

وهكذا فإن نيوتن قد استعان بكل القوانين التي تم كشفها عن طريق جاليلو وباسكال وغيرهم من العلماء ، وهكذا وضع قانون الجاذبية .

٥-في كثير من الحالات يلجأ العلم بعد الوصول إلى النظرية من خلال الجزئيات إلى الاستنباط العقلي : إذ يتخذ من النظرية نقطة ارتكاز أو مقدمة أولى ، ويستخلص منها بأساليب منطقية ورياضية ما يمكن أن يترتب عليها من نتائج ، وبعد ذلك قد يقوم مرة أخرى بإجراء تجارب من نوع جديد لكي يتحقق من أن هذه النتائج التي استخلصها بالعقل والاستنباط صحيحة ، فإذا أثبتت التجارب صحة تلك النتائج كانت المقدمات التي ارتكز عليها صحيحة ، أما إذا كذبتها فإنه يعيد النظر في مقدماته ، وقد يرفضها كليا أو يصححها عن طريق إدماجها في مبدأ أعم . . . وهكذا يسير المنهج العلمي من الملاحظات إلى التجارب ثم إلى الاستنتاج العقلي وإلى التجارب مرة أخرى ، أي أن العنصر التجريبي والعنصر العقلي متداخلان ومتبادلان ، كما أن الاستقراء الذي نتقيّد فيه بالظواهر الملاحظة والاستنباط الذي نستخدم فيه عقولنا متخطّين هذه الظواهر الملاحظة ، يتداخلان بدورهما ، ولا يمكن أن يعدّ أحدهما بديلا عن الآخر ، فالتجريبية والعقلية ليسا في العلم منهجين مستقلين ، بل هما مرحلتان في طريق واحد ، وفي أغلب الأحيان يكون العلم في بداية تطوره تجريبيا ، وعندما ينضج يكتسب إلى جانب ذلك الصيغة العقلية الاستنباطية ، ففي المرحلة الأولى يجمع أكبر عدد ممكن من المعارف

بطريقة منظمة ، وفي المرحلة الثانية يتوصل إلى المبادئ العامة التي تفسر هذه المعارف وتضعها في إطار موحّد . . . أما العلوم الإنسانية فربما كانت في معظم حالاتها تمر حتى الآن بالمرحلة التجريبية التي تكدّس فيها المعارف انتظارا للمرحلة التى تنضج فيها إلى حد اكتشاف القوانين أو المبادئ العامة .

تعليق :

البحث العلمي لكي يصل إلى نتيجة عامة يحتاج إلى القواعد العقلية الفلسفية ، فالقواعد العقلية الفلسفية أولا ، والفلسفة آخرا ، أولا لأن من مبادئ العلم السببية ، والسببية قانون فلسفي ، ولو لم توجد السببية فالتجربة لا تعطي أي نتيجة ، والفلسفة آخرا لأن العقل يأخذ ما أنتجته التجربة ليستنتج النظرية العامة ، واستنتاج النظريات العامة من اختصاص الفلسفة ، فالعلم يبدأ بالقواعد العقلية وينتهي بالقواعد العقلية ، لذلك فإن الفلسفة والقواعد العقلية لم تمت ولن تموت بسبب وجود الحاجة الدائمة إلى القواعد العقلية في جميع البحوث العلمية .

التصميم العظيم – ستيفن هوكنج ص ١٣ : وعادة ما يسأل الناس عددا من الأسئلة مثل : كيف يمكننا فهم العالم الذي وجدنا أنفسنا فيه ؟ كيف يتصرف الكون ؟ ما حقيقة الواقع ؟ من أين أتى كل ذلك؟ هل الكون كان بحاجة لخالق أم لا؟ ، معظمنا يمضي وقته في قلق بشأن تلك الأسئلة ، لكننا جميعا قلقون بشأنها بعض الوقت .

كانت تلك هي الأسئلة التقليدية للفلسفة ، لكن الفلسفة قد ماتت ، ولم تحافظ على صمودها أمام تطورات العلم الحديثة ، وخصوصا في مجال الفيزياء ، وأضحى العلماء هم من يحملون مصابيح الاكتشاف في رحلة التنقيب وراء المعرفة . انتهى

والعلم له حد يقف عنده ولا يتجاوزه ، ويعجز عن إجابة أسئلة الأطفال ، فالعلم يكتب ما يلاحظه عن العالم ، فالعلوم الطبيعية تسأل "كيف" ، ولكن لا يستطيع أن يجيب عن بداية العالم ولا الغاية من وجود العالم ، والذي يجيب عنها الفلسفة ، والعلم لكي يصل إلى القوانين العامة فإنها تحتاج إلى الفلسفة والقواعد العقلية .

أقوى براهين د. جون لينوكس في تفنيد مغالطات منكري الدين ، نقلا عن سير بيتر ميدوار : إن وجود حد للعلم يتّضح بعجزه عن إجابة أسئلة تشبه ما يسأله أطفال المرحلة الابتدائية عن بدايات الأشياء ونهاياتها ، أسئلة من نوع "كيف بدأ كل شيء؟" ،"لماذا نوجد جميعنا هنا؟" ، "ما الغاية من الحياة؟" . انتهى

تاريخ موجز للزمن – ستيفن هوكنج ص ١٤٨ تحت عنوان "ختام" : إننا نجد أنفسنا في عالم محيِّر ، ونحن نريد أن نجعل مما نراه حولنا شيئا معقولا ، ونسأل : ما هي طبيعة الكون؟ ما هو مكاننا فيه؟ ومن أين أتى هو وإيانا (هامش : لا بد أن يقول المترجم : "ونحن" لأنه معطوف على فاعل ، وإيانا تستعمل مفعولا به ، أتى هو أي الكون)؟ لماذا يكون كما هو عليه؟ . انتهى

تاريخ موجز للزمن – ستيفن هوكنج ص ١٥٠ : وحتى الآن فإن معظم العلماء كانوا مشغولين جدا بإنشاء نظريات جديدة تُوصِفُ "ما هو الكون" بحيث لم يسألوا عن "لماذا" ، وعلى الجانب الآخر فإن الأفراد الذين كانت مهمتهم أن يسألوا "لماذا" –أي الفلاسفة– لم يتمكنوا من ملاحقة تقدّم النظريات العلمية ، وفي القرن الثامن عشر كان الفلاسفة يعتبرون أن كل المعرفة البشرية بما فيها العلم هي مجالهم ، فناقشوا أسئلة من مثل هل للكون بداية . انتهى

كيفية الاستدلال ببرهان الإمكان والوجوب :

يوجد واقع خارجي له حقيقة ، وهو ليس عبارة عن خيالات وأوهام ، والموجود إما مستقل ومطلق أي غير محتاج إلى شرط وعلة لكي يتحقق ويوجد ، وإما غير مستقل أي يحتاج إلى شرط وعلة وسبب لكي يوجد ، فالموجود إما مستقل وإما غير مستقل ، ولا يوجد شق ثالث ؛ لأنهما نقيضان ، والنقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان .

ويوجد هنا فرضان :

الفرض الأول :

إذا فرضنا بأنه يوجد موجود مستقل لا يحتاج إلى علة لإيجاده وغني عن العلة – فقد ثبت المطلوب ، وهو وجود واجب الوجود ، وهو الموجود المستقل الذي لا يسأل عنه بـ : من خلقه وأوجده؟ ، وهو الإله الخالق غير المخلوق .

التصميم العظيم – ستيفن هوكنج ص ٢٠٦ : إن قوانين الطبيعة تخبرنا بالكيفية التي يتصرف بها الكون ، لكنها لا تجيب على سؤال : لماذا ، وهي الأسئلة التي وضعناها في بداية هذا الكتاب : لماذا يوجد شيء ما بدلا من لا شيء ، لماذا نحن موجودون ؟ لماذا هذه المجموعة من القوانين وليست مجموعة أخرى ؟ ، قد يزعم بعضهم أن إجابة تلك الأسئلة هي أن هناك إلها قد اختار خلق الكون بهذه الطريقة ، ومن المعقول أن نسأل : من أو ما الذي خلق الكون؟ ، لكن إن كانت الإجابة هي الإله ، فحينها سينقلب السؤال وحسب ليكون : ومن خلق الله ؟ (هامش : الأفضل أن يترجم إلى : ومن خلق الإله؟) . انتهى

تعليق :

السؤال : من خلق الإله ؟ ، سؤال خاطئ ؛ لأننا فرضنا أن الإله له وجود مستقل غير محتاج إلى علة ، فنسأل عن علة وجوده ، فنقول بأنه لا توجد له علة لكي نسأل عن علته ، وإن كان يحتاج إلى علة فهو محتاج ، وقلنا بأنه غير محتاج ، فيجتمع النقيضان يحتاج ولا يحتاج ، أي الحاجة وعدم الحاجة ، واجتماع النقيضين محال ، وقلنا بأن الموجود إما مستقل غير محتاج وإما محتاج غير مستقل ، والنقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان .

الفرض الثاني :

إذا فرضنا بأنه لا يوجد أي موجود مستقل ، فجميع الموجودات غير مستقلة ، ومحتاجة إلى علة لإيجادها ، وليست غنية عن العلة ، توجد هنا ثلاثة احتمالات :

الاحتمال الأول :

لم يكن موجودا ، ثم وجد بلا سبب ، أي بالصدفة المطلقة ، والصدفة المطلقة مستحيلة ، ولا يوجد أحد من العلماء يقول بالصدفة المطلقة ، أي تحقق ووجود الشيء بلا سبب ، والقائلون بنظرية الانفجار العظيم يقولون بأنه لا نعلم ماذا كان قبل الانفجار العظيم .

الاحتمال الثاني :

الموجودات متسلسلة لا إلى نهاية ، الموجود ١٠٠٠ أوجده الموجود ٩٩٩ ، والموجود ٩٩٩ أوجده الموجود ٩٩٨ ، وهكذا ، والنتيجة أنه لا ننتهي إلى مكان نقف فيه ، فجميع الموجودات غير مستقلة ، وهذه هي نظرية تسلسل العلل "لا إلى نهاية" ، ولا يصح أن نقول "إلى لا نهاية" ؛ لأن إلى حرف يدل على الانتهاء ، واللانهاية لا يوجد لها انتهاء ، فلا يجتمع الانتهاء مع اللاانتهاء ، فهو جمع بين النقيضين .

والقائلون بنفي الإله لم يجدوا طريقا إلا رفض استحالة اجتماع النقيضين واستحالة التسلسل واستحالة الدور ورفضوا قانون السببية ، فقالوا بإمكان اجتماع النقيضين والدور والتسلسل والصدفة المطلقة ، فلا توجد حاجة إلى خالق .

الاحتمال الثالث :

الموجودات المحتاجة غير المستقلة تنتهي إلى موجود مستقل غير محتاج .

ولإثبات الاحتمال الثالث لا بد من إبطال الاحتمالين الأول والثاني :

إبطال الاحتمال الأول :

سهل ؛ لأنه لا يوجد قائل بالصدفة المطلقة ، فلا يوجد شيء يوجد بلا علة ، فكل الأشياء توجد بسبب وعلة ، وإذا قال بنفي قانون السببية فجميع النتائج التي يصل إليها تسقط لأنها قائمة على أساس قانون السببية ، فمن خلال فيزياء الكم يريد أن يصل إلى نفي وجود الإله ، أي أن فيزياء الكم سبب لنفي وجود الإله ، فيوجد سبب ومسبَّب ، ومع نفي قانون السببية لا يمكن الوصول بسبب فيزياء الكم إلى نفي وجود الإله ، وحينما نقول انتقل الشيء من العدم إلى الوجود أي من لاشيء إلى شيء ، والعدم واللاشيء له معنيان : عدم علمي ، وعدم فلسفي عقلي ، وكلامنا في العدم الفلسفي ، والعدم العلمي هو الفراغ الفيزيائي .

اختراق عقل – د. أحمد إبراهيم – ص١٠٥ : من قال لكم إن الجسيمات لا تخرج من العدم ، تخرج من العدم . . . وقبل الإجابة على السؤال ينبغي أن نعرف خلفية هذا الموضوع ، ونعرف ما هو المقصود بالعدم أو الفراغ أو اللاشيء في الاصطلاح الفيزيائي وما هي الجسيمات .

مقدمة : نبدأ من كتاب فيزيائي تعليمي . . . إن المقصود بالفراغ أو العدم أو اللاشيء في الاصطلاح الفيزيائي هو الحد الأدنى من الطاقة ، وليس اللاطاقة ، وليس العدم الحقيقي الذي يشير إليه المعنى اللغوي للكلمة ، وسبب اعتقادنا في أن الكون ليس فيه عدم حقيقي وأنه دائما سيبقى قدر من الطاقة هو الحد الأدنى من الطاقة . . . نستفيد فائدة وهي أنه لا يوجد شيء اسمه فضاء فارغ بحسب الاصطلاح الفلسفي .

تعليق :

مراده من العدم هو العدم العلمي ، وهو الفراغ الفيزيائي .

إذن :

قانون السببية مقبول عند الجميع .

إبطال الاحتمال الثاني :

الملحدون الذين يقبلون القواعد العقلية الفلسفية قالوا بأنه لكي تثبتوا ضرورة وجود الخالق لا بد أن تثبتوا أن هذه الموجودات المتسلسلة متناهية ، وأما إذا كانت غير متناهية فلا نحتاج إلى خالق ، فكوننا أوجده كون آخر ، والكون الآخر أوجده كون ثالث ، وهكذا تتسلسل الأكوان لا إلى نهاية ، وأن الأكوان أزلية لا بداية لها ، فتأتي نظرية الأكوان المتعددة ، ولكن في الواقع هي فرضية وليست نظرية ؛ لأنه لا يوجد دليل على صحتها .

ولا يوجد قائل بالدور ، وهو أن الموجود الأول أوجده الموجود الثاني ، والموجود الثاني أوجده الموجود الثالث ، والموجود الثالث أوجده الموجود الأول ، ويستحيل ذلك لأن الذي يوجد لا بد أن يكون موجودا ، وأما المعدوم فللا يمكنه إيجاد شيء ، لا إيجاد نفسه ، ولا إيجاد غيره ، فالموجود الأول إذا كان معدوما وقبل وجوده يستحيل أن يوجِد الموجود الثالث ، إلا إذا قبلنا بالصدفة المطلقة ، والصدفة المطلقة باطلة ، وهي وجود الشيء – الذي لم يكن ثم كان – بلا علة ، أي الموجود الذي كان مسبوقا بالعدم فإنه إذا وجد فإن وجوده يحتاج إلى سبب وعلة ، وأما الموجود الأزلي الذي لم يكن مسبوقا بالعدم فلا يحتاج إلى سبب وعلة لإيجاده ؛ لأنه غني عن السبب ولا يحتاج إلى علة .

إينشتاين ضد الصدفة – فرانسوا دو كلوسيه Francois de Closets : إينشتاين يعتقد أن الكون حادث له بداية ، فلا يمكن أن يكون قد وُجِدَ صدفة . انتهى

اختراق عقل – د. أحمد إبراهيم : عندما يقدِّم الفيزيائيون نماذج تتحدث عن فراغ كمي أزلي ينشئ الأكوان كما يحلو له عن طريق التذبذب أو النفق الكمي أو نماذج تتكلم عن زمكان ينشأ من زمكان سابق ، أو بفرض زمكان أزلي لهذا الكون ، أو بفرض أن كوننا هذا هو مجرّد أحد الأكوان في مجموعة أكوان متعددة لانهائية ، فكل هذا يطرح سؤالا هل يمكن فعلا أن يكون هناك وجود للسلاسل اللانهائية

في العالم المادي الفيزيائي ؟ وهل يمكن أن يتصف الكون بالأزلية . . . ولعل السبب الحقيقي وراء تسليط الضوء على فرضية الأكوان المتعددة هو أنها تجعل الكون واحدا من مجموعة أكوان لانهائية تنشأ وتضمحل منذ الأزل ، وهذا يقطع الطريق على الاستدلال بدليل السببية على القيوم عز وجل (وإن كانت لا تتعرض للسببية نفسها) لأن الأكوان حينها لن يكون حادثا يحتاج إلى خالق . انتهى

وهنا لا بد من إبطال التسلسل اللامتناهي لكي نثبت وجود الخالق ، فيأتي سؤالان : سؤال موجه إليهم ، وسؤال آخر موجه إلينا .

السؤال الموجه إليهم هو : هل يوجد عندهم دليل علمي على وقوع التسلسل أو على إمكان التسلسل أو لا يوجد ؟

والسؤال الموجه إلينا هو : هل يوجد دليل عقلي على صحة التسلسل أو استحالة التسلسل أو لا يوجد ؟

وعلى فرض وجود التسلسل اللامتناهي فإننا نحتاج إلى خالق أيضا .

خلاصة لما مر قبل الكلام عن التسلسل :

برهان الوجوب والإمكان الهدف منه إثبات موجود أزلي ، وهذا المقدار يثبته هذا البرهان ، وهذا البرهان قائم على أن جميع الموجودات لها واقعية وأنها ليست خيالا ولا وهما ، وهذه الموجودات مسبوقة بالعدم الفلسفي ، وهو العدم المحض ، لا العدم الفيزيائي الذي هو الفراغ ، فهي لم تكن موجودة ثم وُجِدَتْ ، وهي غير مستقلة وفقيرة ومحتاجة ، ويأتي هنا قانون السببية ، فلكي توجد تحتاج إلى علة

وسبب لإيجادها ، والصدفة المطلقة – وهي الوجود بلا أي سبب – مستحيلة ، وإذا قلنا بأنه يوجد موجود مستقل غير مسبوق بالعدم ، وغير المسبوق بالعدم يكون أزليا غير حادث ، وباقي الموجودات غير مستقلة ، والموجود الأول مسبَّب عن الموجود الثاني ، والموجود الثاني مسبَّب عن الموجود الثالث ، وهكذا إلى أن نصل إلى موجود لا يحتاج إلى علة لإيجاده لأنه غير مسبوق بالعدم ، وهو موجود أزلي ، والموجود المسبوق بالعدم هو الذي يحتاج إلى علة لكي يوجد ، فالنتيجة أنه يوجد موجود أزلي مستقل غني غير محتاج إلى علة ، فيثبت وجود موجود أزلي ، وهذا الموجود الأزلي ليس هو المادة العمياء غير الحية غير العالمة غير القادرة غير الحكيمة ، وهو القول بأزلية المادة ، وبرهان الوجوب والإمكان يريد أن يثبت وجود الموجود الأزلي ، وهذا البرهان لا يثبت إله المسلمين وهو الله تعالى ، ولا يثبت إله المسيحية ، ولا إله اليهودية ، المقدار الذي يثبته برهان الوجوب والإمكان هو الموجود الأزلي غير المسبوق بعدم ، ولا يثبت أن هذا الموجود الأزلي حي عالم قادر حكيم وأي صفات أخرى ، بل نحتاج إلى برهان آخر غير برهان الوجوب والإمكان .

الحكمة المتعالية – ملا صدرا – تعليقات الشيخ حسن زاده آملي – ج٢ ص٢٠٠ : لما كانت الممكنات واجبا فيها أن تنتهي إلى موجود لا سبب له . . . ثم بعد ذلك تصدى الفارابي لإقامة البرهان على كون الموجود الذي لا سبب له مفارقا عن المادة . انتهى

رجوع إلى التسلسل :

هذه الموجودات كلها حادثة ، وكل موجود خلقه الموجود الذي قبله ، والسلسلة لا تنتهي ، فيتسلسل لا إلى نهاية ، فيعتقدون بقانون السببية ، ويعتقدون بأن جميع الموجودات حادثة لا أزلية ، وكل موجود له سبب ، ولكن الإيجاد لا ينتهي ، ولا نحتاج إلى موجود خالق أزلي ، وإذا أردنا أن يتم برهان الوجوب والإمكان فلا بد أن نبطل التسلسل اللامتناهي .

شرح نهاية الحكمة – السيد كمال الحيدري – ج٦ ص٣٤٩ :

التسلسل في اللغة : هو أن تتلاحق أمور عقب بعضها ، سواء كانت حلقات هذه السلسلة متناهية أم غير متناهية ، وسواء كانت بينها علاقة العلية والمعلولية أم لا .

قال ابن منظور : "والسّلسلة : اتّصال الشيء بالشيء ، وشيء مسلسل : متّصل بعضه ببعض" .

"في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا" .

حلقات هذه السلسلة لا توجد بينها علية ومعلولية ، سببية ومسبَّبية ، والسلسلة متناهية لأنها سبعون ذراعا .

إذن التسلسل والسلسلة في اللغة أعم من العلية والمعلولية ، ومن التناهي وعدم التناهي .

التسلسل في الاصطلاح :

التسلسل أنواع متعددة ، ونوع منه هو التسلسل في العلل والمعلولات ، والتسلسل تارة يصعد باتجاه العلل فالتسلسل تصاعدي ، وتارة أخرى ينزل باتجاه المعلولات فالتسلسل تنازلي ، والتسلسل التصاعدي والتنازلي قد يكون متناهيا ، وقد يكون غير متناهٍ .

والتسلسل التصاعدي في العلة والمعلول على قسمين :

القسم الأول : التسلسل التصاعدي المتناهي بالفعل :

نفرض أن بين الأعداد علية ومعلولية ، والعدد السابق علة للعدد اللاحق ، ولا يوجد عدد غير متناهٍ ، فكل عدد يكون محدودا ، وإذا أضفنا عددا محدودا إلى عدد محدود فإنه يولد عددا محدودا جديدا ، وهذا التسلسل معقول غير ممتنع ، وبحثنا مع القائل باستحالة التسلسل ليس في هذا القسم ، وهذا اللاتناهي لاتناهي بالقوة لا بالفعل ، وهو بالفعل متناه دائما وإن كان غير متناه بالقوة ، فهذه السلسلة متناهية بالفعل ، وغير متناهية بالقوة ، وبحثنا هو في اللامتناهي بالفعل .

اختراق عقل – د. أحمد إبراهيم – ص ١٣٠ : ففيزياء الكم تجعل لهذا التقسيم اللانهائي الممكن عقلا حدودا في العالم المادي ، ويصطلحون عليه في الرياضيات السلسلة المتقاربة . انتهى

تعليق :

التقسيم اللانهائي له حدود في العالم المادي ، مثلا قطعة طولها متر واحد ، هي قابلة للتقسيم إلى قسمين ، كل قسم نصف متر ،

ونصف المتر قابل للتقسيم إلى قسمين ، ومن الناحية العقلية لا يقف التقسيم إلى حد معيّن ، ولكن كل موجود متناه ، والتقسيمات لامتناهية وإن كان لأي مكان نصل فإنه يمكننا أن نقسمه إلى قسمين .

القسم الثاني : التسلسل التصاعدي اللامتناهي بالفعل :

هو التسلسل الممتنع ، والبحث يكون في هذا القسم .

اختراق عقل – د. أحمد إبراهيم – ص ١٣٠ : السلسلة المتباعدة ، والتي لانهائية ، لا يمكن تحديد أطرافها أو معرفة مجموع عناصرها ، كوقت ماضٍ لانهائي للكون كسلسلة حلقات لانهائية لا يمكنك الوصول أبدا إلى أول حلقاتها ، وهذا النوع يزعم بعض الفيزيائيين أنه يمكن أن يوجد في العالم المادي ، ويتركون الباب مفتوحا أمامه كأحد الاحتمالات الممكنة ، ويقولون أنه ليس هناك دليل قاطع يمنع ذلك ، لكن في الحقيقة . . . . انتهى

تعليق :

يقول لا يمكن الوصول إلى أول حلقاتها ، نقول بل لا يوجد له حلقة أولى لكي يمكنك الوصول إليها ؛ لأنه غير محدود ولامتناهي ، وإذا وصلنا إلى أول حلقاتها فيكون محدودا ومتناهيا ، وزعم بعض الفيزيائيين أن اللامتناهي يمكن أن يوجد في عالم المادة ، ويريدون أن يصلوا إلى نتيجة وهي أن الكون لا يحتاج إلى خالق ، فلا يوجد سبب

غني غير مخلوق ، فالموجودات متسلسة لانهائية بالفعل ، فليس لها بداية لكي تحتاج إلى خالق ، وإنما هي أزلية .

نهاية الحكمة العلامة الطباطبائي – المرحلة الثامنة الفصل الخامس : تقدم أن التسلسل إنما يستحيل ويكون ممتنعا عقلا إذا كانت أجزاء السلسلة موجودة بالفعل ، فلو كان بعض الأجزاء موجودا بالقوة كبعض مراتب العدد فليس بمستحيل . انتهى

اختراق عقل – د. أحمد إبراهيم : ولعل السبب الحقيقي وراء تسليط الضوء على فرضية الأكوان المتعددة هو أنها تجعل الكون واحدا من مجموعة أكوان لانهائية تنشأ وتضمحل منذ الأزل ، وهذا يقطع الطريق على الاستدلال بدليل السببية على القيوم عز وجل (وإن كانت لا تتعرض للسببية نفسها) لأن الأكوان حينها لن يكون حادثا يحتاج إلى خالق . انتهى

سؤال : دعوى أنه يمكن أن يستمر العالم لا إلى نهاية – لكي تقولوا بالاستغناء عن الخالق – هل يمكن إثباتها علميا أو لا يمكن؟

إذا أثبتم ذلك علميا فعندكم دليل علمي عليها ، وبذلك تثبتون أن العالم لا يحتاج إلى خالق .

فهل يمكنكم إقامة دليل علمي تجريبي لإثبات ذلك؟

الجواب :

لا يمكن إقامة الدليل العلمي على هذه الفرضية ، بل يستحيل إقامة دليل علمي على فرضية الأكوان اللامتناهية بالفعل ؛ لأن العالم

التجريبي لا يمكنه الوصول إلى اللامتناهي ، وكلما وصل إلى شيء فهذا الشيء يكون متناهيا ، ولا يمكنه إجراء البحث العلمي على اللامتناهي ، والعالم الطبيعي يمكنه إجراء التجربة على شيء محدود ، والنتيجة أن الدليل العلمي يستحيل أن يقيم الدليل على الأكوان اللامتناهية بالفعل ، ولا طريق إلا الدليل العقلي الفلسفي ، فنسأل العقل : هل يوجد الشيء اللامتناهي بالفعل أو لا يوجد؟

ونرى حاجة البحث العلمي إلى البحث العقلي الفلسفي .

اختراق عقل – د. أحمد إبراهيم ص ١٣٤–١٣٥ : الترجمة : "اللانهائية لا يمكن العثور عليها في العالم الحقيقي ، فهي لا توجد في الطبيعة ، ولا توفر كذلك قواعد شرعية للتفكير العقلاني . . . الدور الذي بقي للانهائية لكي تلعبه هو فقط كونها فكرة " .

ولذلك يرفض فيزيائي كبير مثل جورج إليس فكرة وجود اللانهاية في العالم الفيزيائي ، فيقول في مقالة نشرها في مجلة نيتشر حينما انتقد فرضية الأكوان المتعددة اللانهائية Multiverse . . . مرة أخرى لا توجد وسيلة لاختبار ذلك لأن اللانهائية ستظل دائما بعيدة المنال . . . الأكوان المتعددة . . . ستكون نظرية غير علمية لأنها لا تلبي شرط التحقق التجريبي ، فهي غير قابلة للاختبار ؛ لأنها تحدثنا عن شيء لا يمكن رصده ، وهو اللانهاية ، وبالتالي فلن يمكن أبدا اختباره ، وبالتالي ستظل نظرية غير علمية . . . لأن القول بإمكانية أزلية الكون أو أزلية الأكوان المتعددة هو الذي ليس عليه دليل علمي ، بل

هو الذي يستحيل أن يكون عليه دليل علمي ؛ لأن أي نظرية تتحدث عن وجود سلسلة لانهائية في الواقع الفيزيائي ستبقى دائما نظرية غير قابلة للاختبار ، ولذلك ستكون نظرية غير علمية . انتهى

تعليق :

اللاتناهي في الأعداد فكرة لا واقع ولا مصداق خارجي له ، ويقول : "اللانهائية ستظل دائما بعيدة المنال" ، لا بل مستحيلة المنال ؛ لأن كل ما تناله فهو محدود ، والذين ينكرون وجود خالق للكون يقولون بفرضية الأكوان المتعددة ، فكل كون خلقه كون آخر ، ويتسلسل لا إلى نهاية ، ولكن فرضية الأكوان المتعددة غير قابلة للإثبات تجريبيا ، وإذا لم تكن النظرية قابلة للاختبار فهي نظرية غير علمية ، فتكون فرضية فقط ، نعم إلا إذا كان يوجد برهان عقلي على إثباتها ، فنبحث بحثا عقليا فلسفيا ، ونقول بأنه لا فقط لا يوجد عندكم دليل علمي على لاتناهي الأكوان ، بل يستحيل أن يوجد دليل علمي على لاتناهي الأكوان .

نفي أزلية المادة :

يستحيل التسلسل اللامتناهي في العالم المادي ، وتقولون بأنه لا نصل إلى موجود لا سبب له ، وهذا معنى عدم التناهي ، فهل هذا معقول أو غير معقول ؟

البرهان من خلال مثال :

لو قيل لا يدخل هذه الغرفة شخص إلا إذا دخل قبله شخص آخر ، يأتي زيد ويريد أن يدخل ، ولكن لا يوجد أحد قد دخل الغرفة قبله ، فيقف زيد عند الباب لأن دخول زيد مشروط بدخول شخص قبله ، والمشروط عدم عند عدم شرطه ، ثم يأتي عمرو ويريد أن يدخل يرى أن زيدا واقف عند الباب لأنه لم يدخل أحد قبل زيد ، فعمرو يقف عند الباب أيضا ، ويأتي بكر ويقف أيضا عند الباب ، وهكذا لو أتى أشخاص غير متناهي العدد فكلهم يقفون عند الباب ولا يدخلون ، فالنتيجة أنه لا أحد يدخل في الغرفة لأن المشروط عدم عند عدم شرطه ، وهذه هي نتيجة التسلسل اللامتناهي أنه لا أحد يدخل الغرفة ، أو قل لا أحد يأتي إلى الوجود بناء على القول بالتسلسل اللامتناهي ، فلن يوجد أي شيء في الكون بناء على التسلسل اللامتناهي ، وإذا رأينا شخصا موجودا في الغرفة فهذا الشخص دخوله في الغرفة لم يكن مشروطا بدخول غيره ، أي أن وجوده مستقل غير مشروط ، وباقي الموجودات وجوداتها مشروطة غير مستقلة ، وبسبب وجود هذا الموجود المستقل فإن باقي الموجودات غير المستقلة تأتي إلى الوجود ، ولو قلنا بأن جميع الموجودات غير مستقل فلا تأتي في عالم الوجود ، فتوجد حاجة إلى الموجود المستقل لكي تأتي جميع الموجودات غير المستقلة إلى الوجود .

مثال عرفي :

لو عندك معاملة في وزارة وتحتاج إلى توقيع المسؤول ، ولكن المسؤول الأول يقول لك بأنه لا يمكنه التوقيع على المعاملة إلا إذا أخذت توقيع المسؤول الثاني ، والمسؤول الثاني لا يمكنه التوقيع إلا إذا وقع المسؤول الثالث ، وهكذا يتسلسل الأمر ، والنتيجة أنك لن تحصل على التوقيع على معاملتك ، فبناء على القول بالتسلسل اللامتناهي فإنه لن يوجد أي توقيع على المعاملة في عالم الوجود ، وإذا وجدنا توقيعا على الورقة فإنه يوجد مسؤول مستقل يمكنه أن يوقع على الورقة من دون شرط توقيع المسؤول الآخر .

إذن :

نظام السببية يقول لا يمكن أن تستمر العلة والمعلول إلى لا نهاية ، ولو استمر العلة والمعلول لا إلى نهاية فلن يوجد أي شيء في عالم الوجود ، وإذا وجدنا موجودا واحدا — فأنت موجود – فمعناه أنه يوجد موجود في آخر السلسلة ليس له علة ، وهو الإله الخالق الأزلي غير الحادث ، وجميع الموجودات الأخرى تكون حادثة مخلوقة غير أزلية ، فكل موجود حادث يحتاج إلى سبب ، لا مطلق الموجود لكي يقال : ومن خلق الإله ؟

الخلاصة :

وكان عندنا ثلاثة فروض :

الفرض الأول :

جميع الموجودات اللامتناهية غير مستقلة .

بطلان الفرض الأول :

هذا الفرض باطل لأنه لا يدخل في عالم الوجود شيء .

الفرض الثاني :

جميع الموجودات مستقلة .

بطلان الفرض الثاني :

هذا الفرض باطل لأن هذا الموجود حادث حيث لم يكن موجودا ثم وجد ، فلا يكون مستقلا .

الفرض الثالث :

بعض الموجودات مستقلة وبعضها غير مستقلة .

صحة الفرض الثالث :

يبقى هذا الفرض فقط ، وهو الفرض الصحيح ، ولكن موجود واحد فقط هو المستقل ، وباقي الموجودات غير مستقلة ، وبعد أن نثبت أصل وجود الموجود المستقل نبدأ البحث في صفاته ، وبعض منكري وجود الإله يقول بأن فعل الإله عبثي فيه شرور ، فالإله غير موجود ، فنقول إن هذا إنكار لصفة الحكمة لا لوجوده ، أو أن الإله يعاقب فهو غير رحيم ، فالإله غير موجود ، فنقول إن هذا إنكار لصفة الرحمة لا لوجوده ، فهم من خلال إنكار الصفة يريدون إنكار وجوده ، فنقول بأن إنكار صفة للإله لا يؤدي إلى إنكار وجود الإله ، لذلك فإن البعض يقول بأن إله الأديان هو الإله العالم الرحيم الحكيم القادر

، فنحن ننكر الإله الذي يقول به الأديان ؛ لأنهم لا يمكنهم إنكار أصل وجود الإله .

شرح نهاية الحكمة – السيد كمال الحيدري ج٦ ص٤٠٠-٤٢٢

: ثمانية براهين على استحالة التسلسل .

النتيجة :

التسلسل في العلل التصاعدية يستحيل أن يكون لامتناهيا ، وإذا كان لامتناهيا فلازمه عدم وجود أي موجود ، ونحن نرى الموجودات ، فمعنى ذلك أن هذا التسلسل يكون متناهيا ولا بد أن ينقطع في مكان ما ، فيوجد موجود في آخر السلسلة لا علة له ، وهو علة وليس معلولا لأي شيء آخر ، وبسبب وجود هذا الموجود الذي لا علة له توجد باقي الموجودات لأن هذا الموجود هو العلة لوجود باقي الموجودات ، فلولا الإله الخالق لما وُجِدَ أي موجود في عالم الوجود ، وهذا البرهان يسمى ببرهان الترتب .

شرح نهاية لحكمة – السيد كمال الحيدري ج٦ ص٤١٤ : ذكر ثمانية براهين على بطلان التسلسل ، والبرهان السادس هو برهان الترتب ، حاصل هذا البرهان هو أن سلسلة العلل والمعاليل مترتبة ترتبا عليا ومعلوليا ، بمعنى أن وجود كل معلول في هذه السلسلة متصل بعلة فوقه ، وعلته متصلة بعلة فوقها أيضا ، وهكذا ، وفي هذه الحالة إذا كانت السلسلة لامتناهية ولا توجد علة في رأس السلسلة غير معلولة لغيرها فهذا يعني أن مجموع السلسلة لا تتحقق أبدا . انتهى

تعليق :

وإذا كان يوجد علة في آخر السلسلة ، وهي ليست معلولة لشيء آخر ، فلا يصح السؤال : ما هي علة هذه العلة ؟ ومن هو خالق هذا الخالق ؟ ، وهذا السؤال غير صحيح ؛ لأنه خالق وليس مخلوقا ، وإذا استمر السؤال فإنه يؤدي إلى التسلسل الباطل ، والنتيجة أنه لا يوجد أي موجود في عالم الوجود ، والمفروض أنه يوجد موجود في عالم الوجود ، فمعنى ذلك أن السلسلة تنتهي إلى العلة التي ليست معلولا .

التصميم العظيم – ستيفن هوكنج ص ٢٠٦ : ومن المعقول أن نسأل : من أو ما الذي خلق الكون؟ ، لكن إن كانت الإجابة هي الإله ، فحينها سينقلب السؤال وحسب ليكون : ومن خلق الله ؟ (هامش : الأفضل أن يترجم إلى : ومن خلق الإله؟) . انتهى

النتيجة :

وصلنا إلى وجود سبب مستغنٍ عن جميع الأسباب ، فهو سبب مستقل غير مشروط ؛ لأن التسلسل في العلل مستحيل .

سؤال :

قد يقال إن التسلسل ليس محالا ، فهل يمكنكم إثبات وجود سبب مستقل غير مشروط بطريق آخر غير طريق التسلسل ؟

طريق آخر غير طريق التسلسل لإثبات وجود علة مستقلة :

يوجد قانون في نظرية المعرفة وعلم المنطق ، وهو أنه إذا سألنا سؤالا في أي مجال معرفي وأجيب على السؤال فإن انقطع السؤال وأجيب عن جميع الأسئلة وردت جميع الإشكالات فالجواب صحيح ، وإذا لم تنقطع الأسئلة وبقيت الإشكالات بدون جواب فمعنى ذلك أن الجواب خاطئ أو ناقص غير تام .

مثال :

إذا وجد الشيء الأول غير المستقل فنسأل : من الذي خلق هذا الشيء الأول ؟

فيأتي الجواب أنه الشيء الثاني .

فإذا انقطع السؤال فيكون الشيء الثاني هو العلة التي هي ليست معلولة لشيء آخر .

وإذا استمر السؤال لأن الشيء الثاني غير مستقل أيضا ، فنسأل : من الذي خلق الشيء الثاني؟

فمعنى ذلك أن الجواب ناقص غير تام ، ويكون الجواب تاما حينما نصل إلى العلة المستقلة غير المعلولة لشيء ، ولا بد أن تنتهي السلسلة عند الموجود المستقل ، ولو استمرت السلسلة لا إلى نهاية فلازم ذلك أنه لا يوجد شيء في عالم الوجود ، ولكننا نرى موجودات في عالم الوجود ، فالنتيجة أنه لا بد من وجود الموجود المستقل الذي هو العلة غير المعلولة لشيء ، والدليل العقل القطعي يقول إنه ما دام هناك موجود غير مستقل فلا بد من وجود الموجود المستقل .

وهذا الطريق لا فقط أنه لا يحتاج إلى التسلسل في العلل ، وإنما هو يبطل التسلسل في العلل ، فالتسلسل لا يقع في مقدمات هذا البرهان ، وإنما هذا البرهان يبطل التسلسل الذي تقولون به ، فالبرهان مستغنٍ عن التسلسل ، ويبطل التسلسل .

مثال عرفي :

الفقير مثلا هو الذي لا يملك شيئا ، فهو محتاج غير مستقل ، فإذا رأينا أنه يملك عشرة دنانير فنعرف أنه أعطاه شخص آخر ، فإذا قال إن الشخص الثاني أعطاه هذا المال وكان الشخص الثاني فقيرا غير مستقل ولا يملك شيئا فلا يمكن أن يكون هو المعطي المستقل ، فقوله إن الشخص الثاني أعطاه المال يكون جوابا خاطئا لأنه لا بد أن يكون الشخص الثاني قد أخذ المال من شخص ثالث ، وننقل السؤال إلى الشخص الثالث ، فإذا كان فقيرا فلا يمكن أن يكون قد أعطى المال إلى الشخص الثاني ، وهذه هي نظرية الغنى والفقر الوجودي لملا صدرا ، وليست نظرية الغنى والفقر الماهوي لابن سينا .

إذن :

إذا لم نستطع إبطال التسلسل فيمكن إقامة الدليل بلا حاجة إلى إبطال التسلسل ، بل بهذا الدليل نثبت وجود العلة غير المعلول ، وأيضا نثبت استحالة التسلسل ، وهذا الدليل يثبت لنا وجود العلة غير المعلولة ووجود السبب الأزلي غير المسبوق بالعدم والذي لا يحتاج إلى سبب لإيجاده ، والسبب الذي لا سبب له لا يسأل عن سببه

لأنه موجود مستقل ، وما يسأل عن سببه هو الموجود غير المستقل ، ولكن هذا الدليل لا يثبت أن السبب مادي أو غير مادي ، ولكي نثبت أنه غير مادي وأنه عالم قادر حكيم وغيره من الصفات نحتاج إلى دليل آخر .

يقول الفارابي : البرهان على إثبات الموجود الذي لا سبب له يحتاج إلى برهان آخر في أن هذا السبب مفارق للمادة .

مثال عرفي :

لو شربنا الشاي وكان حلوا ، فنسأل : ما هو سبب حلاوة الشاي ؟ فالجواب أن السبب هو السكر .

فنسأل : وما هو سبب حلاوة السكر ؟

نقول إن هذا السؤال خاطئ ؛ لأن السؤال عن السبب يكون عن الحلو غير المستقل ، والحلاوة تكون عنده عرضية ، وأما الحلو المستقل الذي يكون حلوا تكوينا فلا يسأل عن سبب حلاوته لأن الحلاوة ذاتية له ، ولا يوجد سبب خارجي لحلاوته ، فالسكر يقول أنا حلو بذاتي ، وأنا أعطي الحلاوة للأشياء الأخرى ، والأشياء الأخرى تقول نحن فينا صفة الحلاوة ، والحلاوة عرضت علينا بسبب السكر .

وكذلك بالنسبة للموجودات ، فما يسأل عن سبب وجوده هو ما يكون الوجود عنده بالعرض وهو الموجود غير المستقل ، وأما الموجود المستقل الذي يكون وجوده ذاتيا له فالسؤال عن سبب وجوده سؤال خاطئ ؛ لأنه لا علة لوجوده ، وإذا وجدنا موجودا مشروطا محتاجا

حادثا غير مستقل فلا بد من وجود موجود غني مستقل غير مشروط غير محتاج غير حادث ، ولا نحتاج إلى إبطال التسلسل ، بل بهذا الدليل نبطل التسلسل في العلل التصاعدية .

إذن :

ذكرنا طريقين :

الطريق الأول :

إثبات السبب المستقل بدليل استحالة التسلسل .

الطريق الثاني :

إثبات السبب المستقل بلا حاجة إلى استحالة التسلسل .

والآن نأتي إلى الطريق الثالث :

الطريق الثالث :

في الطريق الثالث نقبل التسلسل لا إلى نهاية ، ونقبل أن التسلسل ليس بمحال ، ومع ذلك نثبت وجود المبدأ ، وفي الطريق الأول قلنا ببطلان التسلسل ، وببطلان التسلسل أثبتنا وجود المبدأ ، وفي الطريق الثاني لا نحتاج إلى بطلان التسلسل ، وأثبتنا المبدأ بإثبات السبب المستقل ، وهنا في الطريق الثالث نقول إن تسلسل العلل والمعلولات لا إلى نهاية ممكن غير باطل ، ومع ذلك نثبت وجود المبدأ السبب ، فإن سلسلة العلل والمعلولات تحتاج إلى مبدأ ، نضع يدنا على كل حلقة من حلقات السلسلة فهي معلولة ، ونبدأ من أول حلقة ، فهي علة لما دونها ومعلولة لما فوقها ، ولا نصل إلى علة غير معلولة لأن

السلسلة غير متناهية ، فكل حلقة لا يصدق عليها علة غير معلولة ، بل يصدق عليها إما معلولة كما في أول حلقة ، وإما علة ومعلولة كما في باقي الحلقات لا إلى نهاية ، وكل حلقة من حلقات السلسلة اللامتناهية على نحو العموم الاستغراقي معلولة ، فتكون السلسلة كلها على نحو العموم المجموعي معلولة ، والمعلول — سواء كان متناهيا أم غير متناه – يحتاج إلى علة ، فالنتيجة أنه لا بد من وجود العلة غير المعلولة .

إذن :

الطريق الثالث هو أنه حتى لو قلنا إن التسلسل اللامتناهي ممكن فإن هذا لا يغني السلسلة اللامتناهية بالفعل عن العلة ، وكل جزء من الكون معلول لأنه لم يكن ثم كان ، لنضب مثالا وهو الإنسان ، زيد معلول لم يكن ثم كان ، وعلته أبويه ، وأبواه معلولان ، وعلتاهما أبواهما ، وتستمر السلسلة إلى آدم وحواء ، ولكن لنفرض أن السلسلة تستمر لا إلى نهاية ، وكل حلقة من السلسلة معلولة تحتاج إلى علة ، وهذه المجموعة غير المتناهية معلولة ، فتحتاج إلى علة .

وتأتي هنا إشكالات برتراند رسل وديفيد هيوم ، يوجد خلط بين حكم الأفراد وحكم المجموع ، فليس بالضرورة أنه إذا كان الأفراد محكومين بحكم أن يكون المجموع محكوما بنفس الحكم ، فتعطون حكم الأفراد للمجموع ، وهذا خطأ ، وتوجد أمثلة تبيّن أن حكم الأفراد لا يمكن تطبيقها على المجموع ، كل واحد منا كفرد له أم

واحدة ، وحكم الفرد لا يجري على مجموع الأفراد ، فلا يمكن أن نقول بأن البشرية لها أم واحدة .

النتيجة :

في الطريق الأول قلتم إن التسلسل اللامتناهي ممتنع ، فنقول بأنه غير ممتنع ، وفي الطريق الثاني قلتم نستغني عن التسلسل ، فنقول بأنه لا يمكن أن نستغني عن التسلسل ، وفي الطريق الثالث قلتم حكم الأفراد يجري على المجموع ، فنقول بأنه توجد فيه مغالطة ، فلا يمكن إجراء حكم الأفراد على المجموع .

السؤال الخامس : هل يعقل أن تكون جميع هذه الموجودات غير مستقلة – أي تحتاج إلى الغير– ؟

دليل الإمكان الذاتي (الماهوي) عند ابن سينا : (الإشارات والتنبيهات لابن سينا ، النمط الرابع)

المتحقِّق في عالم الخارج – أي الموجود الخارجي – بحسب الحصر العقلي إما أن يكون واجب الوجود بذاته وإما أن يكون ممكن الوجود بذاته ، فما دام أنه موجود فهو ليس ممتنعا ولا محالا ، فوجوده دليل على عدم استحالته ، وواجب الوجود هو خالقُ كلِّ شيءٍ موجودٍ في عالم الإمكان ، وممكن الوجود هو المخلوق ، فكل شيء – عدا واجب الوجود – يكون ممكنا أي يمكن أن يكون معدوما ، ويمكن أن

يكون موجودا إذا وجدت العلة لإيجاده ، والعلة هو الخالق الواجب الوجود ، وهو ما كان وجوده نابعا من صميم ذاته ، فلا تنفك ذاته عن الوجود ، وإذا ثبت أن الموجود واجب الوجود بذاته فقد ثبت المطلوب وهو وجود واجب الوجود ، فالواجب نفسه دليل على إثبات نفسه ، كشروق الشمس دليل على وجود الشمس ، وأما ممكن الوجود فإن ذاته لا تقتضي الوجود ، بل الوجود مفاض عليه ، فإذا أفيض عليه الوجود وُجِدَ ، وإن لم يُفَضْ عليه الوجود ظل معدوما ، وإذا لم يكن الموجود واجب الوجود فهو ممكن الوجود لأن ممكن الوجود هو ما تساوى فيه نسبة الوجود والعدم ، فوجوده مرهون بوجود علته ، فالممكن يحتاج إلى علة تفيض عليه الوجود لأن العلة تُوجِدُهُ ، فالممكن بحاجة في وجوده إلى علة موجِدة ، ولو لم يكن له علة موجِدة لكان واجب الوجود ، وكون الوجود ليس ذاتيا له يدل على أن له علة أوجدته ، وأن الوجود بالنسبة إليه أمر عَرَضِيّ لا ذاتيّ ، وأما واجب الوجود فهو لا يحتاج إلى علة تفيض عليه الوجود ، فهو موجود لأن ذاته تقتضي الوجود ، فجميع الممكنات ترجع إلى موجود واحد هو واجب الوجود الذي خلقها وأفاض الوجود عليها .

النتيجة :

الموجود إما واجب وإما ممكن ، والممكن لا بد أن ينتهي إلى الواجب ، وإذا لم يَنْتَهِ إلى الواجب يلزم الدور أو تسلسل العلل ، والدور والتسلسل محالان .

والدليل يمكن أن يصاغ على هيئة قياس من الشكل الأول كما يلي :

مقدمة صغرى : العالم ممكن الوجود

مقدمة كبرى : كل ممكن الوجود له علة تفيض عليه الوجود (قانون العلية العام أو مبدأ السببية العام ، وهو قانون بديهي لأن الممكن لا بد له من علة ترجِّح وجوده على عدمه وتخرجه إلى عالم الوجود)

النتيجة : العالم له علة تفيض عليه الوجود

أو القياس التالي :

الموجود إما واجب الوجود بذاته وإما ممكن الوجود بذاته

إن كان الموجود واجب الوجود بذاته ثبت المطلوب

وإن كان الموجود ممكن الوجود بذاته احتاج إلى علة ترجِّح وجوده على عدمه

هذه العلة إن كان وجودها واجب الوجوب بذاته ثبت المطلوب

وإن كانت العلة ممكنة الوجود بذاتها فإما أن تنتهي السلسلة إلى واجب الوجود بذاته ، فثبت المطلوب

وإذا لم تنته السلسلة إلى واجب الوجود بذاته فإنه يلزم منه الدور أو التسلسل ، والدور والتسلسل باطلان ، فيثبت أن السلسلة تنتهي إلى واجب الوجود بذاته ، فثبت المطلوب

دليل الإمكان الوجودي عند صدر الدين الشيرازي :

لفهم هذا الدليل لا بد من معرفة طبيعة العلاقة بين العلة والمعلول ، والإجابة عن السؤال التالي : لماذا تحتاج الأشياء إلى علة؟

التعاصر بين العلة والمعلول :

قبل الإجابة عن السؤال السابق لا بد أن نعرف أن وجود المعلول لا بد أن يكون معاصِرا للعلة ، فلا يمكن أن يوجد المعلول بعد زوال العلة ، أو أن يبقى بعد ارتفاع العلة ، ويعبِّر عنه بـ "قانون التعاصر بين العلة والمعلول" .

مثال عرفي :

حركت يدي فتحرك المفتاح فانفتح القفل ، حركة اليد علة لحركة المفتاح ، وحركة المفتاح علة لفتح القفل ، هل العلل والمعلولات متعاصرة في نفس الوقت أو كل معلول يأتي بعد انتهاء العلة؟

العلل والمعلولات متعاصرة في الزمن ، فزمانهم واحد ، ولكن العقل يفترض لها رتب مختلفة ، فرتبة العلة قبل رتبة المعلول لا من حيث الزمن ، فعندنا حيثيتان : من حيث الزمن ، ومن حيث الرتبة العقلية .

حاجة الممكن إلى العلة بدايةً وبقاءً :

والممكن يحتاج إلى العلة في بداية وجوده ، ويحتاج إلى العلة أيضا في استمرار وجوده ، فيحتاج الممكن إلى العلة بدايةً وبقاءً ، والعلة إذا ارتفعت فالممكن لا يمكن أن يستمر وجوده ، فإنه يفنى وينتهي ، فالممكن يحتاج دائما إلى العلة في وجوده ، والوجود مثله مثل نور المصباح ، فالنور يحتاج إلى المصباح ابتداء واستمرارا .

إشكال :

بعض الظواهر تكشف عن بقاء المعلول بعد زوال العلة ، مثلا المنزل الذي يقيمها البناؤون تبقى قائمة بعد أن يموت العمال ، والإنسان يظل موجودا بعد وفاة والديه ، والشجرة تبقى حية بعد موت المزارع ، فهنا نرى أن المعلول يحدث مع وجود العلة ، ولكنه يستمر بعد زوال العلة ، ولا يحتاج إلى العلة في استمراره وبقائه .

جواب الإشكال :

هذه الظواهر المذكورة ليست أمثلة عن تحرّر المعلول بعد حدوثه عن علّته ، وهنا لا بد لنا من التمييز بين العلة الحقيقية وغيرها ، ولا بد لنا من معرفة العلة الحقيقية للأمور المذكورة من بقاء المنزل بعد موت العمال ، وبقاء الإنسان بعد وفاة والديه ، وبقاء الشجرة بعد موت المزارع ، فإذا عرفنا العلة الحقيقية ندرك أن تلك الأمور لم تَسْتَغْنِ عن العلّة في أي لحظة من لحظات وجودها ، فكل أثر طبيعي يفنى في الآن الذي يفقد فيه علّته .

نسأل السؤال التالي :

ما هو المعلول للعمال المشتغلين ببناء المنزل؟

الجواب :

المعلول للعمال هو نفس عملية البناء ، وهي عبارة عن مجموعة من الحركات يقوم بها العامل بقصد جمع مواد البناء من الحديد والخشب والطابوق ، وهذه الحركات لا تستغني عن العمال في وجودها ، وتنقطع عملية البناء حينما يكفّ العمال عن العمل ، وما يكون

مستمرا وباقيا هو الوضع الذي حصل لمواد البناء ، فهو المعلول لخصائص تلك المواد والقوى الطبيعية العامة التي تفرض على المادة والمحافظة على وضعها وموضعها ، والوضع هو كوجود الأعمدة ووضع قطع الطابوق بترتيب خاص ووجود الإسمنت بكميات كافية والتماسك بين أجزاء البناء ، والإشكال ينتفي حينما نضيف كل معلول إلى علته ولا نخطئ في نسبة الآثار إلى أسبابها .

النتيجة :

العلة الحقيقية هي العلة الإيجادية وهي التي توجِد المعلول ، وأما العلل الأخرى فهي علل إعدادية ، وهي التي تُعِدُّ وتُهَيِّئُ الأرضيّة لوجود المعلول ، فالعمال بنقلهم مواد البناء ووضعها وترتيبها بنحو معيَّن يُعِدُّونَ الأرضيّة لوجود البناء ، والوالدان من خلال عملية المقاربة يعدّون لانتقال نطفة الأب لتلتقي ببويضة الأم ، والمزارع بوضعه البذور في الأرض والتسميد وسقي الماء يعدّ الأرضية لنمو البذر وتحوله إلى شجرة مثمرة ، فالعلة الحقيقية للشيء هي العلة الإيجادية التي تكون سببا لوجود المعلول ، وأما العلة الإعدادية فهي التي توفّر الشروط والظروف لكي يوجد الشيء فعلا .

"أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون" الواقعة٥٨-٥٩

"أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون" الواقعة٦٣-٦٤

سؤال : لماذا تحتاج الأشياء إلى علة ؟

مثلا لماذا تحتاج الحرارة إلى النار؟ ولماذا تحتاج البرودة إلى الثلج؟ ولماذا يحتاج النور إلى الكهرباء أو الشمس؟

لو استطعنا الإجابة على السؤال السابق فإنه سيكون بمقدورنا الإجابة على السؤال التالي : لماذا يحتاج الكون – بكل ما فيه من حوادث وكائنات – إلى علة؟ ولماذا يحتاج إلى علة العلل؟ وكيف تكون معرفتنا لطبيعة العلاقة بين العلة والمعلول دليلا على وجود الإله؟

وسؤالنا هنا عن العلل الحقيقية الإيجادية لا عن العلل الإعدادية ، فالسؤال هو : لماذا تحتاج الأشياء إلى علل حقيقية؟

نحن لا نسأل : لماذا يحتاج النور الصادر من المصباح إلى مولِّد كهربائي ومصباح سليم وشخص يضغط لفتح مفتاح الكهرباء لأن هذه كلها علل إعدادية؟

وإنما سؤالنا هو : بعد توافر جميع العلل الإعدادية لماذا يحتاج نور المصباح إلى كهرباء؟

وهذا السؤال يأتي بعد إيماننا بمبدأ العلية والسببية ، فالأشياء في هذا الكون خاضعة لمبدأ العلية وموجودة طبقا لقوانين العلية ، فنسأل عن سر خضوعها لهذا المبدأ ، هل يرجع هذا الخضوع إلى ناحية ذاتية في تلك الأشياء بحيث لا يمكن أن تتحرّر عنها مطلقا أو إلى سبب خارجي جعلها بحاجة إلى علل وأسباب؟ وهل الخضوع لمبدأ العلية يعم جميع الموجودات أو لا؟

الجواب :

توجد أربع نظريات للإجابة على الأسئلة السابقة ، وهي :

النظرية الأولى : الوجود :

الموجود يحتاج إلى علة لأجل وجوده ، وهذه الحاجة ذاتية للوجود ، فسبب الافتقار إلى العلة كامن في صميمه ، والنتيجة هي أن كل موجود معلول .

قول بعض الفلاسفة الماديين :

بعض الفلاسفة الماديين أخذوا بهذه النظرية واتهموا الفلسفة الإلهية بأنها تؤمن بالصدفة لأنها تعتقد بوجود مبدأ أول لم ينشأ عن علة ، وما دام أنه نشأ بلا علة فهو جاء صدفة ، وأثبت العلم أنه لا صدفة في الوجود ، لذلك لا يمكن التسليم بالمبدأ الأول .

الرد على هذا القول :

اتهام فكرة المبدأ الأول بأنها إيمان بالصدفة ينطوي على سوء فهم لهذه الفكرة ؛ لأن الصدفة عبارة عن الوجود من دون علة لشيء يستوي إليه الوجود والعدم ، ، وهو ممكن الوجود ، فكل شيء ينطوي على إمكان الوجود وإمكان العدم بصورة متساوية ثم يوجَد من دون علة فهو صدفة ، والمبدأ الأول لا يتساوى فيه الوجود والعدم ، بل هو ضروري الوجود وممتنع العدم ، وما دام أننا نعتقد بموجود له هذه الصفة فلا يمكن التصديق بالصدفة التي هي وجود الشيء الممكن بلا علة .

فهنا يأتي السؤال التالي :

إذا كان الله قد خلق الكون بكل ما فيه فمن الذي خلق الله ؟

الجواب :

هذا السؤال يطرحه البسطاء الذين لم يتعدّوا مرحلة التفكير الطفولي ، وأما الذين نضجت عقولهم فيعرفون – بقليل من التفكير – أن قولنا "خلق الله الكون" يعني أنه تعالى خالق غير مخلوق ، وأن كل ما عداه يتلقّى الوجود منه تعالى ، وأنه سبحانه لم يتلقّ وجوده من أحد ، والسؤال لا بد أن يكون كما يلي :

لماذا يجب علينا أن نؤمن بأن الله موجود منذ القدم وأنه لا يحتاج إلى موجِد وأنه يهب الوجود لكل كائن في الكون؟

الجواب :

لو قلنا بأن كل كائن مخلوق لا بد أن يستمدّ وجوده من كائن مخلوق آخر لكانت النتيجة أنه لا يوجد شيء أبدا لأن السلسلة إذا لم تنتهِ إلى كائن واجب الوجود بذاته فإنه لا يوجد أي كائن ، فكل كائن أخذ خلقه من مخلوق آخر ، والمخلوق الآخر من مخلوق آخر ، وهكذا لا تنتهي السلسلة ، وهذا ما يسمى بالتسلسل ، والتسلسل نتيجته عدم وجود أي كائن ، وكذلك الدور نتيجته أنه لا يوجد أي كائن ، فإذا قلنا إن الأول خلق الثاني ، وأن الثاني خلق الأول ، فالنتيجة أنه لا يوجد أي مخلوق ، ولو احتاج كل شيء في وجوده إلى علة لاستحال أن يوجد شيء على الإطلاق .

ونحن نرى الكون بما فيه من أرض ومخلوقات ونجوم وكواكب ، وكل ما يوجد إما أنه وُجِدَ بذاته دون أن يتلقى وجوده من أحد ، وإما أن يكون قد تلقى وجوده من موجود آخر ، فإذا كان وجوده من ذاته لا من غيره فهو موجود بالضرورة ، وهو واجب الوجود ، وهو الله سبحانه ، وأما إذا تلقى وجوده من غيره فلا بد أن يكون هذا الغير إما أنه قد تلقى وجوده من غيره وإما أن يكون واجب الوجود ، ونأتي إلى هذا الغير فإما أن يكون واجب الوجود وإما أن يكون ممكن الوجود ، فنأتي إلى ممكن الوجود فهو إما تلقى وجوده من واجب الوجود وإما من ممكن مثله ، وننقل الكلام إلى هذا الممكن ، وهكذا نرى أن سلسلة الممكنات لا بد أن تنتهي إلى موجود يكون واجب الوجود بذاته ، وهو العلة الأولى الذي يعطي ولا يأخذ ، وإذا لم يوجد واجب الوجود فإن جميع الممكنات لا يمكن أن توجد ، وكل ما لا يحمل في طبيعته السبب الكافي لوجوده لا بد أن ينتهي إلى موجود يحمل في طبيعته سببا كافيا لوجوده ، فلا بد من وجود علة قائمة بذاتها معلولة لغيرها ، ولنأخذ مثالا عرفيا بالمخترَعات ، كل مخترَع لا بد أن ينتهي إلى المخترِع الأول الذي ابتدعه من أفكاره وبالذات ، ولم يأخذه من غيره ، ولو لم يوجد المخترِع الأول لما وجد هذا المخترَع على الإطلاق ، والمنكرون لوجود الإله الخالق قالوا إن الكون لا يحتاج إلى موجِد ؛ لأنهم لم يدركوا الخالق بالحس ، وهم لم يستعملوا عقولهم للوصول إلى معرفة الخالق .

قال فولتير : "إن الرأي القائل بأن الله غير موجود ينطوي على أمور مستحيلة" .

النظرية الثانية : الحدوث :

سنأتي بعد ذلك إلى دليل الحدوث تفصيلا ، ولكن هنا نأخذ مقدارا منه للإجابة على السؤال السابق : لماذا تحتاج الأشياء إلى علة؟

الأشياء تحتاج إلى علة لأن هذه الأشياء حادثة ، فالحدوث يفتقر إلى علة ، فالحركة أو الحرارة – مثلا — تحتاج إلى علة لأنهما حدثتا بعد العدم ، فمبدأ العلة يكون مقتصرا على الأمور الحادثة ، وأما إذا كان الشيء موجودا بصورة مستمرة دائمة فلا يحتاج إلى علة لأنه لم يكن حادثا بعد العدم .

الرد على القول بأن الشيء الدائم لا يحتاج إلى علة :

إن الحدوث يرجع إلى وجود الشيء بعد العدم ، كوجود السخونة في ماء لم يكن ساخنا ، بلا فرق عند العقل أن توجد هذه السخونة بعد العدم أو توجد بصورة مستمرة دائمة ، فإن هذه السخونة تتطلب علة خاصة بها ، إن زيادة عمر الشيء لا يبرّر وجوده ، ولا يجعله مستغنيا عن العلة ، مثلا وجود السخونة الحادثة يحتاج إلى علة ، فلا يكفي أن نمدّد عمرها حتى نقول بأن وجودها لا يحتاج وجودها إلى علة ، ومهما اتسعت عملية تمديد عمر الشيء تظل الحاجة موجودة للسؤال عن علة وجود هذا الشيء .

النظرية الثالثة والرابعة : الإمكان الذاتي والإمكان الوجودي :

نظرية الإمكان الذاتي الماهوي هي لابن سينا ، ونظرية الإمكان الوجودي هي لصدر الدين الشيرازي ، وكلتا النظريتين تؤمنان بأن الأشياء تحتاج إلى علل بسبب إمكانها ، ولكن لكلٍّ من النظريتين مفهومها الخاص عن الإمكان ، واختلافهما في مفهوم الإمكان مظهر لاختلاف فلسفي أعمق حول الماهية والوجود ، وتناولنا نظرية الإمكان الذاتي الماهوي لابن سينا ، ونأتي إلى نظرية الإمكان الوجودي لصدر الدين الشيرازي .

انطلق صدر الدين الشيرازي في نظريته من تحليل مبدأ العلية نفسه ، ومن فهم مبدأ العلية عرف السبب الحقيقي لحاجة الأشياء إلى علة ، ونأتي إلى تحليل العلية .

إن العلية قائمة بين العلة والمعلول ، فهي لون من الارتباط بين شيئين ، وللارتباط ألوان وأنواع ، مثلا الرسام مرتبط باللوحة التي رسمها ، والكاتب مرتبط بالقلم الذي يكتب به ، والكلب مرتبط بسلسلة الحديد التي تطوِّق عنقه ، ونرى في هذه الأمثلة أن لكلٍّ من الشيئين المرتبطين وجودا خاصا قبل ارتباطه بالشيء الآخر ، فاللوحة والرسام لكلٍّ منهما وجود مستقل قبل أن توجد عملية الرسم ، والكاتب والقلم موجودان بوجود مستقل قبل أن يرتبط أحدهما بالآخر ، فالارتباط في هذه الأمثلة علاقة تعرض للشيئين بعد وجودهما ، فالارتباط شيء يختلف عن وجودهما ، فالارتباط صفة توجد للطرفين بعد وجود كل منهما بصورة مستقلة .

وأما العلة والمعلول فإنهما يرتبطان برباط العلية ، ونرى أن المعلول ليس له وجود بصورة مستقلة ثم يعرض له الارتباط ، ولو كان المعلول يملك وجودا حقيقيا وراء ارتباطه بعلته لم يكن معلولا لعلته ، لأنه لو كان موجودا بصورة مستقلة لما كان ناشئا عن العلة ومنبثقا عنها ، فالعلية بطبيعتها تقتضي أن لا يكون للمعلول حقيقةٌ وراء ارتباطه بعلّته ، ولو كان للمعلول حقيقة وراء ارتباطه بالعلة لما كان معلولا ، والنتيجة هي أن الوجود المعلول ليس له حقيقة إلا نفس الارتباط بالعلّة والتعلّق بها ، وهذا هو الفارق الرئيس بين ارتباط المعلول بعلته وارتباط اللوحة بالرسام ، فكيان المعلول ووجوده كيان ارتباطي ووجود تعلّقيّ ، لذلك فإن قطع ارتباطه بالعلة إفناء لوجوده وإعدام لكيانه ، لأن وجوده يتمثّل في ذاك الارتباط ، بعكس اللوحة التي لها وجود مستقل حتى لو لم ترتبط بالرسام .

نرجع الآن إلى السؤال السابق :

ما هو سبب احتياج الشيء إلى العلة؟

الجواب :

بعد تحليل مبدأ العلية نعرف السر في احتياج الأشياء إلى عللها ، والسر هو أن الحقائق الخارجية التي يجري عليها مبدأ العلية ليس في الواقع إلا تعلّقات وارتباطات ، فالتعلق والارتباط مُقَوِّم لكيانها ووجودها ، والحقيقة إذا كانت حقيقة تعلّقيّة – أي عين التعلق

والارتباط – فلا يمكن أن تنفكّ عن شيء تتعلّق به وترتبط به ذاتيّا ، فذلك الشيء هو علّتها ؛ لأنها لا يمكن أن توجد مستقلة عنه .

إن حاجة الحقائق الخارجية إلى علة ليس هو حدوثها ولا إمكانها الذاتي الماهوي ، بل السر يكمن في كنهها الوجودي وحقيقتها الوجودية وصميم كيانها ، فإن حقيقتها الخارجية هي عين التعلق والارتباط ، والتعلق والارتباط لا يمكن أن يستغني عن شيء يتعلق ويرتبط به ؛ لأنها فقيرة وجودا ، بل هي عين الفقر الوجودي ، والإنسان ينتبه لفقره وحاجته إلى موجود غني إذا كانت فطرته سليمة .

ونعرف أيضا أن الحقيقة الخارجية إذا لم تكن حقيقة ارتباطية تعلقية فلا يشملها مبدأ العلية ، فليس كل وجود خارجي محكوما بمبدأ العلية ، وإنما يحكم مبدأ العلية على الوجودات الارتباطية التعلقية التي تعبِّر في حقيقتها عن الارتباط والتعلق .

وعلى ضوء ما سبق فإن العلل المتصاعدة التي ينشأ وينبثق بعضها عن بعض يجب أن يكون لها بداية ، أي علة أولى لم تنبثق عن علة سابقة ، ويستحيل أن يتصاعد تسلسل العلل تصاعدا لا نهائيا ؛ لأن كل معلول ليس إلا نوعا من التعلق والارتباط بعلته ، فجميع الموجودات المعلولة هي ارتباطات وتعلقات ، والارتباطات تحتاج إلى حقيقة مستقلة تنتهي إليها ، فلو لم توجد لسلسلة العلل بداية لكانت جميع

الحلقات معلولة ، وإذا كانت جميعها معلولة فهي نرتبط بغيرها ، ويأتي السؤال حينئذ عن الشيء الذي ترتبط به هذا الحلقات جميعا .

إن سلسلة العلل إذا كان يوجد فيها علة غير خاضعة لمبدأ العلية ولا تحتاج إلى علة فهذه العلة هي العلة الأولى التي تضع للسلسلة بدايتها لأنها غير منبثقة عن علة أخرى تسبقها ، وإذا كان كل موجود في السلسلة محتاجا إلى علة — طبقا لمبدأ العلية – فالموجودات جميعا تصبح بحاجة إلى علة ، فلا بد من افتراض علة أولى متحرِّرة من مبدأ العلية ، وننتهي في تعليل الأشياء إليه ، ولا يأتي سؤال : لماذا وجد؟ ؛ لأن هذا السؤال يأتي في الأشياء الخاضعة لمبدأ العلية ، والعلة الأولى لا تكون خاضعة لمبدأ العلية حيث إنها لا تحتاج إلى علة لأنها علة العلل في نهاية السلسلة ، وهو واجب الوجود ، وتكون جميع المعلولات ممكنة الوجود .

خلاصة دليل الإمكان عند صدر الدين الشيرازي :

وجود الممكن وجود ارتباطي تعلّقي ، وهو لا يستمر دون الاعتماد على وجود مستقل ، وفهم معنى الوجود الارتباطي التعلقي كافٍ للوصول إلى الوجود المستقل الواجب ، ولا نحتاج إلى الدور والتسلسل .

دليل الإمكان في القرآن والروايات :

"يأ أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد إن يشأ يذهبكم ويأتِ بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز" (فاطر ١٥-١٧)

فالإنسان فقير إلى الله في أصل وجوده وفي بقائه واستمراره ، كحاجة ضوء الشمس إلى الشمس في وجوده واستمراره .

وعن الإمام جعفر الصادق ع : "إن روح المؤمن لأشد اتصالا بروح الله من اتصال شعاع الشمس بها" . (أصول الكافي ج٢ كتاب الإيمان والكفر باب أخوة المؤمنين ح٤)

الخلاصة :

يمكن صياغة دليل الإمكان على هيئة قياس كما يلي :

المقدمة الصغرى : العالَم ممكن

المقدمة الكبرى : وكل ممكن لا بد له من علة ترجح وجوده على عدمه

النتيجة : العالَم لا بد له من علة رجّحت وجوده على عدمه

إشكال رَسِل لإبطال مبدأ السببية :

حاول برتراند رسل - في كتابه لماذا أنا غير مسيحي؟ - إبطال مبدأ العلية من خلال التساؤل : من خلق الإله؟ ، فإذا كان لكل شيء علة —كما يدعي المؤمنون بالإله — فما هي علة وجود الإله؟

ويرى رسل أن عدم الظفر بجواب لهذا السؤال كافٍ لعدم الإيمان بالإله ، وردّد الملحدون الجدد كلام رسل .

التصميم العظيم – ستيفن هوكنج – ص٢٠٦ : لماذا يوجد شيء ما بَدَلا من لا شيء ؟ لماذا نحن موجودون ؟ لماذا هذه المجموعة من القوانين وليست مجموعة أخرى ؟

قد يَزْعُمُ بعضُهم أن إجابة تلك الأسئلة هي أن هناك إلها قد اختار خَلْقَ الكون بهذه الطريقة ، ومن المعقول أن نسأل مَنْ أو ما الذي خلق الكون ، لكن إن كانت الإجابة هي الإله ، فحينها سينقلب السؤال وحسب ليكون ومن خلق الله؟ . انتهى

جواب الإشكال :

إن مبدأ العلية عند المؤمنين بوجود الإله لا يقول "كل موجود له سبب" ، وإنما يقول "كل ممكن الوجود له سبب" أو "كل موجود حادث له سبب" أو "كل موجود مسبوق بالعدم له سبب" ، فما يكون ممكن الوجود – أي يمكن أن يوجد أو لا يوجد – يحتاج إلى سبب لينقله من الإمكان إلى الوجود ، وما يكون حادثا – أي لم يكن موجودا ثم وُجِدَ – يحتاج إلى سبب لينقله من عدم الوجود إلى الوجود ، والإله الخالق ليس بممكن ولا حادث ، وإنما هو قديم وواجب الوجود بذاته ، والقانون المختص بالموجودات الممكنة والحادثة لا يطبق على الموجود الواجب بذاته لأنه موجود أزلي أبدي ، ولا يوجد زمن يكون فيه معدوما ولا يكون موجودا ، وإنما هو دائم الوجود ، ولم يكن معدوما لكي يوجده شيء آخر ، فلو كان واجب الوجود بذاته محتاجا إلى سبب لكان ممكنا ولم يكن واجب الوجود ،

وهذا خلف الفرض بأنه واجب الوجود بذاته ، والحاجة إلى سبب يأتي في موارد الفقر الوجودي عندما يكون الشيء تعلّقي ارتباطيّ ، وأما لو كان الموجود غنيا بذاته فلا يحتاج إلى سبب يُوجِدُهُ لأن واجب الوجود موجود بالضرورة ، وقول رسل معناه "الإله الغني بحاجة إلى سبب" ، وهي جملة تحتوي على متناقضات لأن الغني غِنًى مطلقا لا يحتاج إلى سبب ، ونشأة الكون هو نشأة لعالم الممكنات التي تحتاج إلى علة لوجودها ، فلا يصح أن نسأل عن علةِ موجودٍ خارج عالم الممكنات لأنه واجب الوجود بذاته فيكون غنيا لا يحتاج إلى علة ، وعلة العلل ومسبب الأسباب ليس له علة ، ولو كان له علة لما كان علة العلل بل يكون علة كغيره من العلل الممكنة التي تحتاج إلى علة لوجودها ، والشيء إذا كان واجب الوجود وعلة العلل وخالق غير مخلوق فالسؤال عمّن خلقه سؤال خاطئ .

إن المؤمن بوجود الإله لا بد أن يقدِّم أدلة عقلية لإثبات وجود الإله ، وكذلك المنكر لوجود الإله بحاجة لأدلة عقلية لإثبات عدم وجود الإله .

إن رسل مثل ذاك الرجل المصري الذي حاوره الإمام جعفر الصادق ع ، سأله الإمام ع : أتعلم أن للأرض فوقا وتحتا؟ فقال الرجل : نعم . قال ع : فدخلت تحتها ؟ قال : لا . قال ع : فهل تدري ما تحتها ؟ قال : لا أدري إلا أني أظن أن ليس تحتها شيء . فقال ع : فالظن عجز ما لم تستيقن . ثم قال ع : صعدت إلى السماء ؟ قال : لا .

قال ع : أفتدري ما فيها ؟ قال : لا . قال ع : فأتيت المشرق والمغرب فنظرت ما خلفهما ؟ قال : لا . قال ع : فالعجب لك ! لم تبلغ المشرق ، ولم تبلغ المغرب ، ولم تنزل تحت الأرض ، ولم تصعد إلى السماء ، ولم تُخْبَرْ ما هناك ، فتعرف ما خلفهنّ ، وأنت جاحد بما فيهنّ ، وهل يجحد العاقل ما لا يعرف ؟! فقال الرجل : ما كلّمني بهذا غيرُك . قال ع : فأنت من ذلك في شكّ ، فلعلّ هو ، ولعلّ ليس هو . قال : ولعلّ ذلك . فقال ع : أيها الرجل ، ليس لمن لا يعلم حجّة على من يعلم ، ولا حجة للجاهل على العالم . (أصول الكافي للشيخ الكليني ج١ باب حدوث العالم ص٩٥-٩٧ ح١ ، التوحيد للشيخ الصدوق باب إثبات حدوث العالم ص٢٩٣-٢٩٤ ح٤ ، الاحتجاج للشيخ الطبرسي ج٢ ص٢٠٤-٢٠٥)

إن رسل وأمثاله الذي يقولون بأن الأدلة على وجود الإله غير كافية ، ويتساءلون عن كيفية وجوده وحقيقته ومكانه ، هم مثل ذاك الرجل الذي حاور الإمام علي بن موسى الرضا ع ، حيث سأل الرجل : أوجدني كيف هو ؟ وأين هو ؟ فقال ع : وَيْلَكَ! إن الذي ذهبت إليه غلط ، هو أَيَّنَ الأين ، وكان ولا أين ، وهو كيّف الكيف ، وكان ولا كيف ، ولا يُعْرَفُ بكيفوفة ولا بأينونة ، ولا يُدْرَكُ بحاسّة ، ولا يُقَاسُ بشيء . قال الرجل : فإذن إنّه لا شيء إذ لم يُدْرَكْ بحاسّة من الحواس . فقال ع : وَيْلَكَ! لَمَّا عَجَزَتْ حَواسُّكَ عن إدراكه أَنْكَرْتَ ربوبيّته ! ونحن لَمَّا عَجَزَتْ حَواسُّنا عن إدراكه أَيْقَنَّا أنّه ربّنا ، وأنّه

شيء بخلاف الأشياء . قال الرجل : فأخبرني متى كان ؟ قال ع : أخبرني متى لم يكن فأخبرك متى كان . (أصول الكافي للشيخ الكليني ج١ باب حدوث العالم ص١٠٠-١٠١ ح٣ ، الاحتجاج للشيخ الطبرسي ج٢ ص٣٥٤-٣٥٥)

نهج البلاغة خطبة ١٨٥ : سَبَقَ الأوقاتَ كَوْنُهُ (أي وجوده) ، والعَدَمَ وُجُودُهُ . انتهى

تعليق :

وجود الله سابق على الأوقات ، فهو موجود دائما ، ووجوده سابقُ العدمِ ، فلم يكن معدوما في زمان سابق ، ولو لم يسبق الأوقات وكان الوقت قبله فمعنى ذلك أنه كان معدوما في الزمان السابق وصار موجودا في الزمان اللاحق ، فيكون حادثا ، والحادث يحتاج إلى سبب ، وأي موجود في العالم كان الوقت سابقا لوجوده ، وكان معدوما في الزمان السابق ثم وجد ، فيحتاج إلى سبب لينقله من العدم إلى الوجود ، وأما الموجود الذي لم يسبقه الوقت ولم يسبقه العدم فلا يُسْأَلُ عن سبب وجوده لأنه دائمي الوجود ، ولم يكن في زمانٍ ما معدوما لكي يحتاج إلى موجِد وخالق ، والكون كله ليس أزليا فكان معدوما ثم وجد فقطعا يحتاج إلى خالق ، فالمادة حادثة وليست أزلية ، والمقدار الذي يثبته هذا الدليل هو وجود موجود أزلي ، فالموجود الحادث يحتاج إلى موجود أزلي غير حادث ، ولكن هذا الدليل لا يثبت العلم ولا الحكمة ولا الصفات الأخرى لهذا الموجود الأزلي ،

وإذا قال الملحد بأن المادة أزلية غير حادثة فهذا الدليل لا ينفع في هذه الحالة .

وهنا أشار أمير المؤمنين ع إلى أمر عقلي ، والقرآن والرواية يشيران إلى هذا الأمر العقلي ، فالقرآن أو الرواية تشير إلى هذا الأمر العقلي ولا تؤسسه ، فالقاعدة العقلية موجودة عند كل إنسان ، والقرآن أو الرواية تنبه الإنسان إلى القاعدة العقلية الموجودة عنده ، ودور الأنبياء والرسل ع هو "ليثيروا دفائن العقول" كما في رواية .

فلسفتنا – السيد الشهيد محمد باقر الصدر ص ٣٤٨ تحت عنوان "لماذا تحتاج الأشياء إلى علة ؟" : نتناول الآن ناحية جديدة من مبدأ العلية ، وهي الإجابة عن السؤال التالي : لماذا تحتاج الأشياء إلى أسباب وعلل ، فلا توجد بدونها ؟ وما هو السبب الحقيقي الذي يجعلها متوقّفة على تلك الأسباب والعلل ؟ وهذا سؤال نواجهه بطبيعة الحال بعد أن آمنّا بمبدأ العلية ؛ فإن الأشياء التي نعاصرها في هذا الكون ما دامت خاضعة بصورة عامة لمبدأ العلية ، وموجودة طبقا لقوانينها ، فيجب أن نتساءل عن سر خضوعها لهذا المبدأ . . . وقد حصلت هذه الأسئلة على أربع نظريات لمحاولة الإجابة عنها : أ– نظرية الوجود : وهي النظرية القائلة : إن الموجود يحتاج إلى علة ؛ لأجل وجوده ، وهذه الحاجة ذاتية للوجود . . . ب–نظرية الحدوث : وهي النظرية التي تعتبر حاجة الأشياء إلى أسبابها مستندة إلى حدوثها ، فالانفجار أو الحركة أو الحرارة إنما تتطلب لها أسبابا ؛ لأنها

أمور حدثت بعد العدم ، فالحدوث هو الذي يفتقر إلى علة . . . . انتهى

تعليق :

إشكال ستيفن هوكنج يأتي على نظرية الوجود ، فالإله موجود ، فيحتاج إلى علة لكي يوجد ، ولكن نظرية الوجود باطلة .

ويحاول الملحدون نقض قانون السببية ليصلوا إلى أن الكون وُجِدَ صدفة وأنه لا يوجد مُوجِدٌ وخالقٌ للكون .

اختراق عقل – د. أحمد إبراهيم – ص ٦٧ : لما كان لدليل السببية كل هذا الحضور البدهي لدى الناس جميعا عامّيّهم وعالمهم في قضية إثبات وجود الخالق جل وعلا ، فقد نال مؤخرا النصيب الأكبر من محاولات الملاحدة الطعن فيه أو محاولة إسقاطه ولو بادعاء عدم تعميمه بأي شكل متسترين في ذلك بستار العلم زعموا ، وكان من أشهر تلك المحاولات قولهم : ١-ميكانيكا الكم هدمت السببية . . . . انتهى

الصدفة المطلقة في مقابل السببية :

الصدفة على قسمين : الصدفة المطلقة وهي التي تقابل قانون السببية ، وأما الصدفة النسبية فهي ممكنة وواقعة أيضا .

الأسس المنطقية للاستقراء السيد الشهيد محمد باقر الصدر ص٥٧ : والصدفة قسمان : صدفة مطلقة وصدفة نسبية : فالصدفة المطلقة هي أن يوجد شيء بدون سبب إطلاقا ، كغليان الماء إذا حصل دون

أي سبب ، والصدفة النسبية هي أن توجد حادثة معيّنة نتيجة لتوفر سببها ، ويتفق اقترانها بحادثة أخرى . انتهى

الدليل العقلي الرابع : الحدوث :

أثبتت العلوم الطبيعية والبراهين العقلية أن وجود المادة حادث غير قديم ، والمادة لها بداية ونهاية ، والحادث بحاجة إلى علة لحدوثه ، فالحدوث يحتاج إلى محدِث تبعا لقانون العلية والمعلولية أي قانون السببية ، حيث نرى أن العالم حادث لأنه لم يكن ثم وُجِدَ ، فالشيء الحادث هو المسبوق بعدمه ، والشي القديم هو غير المسبوق بعدمه ، فالحدوث يقابله القِدَم ، والحادث يقابله القديم ، ومعيار حاجة الكائنات – بوصفها معلولات – إلى الخالق – بوصفه علة العلل – لأنها حادثة ، والشيء إذا لم يكن حادثا فهو غني عن العلة ولا يحتاج إلى علة ، وإذا لا يحتاج إلى علة فهو واجب الوجود ، والمحدث للمادة شيء غير المادة قطعا ، وهو شيء غيبي غير مادي .

وتوجد في العالم حركة ، والحركة هي الخروج من القوة والاستعداد إلى الفعلية تدريجيا ، أو الزوال والحدوث المستمرّين ، وأكبر شاهد هو الإنسان حيث نرى أنه لم يكن موجودا ثم يوجد ، ويكبر تدريجيا من الطفولة إلى المراهقة إلى الشباب إلى الكهولة ، والحياة حركة دبّت في المادة ، وهي حركة واعية هادفة حرة ، فتوجد وراء المادة قوة مدرِكة واعية ، قوة تكمن وراء هذه الحياة ، وهذه القوة هادفة تعمل لغاية وحكمة ، وهي حرة مختارة ، وهي فاعلة قادرة على كل شيء ، ونرى

أيضا أن الحيوانات والأشجار تبدأ صغيرة وتكبر تدريجيا إلى أن تموت ، وتوجد أيضا تغيرات أخرى مثل تغيرات المناخ من الحر والبرد والليل والنهار ، فالعالم كله في حركة ، والحركة هي الحدوث والزوال المستمرّين .

ونرى أيضا أن العالم متغيّر ، وكل متغيّر حادث حيث لم يكن التغير موجودا ثم وُجِدَ ، والتغير هو خروج تدريجي من القوة والاستعداد إلى الفعلية ، والتغيّر هو طروّ حالة وجودية جديدة لم تكن موجودة سابقا ، والمتغيِّر كان يفتقد هذه الحالة الوجودية ثم أفيضت عليه ، والعلم الحديث أثبت أن للعالم بداية ، وتم تقدير عمر العالم بعدة ملايين أو مليارات من السنين بناء على نظرية الانفجار الكبير ، وتقديره هو ١٣,٧ مليار سنة تقريبا ، وهذا معناه أن العالم حادث إذ لم يكن موجودا ثم وُجِدَ ، ويمكن توظيف نظرية الانفجار الكوني الكبير – إن صحّت – لصالح دليل الحدوث والإيمان بوجود الإله الخالق المحدِث حينما نجيب عن السؤال : من الذي أحدث الانفجار الكبير؟

والعلماء الملحدون يتهربون من الإجابة على هذا السؤال ، يقول ستيفن هوكينج : إذا كنّا نعلم بعض ما حدث منذ الانفجار الكبير فإننا لا نستطيع تحديد من أحدث هذا الانفجار ، إثارة هذا السؤال يجب أن لا يشكّل أي جزء من تصورنا العلمي للكون ، علينا أن نكتفي بالقول : إن الانفجار الكبير هو بداية الزمان . (نقلا عن

كتاب أفي الله شك للشيخ مرتضى فرج ، وذكر المصدر : كيف بدأ الخلق لعمرو شريف هامش ص٤٢)

ذهب أنتوني فلو في كتابه "فرضية الإلحاد" إلى أن الوجود قديم أي لا بداية له ، وفي كتابه "هناك إله" غيّر قناعته .

يقول أنتوني فلو : "من أساسيات المنهج العقلي في الفلسفة أن ننطلق عند تحليلنا لأي نظام من نقطةِ بدايةٍ لا تطرح لها سببا ولا تطلب لها تفسيرا .

وقد اعتبر الفلاسفة الملحدون وجود الكون والقوانين الطبيعية التي تتحكّم فيه هي نقطة البداية التي لا يطلبون لها تفسيرا عند دراسة كل ما يتعلّق بالكون ، أما الفلاسفة المؤلِّهة فيعتبرون وجود الإله الخالق لهذا الكون ولقوانينه الطبيعية هي نقطة البداية التي ليس لها تفسير ، لذلك لم أكن أرى فرقا منهجيّا بين طرح المؤمنين وطرح الملاحدة ، فلكليهما نقطة بداية لا يُطْلَبُ لها تفسير " . انتهى .

ثم يضيف فلو : "كانت هذه تصوّراتي قبل أن يطرح علماء الكونيّات نظرية الانفجار الكوني الكبير ، كأكثر النظريات قبولا لتفسير بداية خلق الكون ، وتؤكّد النظرية أن الكون نشأ نتيجةً لانفجار هائل في نقطة تتجاوز كل قوانين الفيزياء المعروفة ، وتسمّى هذه النقطة "المفردة" ، لقد ثبت أن الكون له بداية ترجع إلى حوالي ١٣,٧ بليون سنة مضت .

لم يقف الأمر عند ذلك ، فقد طرح العلم مفهوما آخر شديد الدلالة ، وهو أن الكون قد نشأ من عدم ، فها هو الفيزيائي إدوارد تريون يخبرنا عام ١٩٧٣ أن طاقة الكون عند بدايته كانت صفرا ؛ لأن قوة الجاذبية المِمْسِكَة بعناصر الكون تُمَثَّلُ بالسالب في المعادلات الفيزيائية ، إذ أنها تعمل في اتجاه معاكس للقوى الأخرى كالقوة الطاردة المركزية التي تدفع بالإلكترونات بعيدا عن النواة ، وتدفع بالكواكب بعيدا عن شموسها ، كذلك إذا عادلنا عادلنا الشحنات الموجبة بالشحنات السالبة لذرات الكون أصبحت طاقة الكون صفرا .

كذلك يؤكّد ستيفن هوكنج ومؤسّسو فيزياء الكمّ أن الفيزياء الحديثة تشير إلى نشأة الكون من عدم .

لا شك أن الفلاسفة الملحدين قد أصيبوا بالإحباط ، لقد قدّم العلمُ الدليلَ على أمرين شديدي الأهمية :

الأول : أن للكون بداية ، وأنه ليس مُغْرَقًا في القدم إلى ما لا نهاية .

والثاني : أن الكون نشأ من عدم .

وهذا ما حاول الفلاسفة المؤمنون إثباته عقليّا على مدى مئات السنين .

عندما التقيت لأول مرة (كفيلسوف ملحد) بنظرية الانفجار الكوني الكبير التي تصدّت لتفسير وجود الكون ، أدركت أنني أواجه نظرية مختلفة ، نظرية تتمشّى مع ما يطرحه سفر التكوين "في البداية خلق

الإله السماوات والأرض" ، وإذا كان الأمر كذلك فلم يعد هناك مفرّ من البحث عمّن أحدث هذه البداية" .

ثم يتحدّث فلو عن محاولة الفيزيائيّين البحث عن مخرج ، فيقول : "في البداية لم يتصوّر علماء الكونيّات الأبعاد الفلسفيّة والمعرفيّة الكبيرة وراء نظرية الانفجار الكوني الكبير التي توصّلوا إليها ، وعندما أدركوا الموقف بدأوا في البحث عن مخرج مادّيّ يفسّر كيف كانت بداية نشأة الكون .

حاول ستيفن هوكنج الخروج من المشكلة في كتابه تاريخ موجز للزمن بأن قال : إذا كان لا مفرّ من الإقرار بأن للكون بداية فلا بأس من القول بكونٍ مُكَثَّفٍ بذاته (أي أنشأ نفسَه بنفسِه) ، ما أجملها من مقولة أدبيّة ! وما أبعدها عن الدليل والبرهان العلمي والفلسفي !

وكمحاولة يائسة يعلن الفيزيائي إدوارد تريون أنه يمكن تفسير بداية الكون ببساطة بأنه أحد الأشياء التي يمكن أن تحدث تلقائيّا من وقت لآخر ! هل يكون ذلك آخر ما في جعبة العلماء الملحدين؟!

وأخيرا لم يجد هوكنج مفرًّا من الإقرار بأنه يستحيل فيزيائيّا معرفة كيف بدأ الانفجار الكبير .

كذلك رفض أساطين فيزياء الكم أن نشأة الكون من عدم كانت نشأة تلقائية .

إن إثبات أن طاقة الكون كانت صفرا عند نشأته لا يعني انتفاء الحاجة إلى خالق ، كيف تُعْطَى طاقةٌ مقدارُها صفر كل ما في الوجود من حولنا من بناء وإبهار وجمال ؟!" .

بعد ذلك يتحدّث فلو عن الفلاسفة ومحاولتهم البحث عن مخرج ، يقول : "لم يقبل الفلاسفة الملحدون الإقرار بأن الإله هو الذي خلق الكون ، ويبنون رفضهم على تبنّيهم لمبدأ التّحقّق (ما لا نستطيع أن نرصده بحواسّنا لا وجود له) ، وقد فنّدت مقدّمة الكتاب مذهب الفلسفة الوضعيّة المنطقيّة التي ترفض مجرّد مناقشة مفهوم الإله .

ومن أشدّ المعارضين للبحث عن مصدرٍ لنشأة الكون فيلسوف الإلحاد الشهير ديفيد هيوم ، ولا شكّ أن أهم أخطاء هيوم المنهجيّة رفضه لمفهوم ارتباط السّبب بالنتيجة (العلة والمعلول) ، واعتبار أن العلاقة بينهما لا تخرج عن توافق بالمصادفة ، ومن ثم فلا معنى للبحث عن سبب نشأة الكون أو لنشأة أي شيء آخر . (من هامش أفي الله شك للشيخ مرتضى فرج ص٣٢٢ : للاطلاع على رأي هيوم ومناقشته وتفنيده راجع كتاب الأسس المنطقية للاستقراء للسيد محمد باقر الصدر ص٨٩-١١٦)

ويستمر الفلاسفة الملحدون بالمماحكة (أي المجادلة) ، فيقولون إن العدم "شيء" قديم لا أول له ، ويرفضون اعتباره "لا شيء"! ويصرّون على إمكانيّة نشأة الطاقة والمادّة تلقائيّا من هذا العدم القديم" .

يقول فلو : "تصدّى ريتشارد سوينبرن (الفيلسوف المؤمن) لادّعاءات الملحدين . . . يقول سوينبرن : إذا كان العدم يمتدّ إلى ما لا نهاية في القدم ، وإذا كان للكون بداية ، فَلِمَ نشأ الكونُ في هذا الوقت الذي نشأ فيه؟ لِمَ تُرِكَ الكونُ دون نشأة لفترة ثم حدث في وقت ما في الزمن اللانهائي أن خرج الكون للوجود؟ لا بدّ أن هناك عاملا مرجِّحا (خلاّقا مبدعا) دفعه للوجود" .

ثم يقول فلو : "يخبرنا الفيلسوف الكبير جون ليسلي أن المفاهيم الفيزيائية كلها ، السائدة الآن أو السائدة وقت الانفجار الكبير ، لا تتعارض مع القول بإله خَلَقَ الكونَ من عدم .

وأخيرا نعود إلى ستيفن هوكنج فنجده يقول مضطرّا : إذا كانت هناك معادلات تشير إلى احتمال نشأة شيء من لاشيء فستظل هذه المعادلات دائما في حاجة إلى من ينفخ فيها القدرة على الفِعْل ، فالمعادلات لا تَخْلُقُ ، لكنها تصف الفِعْل ، ويضيف مضطرّا (في حوار معه بعد نشر كتاب موجز الزمن) : إن توصّلنا لمعادلات تشرح كيف بدأ العالَم لا يعني أن الإله غير موجود ، ولكن يعني أنه لم يخلق الكون عشوائيّا ، ولكنه خلقه تبعا لقوانين" . (من هامش أفي الله شك للشيخ مرتضى فرج ، وذكر المصدر : رحلة عقل لعمرو شريف ، ص٧٩-٨٢ ، ويعلق الشيخ مرتضى فرج : لكن أعاد ستيفن هوكنج النظر في موقفه ، وحاول تفسير نشأة الكون مع الاستغناء عن فرضيّة وجود الإله في كتابه النظم العظيم ٢٠١٠ م)

ونطرح هنا سؤالا : ما هي علة الانفجار الكبير لأن هذا الانفجار حادث؟ وما هي علة أي نظام من الأنظمة لأن هذا النظام حادث؟

إن الحادث يحتاج إلى علة محدِثة له حتى يوجد ، وهذه العلة لا يمكن أن تكون حادثة ، وإذا كانت حادثة فإنها تحتاج إلى علة محدثة له ، فلا بد أن تكون العلة قديمة أزلية غير حادثة ، ولا بد أن يكون وجود العلة من ذاته ولا يفاض عليه .

بالإضافة إلى أن نفس الحركة والتّغيّر أمران حادثان ، فيحتاجان إلى محرِّك ومغيِّر ، والمحرِّك والمغيِّر لا يمكن أن يكونا نفس المتحرِّك أو المتغيِّر ، لأن الحركة والتّغيُّر هما خروج بالتدريج من القوة إلى الفعل ، والمتحرِّك والمتغيِّر قبل تحرّكه وتغيّره يكونان فاقدين للفعلية ، فيستحيل أن يوجِدا الفعلية ؛ لأن فاقد الشيء لا يعطيه ، إن الكون المستمر في التّغيّر لا بد أن ينتهي إلى علة أوّليّة قائمة بذاتها لأن تسلسل العلل إلى ما لا نهاية مستحيل .

دليل الحدوث عند المتكلمين :

يضع المتكلمون دليل الحدوث على هيئة قياسين ، ويأخذون نتيجة القياس الأول ويضعونها مقدمة صغرى في القياس الثاني ، كما يلي :

القياس الأول :

المقدمة الصغرى : العالم لا يخلو من الحركة والسكون (أو العالم متغيِّر)

المقدمة الكبرى : الحركة والسكون كلاهما حادث (أو كل متغيِّر حادث)

النتيجة : العالم حادث

القياس الثاني :

المقدمة الصغرى : العالم حادث

المقدمة الكبرى : كل حادث له محدِث (أو كل حادث له سبب وعلة)

النتيجة : العالم له محدِث (أو العالم له سبب وعلة)

القرآن الكريم ونظرية الانفجار الكبير :

يرى البعض أن عدة آيات قرآنية أشارت إلى هذه النظرية ، منها :

"أولم ير الذين كفروا أن السماواتِ والأرضَ كانت رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كلَّ شيءٍ حيٍّ أفلا يؤمنون" (الأنبياء٣٠)

في الرّتق تتحدّث الآية عن المفردة ، وفي الفتق تتحدّث عن الانفجار الكبير .

"والسماءَ بنيناها بأيدٍ وإنّا لموسعون" (الذاريات٤٧)

تتحدّث الآية عن التمدّد المستمرّ للكون .

"ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين" (فصلت١١)

تتحدّث الآية عن تحوّل الجُرْم الأول عند فتقه إلى دخان .

"يوم نطوي السماءَ كطيِّ السِّجِلِّ للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنّا كنّا فاعلين" (الأنبياء١٠٤)

تتحدّث الآية عن عودة الكون بكل ما فيه ومن فيه إلى جرم ابتدائي واحد مشابه للجرم الأول الذي ابتدأ منه الخلق (مرحلة الرّتق الثاني أو طيّ السماء أو الانسحاق الأعظم للكون) ، وحتميّة فتق هذا الجرم الثاني أي انفجاره (مرحلة الفتق للجرم الثاني) ، وحتميّة تحوّل الجرم الثاني بعد فتقه إلى دخان كوني .

"يومَ تُبَدَّلُ الأرضُ غيرَ الأرضِ والسماواتُ وبرزوا لله الواحد القهار" (إبراهيم٤٨)

تشير الآية إلى إعادة خلق الأرض غير أرضنا الحالية ، وإعادة سماوات غير السماوات التي تظلّنا اليوم ، وبداية رحلة الآخرة .

ملاحظة هامة :

على الرغم من وجود إشارات في القرآن الكريم إلى بعض النظريات العلمية ، ولكن علينا الانتباه بأن لا ندّعي أنها دالة قطعا على ذلك ؛ لأن النظريات العلمية قابلة للتغيير عبر الزمان ، وهذا فيه خطورة على القرآن الكريم ، وأقصى ما نقوله إنها إشارات علمية لتنبيه العلماء كل في مجال تخصّصه ليبحثوا أكثر إلى أن يصلوا إلى حقائق الأمور في العلوم المختلفة .

القرآن الكريم وبرهان الحدوث :

القرآن الكريم يخاطب الفطرة السليمة والعقل السوي في الإنسان ، وقد يشير إلى برهان الحدوث الآيات التالية :

"أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون" (الواقعة ٥٨-٥٩)

"أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون" (الواقعة ٦٣-٦٤)
"أفرأيتم النار التي تورون أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون" (الواقعة ٧١-٧٢)
"أم خلقول من غير شيء أم هم الخالقون أم خلقوا السماوات والأرض بل لا يوقنون" الطور٣٥-٣٦
"أيشركون ما لا يخلق شيئا وهو يخلقون" الأعراف١٩١
"والذين يدعون من دون الله لا يخلقن شيئا وهم يخلقون" النحل٢٠
"ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون" (الروم٢٠)
"الذي له ملك السماوات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا واتخذوا من دونه ءالهة لا يخلقون شيئا وهو يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا" الفرقان ٢-٣

فهم وجدوا من غير شيء وانتقلوا من العدم إلى الوجود ، فيكونون حادثين ، والحادث يحتاج إلى علة محدثة ، وهم ليسوا العلة المحدثة لأنهم حادثون ، والحادث لا يخلق نفسه لأنه كان معدوما قبل حدوثه ، فلا بد أن يكون الخالق غيرهم ، والخالق لا بد أن يكون قديما أزليّا غير حادث ، فكيف يشركون ويتخذون الحادث شريكا مع الله ، وَيَدْعُونَ الحادثَ الذي لا يستجيب لهم ، ويتخذون الحادث إلها من دون الله مع أن الحادث لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرّا ولا موتا ولا

حياة ولا نشورا ، والخالق هو الذي بيده كل شيء يقع للحادث ، فهو الذي يقدّر ويقضي ، والحادث لا يملك لنفسه شيئا .

بعبارة أخرى :

كل شيء حادث إما أنه مخلوق من غير علة وإما أن يكون هو علة نفسه وإما أن تكون علته هو الإله ، والاحتمال الأول يتنافى مع مبدأ السببية البديهي ، والاحتمال الثاني ساقط بالوجدان لأنه لم يكن موجودا لكي يقوم بأي فعل ، فيكون الاحتمال الثالث هو المتعيّن ، لذلك تأتي بعض الآيات الكريمة بصيغة السؤال الاستنكاري .

الروايات الشريفة وبرهان الحدوث :

وفي الروايات ما يشير إلى برهان الحدوث ، منها :

ورد عن أمير المؤمنين ع أنه قال : "الحمدلله الدال على وجوده بخلقه ، وبمحدَث خلقه على أزليّته" . نهج البلاغة خطبة١٥٢

وعنه ع : "الحمدلله الدّالّ على قدمه بحدوث خلقه ، وبحدوث خلقه على وجوده . . . مستشهد بحدوث الأشياء على أزليّته" . نهج البلاغة خطبة١٨٥

وعنه ع : "الحمدلله . . . لم يتقدّمه وقت ولا زمان" . نهج البلاغة خطبة١٨٢

دخل رجل على أبي الحسن الرضا ع فقال له : يا ابن رسول الله ، ما الدليل على حدث العالم؟ قال ع : أنت لم تكن ثم كنت ، وقد

علمتَ أنك لم تكوِّن نفسَك ، ولا كوّنك من هو مثلك . (التوحيد للشيخ الصدوق ص٢٩٣ ح٣)

عن الإمام الصادق ع حيث سأله أبو شاكر الديصاني : ما الدليل على أن لك صانعا؟ فقال ع : وجدت نفسي لا تخلو من إحدى جهتين : إما أن أكون صَنَعْتُها وكانت موجودة ، فقد استغنيت بوجودها عن صنعتها ، وإن كانت معدومة فإنك تعلم أن المعدوم لا يحدث شيئا ، فقد ثبت المعنى الثالث أن لي صانعا ، وهو الله رب العالمين . (التوحيد للشيخ الصدوق ص٢٩٠ ح١٠)

سأل ابن أبي العوجاء الإمام الصادق ع : ما الدليل على حدث الأجسام ؟ فقال ع : "إني ما وجدت شيئا صغيرا ولا كبيرا إلا وإذا ضمّ إليه مثله صار أكبر ، وفي ذلك زوال وانتقال عن الحالة الأولى ، ولو كان قديما ما زال ولا حالَ ؛ لأنّ الذي يزول ويحول يجوز أن يوجد وَيَبْطُل ، فيكون بوجوده بعد عدمه دخولا في الحدث ، وفي كونه في الأزل دخوله في القدم ، ولن تجتمع صفة الأزل والعدم والحدوث والقدم في شيء واحد" . فقال عبد الكريم : هَبْكَ (هامش : هبك : أي افرض نفسك أنك علمت ما مضى وسلمنا ذلك لك . (آت) .) علمت في جري الحالتين والزمانين على ما ذكرت واستدللت بذلك على حدوثها ، فلو بقيت الأشياء على صغرها من أين كان لك أن تستدل على حدوثهن ؟ فقال العالم ع : "إنما نتكلم على هذا العالم الموضوع ، فلو رفعناه ووضعنا عالما آخر كان لا شيء

أدلّ على الحدث من رفعنا إياه ووضعنا غيره ، ولكن أجيبك من حيث قدّرت أن تلزمنا فنقول : إن الأشياء لو دامت على صغرها لكان في الوهم أنه متى ضمّ شيء إلى مثله كان أكبر ، وفي جواز التغيير عليه خروجه من القدم ، كما أن في تغييره دخولَه في الحدث ، ليس لك وراءه شيء يا عبد الكريم" . (الكافي ج١ ص٧٧ باب حدوث العالم وإثبات المحدِث من كتاب التوحيد ص٩٩-١٠٠ ح٢)

قوله ع :" إن الأشياء لو دامت على صغرها لكان في الوهم أنه متى ضمّ شيء إلى مثله كان أكبر ، وفي جواز التغيير عليه خروجه من القدم ، كما أن في تغييره دخولَه في الحدث" ، المقصود منه أنه لا توجد حاجة إلى فعلية التغيير ، بل يكفي لإثبات الحدوث أن ندرك بعقولنا قابلية التغيير ؛ لأن القديم الأزلي لا يقبل التغيير .

ملاحظة :

في دليل الحدوث نظرنا إلى المتحرّك والمتغيّر بوصفهما حادثين ، فنظرنا إلى الحركة كمقدّمة لإثبات الحدوث ، وأما في الدليل الخامس فننظر إلى الحركة نفسها وأنها تدل على وجود الإله الخالق .

الدليل العقلي الخامس : الحركة :

دليل الحركة موروث عن الفيلسوف اليوناني أرسطو ، فقد تعرّض أرسطو إلى هذا الموضوع في قسم الطبيعيات من فلسفته ، وأثبت في هذا الدليل أن المحرِّك الأول يجب أن يكون غير متحرِّك وإلا وقع محذور الدور أو التسلسل . (نقلا عن كتاب أفي الله شك للشيخ

مرتضى فرج ، وذكر المصدر : الفيزياء : السَّماع الطبيعي لأرسطو ، المقالة السابعة ، الفصل الأول ، البرهان على وجود المحرِّك الأول ، ص٢١٣-٢١٦ ، ترجمة عبد القادر قينيني ، دار أفريقيا الشرق ، المغرب ، ١٩٩٨ .)

والدور معناه أن الشيء يكون علة لنفسه ، والتسلسل معناه عدم انتهاء سلسلة العلل وأنها لا تقف عند علة أولى غير معلولة لعلة قبلها .

يقول أرسطو : الموجود الحادث كان موجودا بالقوة ، والموجود بالقوة هو المادة الأولى التي أصبحت موجودا بالفعل بعد قبول الصورة الفعلية والاتحاد مع ذلك الموجود بالفعل ، كالبذرة التي هي نبات بالقوة ، ولكن بعد أن تأخذ صورة النبات وتتّحد معها تصبح نباتا بالفعل ، وحينئذٍ يقال إن الحركة هي عبارة انتقال الشيء من مقام القوة إلى مقام الفعل ، وكل حركة لا بد لها من محرِّك . (نقلا عن كناب أفي الله شك للشيخ مرتضى فرج ، وذكر المصدر : القواعد الفلسفية العامة في الفلسفة الإسلامية للدكتور غلام حسين الديناني ج١ ص١٨٣-١٨٥)

دليل الحركة على هيئة قياس من الشكل الأول :

المقدمة الأولى : العالم متحرِّك

المقدمة الثانية : وكل متحرِّك لا بد له من محرِّك

المقدمة الثالثة : المحرِّك إما متحرِّك وإما غير متحرِّك

المقدمة الرابعة : المحرِّك إذا كان متحرِّكا فلا بد أن ينتهي إلى محرِّك غير متحرِّك (تفاديا للدور أو التسلسل)

النتيجة : العالم له محرِّك غير متحرِّك

مفهوم الحركة :

الحركة – بالمعنى الفلسفي – هي التغيّر وخروج الشيء من القوة بحسب إمكاناته إلى الفعل ووجوده الواقعي بصورة تدريجية ، فالحركة سير تدريجي للوجود ، وتطوّر للشيء في درجات الوجود حسب إمكانات هذا الشيء ، وهو تغيّر مُتَدَرّج يحصل في إحدى صفات الجسم وحالاته ، والشيء في كل مرحلة من مراحل الحركة يخرج من إمكان إلى فعلية ، والقوة والفعلية تكونان مرتبطتين في جميع مراحل الحركة ، وحينما تنتهي جميع الإمكانات يقف الشيء ولا يتحرك ، والحركة في كل مرحلة ذات لونين : فمن ناحية الحركة هي فعلية وواقعية لأن الدرجة التي تسجّلها المرحلة موجودة بصورة واقعية وفعلية ، ومن ناحية أخرى الحركة هي إمكان وقوة للدرجات الأخرى الأعلى مكانة من الدرجة التي قبلها في المراحل الجديدة .

مثال :

الكائن الحي الذي يتطوّر بحركة تدريجية من البويضة إلى النطفة إلى الجنين إلى الطفل إلى المراهق إلى الشاب إلى الكهل ، وحينما يكون بويضة بالفعل يكون نطفة بالقوة ، وحينما يكون نطفة بالفعل يكون جنينا بالقوة ، وهكذا في بقية المراحل يكون شيئا بالفعل وشيئا آخر

بالقوة ، فالحركة في هذا الكائن ازدوجت فيها الفعلية والقوة معا ، والتطوّر يتكوّن من شيء بالفعل وشيء آخر بالقوة ، وهكذا تستمر الحركة ما دام الشيء يحتوي على الفعلية والوجود والقوة والإمكان معا ، وإذا انتهى الإمكان ولم تبق في هذا الشيء طاقة على درجة جديدة تنتهي حركة الشيء وتطوّره ، ويثبت في مرحلة واحدة ولا ينتقل إلى مرحلة جديدة .

وهذا هو معنى خروج الشيء من القوة إلى الفعل تدريجيا ، أو تشابك القوة والفعل أو اتحادهما في الحركة ، وهذا هو المفهوم الفلسفي الدقيق للحركة . (من كتاب أفي الله شك للشيخ مرتضى فرج ، وذكر المصدر : فلسفتنا للسيد الشهيد محمد باقر الصدر ص١٩٨-٢٠٢ ، مع بعض التصرف في عبارات السيد الشهيد)

ويعلق الشيخ مرتضى فرج : ويمكن أن نستنتج مما تقدّم أن الشيء إذا كانت له فعلية تامة فلا تتصور فيه الحركة ، بل يكون له ثبات تام ، والحركة تستبطن نحو من النقصان ، لذا لا يوجد في ذات الإله الخالق حركة على الإطلاق . (أفي الله شك للشيخ مرتضى فرج ، هامش ١ ، بتصرف في العبارات)

التغيّر أمر بديهي :

إن وجود التغيّر في عالم الطبيعة لا يحتاج إلى إثبات لأنه بديهة ، فنحن نرى تغيّر الأشياء أمامنا بأعيننا ، ولكن وقع الاختلاف في ماهية التّغيّر وحقيقته ، وفي هذا البحث لن ندخل في تفاصيل

الاختلاف بسبب تعقيده ، ولا نحتاجه في بحثنا ، فأصل الحركة والتغير ثابت ، وهو ما نحتاجه في إثبات وجود الإله الخالق .

مجالات الحركة :

فلاسفة اليونان القدماء كأرسطو وأتباعه وبعض الفلاسفة المسلمين كابن سينا يعتقدون أن للحركة أربعة مجالات عَرَضِيَّة ، وهي :

١-الحركة في المكان : كحركة السيارة في الطريق .

٢-الحركة في الكمية : كزيادة النبات وتحوّله إلى شجرة .

٣-الحركة في الوضع : كحركة الأرض حول نفسها .

٤-الحركة في الكيفية : كالتغيّر التّدريجيّ في لون وطعم ورائحة الثمرة .

وكانوا يعتقدون أن الحركة في الجوهر أمر مستحيل ، وأن الحركة لا مفهوم لها ما لم يوجد جوهر ثابت يتعرّض للحركة .

دليل الحركة عند أرسطو :

دليل الحركة يقال له "دليل المحرِّك الأول" يقوم على الإيمان بامتناع تسلسل العلل والأسباب إلى ما لا نهاية ، وخلاصة الدليل هو أن الحركة تحتاج إلى محرِّك أو قوة محرِّكة ، وكل محرِّك إما أن يكون متحرِّكا وإما أن يكون ثابتا غير متحرِّك ، فإن لم يكن متحرِّكا فذلك المحرِّك هو الإله الخالق ، وأما إذا كان المحرِّك متحرِّكا – كالموجود المادي الذي له جسم فإنه متغيِّر متحرِّك – فإن حركته لا بد أن تكون ناتجة عن محرِّك آخر ، والتسلسل في الأمور المترتّبة غير المتناهية مستحيل ، وهكذا تنتهي سلسلة الحركات إلى محرِّك غير متحرِّك ، وهذا المحرِّك يكون من

وراء الطبيعة ، والذي هو المحرِّك الأول وهو الإله الخالق الذي يكون ثابتا غير متحرِّك وغير متغيِّر ، فذاته ثابتة غير متغيِّرة ، وهو الله تعالى .

دليل الحركة عند توماس الأكويني :

توماس الأكويني (١٢٢٥-١٢٧٤) فيلسوف العصور الوسطى الإيطالي المتأثر بفلسفة أرسطو وابن سينا في كتابه الخلاصة اللاهوتيّة عرض خمسة طرق لإثبات وجود الإله ، والطريق الأول هو دليل الحركة ، يقول الأكويني : "الطريق الأول – والأكثر إبانة – هو التدليل عن طريق الحركة ، فمن الواضح المؤكِّد لحواسّنا وجود بعض الأشياء المتحرِّكة في العالم ، وكلّ ما هو متحرِّك فهو متحرِّك بمحرِّك آخر ، إذ لا شيءَ بمتحرِّك ما لم يكن ابتداءً موجودًا بالقوة ويتحرَّك بشيء آخر موجودا بالفعل ؛ لأن الحركة ليست شيئا آخر سوى أن يتحوَّل شيء ما من القوة إلى الفعل ، ولكن أيُّ شيءٍ لا يمكن أن يتحوَّل من القوة إلى الفعل إلا بوساطة شيءٍ يكون في حالةِ فعلٍ ، وهكذا ، فذلك الذي يكون حارًّا بالفعل مثل النار تجعل الخشب الذي هو حارٌّ بالقوة حارًّ بالفعل ، وبهذه الطريقة يحرِّكه ويغيِّره .

والآن ليس من الممكن لشيء من الأشياء أن يكون موجودا بالقوة وبالفعل في آن واحد وفي نفس الاعتبار ، بل لا بد أن يكون في واحد من هذين الوضعين المختلفين ؛ لأن ما هو حارّ بالفعل لا يمكن أن يكون حارّا بالقوة في الوقت نفسه ، إذن فمن المحال أن

يكون شيء من الأشياء على وجه ونحو واحد محرِّكا ومتحرِّكا في آن واحد ، وحتى في هذه الحالة المحالة لا بد أن يحرِّك ذاته ، وهكذا ، فكل ما يتحرَّك لا بد أن يتحرَّك بمحرِّك آخر ، وإذا كان ذلك الذي به يتحرَّك شيء ما هو ذاته متحرِّك فلا بد أن يكون هو ذاته أيضا بحاجة إلى متحرِّك آخر يحرِّكه ، وهذا الآخر بحاجة إلى آخر أيضا ، لكن هذا الحال لا يمكن أن يستمر إلى ما لا نهاية ، وبخلاف ذلك لن يكون هناك محرِّك أوّل ولا محرِّك آخر ، وللنظر إلى تتالي الحركات ، إنها تتحرَّك فقط طالما كانت متحرِّكة بالمحرِّك الأول ، شأنها شأن العصا المتحرِّكة باليد التي تحرِّكها وحسب .

وبالنتيجة لا بد لنا أن نصل إلى محرِّك أوّل غير متحرِّك بآخر ، وكل إنسان يفهم أن هذا المحرِّك الأول هو الله . (نقلا عن كتاب أفي الله شك للشيخ مرتضى فرح ، وذكر المصدر : الخلاصة اللاهوتية لتوماس الأكويني ، نقلا عن كتاب الدين من منظور فلسفي لروبرت س. سولمون ، ترجمة حسون السراي ، ص٧٤-٧٥ ، العارف للمطبوعات ، ط١ ، ٢٠٠٩)

نظرية الحركة الجوهرية لملا صدرا :

وضع الفيلسوف صدر الدين الشيرازي نظرية الحركة العامة ، وعبر عنه بـ "طريقة الخليل" ويقصد طريقة إبراهيم ع في حواره مع عبدة الكواكب حيث وظّف دليل الحركة لتعريفهم برب الكون ، وبرهن – فلسفيا – على أن الحركة لا تمسّ ظواهر الطبيعة وسطحها وأعراضها

فقط ، بل الحركة في الظواهر والأعراض ليست إلا جانبا من التطور يكشف عن جانب أعمق ، وهو التطور في صميم الطبيعة وحركتها الجوهرية ، وأثبت أنه لا يمكن أن توجد حركة في الأعراض إذا لم تكن مستندة إلى حركة في الجوهر ، والحركة الظّاهريّة العَرَضِيَّة تكشف عن حركة باطنيّة ذاتيّة جوهريّة ، والتغير الذي يطرأ على ظواهر وأعراض الأجسام مردّه إلى تغير في جوهر تلك الأجسام .

ملاحظة :

الحركات والتحوّلات التي تحدّث عنها علماء الفيزياء داخل الذرة أو داخل الكواكب ليست هي الحركة الجوهرية ؛ لأن الحركة الجوهرية هي حركة نابعة من بواطن الأشياء وصميمها ، فإذا لم توجد حركة نابعة من جوهر الشيء وذاته فلا يمكن أن توجد حركة في سطحه وظاهره ، فحركة الذرة – مثلا – تحدث بفضل الحركة الجوهرية ، فهي حركة في الحركة ؛ لأن حركة الأعراض تكون ضمن حركة الجوهر ، وحركة الأعراض هي إحدى النتائج الظاهرة لنظرية الحركة الجوهرية . (نقلا بتصرف من كتاب أفي الله شك للشيخ مرتضى فرج ، وذكر المصدر : الله خالق الكون للشيخ جعفر الهادي ص٥٦٠-٥٦١)

دليل الحركة على ضوء نظرية الحركة الجوهرية : (نقلا من كتاب أفي الله شك للشيخ مرتضى فرج ، وذكر المصدر : الحكمة المتعالية لملا صدرا ، الجزء الأول من السفر الثالث ، مج٨ ، ص٤٢-٤٤ ، مع اختصار وتصرف في العبارات)

عالم المادة بأسره والكون بجميع ذرّاته عبارة عن حركة أي أنه في حالة تجدّد متواصل مستمر وصيرورة دائمة لا كينونة ثابتة ، وخلق العالم لم يحدث في البداية ثم انتهى الأمر ، بل له خلق جديد في كل آن ، والتغير المستمر يشير إلى ارتباط العالم بمبدأ ثابت لا يعتريه التغير ، وهذا يشير إلى واجب الوجود الأزلي الأبدي السرمدي ، وهذا يعني حاجة العالم إلى علة أصيلة لا في البداية فقط ، بل هي حاجة مستمرة على الدوام ، كحاجة شعاع الشمس إلى الشمس حتى يستمر الشعاع ، فمتى ما انطفأت الشمس فلا شعاع ينطلق منها ، ولو فرضنا – جدلا – أن لا وجود للإله الخالق فلا وجود للكون ، والعالم في حالة صيرورة دائمة وتغير مستمر وحركة دائمة في الأعراض والجوهر ، لذلك فإن العالم يحتاج باستمرار إلى ذلك المبدأ لكي يمدّه بالوجود في كل آن ، ويحرّكه من القوة إلى الفعل ، وبهذا يثبت بالحركة الجوهرية احتياج العالم إلى واجب الوجود عند نشوئه ، واحتياجه إليه أيضا في بقائه ، بل وفقا للحركة الجوهرية لا مفهوم للبقاء أصلا ؛ لأن العالم خَلْقٌ وَحُدوثٌ دائم متواصل مستمر ، فالعالم بكل ما فيه من موجودات يشبه شعاع الشمس الذي يتواصل ويتجدّد باستمرار من خلال ارتباطه بالشمس ، فكما أن الشعاع يتجدّد في كل آن فهو بحاجة إلى العلة التي تمدّه في كل آن ، كذلك معرفة معنى الحركة يكفي لمعرفة حاجة العالم وموجوداته إلى واجب الوجود الأزلي الأبدي ، فالعالم بالنسبة للإله الخالق كنسبة شعاع الشمس إلى الشمس .

دليل الحركة عند السيد الشهيد محمد باقر الصدر :

صاغ السيد الشهيد هذا الدليل صياغة جديدة ، وعبّر عنه بـ "الدليل الفلسفي" ، ثم وظّف هذا الدليل في إثبات الصانع الحكيم ، والدليل الفلسفي هو الدليل الذي يعتمد – لإثبات واقع موضوعي في العالم الخارجي – على معلومات عقلية ، والمعلومات العقلية هي المعلومات التي لا تحتاج إلى إحساس وتجربة ، كمبدأ عدم التناقض القائل إن "أ" هي "أ" ولا يمكن أن لا تكون "أ" ، والدليل الفلسفي قد يعتمد على معلومات حسية أو استقرائية ، ولكنه لا يكتفي بها ، بل يعتمد إلى جانب ذلك أو بصورة مستقلة على معلومات عقلية للاستدلال على القضية التي يريد إثباتها ، ويمكننا أن نثق بالمعلومات العقلية التي يعتمد عليها الدليل الفلسفي . (نقلا من كتاب أفي الله شك للشيخ مرتضى فرج ، وذكر المصدر : الأسس المنطقية للاستقراء للسيد الشهيد محمد باقر الصدر ، مع اختصار وتصرف في العبارات)

الدليل الفلسفي عند السيد الشهيد لإثبات الصانع :

يعتمد هذا الدليل على ثلاثة أمور ، وهي :

الأمر الأول :

القضية البديهية القائلة "كل حادثة لها سبب تستمد منه وجودها" ، وهذه القضية فطرية عند الإنسان ، ويؤكّدها الاستقراء العلمي .

الأمر الثاني :

القضية القائلة "كلّما وجدت درجات متفاوتة من شيء ما بعضها أقوى وأكمل من بعض فليس بالإمكان أن تكون الدرجة الأقل كمالا والأدنى محتوى هي السبب في وجود الدرجة الأعلى" ، مثلا الحرارة لها درجات ، والمعرفة لها درجات ، والنور له درجات ، بعضها أشدّ وأكمل من بعض ، فيستحيل أن تنبثق درجة أعلى من الحرارة من درجة أدنى منها ، ويستحيل أن يكتسب الإنسان معرفة كاملة بلغة من اللغات من شخص لا يعرف منها إلا قدرا محدودا أو يجهلها تماما ، ويستحيل لدرجة نور ضئيلة أن تحقّق درجة نور أشدّ ؛ لأن كل درجة أعلى تمثِّل زيادة نوعيّة وكيفيّة على الدرجة الأدنى منها ، وهذه الزيادة النوعية يستحيل أن يمنحها من لا يملكها ، ففاقد الشيء لا يعطيه ، أي أن من يفقد شيئا فإنه يستحيل أن يعطي هذا الشيء لأحد ، مثلا من عنده مائة دينار يستحيل أن يعطي مائة وواحد .

الأمر الثالث :

المادة في تطوّرها المستمر تتّخذ أشكالا مختلفة في درجة تطوّرها ، فالجزيء من الماء الذي لا حياة فيه يمثِّل شكلا من أشكال الوجود للمادة ، ونظفة الحياة التي تساهم في تكوينه النباتُ والحيوانُ البروتوبلازم تمثِّل شكلا أرفع لوجود المادة ، والأميبا التي تعتبر حيوانا مجهريّا ذا خليّة واحدة تمثِّل شكلا في وجود المادة أكثر تطوّرا ، والإنسان هذا الكائن الحي الحسّاس المفكِّر يعتبر الشكل الأعلى من أشكال الوجود على الأرض .

سؤال :

يأتي هنا السؤال التالي حول هذه الأشكال المختلفة من الوجود :

هل الفارق بين هذه الأشكال مجرّد فارق كمّيّ في عدد الجزيئات والعناصر وفي العلاقات الميكانيكية بين الجزيئات والعناصر أو هو فارق نوعيّ وكيفيّ يعبّر عن درجات متفاوتة من الوجود ومراحل من التطور والتكامل؟

بعبارة أخرى :

هل الفارق بين التراب والإنسان الذي تكوّن من التراب فارق عدديّ فقط أو فارق بين درجتين من الوجود ومرحلتين من التطور والتكامل كالفارق بين الضوء الضعيف والضوء الشديد؟

الجواب :

آمن الإنسان بفطرته بأن هذا الأشكال المختلفة عبارة عن درجات من الوجود ومراحل من التطور والتكامل ، فالحياة درجة أعلى من الوجود للمادة ، والدرجة فيها الحياة درجات مختلفة أيضا ، وكلما اكتسبت الحياة مضمونا جديدا عبّرت عن درجة أكبر ، لذلك كانت حياة الكائن الحسّاس المفكّر أعلى درجة من حياة النبات .

جواب أصحاب الفكر المادي :

الفكر المادي خالف في ذلك بناء على اعتقاده بالنظرية الميكانيكية في تفسير الكون ، ويقولون في جوابهم بأن العالم الخارجي يتكوّن من جسيمات صغيرة متماثلة ، تؤثّر عليها قوى بسيطة متشابهة ، جاذبة

وطاردة ضمن قوانين عامة ، وعمل هذه الجسيمات يقتصر على التأثير بتحريك بعضها للبعض من مكان إلى مكان آخر ، وبهذا الجذب والطرد تتجمّع أجزاء وتتفرّق أجزاء أخرى فتتنوّع أشكال المادة .

وعلى هذا الأساس حصرت المادية الميكانيكية التطور والحركة بحركة الأجسام والجسيمات من مكان إلى مكان آخر ، وفسّرت الأشكال المختلفة للمادة بأنها طرق متعدّدة لتجمّع تلك الجسيمات وتوزّعها ، دون أن يحدث من خلال تطور المادة أيّ شيء جديد ، فالمادة لا تنمو في وجودها ، ولا تترقّى في تطوّرها ، وإنما تتجمّع وتتوزّع بطرق مختلفة ، كالعجينة بيدك حينما تشكّلها بأشكال مختلفة ، وتظل دائما هي العجينة نفسها دون أيّ شيء جديد .

الرد على أصحاب الفكر المادي :

تنوّع أشكال المادة لا يعود إلى مجرّد نقلة مكانيّة ، بل يعود إلى ألوان من التطور النوعي والكيفي ، وأي تركيب عددي للجسيمات لا يشكِّل حياة أو إحساسا أو فكرا ، وهذا يجعلنا أمام تصور يختلف كل الاختلاف عن التصور الذي تقدّمه المادية الميكانيكية ، فإننا نرى في الحياة والإحساس والفكر عملية نمو حقيقية في المادة ، وتطور نوعي في درجات وجودها .

النتيجة :

توجد ثلاث قضايا ، وهي :

١-كل حادثة لها سبب .

٢-الأدنى لا يكون سببا لما هو أعلى منه درجة .

٣-اختلاف درجات الوجود في هذا الكون وتنوّع أشكاله كيفيّا .

وعلى ضوء هذه القضايا الثلاث توجد في الأشكال النوعيّة المتطوّرة نموا حقيقيّا وتكاملا في وجود المادة وزيادةً نوعيّةً فيه .

سؤال :

من أين جاءت هذه الزيادة النوعية؟ وكيف ظهرت هذه الإضافة الجديدة ما دام أن لكلّ حادثة سببا؟

الجواب :

يوجد رأيان :

الرأي الأول :

جاءت هذه الزيادة النوعية من المادة نفسها ، فالمادة التي لا حياة فيها ولا إحساس ولا فكر أبدعت من خلالِ تطوّرِها الحياةَ والإحساسَ والفكرَ ، أي أن الشكل الأدنى من وجود المادة كان هو السبب في وجود الشكل الأعلى درجة ، وهذا هو رأي أتباع داروين الملاحدة حيث يتحدثون عن تراكم تدريجي على فترات زمنية طويلة جدّا ، ويقولون بحدوث طفرات فجائية نقلت الكائنات الحية من حالة إلى حالة أشدّ تطورا وتعقيدا بسبب تفاعلات عضوية داخلية وبيئية خارجية .

الرد على الرأي الأول :

هذا الرأي يتعارض مع القضية الثانية القائلة بأن "الشكل الأدنى درجة في الوجود يستحيل أن يكون سببا لما هو أعلى منه درجة" ، فلا يمكن افتراض أن المادة الميتة التي لا تنبض بالحياة تمنح لنفسها أو لغيرها الحياة والإحساس والتفكير ، وهذا يشابه افتراض أن الضوء الضعيف يمكن أن يعطي ضوءًا أشدّ كضوء الشمس .

الرأي الثاني :

هذه الزيادة النوعية التي تعبّر عنها المادة من خلال تطوّرها جاءت من مصدر يتمتّع بكل ما تحتويه تلك الزيادة الجديدة من حياة وإحساس وفكر ، وهو الإله الخالق للكون ، وهو الله تعالى ، وليس نموّ المادة إلا تنمية وتربية يمارسها رب العالمين بحكمته وتدبيره وربوبيّته .

"ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين" (المؤمنون١٢-١٤)

إن الرأي الثاني هو الرأي الوحيد الذي ينسجم مع القضايا الثلاث السابقة ، وتستطيع أن تعطي تفسيرا معقولا لعملية النمو والتكامل في أشكال الوجود في هذا الكون الواسع .

إن حركة المادة بدون تموين وإمداد من الخارج لا يمكن أن تحدِث تنميةً حقيقيّةً وتطوّرا إلى شكل أعلى ودرجة أكبر ، فلا بد لكي تنمو المادة وترتفع إلى مستويات عليا – كالحياة والإحساس والتفكير – من ربّ

يتمتّع بتلك الخصائص ليستطيع أن يمنحها للمادة ، وليس دور المادة في عمليات النمو إلا دور الصلاحية والاستعداد والتهيؤ والإمكان ، وهذا يشابه الطفل الصالح والمتهيّئ لتقبل الدرس من مربّيه . (نقلا بتصرف من كتاب أفي الله شك للشيخ مرتضى فرج ، وذكر المصدر : موجز في أصول الدين للسيد الشهيد محمد باقر الصدر)

ملاحظة :

سنأتي بعد ذلك لطرح نظرية التطور لداروين ، ومناقشة المادية الداروينية .

دليل الحركة في القرآن الكريم :

حوار إبراهيم ع مع عبدة الكواكب :

"كذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين" الأنعام ٧٥-٧٩

نبّه القرآن الإنسان إلى ما يقع في العالم من حركة وتغيّر ، فذكر حركة الشمس والقمر والليل والنهار :

"والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون" يس ٣٨-٤٠

وذكر القرآن الظل الذي يشير إلى وقوع الحركة والتغيّر في العالم :

"ألم تر إلى ربك كيف مدّ الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا" (الفرقان٤٥-٤٦)

وذكر القرآن الجبال التي نحسبها جامدة ، ولكنها في واقعها متحركة :

"وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مرّ السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون" (النمل٨٨)

وذكر القرآن النبات وما فيه من حركة وتغيّر ، والنبات مثال لما يجري في الحياة الدنيا على سائر الموجودات ، فإنها تنشأ وتنمو وتصل إلى ذروة قوتها ثم تذبل وتنتهي :

"سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوّى والذي قدّر فهدى والذي أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى" (الأعلى١-٥)

"واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا" (الكهف٤٥)

وذكر القرآن الإنسان الذي يجري عليه قانون الحركة والتغيّر كما يجري على باقي الموجودات :

"الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير" (الروم٥)

دليل الحركة في الروايات الشريفة :

سأل ابن أبي العوجاء الإمام الصادق ع : ما الدليل على حدث الأجسام ؟ فقال ع : "إني ما وجدت شيئا صغيرا ولا كبيرا إلا وإذا ضمّ إليه مثله صار أكبر ، وفي ذلك زوال وانتقال عن الحالة الأولى ، ولو كان قديما ما زال ولا حالَ ؛ لأنّ الذي يزول ويحول يجوز أن يوجد وَيَبْطُل ، فيكون بوجوده بعد عدمه دخولا في الحدث ، وفي كونه في الأزل دخوله في القدم ، ولن تجتمع صفة الأزل والعدم والحدوث والقدم في شيء واحد" . فقال عبد الكريم : هَبْكَ علمت في جري الحالتين والزمانين على ما ذكرت واستدللت بذلك على حدوثها ، فلو بقيت الأشياء على صغرها من أين كان لك أن تستدل على حدوثهن ؟ فقال العالم ع : "إنما نتكلم على هذا العالم الموضوع ، فلو رفعناه ووضعنا عالما آخر كان لا شيء أدلّ على الحدث من رفعنا إياه ووضعنا غيره ، ولكن أجيبك من حيث قدّرت أن تلزمنا فنقول : إن الأشياء لو دامت على صغرها لكان في الوهم أنه متى ضمّ شيء إلى مثله كان أكبر ، وفي جواز التغيير عليه خروجه من القدم ، كما أن في تغييره دخولَه في الحدث ، ليس لك وراءه شيء يا عبد الكريم" . (الكافي ج١ ص٧٧ باب حدوث العالم

وإثبات المحدِث من كتاب التوحيد ص٩٩-١٠٠ ح٢ ، هبك : افرض نفسك أنك علمت ما مضى وسلمنا ذلك لك .)

ما روي عن الإمام الصادق ع حينما قال له ابن أبي العوجاء : ما منعه إن كان الأمر كما تقول أن يظهر لخلقه ويدعوهم إلى عبادته حتى لا يختلف منهم اثنان؟ وَلِمَ احتجب عنهم وأرسل إليهم الرسل؟ ، ولو باشرهم بنفسه كان أقرب إلى الإيمان به . فقال ع : "ويلك! وكيف احتجب عنك من أراك قدرته في نفسك؟! نشوؤك ولم تكن، وَكِبَرُكَ بعد صِغَرِكَ ، وقوّتك بعد ضعفك، وضعفك بعد قوتك، وسقمك بعد صحّتك، وصحّتك بعد سقمك، ورضاك بعد غضبك، وغضبك بعد رضاك، وحزنك بعد فرحك، وفرحك بعد حزنك، وحبّك بعد بغضك، وبغضك بعد حبّك، وعزمك بعد إبائك، وإباؤك بعد عزمك، وشهوتك بعد كراهتك، وكراهتك بعد شهوتك، ورغبتك بعد رهبتك، ورهبتك بعد رغبتك، ورجاؤك بعد يأسك، ويأسك بعد رجائك، وخاطرك بما لم يكن في وهمك، وعزوب (أي غياب) ما أنت معتقده من ذهنك" . ويقول ابن أبي العوجاء تعليقا على كلام الإمام ع : وما زال يعدّ عليّ قدرته التي في نفسي التي لا أدفعها حتى ظننت أنه (أي أن الله سبحانه) سيظهر فيما بيني وبينه . (البحار ج٣ ص٤٢-٤٣ ب٣ من كتاب التوحيد ح١٨ ، التوحيد للشيخ الصدوق باب القدرة ص١٢٧ ح٤)

الدليل العقلي السادس : برهان الصديقين لصدر الدين الشيرازي :

برهان الصديقين لا يحتاج إلى واسطة في إثبات وجود الإله ، فلا نحتاج إلى الاستدلال بحدوث العالم لإثبات محدِث الأشياء ، كما يقول المتكلِّمون ، ولا الاستدلال بالحركة لإثبات وجود المحرِّك ، وأن كل المحرَّكين لا بد أن ينتهوا إلى محرِّك غير متحرِّك ، وهو المحرِّك الأول ، كما يقول أرسطو ، ووفي جميع هذه الاستدلالات تم الاستدلال بعالم المخلوقات لإثبات وجود الخالق ، فتم الانتقال من الشاهد الظاهر إلى الغائب الباطن الذي هو الإله الخالق .

وقد هاجم العرفاء المسلمون الفلاسفة المؤمنون بوجود الإله هجوما عنيفا لأن الفلاسفة يستدلون على وجود الإله من خلال المخلوقات ، ويقولون بأن العالم ظاهر ، والإله خفي مستور ، لذلك سعى الفلاسفة المؤمنون بالإله إلى طرح استدلال عقلي لا تكون فيه المخلوقات واسطة في إثبات وجود الإله الخالق .

مثلا ابن سينا قسّم الموجودات إلى واجب وممكن ، وبيّن حاجة الممكن إلى وجود المرجِّح ، واعتمد على امتناع الدور والتسلسل في العلل ، وفي دليل ابن سينا لم تكن المخلوقات واسطة في الإثبات .

وصدر الدين الشيرازي لم يقبل استدلال ابن سينا ، فعلى الرغم من عدم اتخاذ المخلوقات واسطة في الإثبات ، ولكن الإمكان الذي هو من خواص الماهيات جاء واسطة في الإثبات ، فكان كباقي

الاستدلالات ، ونرى بأن برهان الصديقين لم يعتمد على مسألة بطلان الدور والتسلسل ، أو الانتقال من الأثر إلى المؤثِّر ، ومن المخلوق إلى الخالق ، ومن الممكن إلى الواجب ، لإثبات وجود الإله ، وإنما هو تحليل للوجود نفسه وحقيقة الوجود ، وبذلك نصل إلى الإله من خلال ذاته ، فهذا البرهان لا واسطة فيه ، وإنما يتوجه مباشرة إلى مطالعة الوجود –بما هو وجود– ليصل في النتيجة إلى أن هناك وجودا واجبا ينبع وجوده من ذاته .

ومن خلال برهان الصديقين نصل إلى إثبات وجود الإله ، وإلى إثبات وحدانيته ، وعلمه ، وحكمته ، وسائر صفاته الكمالية ، واتحاد الصفات بذات الإله ، ويثبت بذلك النظم في الكون بلا حاجة إلى مبدأ العلية أو إثبات بطلان الدور والتسلسل ، وفي الحقيقة لا يمكن الوصول إلى المعرفة الحقيقية الاستدلالية – في رأي فلاسفة المسلمين – إلا عن طريق برهان الصديقين .

وبرهان الصديقين له صياغات كثيرة ، وكل واحد اشتغل في تطوير برهان الصديقين حاول أن يصل إلى القمة والذروة بالتقليل من عدد المقدمات المؤدية إلى النتيجة ، ويرى البعض بأن العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي – صاحب تفسير الميزان – بلغ القمة في بيان برهان الصديقين حيث لم يستند في بلوغه النتيجة إلا إلى مسألة فلسفية بديهية واحدة تتعلّق ، وهي "واقعية الوجود" .

صياغة السيد كاظم الحائري لبرهان الصديقين :

وهذه الصياغة للسيد كاظم الحائري حفظه الله (في كتابه أصول الدين ص٤٣-٤٤) ، يقول : سمي هذا الدليل ببرهان الصديقين لأنه خال من الاستدلال بغير واجب الوجود على وجود واجب الوجود ، وإنما هو استدلال بواجب الوجود على وجود واجب الوجود ، ويقوم على تحليل الوجود إلى وجود ذاتي مستقل ووجود ربطي تعلقي ، والوجود الذاتي المستقل هو الواجب ، والوجود الربطي التعلقي هو الممكن .

التوضيح :

نحن لا نشك في تحقق أصل الوجود ، وهذا الوجود إما أن يكون مستقلا ، وإما أن لا يكون مستقلا أي يكون فقيرا محتاجا ومتعلِّقا بالوجود المستقل ومرتبطا به فيكون عين التعلّق والربط ، ولا يمكن أن يتعلَّق الفقير ويرتبط بفقير آخر لأن الفقير لا يغني الفقير ، فالذي ليس له وجود ذاتي يستحيل أن يعطي وجودا ربطيّا وتعلقيّا ، والوجود الذاتي هو واجب الوجود ، والفقير الناقص المحدود المحتاج هو عين الربط والتعلّق بواجب الوجود ، وواجب الوجود لا يمكن أن يكون معدوما في أي لحظة لا في الماضي ولا في الحاضر ولا في المستقبل ، فهو سرمدي أي أزلي قديم وأبدي باقي ، والأزلي هو ما لا بداية له ، والأبدي هو ما لا نهاية له ، ولولا وجود العلة لما وجد المعلول ، والمعلول ليس له وجود مستقل في مقابل العلة ، فوجود المعلول مدين للعلة ، ووجود المعلول منبثق من العلة ، والوجود التبعي لا يكون إلا تبعا للوجود الذاتي لأن الوجود التبعي عين الربط والتعلق ، والربط

والتعلق ليس ذا طرفين بل له طرف واحد وهو العلة ، والمعلول هو عين الربط والتعلق ، ويكون المعلول وجودا متقوِّما بوجود العلة ، والوجود المستقل هو عين الوجود بذاته لا يدخله العدم ، ويكون واجب الوجود ، وأيضا لا يمكن أن يكون واجب الوجود محدودا بأي حدّ لأن الحدّ عبارة عن نقص ، وواجب الوجود لا يمكن أن يكون فيه نقص في أي جهة من الجهات ، فالوجود المستقل الذاتي يطرد كل حد من الحدود ، فيكون علمه مطلقا ، وقدرته مطلقة ، وصفاته مطلقة ، وهو قوة فعّالة لها جميع صفات الكمال من كل جهة ، وهي تؤثر ولا تتأثر ، وهي المبدأ الأول للخلق والتدبير ، وهذا الواجب الوجود الذي لا يحدّه حدّ هو الإله الخالق للكون ، وطالما أنه يطرد كل حد من الحدود فإنه يؤدي إلى طرد الشريك واستحالة تعدد واجب الوجود ، فلو تعدد واجب الوجود لكان كل واحد منهما حدًّا للآخر لأن أحدهما ينتهي حيث يبدأ الآخر .

برهان الصديقين في النصوص الدينية :

"شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم" آل عمران١٨

الله تعالى يشهد لنفسه بالوحدانية ، والآية ربما تشير إلى أن الملائكة وأولو العلم عندما يشهدون أن لا إله إلا هو فهذه الشهادة هي شهادة من الله لنفسه بالوحدانية ؛ لأن الملائكة وأولي العلم هم آيات الله الدالة عليه والمضمحلة فيه .

"أو لم يكف بربك أنه على كل شهيد" فصلت٥٣

الله على كل شيء شهيد ، الشهادة لغة هي الخبر القاطع وإظهار العلم بشيء علم معاينة وحضور ، وشهادة الإنسان شهادة محدودة ضمن حواسّنا وتقيدنا بالزمان والمكان ، والله سبحانه غير مقيّد بالحواس ولا بالزمان والمكان ، وهذا معناه وجود موجود مطلق غير محدود وغير مقيد بشيء ، وهذا الوجود المطلق يكون على كل شيء شهيد ؛ لأنه سبحانه داخل في الأشياء لا كدخول شيء في شيء ، وخارج عن الأشياء لا كخروج شيء عن شيء ، فهو غير منفصل عنها حتى تكون شهادته سبحانه كشهادتنا المحدودة .

"والله من ورائهم محيط" البروج٢٠

الإحاطة لا تكون إلا إذا كان الوجود المطلق مهيمن على الوجودات الأخرى .

"هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم" الحديد٣

الشيء إذا كان أولا فلا يمكن أن يكون آخرا في نفس الوقت ، والشيء إذا كان ظاهرا فلا يمكن أن يكون باطنا في نفس الوقت ، ولكن الله هو الأول والآخر والظاهر والباطن في نفس الوقت ، لذلك فهو وجود مطلق ، ومع كونه وجودا مطلقا يكون بكل شيء عليما .

"الله نور السماوات والأرض" النور ٣٥

النور هو الشيء الظاهر بذاته والمظهر لغيره ، والوجود المطلق كالنور الذي يظهر الأشياء المظلمة ، ومن دون النور نقع في ظلام دامس ،

ويوجد فرق بين الوجود المطلق والنور ، والفرق هو أنه يكون للأجسام وجود والنور يظهرها ، ولكن لا وجود للأشياء بدون الله ، فهو الذي يوجدها ويخلقها وهو الذي يظهرها .

-عن أمير المؤمنين ع : "كلُّ ظاهر غيرَه غيرُ باطن ، وكلُّ باطن غيرَه غيرُ ظاهر" . (نهج البلاغة خطبة ٦٣)

الله هو الظاهر وهو الباطن في نفس الوقت كما مرّ في الآية السابقة .

-عن أمير المؤمنين ع : "لا يَجُنُّهُ البطون عن الظهور ، ولا يقطعه الظهور عن البطون" . (نهج البلاغة خطبة ١٩٣، يَجُنُّهُ : يُخْفِيهِ)

الشيء إذا كان باطنا فهذا يخفيه عن الظهور ، وإذا كان ظاهرا فهذا يقطعه عن البطون ، ولكن الله هو الظاهر الباطن .

-عن الإمام علي ع في دعاء الصباح : "يا من دلّ على ذاته بذاته ، وَتَنَزَّهَ عن مجانسة مخلوقاته" . بحار الأنوار ج١٨ باب ٦٦ ص٤٨٦ ، الطبعة الحجرية .

-عن أبي عبدالله ع قال : قال أمير المؤمنين ع : "اعرفوا الله بالله ، والرسول بالرسالة ، وأولي الأمر بالأمر بالمعروف والعدل والإحسان" . (الكافي ج١ ص٨٥ باب أنه لا يعرف إلا به من كتاب التوحيد ح١)

يدعونا أمير المؤمنين ع إلى معرفة الله بشكل مباشر ، وجميع الأشياء هي عين التعلق به تعالى ، وهي مجرد آلة تدل على وجود الله ، والنظر إلى الأشياء بأنها مستقلة فإنه يؤدي إلى الضلال .

-عن الإمام الحسين ع : "كيف يستدلّ عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك ، أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك؟! متى غبت حتى نحتاج إلى دليل يدل عليك ؟! ومتى بَعُدْتَ حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك؟! . . . يا من تجلى بكمال بهائه . . . كيف تخفى وأنت الظاهر ؟! أم كيف تغيب وأنت الرقيب الحاضر؟!" . (دعاء الإمام الحسين ع في مناجاة يوم عرفة)

-عن الإمام زين العابدين ع في دعاء أبي حمزة الثمالي : "بك عرفتك وأنت دللتني عليك ، ودعوتني إليك ، ولولا أنت لم أَدْرِ ما أنت" . (دعاء أبي حمزة الثمالي)

الإمام زين العابدين ع عرف الله بالله ، دون الحاجة لمعرفته بمخلوقاته ، وحينما ينظر إلى المخلوقات فلا وجود لها بذاتها لأنها عين التّعلّق والربط به تعالى ، والله جعلها آية تدل إليه ، والله هو الذي دلنا عليه ، ودعانا إليه حتى لو نظرينا إلى مخلوقاته ، ولولا الله الذي جعل العالم آية تدل عليه لما أمكننا أن نعرفه .

-عن ابن حازم قال : قلت لأبي عبدالله ع : إني ناظرت قوما فقلت لهم : إن الله جلّ جلاله أجلّ وأعزّ وأكرم من أن يعرف بخلقه بل بالعباد يعرفون بالله . فقال ع : "رحمك الله" . (الكافي ج١ ص٨٦ كتاب التوحيد باب أنه لا يعرف إلا به ح٣)

أقرّ الإمام الصادق ع بأن معرفة الله تكون بالله أعلى شأنا من معرفة الله بمخلوقاته ، فالمخلوقات تُعْرَفُ بالخالق لا أن الخالق يُعْرَفُ بمخلوقاته .

في الأدلة السابقة كنا نستدل على وجود الإله بمخلوقاته ، ولكن في دليل الصديقين نستدل عليه بذاته ، فكما نتعرف على الأجسام من خلال النور الذي يُظْهِرُها ، ونتعرف على النور بذاته ، كذلك نتعرف على الأشياء من خلال الله الذي يُظْهِرُها للوجود ، ونتعرف على ذات الله بذاته ، ولكن الله مُنَزَّه عن مجانسة شيء مخلوقاته ، والله هو النور الحقيقي لأنه الظاهر بذاته ، وأما نور هذا العالم فهو ظاهر بذاته بمعنى من المعاني ، ولكنه معلول لشيء كالشمس أو المصباح ، والله هو الظاهر بذاته حقيقة لأنه غير معلول لأي شيء .

الدّليل العقلي السّابع : النّظم والنّظام الدّقيق أو التّصميم الذّكيّ :

وهو أكثر الأدلة الموجودة في القرآن الكريم والروايات الشريفة لأنها تناسب جميع الناس من العلماء وغير العلماء ، وهذا البرهان من قبيل الاستدلال بالأثر على المؤثر ، وكل شخص يمكنه أن يستفيد على حسب مستواه الذهني وقابليته العقلية ، وهذا الدليل ليس دليلا معقَّدا بل هو بسيط يتناسب مع جميع الأعمار ، وهو استدلال رائج في العلوم ، وعليه ارتفع صرح العلم في المدنية الحديثة ، وهذا الدليل في نمو مستمرّ بسبب تقدّم علوم الطبيعة والتجارب العلمية واكتشاف مناهج جديدة للبحث العلمي ، فهو دليل متجدِّد متطوِّر مع تطور

العلوم والمعارف الإنسانية ، وأي اكتشاف علمي عن أسرار الخلقة يضيف شيئا جديدا إلى هذا الدليل ، فأفضل طريق لمعرفة الخالق هو قراءة نظام الخلقة وأسرار الوجود وآيات الآفاق والأنفس .

وهذا الدليل له علاقة بشكر المنعم ، وهو يدرس أنواع النعم الإلهية ضمن النظام الكوني حيث يوجد ترابط وتناسق وانسجام بين أجزاء الكون لأجل تحقيق غرض معيَّن وغاية محدَّدة ، فتصميم العالم وتصميم الوحدات التي يتكون منها العالمَ تصميم مدروس بدقة ، فكل شيء له مكانه المعيَّن الخاص ، وكل شيء له غاية من وجوده في هذا المكان الخاص ، وكل شخص يمكنه أن يرى التصميم الدقيق للكون ، ويدرك منه العلم والعقل والحكمة والقدرة والإرادة والاختيار والتدبير في الخَلْق مهما كان الشخص أمّيّا وبسيطا ، فالنظم الدقيق في العالَم لا بد أن يكون وراءه منظِّم عليم قادر حكيم ، فالنظام الدقيق الموجود في الكون يدل على وجود مبدع عظيم أبدعه ، ويستحيل أن يكون النظم الدقيق وليد الصدفة أو وليد خصوصية في المادة ، وعلماء الطبيعة يقصرون جهودهم على الطبيعة نفسها من دون تعدٍّ إلى غيرها ، ولكنّ الأنبياء والإلهيين ينتقلون من عالم الظاهر إلى عالم الباطن وما وراء الطبيعة مستدلين بالآثار على مؤثرها ، ويصلون من ذلك إلى وجود قوة غيبية خلقت العالم ودبرته بالقوانين ، وعالم الوجود مركب من عالم الشهود وعالم الغيب ، والإنسان يرى جزءا من ذلك العالم المشهود عن طريق التجربة وغيرها ، وعالم الغيب مغمور تحت عالم

الشهود ، والطريق إلى عالم الغيب يكون عن طريق التدبر في الظاهر المشهود والعبور منه إلى الباطن ، ومنه إلى وجود خالق مدبر .

ومعرفة الشخص بتطوّر العلوم الطبيعية يزيد من دائرة إدراكه لصفات الخالق ، والأدلة التجريبية أكثر إقناعا للإنسان من الأمور العقلية التجريدية النظرية ؛ لأنها محسوسة ويراها أمامه ، وكل إنسان له طريق إلى معرفة وجود الإله الخالق أو وجود الله ، فالناس بشكل عام يعرفون الإله من طريق النظم والتصميم الذكي والأدلة التجريبية ، والفلاسفة يعرفون الإله بواسطة الأدلة العقلية ، فكل طبقة من الناس يصلون إلى معرفة الإله بواسطة أدلة خاصة بها ، والطريق العام لجميع البشر هو عن طريق دليل النظم والأدلة العلمية التجريبية ، فالطرق إلى معرفة الإله الخالق بعدد أنفاس البشر ، والبعض يصل إلى معرفة وجود الإله عن طريق الدعاء ، فيدعو ويرى استجابة دعائه حيث لا يمكن أن يحصل على مراده بالطرق الطبيعية ، كأن يشفي الإله مريضا ميئوسا من حالته ، والأطباء يقولون بأنه لا يمكن علاجه لأن مرضه استشرى في جسده ، فبينه وبين الموت أيام معدودة ، فيدعو ويرى استجابة دعائه ، فيعرف وجود إله أو قوة خفية قادرة على شفاء المرضى ، فيؤمن بوجوده مع أن هذا الطريق طريق شخصي حصل معه .

الأسس المنطقية للاستقراء – السيد الشهيد محمد باقر الصدر ص ٥٧٥-٥٧٦ : وهذه الحقيقة هي أن الأسس المنطقية التي تقوم عليها كل الاستدلالات العلمية المستمدة من الملاحظة والتجربة ، هي

نفس الأسس المنطقية التي يقوم عليها الاستدلال على إثبات الصانع المدبر لهذا العالم ، عن طريق ما يتصف به العالَم من مظاهر الحكمة والتدبير . . . فإن القرآن الكريم – بوصفه الصيغة الخاتمة لأديان السماء – قد قدّر له أن يبدأ بممارسة دوره الديني مع تطلّع الإنسان نحو العلم ، وأن يتعامل مع البشرية التي أخذت تبني معرفتها على أساس العلم والتجربة ، وتحدّد بهذه المعرفة موقفها في كل المجالات ، فكان من الطبيعي – على هذا الأساس – أن يتجه القرآن الكريم إلى دليل القصد والحكمة – بوصفه الدليل الذي يمثل المنهج الحقيقي للاستدلال العلمي ، ويقوم على نفس أسسه المنطقية– ، ويفضله على سائر الصيغ الفلسفية للاستدلال على وجود الله تعالى .

هذا إضافة إلى أن الدليل التجريبي على وجود الله – الذي يضع هذا الكتاب أساسه المنطقي – أقرب إلى الفهم البشري العام ، وأقدر على ملء وجدان الإنسان – أي إنسان – وعقله بالإيمان من البراهين الفلسفية ذات الصيغ النظرية المجردة التي يقتصر معظم تأثيرها على عقول الفلاسفة وأفكارهم . انتهى

تعليق :

القصد أي الاختيار ، والحكمة أي وجود غاية .

والقرآن الكريم يحث الناس على قراءة الكون ومفرداته وموجوداته لأجل الوصول إلى معرفة الإله الخالق ، واهتم المعصومون ع بهذا

الموضوع ، وخطب نهج البلاغة وتوحيد المفضَّل وبعض الاحتجاجات نموذج لهذا الاهتمام منهم ع .

"وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون" ٨٨

الله أتقن كل شيء ، دليل النظم أو دليل الإتقان حسب التعبير القرآني .

"قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا" الكهف١٠٩

"ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم" لقمان٢٧

كلمات الله هي موجودات الله تعالى ، وعلوم الطبيعة تدعو إلى الإيمان بوجود خالق للكون .

"ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور" فاطر٢٧-٢٨

ذكرت الآيات الآيات الطبيعية من إنزال المطر وإخراج الثمرات وغيرهما من الآيات المذكورة في الآيات ، والمناسب لهذه الآيات الطبيعية أن المقصود بالعلماء في الآية هم علماء الطبيعة الذي يكتشفون أسرارها وخفاياها .

مجموعة الآثار – الشيخ مرتضى المطهري – ج١ ص٥٣٧ فارسي

: برهان النظم : أسهل طريق وأوسعها لإقامة البرهان على وجود الله ، والموجودات هي بعنوان آيات أي علامات توصل إلى معرفة الله ، هذا النظم تستلزم وجود حكيم ومنظِّم . انتهى

والذي يكتشف قوانين الكون هو الإنسان فقط دون الكائنات الأخرى على الأرض ، وهذا ما نعلمه لحد الآن ، فالإنسان هو الذي يبني الحضارات والمدنيات ويتطور ، وأما الحيوانات فلا توجد عندها هذه القدرة على التغيير والتحضر والتمدن والتطوير ، فالإنسان يكتشف قوانين الأجزاء وارتباط هذه الأجزاء بالغاية التي خلقت لأجلها .

الجائزة الكونية الكبرى لغز ملاءمة الكون للحياة – بول ديفيز ص٢١ : إن الحيوانات الأخرى تشاهد نفس الظواهر مثلنا ، لكن المخلوق الوحيد على سطح هذا الكوكب الذي تمكن من تفسيرها هو الإنسان العاقل . انتهى

تعليق :

كلما تقدم الإنسان في العلوم الطبيعية استطاع أن يكتشف قوانين هذا العالم ودقة هذه القوانين وإتقانها ، ويلتقي البحث العلمي مع البحث العقلي الفلسفي ، ومن البحث العلمي نعرف النظم فقط ، ولكن لا نصل إلى المنظم لهذا النظم ، فالعلم يقول بأنه يوجد نظم وإتقان وتصميم ذكي ، فوظيفة العلوم هي المشاهدة ونقل ما يشاهد

، فالعلوم تقول يوجد دقة وإتقان في عالم الطبيعة ، والدليل العقلي الفلسفي يقول بأن كل نظم يحتاج إلى منظِّم عالم قادر حكيم ، فالعلوم الطبيعية تعطي المقدمات للعقل ، والعقل يصل إلى النتيجة التي هي وجود منظِّم للكون ، فالتجربة لوحدها لا توصل إلى وجود خالق ؛ لأن التجربة عبارة عن مشاهدات ، فعالم الطبيعة يشاهد وينقل ما شاهد ، لذلك تأتي الحاجة إلى الفلسفة والاستدلال العقلي للوصول إلى وجود خالق عالم قادر حكيم مختار مريد .

إن البحث العلمي تجريبي محسوس بالحواس ، والبحث الفلسفي معقول غير محسوس ، والبحث العلمي يبحث عن الفعل والشيء ، والبحث الفلسفي يبحث عن غاية الفعل وغاية الشيء ، وبالتالي يبحث عن المبدأ الغائي ، من الذي جعل الكون بهذه الكيفية وبهذا النظام ؟ ولماذا جعله بهذه الكيفية وبهذا النظام ؟ ، ويأتي في الفلسفة البحث عن النظام الأحسن ، والنظام الأحسن يرتبط بالغاية والمنظم لا بالفعل والنظم .

كتب عالم المعرفة رقم ٣ – التفكير العلمي – د. فؤاد زكريا ص٢٨ : وفي كثير من الحالات يلجأ العلم – بعد الوصول إلى النظرية العامة – إلى الاستنباط العقلي إذ يتّخذ من النظرية نقطة ارتكاز أو مقدمة أولى ، ويستخلص منها بأساليب منطقية ورياضية ما يمكن أن يترتب عليها من نتائج ، وبعد ذلك قد يقوم مرة أخرى بإجراء تجارب – من نوع جديد – لكي يتحقق من أن هذه النتائج

التي استخلصها بالعقل والاستنباط صحيحة ، فإذا أثبتت التجارب صحة تلك النتائج كانت المقدمات التي ارتكز عليها صحيحة . . . وهكذا يسير المنهج العلمي المعترف به في ضوء التطور الحاضر للعلم من الملاحظات إلى التجارب ثم إلى الاستنتاج العقلي وإلى التجارب مرة أخرى ، أي أن العنصر التجريبي والعنصر العقلي متداخلان ومتبادلان . انتهى

تعليق :

لذلك يقال من قوانين عالم الطبيعة يمكن استكشاف عقل الإله كيف يفكر وكيف ينظِّم .

رحلة عقل هكذا يقود العلم أشرس الملاحدة إلى الإيمان – د. عمرو شريف – تحت عنوان "قبل أن تقرأ هذا الكتاب" : "سير أنتوني فلو Sir Antony Flew" (أستاذ الفلسفة البريطاني) اسم ذائع الصيت في مجالات الفكر والفلسفة والإلحاد والتدين ! كان يُعَدُّ بحق من أكبر ملاحدة العصر الحديث ، وتعتبر كتاباته الغزيرة جدول أعمال الفكر الإلحادي طوال النصف الثاني من القرن العشرين .

في التاسع من ديسمبر عام ٢٠٠٤ ، فوجئ العالم بخبر ما زال صداه يتردد في الأوساط الفلسفية والعلمية والثقافية والدينية ، لقد أعلن أنتوني فلو (بعد أن بلغ من العمر ثمانين عاما) أنه قد صار يؤمن بأن "هناك إله" ، وقد أذاعت وكالة أنباء الأسوشيتدبرس الخبر بعنوان " "ملحد شهير يؤمن بالإله ، بدافع من الشواهد العلمية" . انتهى

وفي موضع آخر في الكتاب يقول : يقول أينشتين : أريد أن أعرف كيف خلق الإله الكون ، أريد أن أتعرف على أفكار الإله ، والباقي سيكون تفاصيل مُكَمِّلَة .

ويشبه آينشتين المعرفة الإنسانية عن الكون بطفل صغير داخل مكتبة ضخمة ، مليئة بمجلدات كتبت بلغات عديدة ، يدرك الطفل يقينا أن كتّابا كتبوا هذه الكتب ، ولكه لا يعرف كيف ، ولا يفهم اللغات التي كتبت بها ، كما يدرك أن الكتب قد رصّت داخل المكتبة بنظام ما ، لكنه لا يعرفه .

يشبه آينشتين تصور العقلاء من البشر عن الإله بهذا المثال ، يلمسون ما في الكون من نظام مبهر ، ويدركون أنه يتبع قوانين طبيعية رائعة ، لكنهم لا يفهمون عنها إلا القليل ، ومن ثَمَّ يدركون دون شك أن هناك قوة خفية وراء ذلك كله . انتهى

آلهة في مطبخ التاريخ ص٤٨ تحت عنوان "الفصل الرابع إله آنشتاين" : أنا لست ملحدا ، أنا متديّن ، غير مؤمن ، بهذا القول يعلن آنشتاين انفصاله عن كل انتماء ديني تقليدي ، وهو قول — على قِصَرِهِ — مكثّف وبه اختزال شديد ، يمكن إيضاحه أن آنشتاين لا يزال يمتلك هذا الحس البشري ، أي حسّ النزوع إلى إله ، وبهذا النزوع فهو متديّن ، أما قوله غير مؤمن فهو يرمي بكل الاعتقادات التقليدية بعيدا عن سلة عقله ووعيه ، ورغم كونه ينحدر من أصول

يهودية فإنه ليس يهوديا ، وأن إلهه ليس (يهوه) ، ولا يمتّ بحبل سري معه . انتهى

سؤال : ما الذي يثبته دليل النظم ؟

الجواب :

دليل النظم يثبت أمرين :

الأمر الأول :

يثبت وجود خالق للكون ، فيثبت وجود الخالق عن طريق آثاره ، فوجود الأثر يدل على وجود المؤثّر ، فإذا قرأنا كتابا فيه علم كثير عرفنا أن مؤلفه علامة ، وإذا تصفحنا كتابا فيه ذكر الأمراض وعلاجها أدركنا أن مؤلفه طبيب فهامة .

الأمر الثاني :

صفات الأثر يثبت بعض صفات الخالق ، من الحياة والحكمة والعلم والإدراك والقوة والقدرة والإرادة .

"سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد" فصلت ٥٣

"إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون" البقرة ١٦٤

"الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزّل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما" الطلاق١٢

"وما كان الله ليعجزه من شيء في السماوات ولا في الأرض إنه كان عليما قديرا" فاطر٤٤

وعن أمير المؤمنين ع : "وأقام من شواهد البيّنات على لطيف صَنْعَتِهِ وعظيم قدرته ما انقادت له العقول معترفةً به ومسلِّمةً له" . نهج البلاغة خطبة١٦٦ بتقسيم ابن أبي الحديد

في الحديث أن أبا شاكر الديصاني جاء إلى الإمام الصادق ع فقال له : يا جعفر بن محمد ، دُلَّنِي على معبودي . فقال ع له : اجلس . فإذا غلام صغير في كفّه بيضة يلعب بها ، فقال له أبو عبدالله ع : ناولني يا غلام البيضة . فناوله إيّاها .فقال أبو عبدالله ع : يا ديصاني ، هذا حصن مكنون ، له جلد غليظ ، وتحت الجلد الغليظ جلد رقيق ، وتحت الجلد الرقيق ذهبة مائعة وفضة ذائبة ، فلا الذهبة المائعة تختلط بالفضة الذائبة ، ولا الفضة الذائبة تختلط بالذهبة المائعة ، فهي على حالها ، لم يخرج منها خارج مصلح فيخبر عن صلاحها ، ولم يدخل فيها داخل مفسد فيخبر عن فسادها ، لا يُدْرَى للذكر خلقت أم للأنثى ، تنفلق عن مثل ألوان الطواويس ، أترى لها مدبِّرًا ؟! قال : فأطرق مليًّا ، ثم قال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، وأنك إمام وحجة من الله على خلقه ، وأنا تائب مما

كنت فيه . (الكافي للشيخ الكليني ج١ باب حدوث العالم ص١٠١-١٠٣ ، ح٤ .)

إن النظام الحاكم في الكون هو نظام واحد لا يوجد فيه أي خلل :

"الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير" الملك ٣-٤

النظام الواحد لجميع أجزاء عالم الوجود ، جعل كل عالم الوجود وحدة متكاملة متناسقة لها علاقات متبادلة متوازنة للبقاء والاستمرار في الوجود ، فلأجزاء عالم الوجود قوانين واحدة ونظام واحد بحيث لا تصطدم بعض الأجزاء بالبعض الآخر ، فالقانون الموجود في الذّرّات هو نفس القانون الموجود في المجرّات ، وهذا دليل على وحدة الخالق ، فالجزء متقن الصنع كالذرة ، والكل متقن الصنع كالمجرة ، فكل جزء جزء منظَّم ومصمَّم في نفسه لأجل الوصول إلى الغاية من الجزء ، والأجزاء فيما بينها تكون منظَّمة ومصمَّمة أيضا لأجل الوصول إلى الغاية من الأجزاء .

وهذه الوحدة في النظام هو الذي يجعل العلماء يصلون إلى قوانين كونية عامة باختبار بسيط على كوكب الأرض ، ولو كان يوجد إله آخر يدير جزءا من الكون لرأينا نوعين من الأنظمة التي يدار بها الكون ، ويكون لكل منهما مميزاته التي ينفرد بها ، وما نراه هو النظام الواحد الدال على وجود إله مدبِّر واحد ، فكل شيء في الوجود من

الذرة الصغيرة إلى أعظم المجرات يسير على نظام واحد ، ويوجد انسجام كامل بين كل الموجودات مع وجود التضاد بينها : من الحرارة والبرودة ، والحركة والسكون ، والضوء والظلمة ، وكل الموجودات تعمل في تعاون وانسجام وتناسق تام كامل ، كالانسجام بين النباتات والحيوانات ، فكل منهما يُكَمِّلُ الآخر ويحتاج إليه ، ولا يمكن أن تستمر حياة أحدهما بدون الآخر ، وكذلك يوجد انسجام بين الأرض والشمس والقمر وباقي الكواكب ، والنظم الموجود بين الظواهر المختلفة دال على الصانع الحكيم ، وتتجه الموجودات جميعها إلى غاية واحدة وهدف واحد كعمل الجسم الواحد المؤلف من أعضاء مختلفة وقوى متضادة ، يديرها جميعا عقل واع وإرادة حكيمة ، فلا بد من وجود خالق نَظَّمَ هذا الكون ، وأحكم كل شيء فيه ، ودبّر أمورها ، وهيمن عليها ، ووضع كل شيء في مكانه المناسب حتى يؤدي الغاية من وجوده على أكمل وجه ، ونرى أن بعض الموجودات بحاجة إلى موجودات أخرى ، والموجودات الأخرى تكون في خدمة الموجودات الأولى ، فالمرأة ورحمها ووجود حبل سري مصمم ليكون في خدمة المولود الجديد ، وعندما يولد يوجد نظام في جسم المرأة لتغذيته بالحليب المناسب لما يحتاجه من مواد غذائية تناسب جسده ، ولا يمكن للطبيعة العمياء الصمّاء غير الحية أن تعطي الحياة والإدراك وغيره من الانفعالات ، ويستحيل أن تكون الطبيعة علة لنفسها أو علة لغيرها مع أنها تفتقر في وجودها إلى موجِد مدبِّر لها ، ويستحيل

أن توجد صدفة لأن الصدفة لا تدخل في علم ولا قانون ، ولا نحتمل الصدفة في وجود الكون وعجائبه المنظَّمة بتنظيم دقيق وتصميم ذكي وإتقان كامل

"لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا" الأنبياء٢٢

ولا يوجد فساد ، فالنتيجة أنه لا يوجد إلهان ، بل هو إله واحد فقط ، ويأتي إشكال الشرور ، والشرور والكوارث الطبيعية والفقر والظلم عبارة عن فساد ، والنتيجة أنه يوجد أكثر من إله ، وإشكال الشرور إشكال قوي يحتاج إلى جواب ، وإشكال الشرور لا ينفي وجود الإله ، ولكنه يثبت إلها جاهلا عاجزا شريرا غير حكيم ، وأنتم تقولون إنه عالم قادر حكيم خيّر ، وسيأتي الجواب عن هذا الإشكال ، وأجاب الثنوية فقالوا بوجود إلهين : إله للخير وإله للشر .

"وما كان معه من إله إذًا لذهب كل إله بما خلق" المؤمنون٩١

وعن أمير المؤمنين ع في وصيته لابنه الحسن ع : "واعلم – يا بني – أنه لو كان لربّك شريك لأتتك رسله ، ولرأيت آثار ملكه وسلطانه ، ولعرفت أفعاله وصفاته" .

وقال فولتير : "إن فكرة وجود الله فرض ضروري ؛ لأن الفكرة المضادّة حماقات" . (فولتير تأليف جوستان لانسون ترجمة محمد غنيمي هلال ص٧٣ طبعة سنة ١٩٦٢)

وأطرف ما قيل قول نيتشه : "لو كان الله موجودا لكنت أنا هو ، وكيف أستطيع أن لا أكون إلها؟! . . . وإذن فليس ثمة إله" . (نقل

هذا عن نيتشه الفيلسوف الإنكليزي راسل في كتاب السلطان ترجمة خيري حماد طبعة سنة ١٩٦٢ ص٢٩٠.)

واستدلال الفيلسوف نيتشه غريب لإثبات عدم وجود الإله ، واستدلاله قياس استثنائي ، وهو التالي :

المقدمة الأولى : إذا كان الإله موجودا فأنا الإله

المقدمة الثانية : ولكني لست الإله

النتيجة : الإله غير موجود

والمقدمة الأولى خاطئة ، والمقدمة الثانية صحيحة ، فالنتيجة تكون خاطئة ، ولو كان نيتشه يملك دليلا واحدا على عدم وجود الإله لما ذكر هذا الاستدلال الواضح البطلان ، وأما المؤمنون بوجود الإله الخالق فإن دليلهم العقل ، وشاهدهم الكون كله بما فيه من مخلوقات ، وآمن بالإله الخالق كثير من العلماء في عصرنا ، راجع كتاب "الله يتجلى في عصر العلم" .

والقرآن الكريم يطلب من الناس أن يروا الأنظمة الدقيقة التي تتحكم بالكون ، ويصلوا ببرهان التصميم الذكي إلى معرفة الإله الخالق ومعرفة صفاته كالعلم والقدرة والتدبير وغيرها ، وأهم منبع لبرهان النظام الدقيق هو الطبيعة والمخلوقات ، لذلك تأتي أهمية الحس والمشاهدة والتجربة ، واستعان القرآن بالمشاهدة الحسية في مسألة التوحيد ، وكذلك في مسألة المعاد .

"ونزّلنا من السماء ماءً مباركا فأنبتنا به جناتٍ وحبَّ الحصيد . . . وأحيينا به بلدةً ميْتًا كذلك الخروج" ق٩-١١

ويوم الخروج هو يوم القيامة .

وكذلك دعا القرآن الناس لمشاهدة ما خلّف الظالمون من آثار ، ومشاهدة مدنهم الخربة ؛ ليعرفوا عاقبة الظلم والجور .

"فانظر كيف كان عاقبة الظالمين" يونس٣٩

"فاليوم ننجّيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون" يونس٩٢

"وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود"هود١٠٢-١٠٣

إن الحس والمشاهدة مصدر من مصادر المعرفة ، ولكنه ليس المصدر الوحيد للمعرفة ، فالعلم ليس ثمرة الحواس فقط ، والحواس لا تتعرّض إلا بظواهر وعوارض الطبيعة ، ومن المصادر الأخرى للمعرفة العقل ، والعقل يتناول الأمور غير المحسوسة ، فالعقل منشأ آخر للمعرفة كما أن الحس منشأ للمعرفة ، فالمحسوسات لها قيمة علمية ، وكذلك المعقولات ، والحس لا يمكن أن يستغني عن العقل لأن العقل يشكل قضية كلية من جزئيات المحسوس ، فالعقل يستنتج المفاهيم الكلية من الجزئيات ، فالحس يشاهد أن الماء يغلي عند ١٠٠ درجة مئوية ، والعقل يقول كل ماء يغلي عند ١٠٠ درجة مئوية ، هذا أولا ، وثانيا

أن العقل يصلح الأخطاء الناشئة من الحواس ، مثلما أن نرى المسطرة المكسورة داخل الماء ، فالعقل يدرك أن هذا ناشئ من خطأ الحس وخداع البصر وأن المسطرة مستقيمة غير مكسورة ، وثالثا أن الحس يدرك ظواهر الأشياء ، فنرى سطح الجسم فقط ، وعن طريق العقل نعرف حقيقة الجسم ، ورابعا أن العقل يمكنه أن يستغني عن الحس في بعض الأمور ، مثل علمنا بأنفسنا الذي هو علم حضوري لم ينشأ بواسطة الحس ، وكذلك علمنا باستحالة اجتماع النقيضين لم ينشأ من الحس .

مقدّمات برهان النظام الدقيق والتصميم الذكي :

هذا البرهان له مقدمتان :

المقدمة الأولى :

عالم الطبيعة يسير وفق نظام متقَن وقوانين دقيقة ، وكشفت العلوم الحديثة عن الكثير من هذه النُّظُم والقوانين ، وهذه القوانين موجودة في الآفاق من الشمس والقمر والنجوم والمجرات ، والقوانين موجودة أيضا ضمن أبدان الكائنات الحية من الخلايا والأعضاء بما يضمن بقاءها واستمرارها ، فيوجد نظام دقيق يحكم عالم الوجود ، والنظام الدقيق والتصميم الذكي للكون يفوق تصميم أي ذكي وعبقري في العالم ، فلا يمكن لأي ذكي وعبقري أن يأتي بمثل هذا النظام والتصميم المتقن ، ويدل على هذا النظام الدقيق والتصميم الذكي الآيات الآفاقية والأنفسية .

المقدمة الثانية :

نعتمد على القاعدة العقلية البديهية وهي أصل العلية ، فلا يتحقق شيء إلا بعلة ، ووجود الأثر دالّ على وجود المؤثِّر ، والخصوصيات الموجودة في المعلول تكشف عن الخصوصيات الموجودة في العلة ، فالنظام الدقيق والتصميم الذكي يدل على وجود فاعل حكيم ذكيّ وعبقريّ ، فإتقان المصنوع يدل قطعا على علم صانعه ودقّته ، فالنظام الدقيق يدل أولا على وجود فاعل ، ويدل ثانيا على خصوصيات الفاعل بملاحظة خصوصيات النظام ، والمصنوع كلما ازداد دقة ونظاما ازداد دلالة على كمال علم صانعه ، فإذا رأينا جهازا دقيق الصنع معقّد التركيب عرفنا أن صانعه عالم وعنده دقة في صناعته ، والكون بما فيه من مصنوعات منظَّم متقَن إلى حدٍّ يتحيّر فيه العلماء ، وهذا يدلّنا على أن صانع الكون عنده الكمال المطلق في كل شيء ، في علمه وقدرته وقوته وحكمته وإتقانه ، ولا يمكن حمل النظام الدقيق للكون والمخلوقات والتصميم الذكي على الصدفة الحاصلة من الطبيعة العمياء الناقصة لأن الصدفة لا توجِد كل هذه الموجودات الدقيقة ضمن نظام دقيق وقوانين متقَنة ، والناقص لا يخلق الكامل ، والكائن الحي لا يولد إلا من كائن حي ، وهذا مثل أن نجد ديوانا من أروع الشعر ونزعم بأن طفلا كان يعبث بالقلم على الورق فيكتب أحرفا هناك وهناك ، وصدفة ترتبت هذه الحروف المتبعثرة فتكوّن منها ديوان الشعر ، أو أن جهاز الكومبيوتر تكوّن صدفة من تجمع الدوائر

الإلكترونية والكهربائية ، ولا يوجد له مصمّم وصانع ذكي ، فحينما نرى أي جهاز مصنوعا بدقة وله نظام معيَّن نعرف أن صانعه مصمم ذكي عالم دقيق منظَّم ، ومن جهة أخرى بناء على حساب الاحتمالات فإن هذا الكون بهذا النظام الدقيق احتمال وجوده صدفةً ضئيل جدًّا جدًّا بحيث لا يقبل الانحفاظ في الذهن البشري والعقل السليم ويكون قريبا جدًّا إلى الصفر ، وهذا دليل على وجود خالق للكون ، فالنظام الدقيق يستحيل أن يوجد صدفة بدون موجِد ، فاحتمال الصدفة يقرب إلى الصفر ، والاحتمال هنا ليس واحدا في المائة أو واحدا في المليون ، بل هو كسر من عدد لا يمكن تصوره ، كأن نفرض واحد أمامه أصفار تصل إلى القمر ، فهو احتمال على أي حال وإن كان احتمالا لا يؤخذ به ، وفي مقابل احتمال الصدفة نقول بوجود اليقين لأن هذا الاحتمال الصغير جدا لا يؤخذ به ولا يعطى أي قيمة ، وهذا الاحتمال يكشف بالتحليل الرياضي الدقيق ، ولا تتصوره أذهاننا ، وهذا الاحتمال يمكن أن نطرحه بشأن أي كتاب له مؤلف علامة فهامة ، فنحتمل أن كل ما هو مكتوب فيه جاء صدفة ، ولا يمكن منطقيا سد باب هذا الاحتمال ، ولكننا لا نشك بأن هذا الكتاب له كاتب علامة ، وكل إنسان مدعوّ لقراءة كتاب الخلق حتى يتعرف على الخالق ، ويدرك بأن الخالق عالم قادر حكيم ، كما هو اعتقد بوجود مؤلف علامة لذاك الكتاب ، وهكذا يمكن إثبات وجود الخالق بناء على نظرية حساب الاحتمالات الرياضية .

مثلا إذا أخذنا كيسا ووضعنا فيه أوراقا ، وجعلنا على كل ورقة رقما من واحد إلى عشرة ، وخلطنا الأوراق في الكيس ، ونريد أن نستخرجها مرتّبة من واحد إلى عشرة ، وإذا سحبنا ورقة نرجعها إلى الكيس قبل أن نسحب الورقة الثانية ، وهنا يكون احتمال خروج الورقة المكتوب عليها واحد يساوي ١ من ١٠ ، واحتمال أن يخرج الرقم ١ و ٢ على الترتيب يساوي ١ من ١٠٠ ، واحتمال أن يخرج ١ و ٢ و ٣ على الترتيب يساوي ١ من ١٠٠٠ ، واحتمال أن يخرج ١ و ٢ و ٣ و ٤ على الترتيب يساوي ١ من ١٠٠٠٠ ، واحتمال أن يخرج من ١ إلى ١٠ بالترتيب يساوي ١ من عشرة مليارات ، ونرى أن الاحتمال في كل مرة يكون أصغر بكثير بحيث يقترب تدريجيا إلى الصفر ، وهذا مثال الترتيب من ١ إلى ١٠ .

وإذا أردنا أن توجد الحياة على الأرض فإنه يتطلب وجود آلاف من الظروف ، واحتمال أن توجد هذه الظروف صدفة يساوي رقما ضئيلا جدا يقرب إلى الصفر ، ولا يلتفت إلى هذا الاحتمال الضئيل جدا ، ولا نقدر على حسابه وتصوره ، فيفنى هذا الاحتمال ، ويحصل عندنا اليقين بعدم وجود الصدفة ، والنتيجة هي أنه لا بد أن يكون لهذا الكون خالق عالم قادر ، جَعَلَ الأرض صالحة لحياة الإنسان ، وهذا الخالق حكيم ، فيستحيل أن يجمع كل هذه الظروف بدون غرض وهدف وغاية ، واجتماع آلاف الظروف لظهور الحياة على الأرض لا يمكن تفسيره على أساس الصدفة ، وظهور الحياة على

الأرض صدفة يخالف منطق العقل ، والأنظمة الموجودة في النباتات والحيوانات دالة على وجود خالق حكيم حيث نرى الترابط بين عمل أجهزة الجسم مع أن جميع أجزاء الجسم مخلوقة من خلية واحدة ، فكيف تجتمع الخلايا المتشابهة المتجمعة لإنشاء جهاز يختلف في عمله عن الجهاز الآخر ، فيتكون اللحم أو العظم أو الجلد أو القلب أو الرئة أو الكلية أو الكبد ، ويوجد نظام يحكم الجسم في توزيع العمل بين الأجهزة المختلفة ، فمن المستحيل تفسير الخلق بدون وجود القصد والغرض ، وحينما نرى عالم الموجودات نقطع بوجود قوة عاقلة مدرِكة لها غرض في جعل أدوات وأجهزة في جميع الأحياء بما يتلاءم مع البيئة التي تعيش فيها ، ونرى أيضا النظام والانسجام بين الموجودات المختلفة بما يدل على وجود الإرادة والقصد في الخلق ، مثلا الإنسان يستنشق الأوكسجين من الهواء ، ويلفظ ثاني أكسيد الكربون ، وثاني أكسيد الكربون شرط ضروري لحياة النباتات ، والنباتات تفصل الأوكسجين وتلفظه إلى الهواء ليستنشقه الإنسان والحيوانات ، وهذا انسجام وتناسق تام بين الإنسان والحيوانات وبين النباتات ، وهذا الانسجام موجود بين جميع الموجودات بشكل عام ، والنتيجة التي نصل إليها هي أننا نقطع بوجود خالق عالم حكيم .

"وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنّا إن كنا فاعلين بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغُه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون" الأنبياء١٦-١٨

"وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما إلا بالحق ولكنّ أكثرَهم لا يعلمون إن يومَ الفصل ميقاتُهم أجمعين" الدخان٣٨-٤٠

ونحن هنا بين أمرين :

الأمر الأول :

أن تكون المادة قد أوجدت نفسها بنفسها ، ثم تطورت إلى المخلوقات التي نشاهدها ، فحصلت الحياة من خلية واحدة نتيجة ظروف كيميائية مناسبة ، وبدأت تتسع تدريجيا بناء على قانون التطور ، ثم حصلت النباتات والحيوانات والإنسان من أصل واحد وتطور بالتدريج بناء على قانون النشوء والارتقاء بحكم الطبيعة الذاتية ، والعقل الإنساني ما هو إلا صفة للتركيبات الكيميائية المادية ، وهذا باطل لأن خصوصيات المعلول تدل على خصوصيات العلة ، وخصوصيات الكون تدل على أن علته عالمة قادرة ، ولا يمكن أن توجد المخلوقات بالصدفة ، والمادة العمياء الصماء التي لا روح فيها لا يمكن أن تخلق شيئا وليس فيها خصوصيات المعلول .

الأمر الثاني :

أن تكون العلة الخالقة على درجة عالية من العلم والقدرة والحكمة والخبرة والتدبير ، ولا بد من وجود الخالق العالم المريد ، والدقة في القوانين الكونية تشهد بذلك .

والصحيح هو الأمر الثاني .

ورد في الحديث المعروف بتوحيد المفضَّل بن عمر أن الإمام الصادق ع قال : "فكِّر يا مفضَّل في أعضاء البدن أجمع ، وتدبير كل منها للإرَب ، فاليدان للعلاج ، والرجلان للسعي ، والعينان للاهتداء ، والفم للاغتذاء ، والمعدة للهضم ، والكبد للتخليص ، والمنافذ لتنفيذ الفضول ، والأوعية لحملها ، والفرج لإقامة النّسل ، وكذلك جميع الأعضاء إذا تأمّلتَها وأعملتَ فكرك فيها ونظرك وجدت كل شيء منها قُدِّرَ لشيء على صواب وحكمة" . قال المفضل : فقلت : يا مولاي ، إن قوما يزعمون أن هذا من فعل الطبيعة . فقال ع : "سلهم عن هذه الطبيعة أهي شيء له علم وقدرة على مثل هذه الأفعال أم ليست كذلك ؟ ، فإن أوجبوا لها العلم والقدرة فما يمنعهم من إثبات الخالق فإن هذه صنعته ؟! ، وإن زعموا أنها تفعل هذه الأفعال بغير علم ولا عمد وكان في أفعالها ما قد تراه من الصواب والحكمة عُلِمَ أنّ هذا الفعل للخالق الحكيم ، وأن الذي سمّوه طبيعة هو سُنَّةٌ في خَلْقِهِ جارِيَةٌ على ما أجراها عليه" . البحار ج٣ ص٦٦-٦٧ ب٤ من أبواب التوحيد

النتيجة :

من خَلَقَ هذا العالمَ عليم حكيم خبير قادر قويّ ، وهو في منتهى العلم والقدرة والقوة والحكمة والتدبير ، وَخَلَقَهُ لا من شيء ، وأخرجه إلى الوجود بعد أن لم يكن موجودا ، وهو الله تعالى عند المسلمين ، وله أسماء ثانية في اللغات الأخرى .

ولا يمكن لأي إنسان مهما كان عنده من علم بأن يخلق شيئا صغيرا من المخلوقات كالذبابة والبعوضة .

"يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوي عزيز" (الحج ٧٣-٧٤)

وورد في نهج البلاغة عن أمير المؤمنين ع : "ولو اجتمع جميع حَيَوانها من طيرها وبهائمها وما كان من مُراحِها وسائمها وأصناف أسناخها وأجناسها ومتبلّدة أممها وأكياسها على إحداث بعوضة ما قدرت على إحداثها ، ولا عرفت كيف السبيل إلى إيجادها ، ولتحيّرت عقولها في علم ذلك ، وتاهت وعجزت قواها ، وتناهت ورجعت خاسئة حسيرة ، عارفة بأنها مقهورة ، مقرّة بالعجز عن إنشائها ، مذعنة بالضعف عن إفنائها" . (نهج البلاغة خ١٨٦ ، متبلّدة : الغبية من أممها . أكياسها : الذكية من أممها .)

المناقشون لأدلة وجود الإله :

إن الذين أرادوا أن يثبتوا عدم وجود الإله أو يشككوا فيه ناقشوا بشكل مفصَّل برهان النظم ، ومن أهم من بحث برهان النظم تفصيلا وطرح الإشكالات هو الفيلسوف ديفيد هيوم .

والفيلسوف كانت ناقش الأدلة الأساسية لإثبات وجود الإله ، وقال بأن مبانيها قواعد العقل النظري ، وكل الأدلة باطلة ، والعقل النظري

عاجز عن إثبات وجود الإله ، والعقل النظري كما أنه لا يمكنه إثبات وجود الإله فإنه لا يمكنه نفي وجود الإله ، والنتيجة أنه من خلال العقل النظري يكون وجود الإله مشكوكا ، ولكن من خلال العقل العملي يمكن إثبات وجود الإله وإثبات الآخرة ، وكمثال للعقل العملي : لو أن الإنسان خُيِّرَ بين الصدق والكذب وبين الأمانة والخيانة فإنه يختار الصدق والأمانة .

موسوعة الفلسفة – د. عبدالرحمن بدوي – ج٢ ص٢٨١ تحت عنوان د– اللاهوت النظري : وفي باب اللاهوت النظري ينقد "كنت" البراهين الثلاثة الممكنة لإثبات وجود الله بطريقة عقلية ، وهي : البرهان الفيزيائي اللاهوتي ، والبرهان الكوسمولوجي (الكوني) ، والبرهان الوجودي ، ويتوسع في هذا النقد ، وينتهي إلى أن من المستحيل على العقل النظري البرهنة على وجود الله بطريقة عقلية نظرية ؛ لأن العقل الإنساني لا يستطيع أن ينتقل من تصور موجود واجب الوجود إلى الوجود الفعلي له ، كما أنخ لا يستطيع الانتقال من الوجود الفعلي إلى الموجود الواجب الوجود . . . لكن إذا كان من المستحيل على العقل النظري البرهنة على وجود الله بطريقة عقلية نظرية ، فإن هذا لا يثبت إمكان البرهان على عدم وجوده ، فالاستحالة قائمة بالنسبة إلى كلتا القضيتين المتناقضتين : إثبات وجود الله عن طريق العقل النظري ، وإثبات عدم وجود الله بالعقل النظري .

وهكذا ينتهي "النقد" الكنتي إلى رفض موقف المنكرين لوجود الله ، وكذلك رفض موقف الدوجماتيقيين المثبتين لوجود الله بطريق العقل النظري المحض . انتهى

تعليق :

ينقد كانت بطريق عقلي أي بالعقل النظري لا العقل العملي ، والبرهان الوجودي هو برهان الراهب أَنْسِلْم ، فلا يوجد دليل لا على وجود الله ولا على عدم وجود الله .

إيمانويل كنت — د. عبدالرحمن بدوي ص٣٢٨ تحت عنوان "براهين وجود الله" :

يناقش "كنت" البرهان الوجودي والبرهان الكوني والبرهان الفيزيائي .

رجحان وجود الإله :

يوجد طريق يؤدي إلى ترجيح وجود الإله ، ولا يؤدي إلى اليقين بوجود الإله ، ننظر إلى جميع ظواهر الكون من خيرها وشرها ونريد أن نصل إلى نظرية تفسر لنا جميع هذه الظواهر ، وتوجد هنا عدة فرضيات :

الفرضية الأولى :

جميع ظواهر الكون حدثت صدفة .

رد الفرضية الأولى :

هذه الفرضية غير معقولة .

الفرضية الثانية :

جميع ظواهر الكون لها مبدأ لا علم له ولا قدرة ولا حكمة ولا مختار ، فالمبدأ هو المادة الأولية الصماء العمياء ، ووصلنا إلى هذه الظواهر من خلال التطور أو أي طريق آخر .

رد الفرضية الثانية :

يستحيل أن فاقد الشيء يعطي الشيء ، فالمادة التي لا تملك علما ولا قدرة ولا حكمة ولا اختيار يستحيل أن تخلق كائنا عالما قادرا حكيما مختارا .

الفرضية الثالثة :

يوجد خالق وهو مبدأ أزلي لا يحتاج إلى من يوجده لأنه موجود من الأزل غير حادث ولم يكن مسبوقا بالعدم ، وهو عالم قادر حكيم مختار سميع بصير .

وغيرها من الفرضيات .

وأصحاب هذا الطريق يقولون بأن أرجح وأفضل الفرضيات هو فرضية الإله الصانع العالم القادر الحكيم المختار ، ولا ينفون الفرضيات الأخرى .

وهم الإله – ريتشارد دوكنز ص٦٢ : مؤمن تماما ١٠٠% ، واثق من احتمال وجود الله ، واحتمال عال أقل من ١٠٠% ، واحتمال ٥٠% ، واحتمال أقل من ٥٠% ، واحتمال ضعيف ، احتمال عدم وجود الله ١٠٠% ، وهذا الاحتمال الأخير لا مصداق له .

تعليق :

لا يوجد طريق لنفي وجود الإله ، والاحتمال يوجد ولو احتمالا ضعيفا بوجود الإله ، فلا يوجد أي ملحد يمكنه أن ينفي وجود الإله ، ففي الواقع لا يوجد أي ملحد نظري ، وجميع الملحدين هم ملحدون عمليون ، يتعاملون كأن الإله غير موجود .

طريق درجات الكمال :

العلم كمال والجهل نقص ، لو قلت للجاهل أنت جاهل لا يقبل ، ولو قلت له أنت عالم يفرح حتى لو كان يعرف أنه جاهل واقعا .

أمير المؤمنين ع : كفى بالعلم فخرا أن يدّعيه غير العالم (راجع نص الرواية) .

القدرة كمال والعجز نقص ، الجمال كمال والقبح نقص ، الصدق كمال والكذب نقص ، الأمانة كمال والخيانة نقص .

نقول هذا علمه أكثر من ذاك ، وهذا قدرته أكثر من ذاك ، وهذا جماله أكثر من ذاك ، فيأتي السؤال : ما هو مقياس التقييم في المقارنة بين الشخصين ؟

في طول الشخصين نقول المقياس هو المتر ، فعندنا شيء ثالث نقيس به ، لذلك لا بد من وجود موجود عالم قادر جميل صادق ، وهو الموجود الأكمل الذي لا يوجد فوق كمال ، وهو يكون المقياس ، فبناء على هذا الأكمل نقول إن هذا أعلم من ذاك لأن هذا الموجود هو الأعلم ، وهو العليم ، وباقي من يعلم هم ذوو علم ، فعلمهم

اكتسابي ، وعلم الموجود الأكمل هو علم ذاتي ، وهو عين ذاته ، لا علم زائد عليه ؛ لأنه إذا كان علمه زائدا عليه فيكون ذا علم .

"وفوق كل ذي علم عليم"

كل ذي علم لا بد أن ينتهي إلى العالم ذاتا ، لأن العالم ذاتا هو الذي يعطي العلم لذي العلم ، ولولا وجود العلم الذاتي لما وصلنا إلى العلم التحصيلي ، فلولا المصدر الأصلي للعلم لما حصل عند الإنسان أي علم ، لأن فاقد الشيء لا يعطيه ، فلا بد أن يكون علم الخالق علما ذاتيا لا علما إضافيا مكتسبا ، وأما باقي الكائنات فعلومها مكتسبة .

النتيجة :

من خلال هذه الأدلة نصل إلى وجود إله واحد خالق للكون ولكل ما يوجد في هذا الكون من مخلوق مفكِّر أو حيوان أو جماد ، وهذا الإله هو الله الخالق لكل شيء .

الدليل العقلي الثامن : دليل العناية والتدبير والهداية التكوينية :

توجد قوة تكوينية تقود الكائنات إلى كمالها ، وتوجد علاقة خفيّة بين الشيء ومستقبله أي الغاية التي يتّجه إليها ، ومثاله العلاقة بين الطير وبناء العش ، فتوجد قوة تقود الطير إلى بناء عشه بعد خروجه من البيضة حتى لو فصل عن أبويه وقبل أن يتعلّم منهما شيئا ، وهنا نستدل من خلال وجود قوة هادية في الموجودات على وجود رب

ومرشد لتلك الموجودات ، ويمكن أن نستدل من وجود قوة هادية عند الإنسان على وجود رب ومرشد له .

إن دليل العناية يختلف عن دليل النظم ، فهما دليلان ، وليسا دليلا واحدا ، ويقول الشيخ المطهري بأن الفخر الرازي (١١٤٨-١٢٠٩) – مفسِّر معروف ومن أبرز متكلمي الأشاعرة ، له كتاب التفسير الكبير ، وكتاب شرح الإشارات والتنبيهات لابن سينا – هو أول من التفت إلى تفكيك القرآن الكريم دليل العناية عن دليل النظم على ما يستفاد من كلامه في تفسير سورة الأعلى . (نقلا عن كتاب أفي الله شك للشيخ مرتضى فرج ، وذكر المصدر : التوحيد ص١٠٨)

وذكر الشيخ المطهري بأن القرآن الكريم تحدّث عن عمومية العناية والهداية التكوينية ، وأنها تشمل جميع الكائنات ، وهذا الدليل لا يصعب إثباته في الكائنات الحية أي النبات والحيوان ، ولكن إثباته في الجمادات غير ميسور علميّا .

إن الإتيان بأمثلة من الجمادات وعالم الفلك وعالم الذّرّة يخدم دليل النظم أكثر ، والإتيان بأمثلة من الكائنات الحية يخدم دليل العناية والهداية التكوينية أكثر ، والعلم الحديث يدعم دليل النظم ودليل العناية بشواهد كثيرة .

وهنا لا بد أن نميّز بين الهداية التكوينية والهداية التشريعية ، وقد ذكر السيد الخوئي (١٨٩٩-١٩٩٢ م) في كتابه البيان في تفسير القرآن ، في تفسير "اهدنا الصراط المستقيم" مع تصرف في بعض العبارات :

إن الهداية من الله على قسمين : هداية عامة وهداية خاصة ، والهداية العامة قد تكون تكوينية ، وقد تكون تشريعية ، أما الهداية العامة التكوينية فهي التي أعدّها الله في طبيعة كل موجود ، سواء أكان جمادا أم نباتا أم حيوانا ، فهي تسير بطبيعتها أو باختيارها نحو كمالها ، والله هو الذي أودع فيها قوة الاستكمال ، ألا ترى كيف يهتدي النبات إلى نموّه فيسير إلى جهةٍ لا صادَّ له عن سيره فيها؟ وكيف يهتدي الحيوان فيميّز بين من يؤذيه ومن لا يؤذيه؟ ، فالفأرة تفرّ من الهرّة ، ولا تفرّ من الشاة ، وكيف يهتدي النمل والنحل إلى تشكيل جماعة وحكومة وبناء مساكن؟ وكيف يهتدي الطفل إلى ثدي أمّه ويرتضع منه في بدء ولادته؟ ، "قال ربنا الذي أعطى كلَّ شيءٍ خَلَقَهُ ثم هدى" (طه :٥٠) .

أما الهداية العامة التشريعية فهي الهداية التي بها هدى الله جميع البشر بإرسال الرسل إليهم ، وإنزال الكتب عليهم ، وقد أتمّ الحجة على الإنسان بإفاضة العقل عليه وتمييز الحق من الباطل ، ثم بإرساله رسلا يتلون عليهم آياته ، ويبيّنون لهم شرائع أحكامه ، وقرن رسالتهم بما يدل على صدقها من معجز باهر وبرهان قاهر ، فمن الناس من اهتدى ، ومنهم من حقّ عليه الضلالة ، "إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا" (الإنسان : ٣) . (البيان في تفسير القرآن للسيد الخوئي)

ملاحظة :

إن الآيات الكريمة التي تذكر اختيار الإنسان إذا كانت تتحدّث عن أن الإنسان خلق بنحو يكون مختارا فهي تتحدث عن الهداية التكوينية ، وإذا كانت تتحدّث عن أن الإنسان بعد أن خلق مختارا يحتاج إلى من يدلّه على الطريق وعليه بإرادته الحرة أن يختار هذا الطريق دون غيره فهي تتحدث عن الهداية التشريعية .

إننا في دليل العناية نتكلم عن الهداية التكوينية أي عن القوة التكوينية الهادية التي تسوق الكائنات إلى كمالها بطبعها وغرائزها – كما في الحيوانات – أو باختيارها – كما في الإنسان – ، ودليل العناية والهداية التكوينية يرتبط بعمل الكائنات والميول التي تجعلها تتحرّك في مستقبلها في اتجاه دون اتجاه آخر .

يقول عالم النفس الأمريكي ماكْسْوِيل مَالْتْز (١٨٩٩-١٩٧٥ م) : "إن كل كائن حيّ له جهاز إرشاد أو جهاز تحديد الأهداف أودعه الخالق في داخله لكي يعينه على تحقيق ما يصبو إليه من أهداف ، تتلخّص إجمالا في استمرار الحياة والبقاء بالنسبة للفرد والنوع على السواء .

إن الجهاز المودَع داخل الحيوان محدّد بأهداف البحث عن الطعام والمأوى وتجنّب المخاطر وهجمات الأعداء والكفاح لضمان النوع ، أما بالنسبة للإنسان فالأمر يعني ما هو أكثر من مجرّد حبّ البقاء ، فبالنسبة للحيوان حبّ الحياة يعني ببساطة ضرورة إشباع حاجاته المادية ، أما الإنسان فإن له حاجاته العاطفية والروحية التي يفتقر إليها

الحيوان ، وبالتالي نجد أن الحياة بالنسبة للإنسان تعني ما هو أكثر من حبّ البقاء والمحافظة على النوع ، ألا وهو إشباع حاجاته العاطفية والروحية أيضا" .

ثم يقول : "إن السنجاب ليس في حاجة لأن يتعلّم كيف يجمع اللّوز ، ولا هو في حاجة لمن يعلّمه ضرورة تخزينه لفصل الشتاء ، إن السنجاب الذي يولد في الربيع لم يعرف أساسا أي شيء عن فصل الشتاء ، ومع ذلك نجده قرب حلول هذا الفصل يسعى جاهدا لتخزين اللّوز لكي يأكله خلال فصل الشتاء الذي يتعذّر عليه فيه أن يجمع أي طعام ، وبالمثل نجد أن الطائر لم يَتَلَقَّ دروسا في كيفية بناء عشّه أو التحليق في الأجواء النائية ، ومع ذلك نجده يحلّق آلاف الأميال ، يقطع بعضها أحيانا فوق البحار ، دون أن تكون لديه نشرة جوية تنبّئه عن اختلاف الطقس من خلال قراءته لجريدة أو مشاهدة لجهاز تلفزيوني ، إن الطائر لم يقرأ كتبا لكبار الكتّاب أو المكتشفين يستعين بها على معرفة المناطق الدافئة في أرجاء المعمورة ، ومع كل هذا نجده بالسّليقة والغريزة على معرفة كاملة بمواقع الأماكن الباردة والأقاليم الحارّة التي قد تبعد عن موقعه بآلاف الأميال ، إن هذا يفسّر لنا حقيقة هامة ، وهي أن للحيوانات غريزة معيَّنة ترشدهم وتبصّرهم بحقائق الكون . . . وإذا كان هذا شأن الحيوان فما بالك بالإنسان؟!" . (نقلا عن كتاب أفي الله شك للشيخ مرتضى فرج ،

وذكر المصدر : علم النفس والسيبرنطيقا لماكسويل مالتز ص٣٩-٤٠
.

السيبرنطيقا : هو علم عمليات التواصل والتحكم في الحيوانات والآلات ، مصدر المعنى : www.almaany.com .)

دليل العناية والهداية التكوينية عند الشيخ مرتضى المطهري :

يقول الشيخ المطهري : اهتداء الأشياء من الآثار والعلامات التي تلاحظ في خَلْقِ الموجودات ، وتدلّ على لون من القصد والتّدبير ، فكل موجود – مضافا إلى بنية نظامه الداخلي – يتمتّع بقوة يهتدي من خلالها إلى طريقه في المستقبل ، وبعبارة أخرى إن الأشياء غير بصيرة بحسب بنائها الداخلي المادي ، لكنها تتمتّع – في نفس الوقت – ببصيرة خفيّة تهتدي بها ، وهذه البصيرة ينبغي تلمّسها فيما وراء البنية المادية للأشياء .

أما ما هي حقيقة هذه البصيرة الخفيّة؟ وكيف يمكن أن تكون؟ هل هي كامِنة داخل الأشياء أو أنها خارجة عنها تماما أو أنها نظير جاذبيّة قوّة أقوى للموجودات نحو الكمال؟ . . . فهذا بحث متّسع الأطراف ، لكن وجود هذه القوّة – على أي حال – دليلٌ وشاهدٌ على وجود قدرة مدبِّرة تسيطر على الموجودات وتديرها .

ثم يقول : اهتداء الأشياء على لونين : أحدهما لازم حتميّ لبنيتها الداخلية ، أي من الممكن أن تنتظم البنية الداخلية لجهاز ما بالشكل الذي تطوي طريقها ، وتؤدي عملها بشكل ذاتيّ ، فجهاز الساعة

يصنع بالدقة التي يؤدي خلالها عمله دون أي خطأ . . . إن هذا اللون من الاهتداء ينبع من الماضي والعلية الفاعلية ، أي أن مجموع الأشياء ذات الخواص الفيزيائية والكيميائية ينتج بنية ترتبط بموجبها الأجزاء مع بعضها ، وينتج بشكل حتميّ من هذا المجموع نشاط معيَّن وحركة منظّمة ، لكن ثمة لون آخر من الاهتداء لا يرتبط بالماضي ولا يرتبط بالنظام المادي ، إن هذا اللون من الاهتداء يحكي عن علاقة خفيّة عن علاقة خفيّة بين الشيء ومستقبله ، وعن علية غائية ، أي عن لون من الارتباط والاتجاه نحو الغاية والهدف .

ثم يقول : حينما يصل الأمر إلأى المرحلة التي يتحتّم فيها على الشيء ممارسة نشاط محدّد ، بل يقف على مفترق طرق ، وفي نفس الوقت يختار الطريق الذي يوصله إلى الهدف ، عندئذٍ يأتي دور اللون الثاني من الاهتداء ، إذن موجبات ومرجّحات الاهتداء في اللون الأول تتقرّر في الماضي والعلية الفاعلية ، بينما تتقرّرموجبات ومرجّحات الاهتداء في اللون الثاني عبر العلية الغائية ومستقبل الشيء ، فالشيء يكتسب وجوبَه وضرورتَه من الفاعل في اللون الأول ، ويكتسبها من الغاية في اللون الثاني ، رغم عدم وجود انفكاك بلحاظٍ واعتبارٍ من الاعتبارات بين الفاعل والغاية من وجهة نظر فلسفية دقيقة . (نقلا من كتاب أفي الله شك للشيخ مرتضى فرج ، وذكر المصدر : التوحيد للشيخ مرتضى المطهري .)

الهداية التكوينية في الإنسان :

إن الطفل حينما يولد نجد أنه بمجرّد أن يوضع الثدي في فمه يبدأ بمص الحليب بدون تعليم من أحد ، وحينما يشعر بالجوع يبكي ليرسل رسالة إلى أمه فتأتي لتحتضنه وترضعه ، وكلاهما يتحرك بناء على الهداية التكوينية فيهما .

ومثال آخر وهو الذاكرة التي تتراكم فيها المعلومات وتنمو بنمو الإنسان ، والذاكرة تعبّر عن جانب إبداعي وابتكاري لا يمكن أن يقوم به الكومبيوتر ، والإنسان يستعمل اللغة ويعبّر عن نفسه ، ويبدع ويولِّد جملا جديدة لم يسمعها من قبل ، كما أوضح ذلك الفيلسوف اللغوي الأمريكي نعوم تشومسكي (١٩٢٨- ...) في نظريته التوليدية ، وإليك التوضيح :

من أهمة مراكز المخ البشري وأكبرها مراكز اللغة تفكيرا ونطقا وسمعا وفهما ، وتمثّل اللغة فارقا جوهريا بين الإنسان وغيره من الكائنات ، فهي تضع داخل المخ مقابِلا للعالم المحيط ، فتمكّن الإنسان من أن يكون له تاريخ ، وأن يعيش الحاضر ، وأن يخطّط للمستقبل ، كما تعتبر اللغة وسيلة أساسية للتفكير ، خصوصا فيما يتعلّق بالمفاهيم المجرّدة ، ذلك بالإضافة إلى أن اللغة من أهم وسائل التواصل .

وقد اهتم الإنسان منذ عصور بدراسة اللغة ، وخلال القرن العشرين تركّزت دراسات "علوم اللّغويّات" حول بعض نواحي الكلام مثل الصوتيّات ، ومعاني المفردات ، وتركيب العبارات ، ولعل من أهم الدراسات في مجال تركيب العبارات دراسات تشومسكي الذي

أضاف مفهومان مهمّان مبنيّان على دراسة واسعة للغات الجماعات المختلفة :

المفهوم الأول هو الأجرومية الخلاّقة حيث أثبت تشومسكي أن الطفل يولد ومخّه مُعَدٌّ لتكوين جمل صحيحة ذات معنى ، فبمجرّد تلقّيه لبعض المفردات وبعض العبارات يصبح قادرا على تكوين ما لا نهاية له من الجمل صحيحة التركيب ، وتتم هذه العملية في مرحلة مبكّرة من العمر ، وتصبح هذه اللغة هي اللغة الأم .

المفهوم الثاني هو الأجرومية العالمية حيث أثبت تشومسكي أن الجنس البشري بأكمله يتفاعل مع اللغة بطريقة متماثلة على اختلاف أصوله ولغاته ، وأن البشر يصنعون جملهم بطريقة متشابهة تُطَوَّعُ وَتَخْضَعَ جزئيّا للظروف المحيطة . (نقلا عن كتاب أفي الله شك للشيخ مرتضى فرج ، وذكر المصدر : كيف بدأ الخلق؟ لعمرو شريف ص٢٧٤-٢٨١)

وروي عن الإمام جعفر الصادق ع أنه قال للمفضَّل : "أَطِلِ الفِكْرَ – يا مفضّل – في الصوت والكلام وتهيئة آلاته في الإنسان ، فالحنجرة كالأنبوبة لخروج الصوت ، واللسان والشفتان والأسنان لصياغة الحروف والنَّغَم ، ألم تَرَ أنّ من سقطت أسنانه لم يُقِمِ السّين ، ومن سقطت شفته لم يصحِّح الفاء ، ومن ثَقُلَ لسانُهُ لم يُفْصِحِ الرّاء . . . تأمّل – يا مفضّل – ما أنعم الله – تقدّست أسماؤه – به على الإنسان من هذا المنطق الذي يعبّر به عمّا في ضميره وما يخطر بقلبه

وَيُنْتِجُهُ فِكْرُهُ ، وبه يفهم عن غيره ما في نفسه ، ولولا ذلك كان بمنزلة البهائم المهمَلة التي لا تخبر عن نفسها بشيء ، ولا تفهم عن مخبر شيئا" . (نقلا عن كتاب أفي الله شك للشيخ مرتضى فرج ، وذكر المصدر : احتجاجات الإمام الصادق وتوحيد المفضّل ص١٩٢-٢١٣ ، بحار الأنوار للمجلسي ج٣ ص٧١-٨٢)

والعنصر الأبرز في الهداية التكوينية في الإنسان هو العقل ، فالإنسان امتاز بهذه الأداة التي جعلته قادرا على ما عجز عنه باقي الكائنات .

كتب كريسي موريسون في كتابه العلم يدعو إلى الإيمان : "ممّا يدعو إلى أشدّ العجب أنه في أنواع الحياة الحيوانية التي لا تحصى – سواء أبقيت الحيوانات أم انقرضت – لسنا نجد عندها أي مظهر للعقل ، ولكنّا نجد الغرائز وحدها ، حتى نصل إلى الإنسان ، فنراه قد استأثر بالعقل وحدَه ، إن أيّ حيوان لم يسجّل لنفسه قدرة على تربيع حجر أو العدّ لغاية عشرة أو فهم معنى عشرة . . . إن أنثى الزّنبور تغطّي حفرة في الأرض ، وتضع بيضها في المكان المناسب بالضبط ، وترحل فَرَحًا ، ثم تموت ، فلا هي ولا أسلافها قد فَكَّرْنَ في هذه العملية ، ولا هي تعلم ماذا يحدث لصغارها أو أنّ هناك شيئا يسمّى صغارا . . . بل إنها لا تدري أنها عاشت وعملت لحفظ نوعها . . . لا شكّ أن هناك خالقا أرشدها إلى كل ذلك ، لكن الإنسان وحده هو الذي أوتي عقلا بلغ من التّطوّر أنه يستطيع أن يفكّر به تفكيرا عاليا ، والغريزة ليست إلا كنغمة واحدة من النّاي ، نغمة جميلة ، ولكنها

محدودة ، في حين أن العقل البشري يحتوي كل الأنغام لكل الآلات الموسيقيّة في أوركسترا ، والإنسان يمكنه أن يوفّق بين تلك الأنغام جميعِها ، وأن يقدّم للعالم قطعا موسيقية متّحدة النغم تدنو من الإعجاز" . (نقلا عن كتاب أفي الله شك للشيخ مرتضى فرج ، وذكر المصدر : العلم يدعو للإيمان لكريسي موريسون ، الفصل التاسع "تطوّر العقل" ، ص١٢٠-١٢٤)

الهداية التكوينية في النحل :

"وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون" (النحل:٦٨-٦٩)

بناء النخل للخلية للسداسية المنظِّمة يجري بهداية إلهية تكوينية .

الهداية التكوينية في الخفاش :

يقول أمير المؤمنين ع : "ومن لطائف صَنْعَتِهِ وعجائب خِلْقَتِهِ ما أرانا من غوامض الحكمة في هذه الخفافيش التي يقبضها الضياءُ الباسطُ لكلّ شيء ، وَيَبْسُطُها الظلامُ القابض لكل حيّ ، وكيف عشيت أعينها (أي ضعفت أبصارها) عن أن تستمد من الشمس المضيئة نورا تهتدي به في مَذاهِبِها ، وتتّصل بعلانية برهانِ الشمسِ إلى مَعارِفِها ، وَرَدَعَها بتلألؤ ضيائها عن المضيّ في سُبُحاتِ (أي درجات وأطوار) إِشْراقِها ، وَأَكَنَّها في مكامِنِها عن الذّهاب في بُلَجِ (أي بزوغ الضوء)

ائْتِلاقِها (لمعانها) ، فهي مُسْدَلَة الجُفونِ بالنّهار على أَحْداقِها ، وَجاعِلَةُ اللّيلِ سِراجًا تَسْتَدِلُّ به في التِماسِ أرْزاقِها ، فلا يَرُدُّ أَبْصارَها إِسْدافُ (أَسْدَف الليلُ : أَظْلَمَ) ظُلْمتِهِ ، ولا تَمْتَنِعُ من المضِيّ فيه لِغَسَقِ دُجُنَّتِهِ (شدّة الظلمة) ، فإذا أَلْقَتِ الشَّمْسُ قِناعَها ، وَبَدَتْ أَوْضاحُ (بياض) نَهارِها ، ودخل من إشراقِ نورِها على الضَّبابِ (جمع ضبّ وهو الحيوان المعروف) في وِجارِها (جُحْرِها) أَطْبَقَتِ الأَجْفانُ على مَآقِيها (أطراف العيون مما يلي الأنف) ، وَتَبَلَّغَتْ (اكتفت) بما اكْتَسَبَتْ من فَيْءِ ظُلَمِ لَيالِيها ، فسبحان من جَعَلَ اللَّيْلَ لها نهارًا ومَعاشًا ، والنّهارَ سَكَنًا وَقَرارًا ، وجعل لها أجنحةً من لَحْمِها تَعْرُجُ بها عند الحاجةِ إلى الطَّيَرانِ كأنّها شَظايا الآذانِ (شقق الآذان) ، غَيْرَ ذَواتِ رِيشٍ ولا قَصَبٍ (عمود الرشة المتّصل بالجناح) ، إلا أنّك ترى مَواضِعَ العُروقِ بَيِّنَةً أَعْلامًا (رسوما ظاهرة) ، لها جناحانِ لَمَّا يَرِقَّا فَيَنْشَقَّا ، ولم يَغْلُظَا فَيَثْقُلا ، تَطِيرُ وَوَلَدُها لاصِقٌ بها ، لاجِئٌ إليها ، يَقَعُ إذا وَقَعَتْ ، وَيَرْتَفِعُ إذا ارْتَفَعَتْ ، لا يُفارِقُها حَتَّى تَشْتَدَّ أَرْكانُهُ ، وَيَحْمِلَهُ لِلنُّهوضِ جَناحُهُ ، ويعرفَ مذاهبَ عَيْشِهِ وَمَصالِحَ نَفْسِهِ ، فسبحانَ البَارِي لِكُلِّ شَيْءٍ عَلَى غَيْرِ مِثالٍ خَلا مِنْ غَيْرِهِ" . (نهج البلاغة – خطبة ١٥٥)

دليل العناية في القرآن الكريم :

توجد آيات قرآنية تشير إلى عناية الله وهدايته التكوينية لمخلوقاته ، منها :

قوله تعالى على لسان موسى : "قال ربّنا الذي أعطى كل شيء خَلْقَهُ ثم هدى" (طه٥٠)

"الذي خلق فسوّى والذي قدّر فهدى" (الأعلى٣-٤)

اهتداء الجمادات : "وأوحى في كل سماء أمرَها" (السجدة١٢)

اهتداء النباتات : "والنجم والشجر يسجدان" (الرحمن٦)

اهتداء الحيوانات : "وأوحى ربّك إلى النحل" (النحل٦٨)

اهتداء النفس الإنسانية : "فألهمها فجورها وتقواها" (الشمس٨)

"إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا" الإنسان٣

"وهديناه النجدين" البلد ١٠

"بل الإنسان على نفسه بصيرة" القيامة ١٤

اهتداء الأنبياء ع : "وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب" (الشورى١٥)

اهتداء خاتم الأنبياء ص : "فأوحى إلى عبده ما أوحى" (النجم٤)

ملاحظة هامة :

توجد طرق أخرى للإيمان بوجود الإله أو بوجود شيء ، وقد تكون هذه الطرق موجودة عند أكثر الناس حيث لا يكون الدليل دليلا علميا محكما حسب القواعد الفلسفية والمنطقية :

منها : أن الإنسان يقع في مصيبة فيدعو فيستجاب له وترتفع مصيبته ، فيؤمن بوجود الله إذا كان مسلما ، أو وجود الإله إذا لم يكن مسلما .

منها : أن الشخص يرى رؤيا في النوم فيؤمن بشيء كما رآه ، مع أن الرؤيا ليست حجة .

منها : السحر والتنجيم وقراءة الكف والفنجان حيث يؤدي إلى الإيمان بشيء مع أنها ليست حجة .

منها : أن أبويه يعتقدان بشيء فهو يعتقد به أيضا .

"كل مولود يولد على الفطرة وأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه" .

منها : الكشف ، وهو طريق العرفاء ، فيعتقد بوجود الله لأنه حصل له الكشف بوجود الله ، والنبي ص اعتقد بأنه نبي وأن الذي جاءه هو جبرئيل وأن الله قد بعثه إليه عن طريق الكشف والعلم الحضوري لا العلم الحصولي عن طريق الدليل .

منها : العقل الجمعي أو إجماع الناس على شيء ، فلأن الناس يعتقدون بشيء فهو يعتقد ، مثلا يولد في بيئة فيها مسلمون فيعتقد بوجود الله ، وإذا سألته عن دليله على وجود الله ، فيقول بأنه ليس من المعقول أن جميع هؤلاء مخطئون ، ولكن اليهودي والمسيحي والبوذي وعابد الصنم والملحد حينما يعيشون في بيئاتهم يستدلون بنفس الدليل ، وكل دين وكل مذهب وحتى الملحدون يعتقدون أن ما يؤمنون به هو الحق ، وأن سواهم على باطل ، مع أن المقياس للحق ليس هو كثرة الناس أو قلتهم ، فهذا الطريق ليس حجة ، وأكثر الناس لا يبحثون عن الأدلة على ما يعتقدون ، وهذا موجود في كل دين ومذهب ، ولو سألت الناس عن الأدلة على ما يعتقدون فإن

أكثرهم لا يستطيعون الإجابة ، فأكثر الناس دينهم وراثي حسب أبويه والبيئة التي عاش فيها ، لذلك تجد أن الذين ينتقلون من دين إلى دين آخر أو من مذهب إلى مذهب آخر عددهم قليل نسبة إلى عدد المنتسبين إلى هذا الدين أو ذاك الدين ، أو هذا المذهب أو ذاك المذهب ، أو هذه المدرسة أو تلك المدرسة ، فكل مدرسة أو دين أو مذهب تدعي أنها على حق ، ويملكون الحق المطلق ، وأن غيرهم على باطل ، وعندهم الباطل المطلق ، والصحيح أن كل شخص وكل مدرسة وكل دين وكل مذهب عنده نسبة من الحق المطابق للواقع .

والمطلوب من الإنسان أن لا يعتقد بشيء إلا إذا كان عنده الدليل على صحة هذا الاعتقاد ، والأدلة تختلف بحسب عقل المعتقد ، فالبعض لا يقنع إلا بالأدلة العلمية المحكمة ، والبعض يكفيه النظر إلى السماوات والأرض ، والبعض يكفيه النظر إلى أجهزة جسده ، والبعض يكفيه النظر إلى نملة أو نحلة أو حيوان معروف في بلده .

"أفلا ينظرون إلى الجبال كيف نصبت"

أفلا ينظرون إلى الأرض كيف سطحت"

"أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت"

والإبل مثال ومصداق .

"وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون"

رواية "ما آمن المؤمن حتى عقل"

"ينبئ عن قيمة كل امرئ علمه وعقله"

"على قدر العقل يكون الدين"

منها : بعض الحالات الخاصة تؤدي إلى الإيمان بوجود الإله ، كالخوف إذا أشرف الإنسان على الغرق ، أو الفزع عند مواجهة الموت ، فيتوجه إلى قوة خفية قادرة على إنقاذ الغريق ونجاة من يواجه الموت .

آيات الغرق .

"أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء"

وقد يقال بأن الإنسان لكي يؤمن بشيء لا يحتاج إلى الدليل العلمي المحكم ، فيكفي أن يؤمن ولو بأي طريق كان ، وهذا حال أكثر الناس ، ولو طالبناهم بالدليل العلمي المحكم فإنهم لا يمكنهم الإتيان به ، ولو أتوا بدليل فإنهم لا يمكنهم الإجابة على الإشكالات العلمية التي تطرح على الأدلة التي يذكرونها ، ولكن يأتي إشكال وهو أن كثيرا الناس يعتقدون بأديان أخرى أو يلحدون اعتمادا على أدلة غير علمية ، فإذا نقبل إيمان المسلم من غير الدليل العلمي فيقول أصحاب الأديان الأخرى بأننا سلكنا نفس الطريق وآمنا بلا دليل علمي ، فيكون حال غير المسلمين ككثير من المسلمين الذي يعتقدون بلا أي دليل علمي ، وإنما تقبلوا الإسلام باعتبار الوراثة من الأبوين أو العيش في بيئة فيها مسلمون ، فأسلموا بلا أي تفكير بأن ما هو الدين الصحيح ، ولم يقارنوا بين الأديان ليصلوا إلى الدين الصحيح ، ولو كانوا قد ولدوا من أبوين بوذيين لصار بوذيا ، ولو ولد من أبوين

يهوديين لصار يهوديا ، ولو ولد من أبوين ملحدين لصار ملحدا ، ونسأل : كم مسلم قام ببحث عن الدين الصحيح واختار الإسلام بناء على التفكير والدليل ؟

ونأتي إلى المسلمين نجد أنهم ينقسمون إلى فرق ومذاهب ومدارس ، فمن قام بالبحث بين هذه الفرق والمذاهب والمدارس لكي يختار الصحيح من بينها ؟

فهذا يصير سنيا لأنه ولد من أبوين سنيين ، وذاك شيعي لأنه ولد من أبوين شيعيين ، والثالث يختار مذهبا آخر لأنه ولد من أبوين من هذا المذهب ، والذين ينتقلون من دين إلى آخر من مذهب إلى آخر ومن مدرسة إلى أخرى قليلون لا يشكلون قاعدة ، بل القاعدة هي البقاء على دين الآباء والأجداد .

بمعنى الآية : إنا وجدنا آباءنا . . . وإنا على آثارهم مقتدون

النتيجة النهائية :

البراهين العقلية توصل الباحث عن الحقيقة إلى عالم الغيب ، ويصل إلى وجود إله خالق للكون .

@شبهات وردود :

نعرض هنا بعض الشبهات والردود عليها :

الشبهة الأولى : الطبيعة وُجِدَتْ بدون موجِد :

الطبيعة وجدت دون موجِد لها ، وذلك لأنها تحمل علة وجودها بذاتها ، فالطبيعة خلقت نفسها ، وليست مخلوقة من قبل كائن يتميز عنها بالاستقلال والقدم والكمال ، فتكون الطبيعة هي خالقة ومخلوقة في نفس الوقت .

رد الشبهة الأولى :

نأتي بعدة ردود :

الرد الأول :

لازم الاعتقاد السابق أن النظام والتناسق والانسجام الموجود في الكون قد صدر من قوة عمياء صمّاء لا علم لها ولا إرادة ، وأنها تفعل شيئا عبثا ، وتترك شيئا من غير أي سبب ، وليس عندها حكمة وغاية ، وتفسير الكون بالإرادة الإلهية أقرب إلى العقل من فكرة وجوده بلا سبب ، فالعقل يسأل دائما عن سبب وجود الأشياء ، وهذا أمر مألوف في حياة الناس ، وأقرب سبب أن يكون الكون من صنع خالق مبدع حكيم ، وأما وجود الكون صدفة من غير سبب فبعيد عن عقل الإنسان ، والعقل يربط المسبَّبات بالأسباب والنتائج بالمقدمات ، والماديون يلجأون إلى الصدفة حين يعجز العلم عن التفسير ، فتكون الصدفة هي إله الماديين لأن الصدفة هي الخالقة للكون ، وبعض الذين أنكروا رسالات الأنبياء ع لم يجحدوا فكرة الألوهية ، فكانوا يعترفون بوجود إله ، ولكنهم كانوا ينكرون كونهم رسلا مبعوثين من الإله إلى الناس .

الرد الثاني :

الطبيعة التي لا عقل لها ولا شعور خلقت إنسانا مفكرا عنده عقل وشعور ، وفاقد الشيء لا يعطيه .

الرد الثالث :

لو كان وجود الطبيعة ذاتيا لكان من المستحيل أن تتغيّر من حالة إلى حالة أخرى ، وإنما تكون ثابتة على حالة واحدة لا تتغيّر ولا تتبدّل ، وتغيّرها دليل على أنها ليست ذاتية الوجود ، وأن وجودها معلول لكائن ذاتي الوجود لا تحدث فيه التغيّرات ، وإنما يكون ثابتا لا يتغيّر أبدا .

الرد الرابع :

الحوادث المتغيّرة في الطبيعة ترجع إلى حوادث أخرى ، فبعض الحوادث تكون علة ، وبعضها تكون معلولة ، والطبيعة بجميع ما فيها ذاتية الوجود ، فيكون جميع ما في الطبيعة عللا ، ولا يوجد أي معلول ، ووجود العلل والمعلولات في الكون دال على أن وجود الطبيعة ليس ذاتيا ، وإنما وجودها مفاض عليها من كائن آخر يكون موجودا بذاته ، ويكون علة لكل شيء في الكون .

الرد الخامس :

اكتشف الإنسان قوى الطبيعة وسخرها لحاجاته ، ومن المستحيل أن تكون الطبيعة الخالقة عبدة مسخّرة لغيرها .

الشبهة الثانية : الألوهية فكرة اخترعها الإنسان :

الألوهية فكرة من ابتداع الإنسان ليفسّر بها المجهول ، وتطوّرت عبر الزمان من عبادة الشمس والنار إلى عبادة الملائكة والأرواح ، ثم إلى عبادة إله حكيم موجود وراء الطبيعة ، وبعد ذلك عرف الإنسان الحقيقة بأن الحوادث الطبيعية سببها حوادث طبيعية مثلها لا أن سببها من عالم ما وراء الطبيعة ، وهكذا يصل العلم إلى معرفة أسباب الأشياء بدون وجود أي غيبيّات .

رد الشبهة الثانية :

نعلم أن الحوادث ترجع إلى عللها القريبة ، ولكن توجد لها علل بعيدة ، ولا يمكن تفسير هذه العلل البعيدة ، مثلا يرجع وجود الشجرة إلى الأرض ، ولكن وجود الأرض يرجع إلى أي شيء ، والشجرة تنمو وتثمر إذا توفر لها التراب والماء والضوء والهواء ، فمن أوجد هذه المواد ، وكذلك الشمس من أي العناصر وُجِدَتْ ، وإذا عرفنا العناصر التي تكونت منها الأرض والشمس فمن أوجد هذه العناصر ، ومن الذي جمع العناصر لتتكون الأرض والشمس ، ومن أوجد المليارات من النجوم والكواكب ، وهل تتحرك الأرض والشمس والنجوم والكواكب ضمن قوانين معيّنة ونظام معيّن أو تتحرك بشكل عشوائي ، وإذا كانت تتحرك ضمن قوانين ونظام فمن الذي أوجد هذه القوانين وهذا النظام الذي يحفظ الكون ، والكون أعظم من أن تتصوره العقول ، وهذا الكون العظيم بأسراره ودقته وعجائبه وجماله يحتاج إلى خالق أعظم من الكون .

وعلوم الطبيعة لا يمكن أن تجيب عن هذه الأسئلة على الرغم من تقدّم العلوم يوما بعد يوم بل ساعة بعد ساعة ، فعلوم الطبيعة عاجزة عن الوصول إلى الحقيقة المطلقة ؛ لأنها تعتمد على المشاهدة والتجربة فقط ، والحقيقة المطلقة بعيدة عن المشاهدة والتجربة ، والتجربة لا تعطي كل المعارف ، وتوجد حقائق كثيرة اعتقد بها العلماء مع أن العلم يعجز عن إثباتها بالتجربة ، ويمكن الوصول إلى الحقيقة عن طريق العقل الذي يثبت وجود إله خالق للكون ، أوجد كل ما في الكون ، وأوجد القوانين والنظم التي يسير الكون بكل ما فيه على أساس هذه القوانين والنظم ، وليس من الضروري لنؤمن بشيء أن نراه بأعيننا ، فنحن نؤمن بما نستنتجه من معلومات ، وأحيانا لا نؤمن بما نراه بأعيننا بسبب خداع البصر ، كأن نرى العصا مكسورة داخل الماء مع أن العصا مستقيمة واقعا ، فلو حصرنا أسباب المعرفة بالتجربة فقط لتهدّمت أكثر معارفنا ، والماديون ينفون وجود أي شيء وراء المادة والطبيعة ، ويقولون بأن الإيمان بهذا الشيء إيمان بالغيب ، ولا يعتمد على الحس والتجربة ، وما لا يمكن معرفته بالحس والتجربة فلا وجود له .

قال فرنسيس بيكون : "إن عقل الإنسان قد يقف عندما يصادفه أسباب ثانوية مبعثرة ، فلا يتابع السير وراءها ، ولكنه إذا أمعن النظر فشهد سلسلة الأسباب كيف تتّصل حلقاتها لا يجد بدًّا من التسليم بالله" .

وقال أفلاطون : "علمت أني لا أعلم شيئا" .

وقال نيوتن : "إن علمي بحقائق الأشياء أقل من علم الأطفال بما في أعماق البحر" .

الشبهة الثالثة : أين مكان الإله الخالق ؟

فيسأل : أين يعيش الإله لأن كل موجود لا بد من حيّز يشغله ومكان يوجد فيه ؟

رد الشبهة الثالثة :

إن الإله هو الذي خلق الزمان والمكان فلا يسأل بمتى وأين عنه ، فهو موجود قبل الزمان والمكان ، فموجود حيث لا زمان ولا مكان ، فالأول الذي لا أول قبله ، والآخر الذي لا آخر بعده ، والذي لا يحتاج في وجوده إلى علة فلا يُسْأَلُ عنه بأين كان وأين يكون وأين سيكون ، وعلة وجود الخالق ذاتية ، ولا ينفك عنه الوجود أبدًا ، وما يكون من لوازم الذات لا يسأل عن زمانه ومكانه ، مثلا الزوجية لازم ذاتي للأربعة ، فلا يقال متى كانت الأربعة زوجا ، فالزوجية متى لم توجد حتى يقال متى وُجِدَتْ ، وكذلك سؤال "أين يوجد الإله الخالق ؟ ومتى وجد ؟" إذ متى لم يوجد جتى يقال متى وُجِدَ ، وأي مكان لا يوجد فيه أثره حتى يقال أين يوجد ، فالإله دائم لا بزمن ، وكائن لا بحلول في مكان .

إن من يسأل هذا السؤال يقيس الخالق بالمخلوق ، وَيُشَبِّهُ من لا يُرَى بمن يُرَى ، إن وجود الإله يختلف عن وجود الكائنات التي توجد في

زمان دون زمان ، وفي مكان دون مكان ، ولو شغل الإله مكانا لخلت منه بقية الأمكنة ، ولكان جسما محتاجا إلى حيّز مع أنه غني عن كل شيء .

سؤال : ما هو المقصود من قول المؤمنين بوجود إله : "الإله لا مكان له ، وهو موجود في كل مكان" ؟

هذا القول يدل على أن الإله موجود وغير موجود ، وهذا جمع بين النقيضين ، واجتماع النقيضين مستحيل ، كما أن ارتفاعهما مستحيل .

الدليل دلّ على أن الإله لا يمكن أن يوجد في مكان وإلا لاحتاج إلى المكان ولما كان غنيّا عن كل شيء ، فالمراد من وجوده في كل مكان وجود قدرته وعظمته ، فجميع الأشياء تشهد بوجود خالق الكون ومدبِّره ، فمعنى وجود الإله الخالق في كل مكان هو ما قصده الشاعر بقوله :

وفي كل شيء له آية تدلّ على أنه واحد

إن الدليل يدل على عدم حلول الإله وتحيّزه في مكان خاص ، ونفس هذا الدليل يدلّ على عدم حلوله وتحيّزه في كل مكان ، فمعنى أن الإله لا مكان له هو أنه غير حالّ ولا متحيَّز في مكان ، ومعنى وجود الإله في كل مكان هو أن آثار قدرته وعظمته تظهر في كل مكان ، وهكذا يرتفع التناقض .

الشبهة الرابعة : من رأى الإله ؟

لم نسمع بأن أحدا رأى الإله ، ولا يمكن أن نسلِّم بوجوده ونؤمن بما لا نراه بأعيننا ، والمؤمنون بالإله يفترضون وجوده حتى يفسِّروا به الكون ونظامه الدقيق لأنهم عجزوا عن تفسيره بالعلم والحس ، فهم يزعمون أن هذا النظام الكوني لا يمكن أن يصنعه إلا قوة خارقة وراء المادة والطبيعة ، وهذا إيمان بالغيب ، ولا يمكن أن نسلِّم بالغيب ، هذا أولا ، وثانيا النظام الكوني تولَّد من نفس الكون لا من قوة خارجية عنه .

رد الشبهة الرابعة :

إن الذي يُرَى هو الجسم الذي يشغل حيِّزا ومكانا ، فينعكس النور من الجسم إلى العين ، بل إن كثيرا من الأجسام الصغيرة لا يمكن رؤيتها بالعين المجرّدة ولا حتى بالمجهر ، إن الإله يرى بالبصيرة لا بالبصر ، فالعقل يعلم بوجود إله خالق للكون لأنه يعلم صفات الإله وأفعاله ، وأما معرفة ذات الإله فمستحيلة ، والذي دفع البعض لأن يظن بأن الإله يمكن أن يُرَى هو نزعته إلى الأمور المادية وارتباطه بالمادة في حياته .

روي عن أمير المؤمنين ع : "تَكَلَّمُوا في خلق الله ، ولا تَكَلَّمُوا في الله ، إن التكلم في الله لا يزيد صاحبه إلا تحيّرا" .

سؤال : إننا نعيش في عصر العلم ، ومع هذا لم يكتشف عالم واحد في مختبره وجود الإله الخالق ، ولو كان الإله موجودا لظهر وبان ، فلماذا لم يظهر الإله في المختبرات ؟

الجواب :

للمختبر حدّ لا يتعدّاه ، وهو الأجسام وأجزاء الطبيعة ، فالعلم الطبيعي يبحث عن أجزاء الكون ، وارتباط بعضها ببعض ، والعلماء في المختبر يشاهدون التجارب ويستنتجون النتائج ، ولكن لا يمكنهم الوصول إلى جميع الحقائق اليقينية لظواهر الكون ، وفي المختبر يجرون التجارب على أجزاء الكون والطبيعة ، وأما الأمور الغيبية وما وراء الكون والطبيعة فلا تقع تحت التجربة ، مثلا العقل والنفس لا يمكن إجراء التجارب عليهما ، ولكن يعرفان بآثارهما وإنتاجهما ، وكذلك فالإله لا تُعْرَفُ حقيقته وكنهه ، وإنما يُعْرَفُ بآثاره وأفعاله ومخلوقاته ، وآثاره وأفعاله ومخلوقاته تدلّ على وجوده ، والمنكرون لوجود الإله الخالق لأنه غيب هم أنفسهم يؤمنون بالغيب حيث يؤمنون بأمور لا تنالها التجربة ، ويستحيل للحس أن يصل إليها ، مثل الجاذبية في المادة ، والمغناطيس في الحديد ، وما يجري في العقل من تفكير ، وما يختلج في القلب من ميول ، وكيفية تخزين الذاكرة للمعلومات وحفظها لوقت الحاجة ، هذه أمور غيبية يعتقد بها المنكرون للإله مع أنها لا تقع تحت التجربة والحس ، وكل هذه الأمور تعرف بآثارها ، ولولا الإيمان بالغيب لما استطاع الطبيب أن يكتشف الأمراض ، فهو يكشف نوع المرض عن طريق آثاره ومسبَّباته ، وصاحب الحفريات يتحدث عن الأمم السابقة من مشاهدة البقايا والحطام ، والكون يزخر بالحقائق الخفية التي يؤمن بها الإنسان ولم يرها بعينه لأنه يرى

آثارها ، فينتقل من العلم بآثارها إلى العلم بها مع أنه لم يرها بعينه ولم يجر التجارب عليها ، وبطريق أولى يكون الإيمان بالإله الخالق ضروريا بعد ظهور آثاره في مخلوقاته ، والذي لا يؤمن بوجود الإله بتبرير أنه لم يره لم يستعمل عقله لأن دور العقل أن يرشدنا إلى ما لا يمكن إدراكه بالحس والتجربة ، فيدرك العقل المغيَّبات من آثارها ، ويؤمن بها حتى لو لم يرها بعينه ، ويؤمن بها كأنها مجسَّدة أمامه ، فهم اعترفوا بالخلق وأنكروا الخالق .

لقد اكتشفوا في مختبراتهم المعادلات الدقيقة والقوانين المحكمة ، فنسأل : من الذي أوجد هذه القوانين المحكمة؟ من الذي أوجد هذا الانسجام في الكون؟ من الذي أوجد المواد الأولية التي نشأ الكون منها؟ من الذي ألّف بين هذه المواد حتى تنشأ الشموس والكواكب والمجرات والنجوم والمخلوقات المفكِّرة وغير المفكّرة مع أن كلها متكوِّنة من الذرات المركّبة من الإلكترونات والبروتونات والنيوترونات؟ من الذي أعطى الحياة للنبات والإحساس للحيوان والعقل للإنسان مع أن خلاياها متشابهة؟ من الذي جعل المخلوقات أنواعا كثيرة مختلفة؟

إن الله الإله الخالق لكل شيء هو الذي أراد تنوّع المخلوقات ، ولا رادّ لإرادته ومشيئته وقدرته .

"إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون" يس٨٣

سؤال : تقولون إن ظهور الله أوضح من ظهور الشمس لأن آثاره تملأ الكون وفي كل شيء له آية فكيف يكون وجوده خافيا ويجحده الجاحدون؟ وهل يوجد شخص ينكر وجود الشمس؟

الجواب :

إن الأحوال إذا اتصلت لا يشعر بها الإنسان ، فلا يشعر الإنسان باللذة إذا استمرت ، كالإنسان الذي يحصل على أطعمة لذيذة دائما فإنه لا يشعر بالالتذاذ بها بعد مرور مدة ، فالنعمة لا تُعْرَفُ إلا بعد فقدها ، والصحة والعافية لا تعرف إلا بعد فقدها ، والألم ينقص إذا اتصل ، وإذا تعوّدت على حركة عقارب الساعة فإنك بعد مرور فترة لا تسمعها ، والشمس عُرِفَتْ بعد غيابها ، ولو استمر شروقها لما التفت إليها أحد ، والإنسان إذا رأى نباتات الربيع فإنه يرى الكثير من الألوان ، ولكنه يظن أنه يرى الألوان ولا يرى ضوء الشمس ، ولكنه عند غروب الشمس يدرك الفرق في ألوان النباتات ، فاللون الذي يقع عليه ضوء الشمس يختلف عن نفس اللون بعد غروب الشمس ، فضوء الشمس يُدْرَكُ مع الألوان ، ولكنه لشدة ظهوره واتحاده باللون لا يلاحظه الإنسان ولا ينتبه إليه ، فقد يكون استمرار ظهور الشيء سببا لخفاء هذا الشيء وعدم الانتباه إليه ، والأشياء تُعْرَفُ بأضدادها ، وما لا ضد له تتشابه أحواله ، ويكون خفاؤه لشدة ظهوره ، وهكذا الله سبحانه لم يره الجاحدون لشدة ظهوره .

الشبهة الخامسة :

كان البدائيون يعلّلون ما يحدث في الكون بقوة تكمن وراءه وخارجة عنه ، ومع مرور الأيام اكتشف علماء الطبيعة أن في الكون قوانين ثابتة لا تتغير ولا تتبدل ، وبهذه القوانين ترتبط حركات النجوم والكواكب وكل ظاهرة طبيعية من أصغر جرم إلى أكبره ، فالنظام الكوني جاء من نفس الكون لا من قوة خارجية عنه ، وجعل الكون في نفسه نظاما معيَّنا ، وهذا التعليل يعرف بالتّولّد الذاتي والتفسير الميكانيكي ، والنتيجة أنه لا يوجد شيء وراء الطبيعة ، وإنما الكون يدير نفسه بنفسه .

رد الشبهة الخامسة :

المادة جامدة عمياء صمّاء ، لا روح فيها ولا شعور ولا وعي ولا إدراك ، فيستحيل أن تنظِّم نفسها بنفسها ، ويستحيل أن تقدِّر كل شيء في الكون على قوانين ثابتة ونظم دقيقة ، والتقدير والقانون والنظام يستحيل أن يوجد بلا مُقَدِّرٍ وَمُقَنِّنٍ وَمُنَظِّمٍ خالق قادر عالم حكيم .

وإذا قيل بأنه قبل وجود الكون على وضعه الحالي كانت هناك مادة – يطلق عليها الأثير – تملأ الفضاء ، ثم حدثت حركة قوية فجأة صدفة ، واستمرت ملايين السنوات ، وبسبب هذه الحركة المستمرة تطورت المادة وتألف الكون بأرضه وسمائه ونظامه وانسجامه واتّساقه .

قلنا بأنه كيف عرفتم بوجود هذا الأثير مع أنه لا يقع تحت الحس ولا التجربة ولم تدل عليه الآثار ، ولو فرضنا وجوده فمن الذي أوجده

وحرّكه حيث لا يمكن للصدفة والحركة العشوائية أن تنتج هذا النظام البديع الشامل للكواكب والنجوم والمجرات؟ وهل يقبل العاقل ذو الشعور أن عقله تولّد من مادّة لا عقل لها ولا شعور وأن سمعه وبصره أوجدهما ما لا يسمع ولا يبصر وأن بصمات الأصابع وملامح الوجوه المتكثرة بتكثر المليارات من أبناء البشر وجدت صدفة بدون خالق عاقل عالم قادر حكيم؟!

إن التفسير الميكانيكي للكون معناه أن المادة هي الموجود الوحيد ، وأنه لا شيء وراءها إطلاقا ، وهذا إنكار لخالق المادة ، وهنا نحن بين أمرين : إما أن تكون الحياة من خواصّ المادة ، ومظهرا من مظاهرها الذاتية ، وإما أن تكون الحياة من صنع قادر مريد أودع الحياة في المادة ، فعلى الأمر الأول يجب أن تكون المادة حية بشتى أنواعها من غير تفرقة بين مادة ومادة أينما كانت وتكون ، وهذا خلاف الواقع الملموس لأن الكائنات الحية تبدي من الظواهر ما لا يمكن تفسيره طبقا لخواص المادة الطبيعية ، بالإضافة إلى أن الحياة لا تنشأ وتتولّد تلقائيا من المادة الجامدة لأن الحي لا يتولد إلا من حي ، والمادة الجامدة لا يمكن أن تكون سببا للتنوع الهائل الموجود في الكائنات من الأعشاب والأشجار والطيور والأسماك والحشرات والجراثيم والحيوان والإنسان ، وما دام أن الأمر الأول خلاف الواقع فيتعين الأمر الثاني ، وهو أنه يوجد إله خلق هذا الكون ، والحياة ليست جسما ولا من جسم ، وإنما هي روح يجعلها الله في الجسم الجامد فينقلب إلى جسم

حي يحيّر العقول ، كما أن الأديب البارع يسكب من أدبه على الألفاظ الجامدة فتنقلب الألفاظ إلى ألفاظ حية تسحر وتبهر ، إن جوهر الحياة شيء ، وجوهر المادة شيء آخر ، ولكنهما يتفاعلان ويؤثر أحدهما في الآخر .

الشبهة السادسة :

الأديان تمر بمرحلة انهيار بسبب العلم وتطور الوعي وظهور المعارف الجديدة ، وجميع الديانات جهل وخرافة ، وكلما تقدمت العلوم تأخرت الأديان ، بل مع تقدّم العلوم لا توجد حاجة للأديان بما فيها الإسلام .

رد الشبهة السادسة :

الإسلام يحارب الجهل والوثنية بجميع أنواعها ، ويدعو إلى العلم والفضيلة والأخلاق ، ويذم التقليد الأعمى ، ويشبّه الجهل بالظلمات ، ويشبّه الجاهل بالميّت والأعمى الأصم الأبكم ، ولا يمكن أن يأتي العلم ويقول بأنه لا يريد دين يقوم على أساس العلم والحق والعدل ، دين يقول : "وقل رب زدني علما ، ويقول : "يرفع الله الذي آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات" ، ولا ينكر العلم نبوة من يقول : "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق . . . أتيتكم بالشريعة السهلة السمحة" ، والعلم لا يحارب دينا يخرج الناس من العبودية إلى الحرية ، ومن الجهل إلى العلم ، وأوجب النبي ص العلم على الذكور والإناث بقوله : "العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة" ، وقوله : "اطلبوا العلم

ولو في الصين" ، ويقول علي أمير المؤمنين ع : "العلم دين يُدانُ به . . . وأعلم الناس من جمع علوم الناس إلى علمه" .

الإسلام أمر أتباعه بأن يجمعوا علوم الناس إلى علومهم ليكونوا في طليعة الأمم ، وليزدادوا يقينا بدينهم ، ودعا إلى تدبر آيات القرآن الكريم ، فهذا قرآن الله فتدبروه : "أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها" محمد٢٥ ، حتى يتأكدوا أنه دين الحق : "ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد" سبأ٧ .

وفي القرآن الكريم إشارات علمية لعلماء الطبيعة حتى يبحثوا في هذه المسائل ، منها :

"والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم" يس٣٩

هل الشمس ثابتة أو متحركة؟ وإذا كانت متحركة فإلى أين ستنتهي؟

"ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلم تذكّرون"

الزوجية موجودة في كل شيء ، مثلا الذّرّة مكوّنة من البروتون الموجب والإلكترون السالب ، والزوجية موجودة في الإنسان والحيوان والنبات وجميع الموجودات ، هل الصدفة أوجدت هذه الزوجية في كل شيء أو قوة عالمة قادرة حكيمة؟

ومن أين جاء النبي ص بالمعلومات العلمية الموجودة في القرآن الكريم؟ وهل يمكن أن النبي ص كتب القرآن مع عدم توفر هذه المعلومات في

عصره؟ ألا يدل ذلك على أن النبي ص تلقى هذه المعلومات ممن خلق الأرض والسماوات؟

"هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين"

والقرآن الكريم بتحدّث عن نفسه :

"لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه" .

وللأسف أن المسلمين لم يستفيدوا من القرآن حيث لم يتدبّروا في الآيات التي تطرح الحقائق العلمية ، فظلّوا أمة متخلفة ، وتقدّمت الأمم الأخرى علميا وصناعيا ، ولو أرادوا التقدم فعليهم أن يتمسكوا بالقرآن الكريم ، ويستخرجوا حقائقه ، ويعملوا بها ، وعليهم أن يأخذوا بالإيمان بالله والتقوى والحق والحرية ، والحرية هي أن تتحرر العقول من الأوهام والخرافات ، وتأخذ بالعلوم والمعارف ، فيحصلون على العزة والكرامة بين الأمم ، وبذلك يصيرون خير أمة أخرجت للناس ، وبدون هذا الطريق سيظل المسلمون في آخر قائمة الأمم .

إن الإسلام لا يضادّ العلم ، ولا يحاربه ، بل إن الآيات القرآنية تدعو إلى العلم ، وتبيّن منزلة العلماء ، وتشيد بمكانتهم ، والإسلام يحث أتباعه على البحث والنظر والتّأمّل والتفكر .

"يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات"

"ما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم"

@الشرور في العالم وعدل الإله :

ثبت بالأدلة وجود إله خالق للكون ، ومن أهم المسائل التي تقف أمام الإيمان بوجود إله للكون هو مسألة الشرور في العالم ، فيقولون بأن وجود الشرور دليل على عدم وجود إله ، ولكن هذه المسألة لا تدل على عدم وجود إله ، وإنما تدل على وجود إله شرير ظالم غير عادل ، إذن فوجود الإله الخالق للكون ثابت وحقيقة ، ويأتي النقاش بعد ذلك لنرى هل أن الإله عادل أو ظالم؟ وهل وجود الشرور في العالم دليل على ظلم الإله؟ وكيف يمكن التوفيق بين عدل الإله ووجود الشرور في العالم؟

ولعدم إمكان بعض الأديان حل مشكلة الشرور في العالم قالوا بالثّنويّة أي وجود إلهين : إله الخير ، وإله الشر ، إذن عندهم وجود الإله ثابت ، ولكن يؤمنون بتعدد الآلهة .

وإشكال الشرور يَرِدُ على من يعتقد بوجود الإله العالم القادر الحكيم والخير المطلق ، وأما من يعتقد بأن الخالق هو الطبيعة العمياء ويقول بأزلية المادة فلا يَرِدُ عليه هذا الإشكال .

الاستدلال على عدم وجود الإله من وجود الشرور في العالم :

الاستدلال قائم على النقاط التالية :

النقطة الأولى :

إذا كان الإله موجودا فهو على كل شيء قدير وبكل شيء عليم ويتصف بجميع الكمالات الأخلاقية ، كالعدل والرحمة والمحبة للخلق .

النقطة الثانية :

إذا كان الإله قديرا على كل شيء فلا بد أن تكون لديه القدرة على دفع الشرور عن العالم .

النقطة الثالثة :

إذا كان الإله بكل شيء عليم فهو يعلم بزمان وجود الشرور في العالم .

النقطة الرابعة :

إذا كان الإله متّصفا بجميع الكمالات الأخلاقية فلا بد أن تكون لديه الرغبة لدفع كل الشرور في العالم .

النقطة الخامسة :

ولكن الشرور موجودة في العالم ، كالزلازل والبراكين والسيول حيث تتسبّب في إزهاق الأرواح وتدمير الممتلَكات ومعاناة الناس .

النقطة السادسة :

إذا كانت الشرور موجودة والإله موجودا ، فتكون النتيجة أنه إما أن الإله ليست لديه القدرة على ذفع الشر وإما أنه لا يعلم بزمان وجود الشر وإما أنه ليست لديه الرغبة لدفع الشر .

النقطة السابعة :

النتيجة أن الإله غير موجود .

إن هؤلاء نظروا إلى جهة واحدة ، وتغافلوا عن جهات كثيرة جدا ، فهم لم ينظروا إلى النظام والجمال والتناسق والانسجام في الكون .

"فارجع البصر هل ترى من فطور" الملك٣

ولم ينظروا إلى النعم الإلهية الكثيرة .

"وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها" النحل١٨

والانسجام والتناسق والجمال والنعم الكثيرة هي القاعدة ، وقد يقال بأن الشرور استثناء من تلك القاعدة ، ولكن نقول بأن الشرور ليست استثناء من القاعدة ، بل هي تضيف شيئا إلى الجمال والانسجام العالمي الكوني .

بالإضافة إلى أن هؤلاء لا يدركون أنه إذا كان الإله خالقا للكون فإن كل ما في الكون يكون ملكا له ، ولا بد أن تتجسد العبودية الكاملة له في الرضا بكل ما يفعله بنا ؛ لأننا نعلم يقينا أنه حكيم لا يفعل بنا إلا لغرض وغاية ومصلحة ترجع إلينا لا إليه .

الرد على استدلالهم السابق :

نأتي للرد على الاستدلال السابق نقطة بعد نقطة :

الرد على النقطة الأولى :

قولهم هو أنه إذا كان الإله موجودا فهو على كل شيء قدير وبكل شيء عليم ويتصف بجميع الكمالات الأخلاقية كالعدل والرحمة والمحبة للخلق .

في الرد نقول نعم الإله موجود وهو على كل شيء قدير ، وإذا لم يقم بفعل معيَّن فنسأل : لماذا لم يقم بهذا الفعل؟

والجواب أنه لا يوجد شك في عدم وجود قصور في فاعلية الفاعل ، حيث لا يوجد حد لقدرة الإله ، فننتهي إلى أنه يوجد قصور في قابلية القابل ، حيث لا توجد قابلية في القابل لتقبل قدرة الإله ، وهذا مثل أن نقول هل الإله قادر على أن يدخل العالم في بيضة على أن يبقى العالم على حجمه والبيضة على حجمها ؟

هنا البيضة لا تقبل دخول العالم فيها ، وذلك لاستحالة أن يدخل الشيء الكبير في الشيء الصغير مع بقائهما على حجمهما ، فتوجد استحالة وعدم قابلية من جهة القابل ، فهو ممتنع بالذات ، والمستحيل الوقوع لا شيئية له ، والإله قادر على كل شيء ممكن ، فالإله لا يعجز عن شيء من الممكنات ، والقدرة تتعلق بما يمكن وجوده ، والمستحيل لا يدخل في دائرة قدرة الإله لأن المستحيل ليس ممكنا ، فلا تتعلق قدرة الإله بالمستحيل ، وعدم تعلق القدرة بالمستحيل لا يؤدي إلى عجز الإله ونقصه حيث لا يوجد نقص في القدرة ، وإنما النقص يكون في المستحيل لأنه غير قابل للوجود ، فالنقص موجود في القابل لا في الفاعل .

التوحيد الشيخ الصدوق ص١٣٠ ح٩

عن عمر بن أذينة عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قيل لأمير المؤمنين عليه السلام : هل يقدر ربك أن يدخل الدنيا في بيضة من غير أن يصغر الدنيا أو يكبر البيضة ؟ قال : "إن الله تبارك وتعالى لا ينسب إلى العجز ، والذي سألتني لا يكون" .

وكذلك الإله بكل شيء عليم ، وإذا لم يأتِ بفعل معيَّن فنسأل : لماذا لم يأتِ بهذا الفعل؟

والجواب أنه يعلم بمصالح لا يمكن لنا الاطلاع عليها ، وكم من المرات يفعل الله لنا شيئا ونعترض ثم يتبيّن بعد ذلك أن ما فعله الله هو الخير لنا ، وتكون مصلحتنا فيه وإن كنا سابقا نعتقد بأن مصلحتنا عكس ذلك ، وذلك لأننا لسنا عالمين بكل شيء ، ولا نحيط بجميع جوانب الشيء ، فنظرة الإنسان قاصرة دائما ، والمثال العرفي لذلك أن الأب يقوم أحيانا بعمل معيَّن ويظن الأبناء أن عمل الأب خاطئ ، ولكنهم حينما يكبرون يدركون أن ما فعله الأب هو عين الصواب .

الكافي الشيخ الكليني ج٢ ص٦٠ ح١

عن أبي عبد الله ع قال : "رأس طاعة الله الصبر والرضا عن الله فيما أحب العبد أو كره ، ولا يرضى عبد عن الله فيما أحب أو كره إلا كان خيرا له فيما أحب أو كره" .

الكافي الشيخ الكليني ج٢ ص٦٢ ح٨

عن أبي عبد الله ع قال : "عجبت للمرء المسلم لا يقضي الله عز وجل له قضاء إلا كان خيرا له ، وإن قرض بالمقاريض كان خيرا له ، وإن ملك مشارق الأرض ومغاربها كان خيرا له" .

الأمالي الشيخ الصدوق ص٦٤٠ ح١٥

عن النبي ص قال : "عجبت للمرء المسلم أنه ليس من قضاء يقضيه الله عز وجل له إلا كان خيرا له في عاقبة أمره" .

الرد على النقطة الثانية :

قولهم هو أنه إذا كان الإله قديرا على كل شيء فلا بد أن تكون لديه القدرة على دفع الشرور عن العالم .

في الرد نقول نعم الإله على كل شيء قدير ، وعنده القدرة على دفع الشرور عن العالم ، ولكنه لا يريد فعل ذلك ؛ لأن الخير والشر مرتبطان ضمن النظام التكويني للعالم ، ولا يقبلان التفكيك عن بعضهما ، فالكون مركّب من الخير والشر .

"وما أمرنا إلا واحدة" (القمر:٥٠)

الرد على النقطة الثالثة :

قولهم هو أنه إذا كان الإله بكل شيء عليم فهو يعلم بزمان وجود الشرور في العالم .

في الرد نقول نعم الإله يعلم متى يوجد الشر ، ولكنه لا يريد دفعه ؛ لأن الشر يقع ضمن النظام التكويني للعالم .

الرد على النقطة الرابعة :

قولهم هو أنه إذا كان الإله متّصفا بجميع الكمالات الأخلاقية فلا بد أن تكون لديه الرغبة لدفع كل الشرور في العالم .

في الرد نقول إن الإله يدفع الشر الذي لا يوجد خير في ضمنه ، فقد يرى الإنسان أن هذا الشيء خير له ، ولكن يتبيّن بعد ذلك أنه شر له ، أو قد يراه شرا له ، ويتبيّن بعد ذلك أنه خير له .

"فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعلَ الله فيه خيرا كثيرا" (النساء:١٩) .

"وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون" (البقرة:٢١٦) .

الرد على النقطة الخامسة :

قولهم إن الشر موجود .

في الرد نقول إن الشر ليس موجودا بالذات بل هو موجود بالتّبع ، فهو أمر عَرَضِيّ ، فالشر إما أمر عدميّ وإما أمر مستلزِم للعدم وإما أمر نِسْبِيّ .

مثال الأمر العدمي :

العمى والفقر اللذان نعتبرهما شرّين ، ولكنهما في الواقع أمران عدميّان ، فالعمى هو عدم البصر ، والفقر هو عدم امتلاك المال ، فالأعمى والفقير لا تضاف إليه صفة وجودية زائدة ، وإنما تسلب منه صفة وجودية وهي الإبصار والمال .

مثال المستلزِم للعدم :

الزلزال أو البركان يعتبران شرين للمتضرر منهما لأنهما يستلزمان إزهاق الأرواح وإتلاف الممتلكات ، فالزلزال والبركان يستلزمان موت الناس ، ولكنهما في الواقع أمران مفيدان للأرض ؛ لأنهما يخفّفان من ضغط الغازات المحتبسة في باطن الأرض ، وبذلك يتم حفظ الجنس البشري من الفناء .

مثال الأمر النسبي :

سم الثعبان شر للإنسان ، ولكنه خير لنفس الثعبان لأنه يحمي نفسه بذلك ، بالإضافة إلى أن الإنسان استفاد من السم لصنع دواء مضاد للسم .

وبالتأكيد في الحالات الثلاث يوجد ألم حاصل للمتضررين من تلك الظواهر ، ولكن الألم لا يعني أن العمى أمر وجودي ، أو أن الزلزال والثعبان شر مطلق .

مثال عرفي للشرور :

الامتحان في المدارس لتمييز الطالب الناجح من الطالب المهمل وعدم إعطاء النجاح لجميع الطلبة ، والطلبة يعتبرون الامتحانات شر ، ولكن يوجد في باطمه الخير ، فمن خلال الامتحانات يميّز الأستاذ الطالب الذي يدرس والذي لا يدرس ، والأستاذ يعتبر الامتحانات خير .

وفي الدنيا الشرور والامتحانات من الله لتمييز المتمسك بالله من غير المتمسك ، وتنبيه الناس إلى وجود خالق ، وهذا خير ، فالشرور تستبطن الكثير من الخيرات .

الرد على النقطة السادسة :

قولهم هو أنه إذا كانت الشرور موجودة والإله موجودا ، فتكون النتيجة أنه إما أن الإله ليست لديه القدرة على دفع الشر وإما أنه لا يعلم بزمان وجود الشر وإما أنه ليست لديه الرغبة لدفع الشر .

في الرد نقول إن الشيء يعتبر شرا لأنه إما أمر عدمي وإما أمر مستلزم للعدم وإما أنه أمر نسبي لا مطلق ، فالشرور عدمية ، أو نسبية ، أو فيها أجر وثواب فيكون فيها الخير ، فبعض الظواهر التي تعتبر شرا هي في الواقع غير موجودة ، وبعضها موجودة ، ولكنها خير في أغلب الحالات ، وفي بعض الحالات قد تؤدّي إلى ظواهر عدمية ، ومن هذه الجهة تعتبر شرا ، ونؤكد على أن الشر غير موجود بالذّات بل هو موجود بالتّبع ، ونقول بأن الإله موجود ، وهو على كل شيء قدير ، ولكنه لا يدفع الشر لا بسبب القصور في فاعلية الفاعل ، وإنما بسبب القصور في قابلية القابل ، فالكون نظام واحد غير قابل للتفكيك ، وإرادة عدم بعض الشرور معناها إرادة عدم كثير من الخيرات ، والشرور عبارة عن عوامل للحصول على الكمال ، فيكون في باطنها الخير .

وكـذلك فـإن الأصـل أن الـدنيا دار ابـتلاء ، والـدنيا ليسـت دار الكمالات بل دار النقوصات والأمور المحدودة غير المطلقة ، فالمرض والصحة المحدودة ، والعمر المحدود ، والعلم المحدود والقدرة المحدودة . بالإضافة إلى أنه إذا لم يوجد الشر لا يعرف الخير ، ويقع التطوير في مقابـل الشـرور ، فينـتج منهـا الخـير ، ويكـون النظـر إلى النتيجـة ، والنتيجة خير ، فلولا الأمراض لما عرفنا الأدوية ، ولولا الزلازل لما عرف اليابانيون كيفية الوقاية منها .

مثال :

هل النار خير أم شر ؟

النار فيها خاصية طبخ الطعام طوال السنة وتدفئة البيت في الشتاء ، ولكن فيها قابلية إحراق البيت ، وهذه الخواص الثلاث مترابطة ، فالسماح بوجود النار معناه السماح بجميع هذه الخواص ، وإرادة عدم إحراق البيت معناها إرادة عدم الطبخ وعدم التدفئة ، فالشر يوجد بالتبع لأن النار فيها خير كثير ، وأمر الإله واحد لا يقبل التفكيك ، والنتيجة أن النار خير ، وعلى الإنسان أن يحذر من أخطار النار ، وأن يتخذ الاحتياطات اللازمة لعدم احتراق بيته .

الرد على أن الشرور عدمية :

لا يكفي في الجواب على إشكال الشرور أن نقول بأن الشرور أمور عدمية أو مستلزمة للعدم ، وما دام أنها أمور عدمية فلا تحتاج إلى خالق ؛ ولا يكفي هذا الجواب لأننا نرى آثار هذه الشرور من أمراض

وزلازل وبراكين وظلم ، والله خالق كل شيء ، فيكون خالقا للشرور ، ونقول بأن الله كله خير ، فيأتي الإشكال بأنه لماذا يخلق الشرور إذا كان خيّرا ؟ ، فيكون الله مصدرا للشر كما أنه مصدر للخير .

الرد على النقطة السابعة :

قولهم هو أن النتيجة هي أن الإله غير موجود .

في الرد نقول إن هذه النتيجة باطلة لأنها تفترض أن الشر هو دائما شر وأن الشر له وجود ، وهم لم يفهموا معنى إن الإله على كل شيء قدير ، فقدرة الإله المطلقة لا تشمل ما هو ممتنع بذاته ، وإرادة الإله لا تقبل التفكيك ، والخير والشر موجودان ضمن النظام التكويني للعالم ، والاستدلال على عدم وجود الإله يبتني على عدم فهم طبيعة القدرة الإلهية وتركيب الكون وحقيقة الشر .

الأدلة العقلية على عدل الإله الخالق :

العدل معناه وضع كل شيء في موضعه وعدم التجاوز عن حدّه ، ويقابله الظلم والجور ، ويمكن طرح دليلين لعدل الإله الخالق للكون :

الدليل الأول :

الظلم نقص عظيم ، والعقل الإنساني يدرك إدراكا بديهيا قطعيا بقبح الظلم ولزوم تنزّه كل عاقل عنه واستحقاق فاعله للذّمّ ، ويدرك حسن العدل ، وثبت سابقا أن الإله الخالق للكون هو الوجود المستقل الكامل ؛ لأن النقص معناه وجود حدود للإله ، وثبت أنه لا حدود للإله لأن وجوده ثابت بذاته .

الدليل الثاني :

الظلم لا يصدر من عاقل إلا إذا كان جاهلا بقبح الظلم أو كان يحس بنقصه فيتداركه بالظلم ، والإله كامل غير جاهل ولا ناقص حتى يحتاج إلى الظلم ، والعقل يدرك بأن الخالق لا بد أن يكون عادلا ، فالعدل حسن ذاتا والظلم قبيح ذاتا بناء على الحسن والقبح الفطريين على أساس العقل الفطري .

وبهذين الدليلين يثبت عدل الله تعالى .

وبعض الآيات القرآنية تشير إلى عدل الإله :

"شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط" آل عمران١٨

"ولا نكلف نفسا إلا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون" المؤمنون١٢

المقطع الأول من الآية يبيّن عدله تعالى في تشريع الأحكام للعباد ، والمقطع الثاني يبيّن عدله تعالى في حسابه وجزائه بالثواب أو العقاب .

"لقد أرسلنا رسلنا بالبيّنات وأنزلنا معهم الكتاب ليقوم الناس بالقسط" الحديد٢٥

الهدف من بعثة الأنبياء وإنزال الشرائع السماوية هو قيام الناس بالعدل ، فبطريق أولى يكون الله تعالى متّصفا بالعدل الذي يشكّل صفة كمالية .

"أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار" (ص٢٨)

"أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون" (الجاثية٢١)

"أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون" (الجاثية٢١)

وفي الروايات الشريفة

عن أمير المؤمنين ع : "أَشْهَدُ أنّه عَدْلٌ عَدَلَ" نهج البلاغة الخطبة٢١٤

استعمل عليه السلام المصدر "عَدْل" ليدلّ على استحالة انفكاك فعله تعالى عن العدل ، وأكّد ذلك باستعماله الفعل الماضي "عَدَلَ" ليدلّ على أن جميع أفعاله تعالى عادلة لا ظلم فيها .

أنواع الشرور في العالم :

الشرور في العالم على نوعين :

النوع الأول : المشاكل الذاتية :

اختلاف طاقات البشر وقابلياتهم يعتبر ظلما ، فيوجد شخص ذكي وآخر بليد ، وشخص قوي وآخر ضعيف ، وشخص حاد البصر والسمع وآخر ضعيفهما ، وشخص كامل الأعضاء وآخر ناقص الأعضاء كالأعمى والأعرج ومشوّه الخلقة ، فما هو ذنب الناقص

الذي لم يعط ذاك الكمال؟ ، وهذا دليل على أن الإله الخالق للكون ظالم حيث يعاقب إنسانا بلا أي ذنب ارتكبه .

النوع الثاني : المشاكل العرضية :

مصائب الدنيا ومحنها ظلم للعباد ، كالفقر والمرض والزلازل والطوفان والطاعون والقحط والحروب ، وهذا دليل على ظلم الإله الخالق للكون ، فيقولون لو كان الإله موجودا لانتصر للمؤمنين المستضعفين وأهلك الجبابرة الظالمين .

الجواب عن النوع الأول :

الذاتي لا يُعَلَّلُ ، والإله لم يسلب من الناقص شيئا حتى يكون ظلما له ، وإنما كان بذاته ناقصا ، فخلقه الإله بنقصه الذاتي ، وهذا معنى ما يقال من أن الله لم يخلق المشمش مشما بل أوجده ، وهذا الجواب إن تمّ فلا يشمل النوع الثاني .

الجواب الشامل للنوعين :

جهل البشر بالمصالح والمفاسد ، فقد تكون مصلحة هذا الإنسان في أن يكون أعمى ، ولو كان بصيرا لارتكب معاصي العين ، وقد تكون المصلحة في الفقر ، ولو كان غنيّا لطغى وتكبّر على الناس .

ودلّت على ذلك بعض الروايات :

-عن أبي جعفر ع قال : قال رسول الله ص : قال الله عز وجل : "إنّ من عبادي المؤمنين عبادًا لا يصلح لهم أمر دينهم إلا بالغنى والسّعة والصحة في البدن ، فأبلوهم بالغنى والسّعة وصحة البدن ،

فيصلح عليهم أمر دينهم ، وإن من عبادي المؤمنين لَعبادًا لا يصلح لهم أمر دينهم إلا بالفاقة والمسكنة والسقم في أبدانهم ، فأبلوهم بالفاقة والمسكنة والسقم ، فيصلح عليهم أمر دينهم ، وأنا أعلم بما يصلح عليه أمر دين عبادي المؤمنين ، وإن من عبادي المؤمنين لمن يجتهد في عبادتي فيقوم من رقاده ولذيذ وساده فيتهجد لي الليالي فيتعب نفسه في عبادتي فأضربه بالنعاس الليلة والليلتين نظرا مني له وإبقاء عليه ، فينام حتى يصبح فيقوم وهو ماقت لنفسه زارئ عليها ، ولو أخلّي بينه وبين ما يريد من عبادتي لدخله العجب من ذلك ، فيصيّره العجب إلى الفتنة بأعماله ، فيأتيه من ذلك ما فيه هلاكه لعجبه بأعماله ورضاه عن نفسه حتى يظن أنه قد فاق العابدين وجاز في عبادته حد التقصير ، فيتباعد مني عند ذلك وهو يظن أنه يتقرب إليّ ، فلا يتّكل العاملون على أعمالهم التي يعملونها لثوابي ؛ فإنهم لو اجتهدوا وأتعبوا أنفسهم وأفنوا أعمارهم في عبادتي كانوا مقصّرين غير بالغين في عبادتهم كنه عبادتي فيما يطلبون عندي من كرامتي والنعيم في جناتي ورفيع درجاتي العلى في جواري ، ولكن فبرحمتي فليثقوا ، وبفضلي فليفرحوا ، وإلى حسن الظن بي فليطمئنوا ، فإنّ رحمتي عند ذلك تداركهم ، وَمِنِّي يبلغهم رضواني ، ومغفرتي تلبسهم عفوي ، فإني أنا الله الرحمن الرحيم ، وبذلك تَسَمَّيْتُ" . الكافي ج٢ ص٦٠-٦١ باب الرضا بالقضاء من كتاب الإيمان والكفر ح٤

-عن الصادق ع : قال الله عز وجل : "عبدي المؤمن لا أصرفه في شيء إلا جعلته خيرا له ، فليرض بقضائي ، وليصبر على بلائي ، وليشكر نعمائي ، أكتبه - يا محمّد - من الصديقين عندي" . الكافي ج٢ ص٦٠-٦١ باب الرضا بالقضاء من كتاب الإيمان والكفر ح٦

-عن الصادق ع أن فيما أوحى الله عز وجل إلى موسى بن عمران ع : "يا موسى بن عمران ، ما خلقت خلقا أحبّ إليّ من عبدي المؤمن فإني إنما أبتليه لما هو خير له ، وأعافيه لما هو خير له وأزوي (أي أبعد) عنه ما هو شر له لما هو خير له ، وأنا أعلم بما يصلح عليه عبدي ، فليصبر على بلائي وليشكر نعمائي وليرض بقضائي أكتبه في الصديقين عندي ، إذا عمل برضائي وأطاع أمري" . الكافي ج٢ ص٦٠-٦١ باب الرضا بالقضاء من كتاب الإيمان والكفر ح٧

-عن الصادق ع : عجبت للمرء المسلم لا يقضي الله عز وجل له قضاء إلا كان خيرا له ، وإن قُرِّضَ بالمقاريض كان خيرا له ، وإن ملك مشارق الأرض ومغاربها كان خيرا له" . الكافي ج٢ ص٦٠-٦١ باب الرضا بالقضاء من كتاب الإيمان والكفر ح٨

-ومن الآيات التي تشير إلى جهل الناس بالمصالح والمفاسد :

"كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون" (البقرة٢١٦)

"آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله إن الله كان عليما حكيما" (النساء١١)

جواب على مسألة الحروب ونصرة المستضعفين وإهلاك الجبابرة :

إن الله تعالى كرّم الإنسان بنعمة العقل والإرادة والقدرة ، وبيّن له الخير والشّرّ ، وأمره بالخير ونهاه عن الشر ، وحثّه على التفكير وإعمال العقل ، وبالعقل يميّز الإنسان بين الخير والشر ، وبين الهدى والضلال ، وبالإرادة يختار لنفسه ما يرغب إليه ، وبالقدرة يفعل وينفّذ ، وبالعقل والإرادة والقدرة قوام الإنسان وماهيّته ، فلا إنسانية بلا عقل وإرادة وقدرة ، والله سبحانه لا يتدخّل بالقهر والغلبة في أي شأن من شئون الإنسان ، ولا يلجئه إلى الإيمان ، ولا ينصر المستضعفين ولايهلك الجبابرة بالخوارق والمعجزات ، ولو فعل الله تعالى ذلك لسلب الإنسان حقّه في أن يوافق أو يرفض ، وأن يؤمن أو يكفر ، وأن يفعل أو يترك ، ومعنى ذلك أنه لا قيمة لعقل الإنسان وإرادته وقدرته ، لذلك فإن الله ترك القوانين الكونية والاجتماعية تعمل عملها في المؤمن والكافر ، والله سبحانه بحكمته يجري الأمور تبعا لأسبابها التكوينية وسننها وقوانينها ، ولا يدخل في الحساب أن هذا الإنسان مؤمن أو كافر ، فإذا أراد الإنسان – سواء كان مؤمنا أم كافرا – أن يحقق شيئا تكوينيا فعليه أن يأخذ بالأسباب التكوينية التي تحقق هذا الشيء ، والإيمان والكفر لهما دخل في بعض الأمور التكوينية .

"ولو شاء الله ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا وما أنت عليهم بوكيل" الأنعام١٠٧

"ولو شاء ربك لآمن من في الأرض جميعا فأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين" يونس٩٩

"وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر" الكهف٢٩

"ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض" محمد٤

"ولو أن أهل القرى أمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذّبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون" الأعراف٩٦

"ألم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحلّ قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله إن الله لا يخلف الميعاد" الرعد٣١

"يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثت أقدامكم" محمد٧

@التناسب بين الذنب والعقوبة :

يقال بأنه لا يوجد تناسب بين الذنوب وعقوبة الإله للإنسان ، مثلا من يجحد وجود الإله يكون خالدا في العذاب ، وهذا الإشكال لا يدل على عدم وجود الإله ، بل يدل على ظلم الإله وعدم عدله .

الجواب :

الجزاء هو عين العمل ، وهو الوجه الغيبي للعمل ، وهو قانون إلهي تكويني ، وهو ليس من قبيل الجزاءات الاعتبارية الموجودة في القانون

الدنيوي التي يقوم بها المستشارون القانونيون بتقديرها لتتناسب مع الجريمة ، ومنشأ الاعتراض هو تشبيه القانون التكويني بالقانون الاعتباري ، وسيأتي تفصيل ذلك في بحوث العدل الإلهي .

@فرضية الأكوان المتعددة :

هذه الفرضية وجد فيها بعض الملحدين بديلا عن فرضية وجود الإله ، وتفسيرا للكون وما فيه من تعقيد وتنوّع ، إن دليل النظام الدقيق للكون يواجه إشكالا يتمثل بفرضية تعرف بـ " الأكوان المتعددة" ، وهذه الفرضية طرحت كبديل عن فكرة "النظام الإلهي" لتفسير التناسق والنظام الدقيق الموجود في هذا الكون ، فهي في مقابل فرضية الصانع الحكيم .

وهذه الفرضية قائمة على أن الكون الذي نراه ما هو إلا كون واحد ضمن مجموعة أكوان عديدة لا نهائية موجودة فعلا ، وهي جميعا تتواجد بشكل متوازي ، وكل كون يختلف عن الأكوان الأخرى ، وأغلب هذه الأكوان ليس فيها سكان لأن الشروط الفيزيائية فيها غير ملائمة لتشكّل الخلايا الحية ، وجميع الشروط الفيزيائية الممكنة قد تحقّقت في مكان ما وسط هذه المجموعة ، والسبب في أن كوننا يبدو منظَّما هو أن الحياة قادرة أن تظهر فيه ، وهو الكون الملائم تماما لشروط وجود الحياة ، فإذا افترضنا وجود أكوان متعددة لا نهائية ، وأن واحدا منها نجح في أن يكون منظما تنظيما دقيقا بحيث يسمح

بنشأة الحياة فيه ، فاحتمال وجود صانع حكيم يضعف ، ويأتي افتراض العشوائية والصدفة ، فصدفة وبشكل عشوائي صار أحد الأكوان صالحا للحياة لا أنه يوجد صانع حكيم خلق هذا الكون ليكون صالحا للحياة ، فنحن بين احتمالين : إما وجود إله صانع حكيم ، وإما العشوائية والصدفة في وجود كون واحد صالح للحياة ، وفرضية الأكوان المتعددة تثبت العشوائية والصدفة .

الرد على فرضية الأكوان المتعدّدة :

الرد الأول :

لا يوجد دليل على وجود أكوان متعددة ، فهو مجرّد افتراض لا برهان عليه ، ومع عدم وجود دليل على الأكوان المتعددة ينتفي احتمال العشوائية والصدفة ، ولا يبقى إلا الاحتمال الآخر وهو وجود صانع حكيم .

الرد الثاني :

لا يمكن قبول فرضية وجود أكوان لا نهائية لا يوجد بينها ارتباط حتى نفسِّر وجود كون واحد صالح للحياة ، مع أنه يمكن أن نفترض أمرا أبسط وهو وجود موجود واحد وهو الإله الخالق الصانع الحكيم بدل افتراض وجود عدد لانهائي من الأكوان .

الرد الثالث :

حتى مع افتراض وجود أكوان متعددة مع قوانين مختلفة عن قوانين كوننا يأتي نفس السؤال : من الذي خلق هذه الأكوان لأنها لم تكن

موجودة ثم وُجِدَتْ فلا بد من وجود شيء خارجي نقلها من العدم إلى الوجود؟

النتيجة :

سواء قلنا بوجود كون واحد أو أكوان متعددة لا نهائية فإنه يوجد احتمال واحد وهو وجود الإله الخالق الحكيم .

@نظرية التّطوّر لداروين :

فرضية الأكوان المتعددة تريد أن تفسِّر نشأة الكون ، ونظرية التطور تريد أن تفسِّر آليّة نشأة الكائنات الحية في الكون ، والغرض من الفرضية والنظرية هو تفسير النظام الدقيق الموجود في كوننا ، وذلك لدحض دليل النظام الدقيق والتصميم الذكي الذي يثبت وجود إله خالق حكيم ، فجميع الحيوانات تعود إلى أصل واحد ، وهو الخلية الأولى .

نظرية التطور لا تدّعي أن الإنسان أصله قرد ، فالإنسان لم يأتِ من الشمبانزي أو الغوريلا ، ولكن الإنسان والشمبانزي والغوريلا أتوا من أصل واحد ، فالشمبانزي أولاد عمومة للإنسان ، بل جميع الكائنات الحية تكون أولاد عمومة ، والتشابه بين الإنسان والشمبانزي كبير جدا ، فعلم التشريح يقول بأنه لا فرق يذكر ، ومراحل تكوّن الجنين تقول بأن الفرق ضئيل جدًّا ، ودرجة مقاومة الأمراض فيهما واحدة ،

وعلم الجينات يقول بأن الاختلاف في الطاقم الوراثي بين الإنسان والشمبانزي بمقدار ١% .

الموسوعة العربية العالمية المجلد٢٥ ص٣٥٣ : النظرية المعروفة بنظرية التطور تقوم هذه النظرية على القول بأن أشكال الحياة المختلفة تعود إلى أصل واحد مشترك ، وأنها بدأت من خلايا حية بسيطة تكوّنت عن طريق المصادفة . انتهى

موسوعة الفلسفة ، عبدالرحمن بدوي : أصل الإنسان خلية ، ثم جاء في كتابه سلالة الإنسان فتعمّق في النظرية نفسها واستخرج نتائجها فيما يتعلق بالحياة الجنسية والأخلاقية والدينية . . . وهذه الآراء تلقفتها العامة وبعض العلماء مثل إرنست هيكل وصاغوها في عبارة مثيرة هي أن الإنسان ينحدر من القرد ، وهي عبارة لم يتفوّه بها ولم يكتبها داروين في أي كتاب من كتبه . انتهى

تعليق :

قولهم إن الإنسان ينحدر من القرد الهدف منه تشويه نظرية التطور ، فداروين لم يقل هذه الكلمة ، ولم يكتبها في أي كتاب من كتبه ، فهو يقول بأن الإنسان والقرد أبناء عم ، فهما فرعان لأصل واحد ، فبينهما أصل مشترك ، وهو الحيوان المشترك بينهما ، فيأتي ما هو هذا الأب المشترك بين الإنسان والقرد وهو ما يسمى بالحلقة المفقودة ؟

الموسوعة العربية العالمية المجلد٢٥ ص٣٥٦ : والواقع أن ما يدّعى أنه السلف المباشر للإنسان لا يزال مجهولا إذ أنه لم يعثر أحد حتى

الآن على بقايا السلف المباشر للإنسان ، أي على الكائن البشري البدائي الأكثر شبها بالقرد ، والذي يفترض أنه انحدر منه ، كا أننا لم نجد حتى الآن – كما يقول لانجر – آثارا مؤكدة للحيوان الذي انحدر منه الإنسان ، والقرد الشبيه بالإنسان ، وهو ما يشتهر باسم الحلقة المفقودة ، ولكن تبين بعد التدقيق في تلك الأحافير أن الوثائق التي جمعت في هذا المجال لم تكن كافية ولا دقيقة ، ويعترف داروين نفسه بهذا حين يقول على الرغم من أهمية الأحافير دليلا على حدوث التطور فإن السجل الجيولوجي أشبه ما يكون بكتاب فقدت بعض صفحاته ، ولم يبق منه إلا صفحات قليلة ، وفي تلك الصفحات الباقية لم يبق إلا كلمات قليلة في كل صفحة . انتهى

وقد يفهم من البعض بأن القردة واقعة في سلسلة نسب الإنسان :

ملحدون محدَثون ومعاصرون ، دكتور رمسيس عوض ، ص١١٧ :

وقد حدث شيء شبيه بهذا من خلال انتقالنا نحن من التنظيم الخاص بالحيوانات الثديية إلى التنظيم . . . وأسلافنا من القردة قبل ظهور الإنسان ، لم يصيبوا قط نجاحا عظيما أو يكونوا ذوي عدد كبير . . . حتى تتحول القردة إلى إنسان . . . مثل النزول من قمم الأشجار والوضع المنتصب وبعض الكبر في حجم المخ والزيادة في عادات أكل اللحوم . انتهى

المعارضون لكون الإنسان من سلالة القرود :

الموسوعة العربية العالمية المجلد١٠ ص٢٢٧ : ولا شك أنّ النّظرَ إلى الإنسان بوصفه كان قردًا أمرٌ بالغُ الخطورةِ في الجوانب الاجتماعية والأخلاقية . انتهى

الموسوعة العربية العالمية المجلد٢٥ ص٣٥٦ : يتبيّن لنا من الواقع أن بين الإنسان والقرد فرقا كبيرا ، فلا يمكننا أن نحكم بأن الإنسان من سلالة قرد أو غيره من البهائم . انتهى

سؤال : ما هو المراد من النوع في نظرية التطور؟

الجواب :

الموسوعة العربية العالمية المجلد٦ ص٣٩٥ ، تحت عنوان التصنيف العلمي : الكائنات الحية تعيش في سبع دوائر ، الدائرة الأولى تسمى المملكة ، والدائرة الثانية تسمى الشعبة ، والدائرة الثالثة تسمى الطائفة ، والدائرة الرابعة تسمى الرتبة ، والدائرة الخامسة تسمى الفصيلة ، والدائرة السادسة تسمى الجنس (في علم الأحياء لا في علم المنطق) ، والدائرة السابعة تسمى النوع (في علم الأحياء لا في علم المنطق) . . . والمملكة الحيوانية هي أكبر الممالك (في قبال المملكة النباتية) ، تشتمل إلى الآن على مليون نوع . . . ، يمثِّل النوع الوحدة الأساسية في تصنيف الكائنات الحية ، كما أن لدى أفراد النوع الواحد العديد من الصفات المشتركة ، ولكنها تختلف عن المجاميع الآخرى ، ومن أهم مميزات النوع تزاوج أفراده فيما بينها منتجةً صغارا تشبه الوالدين كثيرا عندما تكبر . انتهى

مثال :

الحصان والحمار – حسب التعريف السابق – نوعان لا نوع واحد ، يتزاوجان ولكن لا تنتقل الجينات الوراثية إلى الطبقات التالية ، لأن نتاجهما عاقر ، فالنوع هو الذي يمكن لأفراده أن يتزاوجوا وتنتقل جيناتها الإرثية لا فقط عند الطبقة الأولى بل تستمر إلى الطبقات والأجيال التالية .

تعليق :

إذن كلامنا هنا عن النوع بالمعنى الاصطلاحي في علم الأحياء لا بالمعنى الموجود في علم المنطق أو في غيره من العلوم .

سؤال : ما هو المراد من التطور النوعي في نظرية التطور؟

الجواب :

الموسوعة العربية العالمية المجلد١ ص٢٢٧ : هناك اصطلاح يسمى المستودع الجيني ، وهناك خمسة عوامل لحصول التغيّر في المستودع الجيني : الانتخاب الطبيعي ، والطفرة ، والانجراف الوراثي ، وأثر المؤسّس ، والهجرة وسريان الموروثات .

تعليق :

التطور النوعي في نظرية التطور يحصل في الأصل في المستودع الجيني ، وتغيّر الشكل الظاهري للكائن يكون تبعا للتغير في المستودع الجيني ، ويحصل التغيّر في المستودع الجيني بسبب بعض العوامل .

أبحاث نظرية داروين :

توجد هنا أربع مسائل :

١-هل الكائنات الحية بدأت من خلية حية بسيطة ثم تطورت وصارت نوعا ثم تطورت من نوع إلى نوع آخر إلى أن تعددت الأنواع وتكثّرت أي وُجِدَتِ الأنواع تدريجيا بالتطور أو أن الكائنات الحية بدأت كنوع مستقل دفعة واحدة من قِبَلِ الإله الخالق بدون المرور بعملية تطور وانتقال من نوع إلى نوع آخر أي خُلِقَ كلّ نوع مستقلا؟

٢-هل عدد الأنواع من البداية وإلى اليوم والمستقبل ثابتة أو أن عدد الأنواع في تزايد؟

٣-هل يمكن أن تنتج الأنواع أنواعا جديدة من خلال التزاوج فيما بينها أو لا يمكن؟

٤-النوع الواحد هل يتطور أو أنه ثابت؟ وإذا تطور هل يتطور في شكله الخارجي وقوته العقلية ووعيه وذكائه وفهمه - مثلا - مع احتفاظ المستودع الجيني بثباته أي يبقى على نوعه ولا ينتقل إلى نوع جديد أو أن المستودع الجيني يتغيّر أيضا فينتج نوعا جديدا غير النوع السابق بحيث يوجد الآن نوعان؟

رأي الفكر الديني في المسائل الأربعة :

الفكر الديني يتبنى تجاه هذه المسائل الأربعة ما يلي :

١-الكائنات بدأت كنوع مستقل ، وكل كائن حي بدأ دفعة واحدة بشكل مستقل عن الكائنات الحية الأخرى ، مثلا الإنسان بدأ بهذا الشكل ولم يتطور من كائن آخر .

٢-الأنواع ثابتة منذ أن خلقها الله وإلى اليوم وإلى المستقبل ، ولن يحدث زيادة في الأنواع ، نعم يمكن أن تنقص بانقراض بعض الأنواع ، ولكن زيادة الأنواع مستحيلة .

٣-يستحيل أن تتزاوج الأنواع لتنتج نوعا جديدا .

٤-لا يتكامل النوع الواحد في المستودع الجيني بحيث ينتج نوعا جديدا ، نعم قد يتغير ظاهره كأن يتغير لونه أو طوله أو حجمه ، ولكن لا يحدث له تغير نوعي في جيناته .

الموسوعة الفلسفية العربية مجلد١ ص٢٧١ : أما اليوم فقد بات معروفا أنه داخل كل إنسان رواية طويلة ومتبدّلة الفصول ، ويظهر أيضا من درس الشعوب البدائية مدى تطوّر البشرية والمجتمعات المتعاقبة ، حصلت منذ بدء الإنسان حتى الآن تبدّلات عميقة في عمق ذكائه ، ويبرهن عن ذلك كيف أن البدائي لا يفكر على منوال الشعوب المتقدمة ، وخلافا لما يتراءى لمن يتطلّع إلى الأشياء تطلّعا سطحيا حيث يبدو كل شيء كأنه ثابت ، بخاصة الحضارات ، فإن التاريخ يظهر أن الحضارات العظيمة خاضعة للزوال ، فإن الكثير منها قد زال تماما بعد أن تألق وعظم ، يتركز الانتباه على التغيير السريع في كل شيء ، ويقدم العلم نماذج عن تطور المجتمعات الدائم وعن ما تبدلته البشرية عبر ملايين السنين .

الموسوعة العربية العالمية مجلد٥ ص٣٥٦ : وقد أثبت علم الأجنة أن عوامل الوراثة تجعل من المستحيل تطور نوع إلى نوع آخر لأن

هناك عوامل وراثية كاملة في خلية كل نوع تحتفظ له بخصائص نوعه ، ولا يمكن أن تزول أبدا ، وتحتم أن يظل في دائرة النوع الذي نشأ منه ، ولا يخرج قط عن نوعه ، ولا يتطور إلى نوع جديد ، فالقط أصله قط ، وسيظل قطا على الدوام بمشيئة الله تعالى ، والكلب والثور والحصان والقرد والإنسان وكل ما يمكن أن يقع حسب نظريات الوراثة ، والارتقاء في حدود النوع الواحد دون الانتقال إلى نوع آخر .

الموسوعة العربية العالمية مجلد٥ ص٣٥٧ : والواقع أن هذه الاستكشافات الجديدة تدل على أن الكائن البشري المنتصب القامة الذي يسير على اثنتين لم يتطور عن كائن أكثر بدائية .

الموسوعة العربية العالمية مجلد١٠ ص٢٢٦ : أحدثت نظريات داروين صدمات عظيمة لكل الذين كانوا يعيشون في عصره إذ كان الناس وما زالوا يؤمنون بأن الله قد خلق كل نوع من الكائنات الحية بطريقة مستقلة عن غيره ، وكتابه الذي يطلق عليه أصل الأنواع قد أثار بعض ردود الفعل لما اشتمل عليه من آراء تشكك في العقائد السماوية .

الموسوعة العربية العالمية مجلد١ ص٣١١ : اعتقد معظم علماء الأحياء لفترة طويلة أن كل نوع من أنواع الحياة ظل كما هو دون تغيّر أبدا ، ولم تظهر أنواع جديدة مذ خلق الكون ، ولكن بدأ علماء الأحياء يشكون في تلك المعتقدات خلال أواخر القرن الثامن عشر ، فقد لاحظوا أن المزارعين أنتجوا أنواعا جديدة من النباتات والحيوانات

بواسطة التهجين الانتقائي ، وبالإضافة إلى ذلك أظهرت رحلات الكشوف مجموعة منعزلة من النباتات ، وأدّت تلك الملاحظات إلى اعتقاد بعض علماء الأحياء أن الأنواع تتغيّر بمرور الأزمان ، وأن بعض الأنواع تطورت من أنواع أخرى .

تعليق :

إلى أن جاء داروين ، فأنكر أولا أن النوع خلق مستقلا ، وإنما قال أن الأنواع خلقت من خلية حية واحدة وتطورت ، وثانيا أن الأنواع في ازدياد مستمر ، وثالثا أن الأنواع تتزاوج فيما بينها وتنتج أنواعا جديدة ، ورابعا أن النوع يتطور إلى نوع آخر ، والمستودع الجيني يتغير فينتج نوع جديد ، وبسبب هذه الآراء اصطدم داروين بالدين لأن آراءه مخالفة لثوابت الدين في زمانه .

تفسير الميزان ج٤ سورة النساء تحت عنوان كلام في أن الإنسان نوع مستقل غير متحوّل من نوع آخر : مع أن هذه الأنواع متبائنة من غير اتصال بينها بالتطور ، وقصر التطور على حالات هذه الأنواع دون ذواتها . . . نعم بعض الأنواع من حيث خواصها ولوازمها وأعراضها .

الموسوعة العربية العالمية مجلد٢٥ ص٣٥٨ : والواقع أن تكرر هذه الصفات الوراثية الجديدة يؤدي في النهاية إلى ظهور فروق بين الأنواع أو ظهور أنواع جديدة ويعتقد التطوريون أن الطفرة التغير الوراثي تحدث عندما يقع خطأ في شفرات .

تعليق :

كل طرف لم يقم بإقامة دليل على قوله ، فلا الطرف الأول أقام الدليل على إثبات وقوع التطور وظهور أنواع جديدة ، ولا الطرف الثاني أقام الدليل على إثبات استحالة التطور واستحالة ظهور أنواع جديدة ، ودليل العلامة الطباطبائي هو ظواهر آيات القرآن .

تفسير الميزان : وإنما المقصود الإشارة إلى أنه فرض افترضوه لتوجيه ما يرتبط به من المسائل من غير أن يقوم عليه دليل قاطع ، فالحقيقة التي يشير إليها القرآن هو كون الإنسان نوعا مفصولا من سائر الأنواع غير معارضة بشيء علمي .

تعليق :

وفي المقابل توجد نظرية عبد الصبور شاهين فيقول بأنه لا يوجد ظهور قرآني في هذا الشيء ، فالإنسان تطور من أسلافه البشر ، وآدم ولد من أبوين بشريين ، والإنسان بدأ من آدم الذي وجّه إليه التكليف ، والبشر الذين قبل آدم لم يكونوا بمستوى التكليف ، والإنسان لم يتطور من نوع آخر ، والبشر خلقوا دفعة واحدة ولم يتدرج خلقهم ، وكان البشر إنسانا بالقوة ، واحتاج إلى ملايين السنين لكي يصير إنسانا ، وآدم لم يخلق دفعة واحدة ، وإنما ولد من أبوين بشريّين ، وآدم كان هو الإنسان الأول .

عبدالصبور شاهين في كتابه ص٢٣٩ : إن الله تعالى قد تناول البشر المخلوق من طين فسوّاه وصوّره ، بل إن الخلق والتصوير مرحلتان في عمر البشرية لعلهما استغرقتا بضعة ملايين من السنين .

وفي ص٢٤١ : إن خلق الإنسان تم عبر مراحل ثلاث : الخلق والتسوية والنفخ ، وإن مرحلة الخلق الأول هي التي أحالت التراب أو الطين إلى مخلوق ظاهر بشر يتحرك على الأرض بالروح الحيوانية كما تتحرك سائر الكائنات ، ثم تناولت القدرة ذلك المخلوق في المرحلة الثانية بالتسوية أو ما يمكن تشبيهه بهندسة البناء وتجميله ، وهي مرحلة التعديل ، وقد استغرقت ملايين السنين ، والله أعلم بتفاصيلها ، ثم جاءت المرحلة الثالثة ، وهي المتمثّلة في تزويد المخلوق السوي بالملكات والقدرات التي جوهرها العقل ، وهو الإنسان . . . أما في خصوص آدم وعلاقة آدم بما كام قبله من المخلوقات أن الأرض عرفت هذا الخلق الذي ظهر على سطحها منذ ملايين السنين ، وقد أطلق العلماء على هذا المخلوق خطأً لفظ "إنسان" ، فقالوا إنسان بكين ، إنسان جاوه ، إنسان كينيا ، واستخدام كلمة "إنسان" في وصف هؤلاء ليس إلا على سبيل التوسّع ، وإلا فاللفظ الدقيق بلغة القرآن والذي ينبغي أن يستخدم في تسمية هذه المخلوقات العتيقة التي تدل عليها الأحاديث هو البشر ، أما الإنسان فلا يطلق بمفهوم القرآن إلا على ذلك المخلوق المكلف بالتوحيد والعبادة ، والذي يبدأ بوجود آدم .

تعليق :

يقول تعالى متحدثا عن الملائكة : "أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدّس لك" حينما قال الله تعالى : "إني جاعل في الأرض خليفة" ، فأجابهم الله تعالى : "إني أعلم ما لا تعلمون" ، فهؤلاء الذين كانوا يفسدون في الأرض ويسفك بعضهم دماء بعض كانوا فصائل من البشر ، وهؤلاء هم من رأتهم الملائكة ، فكأن الله رد على الملائكة بأن الخليفة يكون بصفات أخرى غير صفات هؤلاء البشر الذين رأتهم الملائكة ، ومن الممكن أن يكون هؤلاء البشر من جنس النياندرثال أو فصيلة أخرى والذين كانوا أقل وعيا وذكاء وفهما من جنس الإنسان ، والنياندرثال والإنسان من نوع واحد ، ويمكن أن يتزاوجا وتنتقل الصفات الوراثية إلى الأجيال التالية ، وتوجد آيات تتحدث عن خلق آدم ، وظاهر الآيات أنه خلق مستقلا بدون أبوين ، فيكون البشر فيه عدة فصائل : فصيلة النياندرثال ، وفصيلة الإنسان ، ويمكن أن نستنتج من الآيات الكريمة أنه توجد فصائل من البشر مخلوقون قبل آدم ع ، فهم خلقوا مستقلين ، كما تشهد بذلك بعض الروايات ، وآدم خلق مستقلا ، ولكنهما من نفس النوع ومن نفس الجينات الوراثية .

بحار الأنوار – العلامة المجلسي – ج ٢٥ – ص ٢٥

٤٥ – وعن أبي حمزة الثمالي قال : سمعت علي بن الحسين عليهما السلام يقول : إن الله خلق محمدا وعليا والطيبين من نور عظمته ،

وأقامهم أشباحا قبل المخلوقات ثم قال : أتظن أن الله لم يخلق خلقا سواكم ؟ بلى والله لقد خلق الله ألف ألف آدم وألف ألف عالم ، وأنت والله في آخر تلك العوالم .

تفسير الميزان – السيد الطباطبائي – ج ٤ – ص ١٤٦

في التوحيد عن الصادق عليه السلام في حديث قال : لعلك ترى أن الله لم يخلق بشرا غيركم ؟ بلى والله لقد خلق ألف ألف آدم أنتم في آخر أولئك الآدميين .

تفسير الميزان – السيد الطباطبائي – ج ٤ – ص ١٤٦

وفي الخصال عن الصادق عليه السلام قال : إن الله تعالى خلق اثنى عشر ألف عالم كل عالم منهم أكبر من سبع سماوات وسبع أرضين – ما يرى عالم منهم أن الله عز وجل عالما غيرهم .

وفيه عن أبي جعفر عليه السلام : لقد خلق الله عز وجل في الأرض منذ خلقها سبعة عالمين ليس هم من ولد آدم خلقهم من أديم الأرض فأسكنهم فيها واحدا بعد واحد مع عالمه ثم خلق الله عز وجل آدم أبا البشر وخلق ذريته منه الحديث .

التوحيد – الشيخ الصدوق – ص ٢٧٧

٢ – أبي رحمه الله ، قال : حدثنا سعد بن عبد الله ، قال : حدثنا محمد بن عيسى عن الحسن بن محبوب ، عن عمرو بن شمر ، عن جابر بن يزيد ، قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن قوله عز وجل : (أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد) (٤

) قال : يا جابر تأويل ذلك أن الله عز وجل إذا أفنى هذا الخلق وهذا العالم وسكن أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار جدد الله عالما غير هذا العالم وجدد خلقا من غير فحولة ولا إناث يعبدونه ويوحدونه ، وخلق لهم أرضا غير هذه الأرض تحملهم ، وسماء غير هذه السماء تظلهم ، لعلك ترى أن الله إنما خلق هذا العالم الواحد ، وترى أن الله لم يخلق بشرا غيركم ، بلى والله لقد خلق الله ألف ألف عالم ، وألف ألف آدم أنت في آخر تلك العوالم وأولئك الآدميين

*** التصور الإسلامي عن آدم وحواء * – مركز المصطفى (ص) – ص مركز المصطفى :**

: إن قبل الإنسان سبعة أجناس مخلوقة من أديم الأرض ، وإن آدم وذريته هم الجنس الثامن والأخير ! تقول الرواية : حدثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رضى الله عنه قال : حدثنا محمد بن الحسن الصفار ، عن محمد بن الحسن بن أبي الخطاب ، عن محمد بن عبد الله بن هلال ، عن العلاء بن رزين ، عن محمد بن مسلم قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : لقد خلق الله عز وجل في الأرض منذ خلقها سبعة عالمين ليس هم من ولد آدم ، خلقهم من أديم الأرض وأسكنهم فيها واحدا بعد واحد مع عالمه ، ثم خلق الله عز وجل آدم أبا هذا البشر وخلق ذريته منه ، ولا والله ما خلت الجنة من أرواح المؤمنين منذ خلقها ، ولا خلت النار من أرواح الكفار والعصاة منذ خلقها عز وجل ، لعلكم ترون أنه كان يوم القيامة وصير

الله أبدان أهل الجنة مع أرواحهم في الجنة ، وصير أبدان أهل النار مع أرواحهم في النار أن الله عز وجل لا يعبد في بلاده ولا يخلق خلقا يعبدونه ويوحدونه ويعظمونه ؟ بلى والله ليخلقن الله خلقا من غير فحولة ولا إناث يعبدونه ويوحدونه ويعظمونه ويخلق لهم أرضا تحملهم وسماء تظلهم ، أليس الله عز وجل : يقول " يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات " وقال الله عز وجل : " أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد " (الخصال صفحة ٣٥٨) فتعجب المستشرق من ذلك ، وسألني عن مصدر هذه الرواية ، ثم زاد تعجبه عندما نقلت له الرواية الأخرى من كتاب الخصال أيضا ، وهي آخر رواية فيه أوردها الصدوق قدس سره تحت عنوان : باب خلق الله عز وجل ألف ألف عالم وألف ألف آدم :

حدثنا أبي رضي الله عنه قال : حدثنا سعد بن عبد الله قال : حدثنا محمد ابن عيسى ، عن الحسن بن محبوب ، عن عمرو بن شمر ، عن جابر بن يزيد قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل : " أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد " فقال : يا جابر تأويل ذلك أن الله عز وجل إذا أفنى هذا الخلق وهذا العالم وأسكن أهل الجنة الجنة وأهل النار النار جدد الله عز وجل عالما غير هذا العالم وجدد عالما من غير فحولة ولا إناث يعبدونه ويوحدونه ، وخلق لهم أرضا غير هذه الأرض تحملهم وسماء غير هذه السماء تظلهم ، لعلك ترى أن الله عز وجل إنما خلق هذا العالم الواحد ،

وترى أن الله عز وجل لم يخلق بشرا غيركم ، بلى والله لقد خلق الله تبارك وتعالى ألف ألف عالم وألف ألف آدم أنت في آخر تلك العوالم وأولئك الآدميين " .

التاريخ وحركة التقدم البشري ونظرة الإسلام – الشيخ محمد مهدي شمس الدين – ص ٧٢

احتمال أن آدم القرآني لا يمثل بداية الجنس البشري على الأرض ، وإنما يمثل بداية النسل البشري الموجود الآن ، ويكون ، على هذا ، قد وجد نسل سابق على النسل الموجود الآن من بداية يمثلها آدم سابق على آدم القرآني ، والله تعالى أعلم وعلى هذا تكون آية سورة البقرة (٢١٣) موضوع البحث تؤرخ لفترة من عمر البشرية سابقة على الفترة التي بدأت بآدم القرآني .

تفسير القرآن الكريم – السيد مصطفى الخميني – ج ٤ – ص ٣٤١

(الذي خلقكم والذين من قبلكم) *

(والذين من قبلكم) * المنتسبين إلى أبيكم آدم ، أو الذين انتسبوا إلى آدم قبل آدمكم في الأرض أو في غيرها .

تعليق :

أدلة قرآنية أخرى دالة على وجود بشر قبل الإنسان :

١-"وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك" البقرة٣٠

يفهم من كلام الملائكة أنه يوجد خلق على الأرض يفسدون ويسفكون الدماء فيها ، وقول الله تعالى يفهم منه أن الأرض لا يوجد فيها خليفة ، فتحتاج إلى خليفة حتى يمكنه وقف الإفساد وسفك الدماء ، ووجود الخليفة معناه وجود مستوى عالي من التعقل والفهم والتفكر ، وهذا يفهم منه أن الكائنات الموجودة على الأرض لم تكن بالمستوى المطلوب من التعقل لكي تكون مؤهلة لمنصب الخلافة في الأرض ، وأبونا آدم ونسله مؤهلون لهذا المنصب ، ولكن بشرط التعقل لكي لا يساهموا في زيادة الإفساد وسفك الدماء .

٢-اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم

٣-إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين

الاصطفاء معناه الاختيار من بين أشخاص ، فإذا كان آدم هو أول الخلق فلا بد أن يصطفى من بين كائنات أخرى قبله من البشر ، والاصطفاء يحتاج إلى صفات خاصة .

٤-وعلم آدم الأسماء كلها البقرة ٣١

من صفات الخليفة أن تكون فيه قابلية التعلم ، وهذه الصفة تميزه عن غيره من البشر السابقين الذين لم تكن لهم قابلية التعلم ، وشرط التعلم

العقل ، وهذا معناه أن البشر السابقين لم يكونوا بالمستوى المطلوب من العقل ليكونوا مستعدين للتعلم .
وبعض الآيات القرآنية يظهر منها أن الإنسان يطلق عليه بشر أيضا . قوله تعالى :

حل مشكلة زواج الإخوة من الأخوات :

ونشير هنا إشارة سريعة إلى أنه يمكن حل مشكلة زواج الإخوة والأخوات من بني آدم بأن أبناء آدم تزوجوا من الفصائل التي كان قبلهم ، وهم فصيلة النياندرتال أو غيره من الفصائل البشرية ، ويمكن التزاوج بينهما لأنهما من نوع واحد ، وكلاهما من نوع البشر ، ولا نحتاج إلى القول بالتزويج بحورية أو بجنية لكي يقال بحل المشكلة ، والحل هو حل طبيعي ولا نحتاج إلى تأويلات أخرى حتى لا نقع في إشكالات أخرى ، منها أنه كيف يتم التزاوج بين الإنسان والحورية والجن مع أنهم من أنواع مختلفة ، ومنها أن الجينات الوراثية للإنسان اليوم لا بد أن تكون خليطا من جينات الحورية والجن – على فرض وجود جينات وراثية عند الحورية والجن – ، ومنها أن المسلمين سينسبون إلى الخرافات والتعليلات غير المقبولة ، وغير ذلك من الإشكالات .

وتوجد فيديوات في اليوتيوب ومقالات في مواقع متعددة على الإنترنت عن أن الإنسان الحالي في بعض الأماكن فيه نسبة قليلة من

جينات فصيلة النياندرثال تتفاوت من ١,٥% إلى ٤% من الجينات الوراثية للإنسان ، وفي بعض الأماكن توجد نسبة تصل إلى ٥% من فصيلة الدينيسوفان ، وقد يكتشف العلم الحديث فصائل أخرى من البشر ، فقد عثروا على جماجم تمتد إلى ملايين السنوات أكثر من عمر الإنسان منذ آدم ع ، والذي يقدّر بعشرة آلاف سنة إلى أربعة عشر ألف سنة ، وهكذا يمكن الاستفادة من العلوم الحديثة في فهم المسائل الدينية وتوضيحها أكثر ، وقد تتغير بعض القراءات للنصوص الدينية نتيجة الاطلاع على العلوم الحديثة .

علل الشرائع الشيخ الصدوق ج١ ص١٧ ح١

حدثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رضي الله عنه قال : حدثنا أحمد بن إدريس ومحمد بن يحيى العطار جميعا قالا : حدثنا محمد بن أحمد بن يحيى بن عمران الأشعري (وفي نسخة : أحمد بن محمد بن يحيى بن عثمان الأشعري) قال : حدثنا أحمد بن الحسن بن علي بن فضال ، عن أحمد بن إبراهيم بن عمار قال : حدثنا ابن نويه رواه عن زرارة قال : سئل أبو عبدالله ع كيف بدأ النسل من ذرية آدم ع فإن عندنا أناس يقولون إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى آدم ع أن يزوج بناته من بنيه وأن هذا الخلق كله أصله من الإخوة والأخوات ؟ قال أبو عبدالله : سبحان الله وتعالى عن ذلك علوا كبيرا ، يقول من يقول هذا إن الله عز وجل جعل أصل صفوة خلقه وأحبائه وأنبيائه ورسله وحججه والمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات من حرام ، ولم

يكن له من القدرة ما يخلقهم من الحلال وقد أخذ ميثاقهم على الحلال والطهر والطاهر الطيب . . . .

بحار الأنوار العلامة المجلسي ج١١ ص٢٢٦

٦ – كتاب المحتضر للحسن بن سليمان نقلا من كتاب الشفاء والجلاء بإسناده عن معاوية بن عمار قال : سألت أبا عبدالله ع عن آدم أبي البشر أكان زوّج ابنته من ابنه؟ فقال : معاذ الله ، والله لو فعل ذلك آدم ع لما رغب عنه رسول الله ص ، وما كان آدم إلا على دين رسول الله ص . . . .

بحار الأنوار العلامة المجلسي ج١١ ص٢٤٥ ح٤٤

نقلا عن تفسير العياشي : عن سليمان بن خالد قال : قلت لأبي عبدالله ع : جعلت فداك! إن الناس يزعمون أن آدم زوج ابنته من ابنه ، فقال أبو عبدالله ع : قد قال الناس ذلك ، ولكن – يا سليمان – أما علمت أن رسول الله ص قال : لو علمت أن آدم زوج ابنته من ابنه لزوّجت زينب من القاسم ، وما كنت لأرغب عن دين آدم؟ . . . .

ويذكر في الروايات السابقة الزواج من الحورية والجن ، ولكن لا يؤخذ بها ، ونأخذ بالمقاطع الأولى بناء على قطع الرواية إلى فقرات فيؤخذ بعضها ويترك بعضها الآخر اعتمادا على القرائن سواء كانت قرائن داخلية أم قرائن خارجية ، وسواء كانت القرائن عقلية أم نقلية أم علمية أم عرفية .

نظرية التطور العضوي :

إن نظرية التطور لداروين تأتي ضمن نظرية عامة في التطور العضوي ، ونظرية التطور العضوي هي واحدة من نظريات التطور ، وهي تشير إلى نمو الكائنات الحية وتسلسلها من أبسط صورها أو من الكائنات الحية المتناهية في الصغر ، وتذهب هذه النظرية إلى أن جميع أشكال المادة الحية من النباتات والحيوانات والأجناس البشرية قد طرأت عليها تغيّرات تدريجية من الخلايا الجرثومية الأولى ، ونظرية داروين هي نظرية تندرج ضمن نظرية عامة عن التطور العضوي الذي هو شكل من أشكال التطور ، ونظرية داروين مهمة لأنها أعطيت دورا مزعوما ، وهو أنها بديل عن الإيمان بالإله الخالق ، وأنها دحضت دليل النظام الدقيق .

بدايات علم البيولوجيا – أي علم الأحياء – على الأسس العلمية كانت في القرن السابع عشر والثامن عشر على يد مجموعة من العلماء ، منهم جورجيس بيفون (١٧٠٧-١٧٨٨) ، فقد كتبوا بحوثا حول التصنيف الطبيعي للنباتات والحيوانات ، وما بينهما من أوجه الشبه والاختلاف ، وكان لظهور الميكروسكوب أثر كبير على تطور علم الأحياء ، ولكن الأمر لم يتعدَّ عملية التصنيف ودراسة الظواهر المرتبطة بالكائنات الحية دون محاولة التعمّق في تحليلها .

وحدث تحوّل في علم الأحياء على يد مجموعة من العلماء ، منهم عالم الحيوان والنبات الفرنسي لامارك (١٧٤٤-١٨٢٩) ، حيث رفض

فكرة التصنيف الطبيعي للكائنات الحية ، التي كان ينادي بها علماء القرنين السابع عشر والثامن عشر ، وأهم نقطة في نظريته تدور حول علاقة التطور بالبيئة ، فالبيئة قد أثّرت في الكائنات الحية بحيث إن الكائنات الحية سلكت مسلكا يكفل لها الانتفاع بالبيئة ، فنمت أو ضمرت لديها أعضاء معيّنة ، مثلا الزرافة أجبرتها البيئة الخالية من العشب على قضم أوراق الشجر ، واستمرت هذه العادة عند الزراف لفترة طويلة مما أدّى إلى امتداد رقبتها ، فأصبحت الرقبة الطويلة صفة أساسية في تركيبها ، ثم انتقلت بالتدريج وبالوراثة إلى الأجيال التالية من الزراف .

إن مذهب لامارك قائم على أساس فكرتين :

١-العامل الأساس في التطور هو تغيّر ظروف البيئة ، مما يضطر الكائن الحي إلى استعمال أعضاء وإهمال أعضاء أخرى حتى يتكيّف مع ظروف بيئته ، فتنمو الأعضاء المستعمَلة ، وتضمر الأعضاء المهمَلة .

٢-وراثة الصفات التي يكتسبها الكائن الحي من البيئة ، فالتعديلات التي اكتسبها الفرد طوال حياته ينقلها عن طريق الوراثة إلى الأجيال القادمة .

واحتاج الأمر إلى خمسين سنة لكي تأخذ نظرية التطور شكلها النهائي على يد عالم البيولوجيا الإنجليزي تشارلز داروين (١٨٠٩-١٨٨٢ م) .

تاريخ نظرية التطور :

موسوعة الفلسفة ، عبدالرحمن بدوي ، المجلد الأول ، في ترجمة داروين : عالم حيوان إنجليزي ، اشتهر خصوصا بمذهب التطور ، اعتمد داروين على ما كتبه لامارك في كتابه فلسفة الحيوان الذي بيّن فيه تأثير الظروف المحيطة ، كما اعتمد على تشارلز ليل في كتابه مبادئ الجيولوجيا ١٨٣٠ ، ثم طبّق داروين ما ذهب إليه مالش من أن وسائل البقاء تتناقص كلما تزايد الحيوان ، إنما هو تلقّاها من لامارك من الناحية البيولوجية ، ومن اسبنسر من ناحية تحديد قانون التطور ، ومن . . . ، لكن فضل داروين هو في جمع هذه الأفكار المختلفة في نظرية موحّدة ، سَنَدَها خصوصا بمشاهدات على الطبيعة أثناء رحلته على السفينة بيغل من ١٨٣١ إلى ١٨٣٦ . انتهى

الموسوعة الفلسفية العربية ، رئيس التحرير : دكتور معن زيادة ، المجلد الأول ، ص٢٦٩ : التطور هو افتراض فلسفي قديم يرتئي أن الأنواع الحيّة ليست ثابتة على ما هي عليه ، ويعود هذا الافتراض إلى فلاسفة يونان ولاتين مثل . . . وإلى بعض الفلاسفة المؤمنين بالله . . . الذين تكلموا عن تطور العالم كله بموجب الطاقات المعطاة له من الله . انتهى

الموسوعة العربية العالمية ، المجلد ٢٥ ، ص٣٥٣ : تاريخ النظرية : على الرغم من أن نظرية التطور ارتبطت في شهرتها وذيوعها بداروين فإن داروين لم يكن أول من بحث أصول الكائنات وما يوجد بين

أشكال الكائنات من ترابط ، فمنذ عصر فلاسفة اليونان نجد . . . يناقشون مشكلة التطور في مملكة الأنواع الحيوانية . انتهى

ومرت نظرية التطور بتكامل لوجود شواهد جديدة تؤيدها ، ولا بد من أن نفرق بين الداروينية القديمة والداروينية الجديدة .

الموسوعة العربية العالمية المجلد ٢٥ ص٣٥٣ : وفي بداية النظرية في عصر داروين كان الفكر السائد هو أن هذا التطور تم بسبب تأثير عوامل طبيعية ، بيئة ومناخ وموارد غذاء وطرق حصول ، أما في الوقت الحالي فإن الداروينية الجديدة تركز على أن التطور تم بسبب الطفرات والتغيّرات المفاجئة في التراكيب الجزيئية المسؤولة عن عالم الوراثة . انتهى

الموسوعة العربية العالمية المجلد ١٠ ص٢٢٧ : كثيرا ما يسمى بالداروينية الحديثة ، وقد قدمت الحديثة توضيحا للأصل الجيني للاختلافات داخل الأنواع المستقلة وللطريقة التي تشكلت بها الأنواع ، ومنذ بداية الستينات من القرن العشرين استخدمت الاستكشافات في علم الأحياء الجزيئي وعلم الإحاثة لتأييد النظريات المضادة لنظرية داروين عن التطور ، كما وجدت أدلة تؤيد نظرية داروين في أصل الأنواع وجدت نظريات مقابلة . انتهى

تعليق :

علم الإحاثة هو علم الحفريات أو الأحافير .

وتوجد علوم ساعدت على عودة نظرية التطور لداروين ، منها :

الموسوعة العربية العالمية المجلد١ ص٢٧٠ : تسهم أربعة علوم معاصرة في دعم نظرية تطور الأنواع الحية بعدد لا يحصى من الاختبارات الإيجابية : علم الإحاثة الذي ينقّب عن الكائنات المندثرة في أحشاء الأرض بواسطة وثائق متحجّرة ، هي الأحافير ، ويكشف عن أنواع كثيرة من النبات والحيوان اندفنت في ثنايا الأرض وزالت من الوجود ، علم الأجنّة . انتهى

الموسوعة العربية العالمية المجلد ص : اعتمد التطوريون ولا سيما العالم الألماني فونباير المتوفى ١٨٦٧ م وهايكل المتوفى ١٩١٩ م على علم الأجنة لإثبات نظريتهم ، وذلك لما توجد من تشابه بين أجنة مختلف الحيوانات في مراحلها الأولى ، وهذه الأجنة ومراحل تكونها تمثّل عندهم إعادة لحياة تاريخ الكائنات بقانون الاستعادة ، فالمراحل التي يمر بها الجنين أثناء تطوّره وتكوّن أعضائه المختلفة تحكي قصة التطور التي يمر بها الفرد في تطوره عن أسلافه . انتهى

تعليق :

هذه فرضية معقولة وعليها شواهد ، وتوجد فرضية أخرى أكثر معقولية ، وهي أن الخالق واحد ، فعنده نظام واحد لجميع الكائنات الحية ، والفرضية الثانية أكثر قدرة على تفسير كل منظومة الكون .

أهم محاور نظرية داروين :

عرض داروين نظريته في تطور الكائنات الحية في كتابه (أصل الأنواع) حيث تم نشره في سنة ١٨٥٩ م حينما كان عمره ٥٠ عاما ، ولكن

اشتغل عليه مدة ٢٢ سنة تقريبا من سنة ١٨٣٧ م إلى ١٨٥٩ م ، وهذا جهد يشكر عليه كعالم ، وأكّد فيه أنه مقتنع أن الكائنات الحية ليست ثابتة ، وإنما تنحدر الأنواع التي تكون من نفس الجنس من سلالة أنواع أخرى ، على أساس نفس مبدأ التنوع الذي يسري على كائنات من نفس النوع ، فحينما ندرس الكائنات الحية من ناحية علاقاتها العضوية وتوزيعها الجغرافي وتعاقبها الجيولوجي نصل إلى نتيجة مهمة ، وهي أنها لم تخلق بشكل منفصل كل على حدة ، وإنما انحدرت من أنواع أخرى من الكائنات ، فالكائنات جميعها متطورة ، وتشدّ أنواعها وأجناسها بعضها إلى بعض صلات قرابة وطيدة ، وعلاقات بيولوجية محدّدة ، وأنها لم تصل إلى ما هي عليه في شكلها الحاضر وبنائها الحالي إلا بعد تطورات كثيرة وتحوّلات عديدة في شكلها الخارجي وبنيتها الداخلية منذ أزمان سحيقة وعبر ملايين السنين .

ويفسر داروين هذه الظاهرة بأنه يولد من أفراد كل نوع عدد يزيد عما يمكن أن يكتب له البقاء ، وكان يوجد صراع من أجل البقاء ، فيترتب على الصراع أن أي كائن لو تغيّر بطريقة طفيفة على نحو يفيده في ظل الأوضاع المعقّدة للحياة التي ينتابها التغيّر في بعض الأحيان ، مثل هذا الكائن تكون له فرصة أفضل للبقاء ، ويصبح هذا الكائن من الكائنات التي يجري عليها الانتقاء الطبيعي — أو الانتخاب الطبيعي – لأنه يكون قادرا على التكيّف مع التغيّرات

البيئية ، وتنتقل هذه الصفة الجديدة إلى أفراد الأجيال القادمة عن طريق الوراثة ، وأما الكائنات التي لا يحدث فيها هذا الفارق العَرَضِيّ فإنها تنقرض على المدى الطويل ، وكان داروين يستهدف تفسير الطريقة التي تحدث بها التغيرات في الأنواع التي شاهدها .

مثلا الزرافة كان أسلافها من الزراف بعضها طويلة الرقبة ، وبعضها قصيرة الرقبة ، وتنازعت على البقاء ، واستطاعت الأنواع الطويلة الرقبة أن تصل إلى أوراق الأشجار لتأكل منها ، فانتقتها الطبيعة واختارتها لتعيش ، بينما هلكت الأنواع الأخرى جوعا ، ثم تكاثرت الأنواع الطويلة الرقبة ، وورّثت هذه الصفة للأجيال التالية ، وبتكرار عملية الانتقاء والانتخاب على مر الأجيال نشأ النوع الحالي من الزراف طويل الرقبة .

ويمكن تلخيص نظرية داروين في أربعة قوانين رئيسة :

١ – قانون الصراع من أجل البقاء :

عدد الكائنات العضوية التي تولد يزيد كثيرا على ما تتحمّله البيئة الطبيعية ، ولو أن هذه الملايين الناتجة بقيت لضاقت بها الأرض وتعذّرت الحياة ، ويؤدي التنافس على الغذاء بالإضافة إلى خطر الأعداء الطبيعيين إلى جعل الحياة صراعا مستمرا من أجل البقاء ، فالمنتصر يبقى ، والمهزوم يفنى ، وفي الصراع من أجل البقاء يتم الفوز للفرد الذي تؤهّله صفاته للغلبة والبقاء ، وهذه الصفات مختلفة بالنسبة للحيوانات والنباتات ، فقط تكون صفة القوة أو الشجاعة أو

كبر الجثة أو صغرها أو السرعة أو الجمال أو الذكاء أو الحيلة في دفع الشر وتدبير القوت أو الصبر على الجوع والعطش ، ويكتب البقاء للصالحين للحياة ، ويفنى غير الصالحين .

٢– قانون بقاء الأصلح وتباين الأفراد :

في وسط الصراع يجد بعض الأفراد أن الظروف المحيطة بهم تتلاءم مع قدراتهم الطبيعية وتساعدهم على الاستمرار والبقاء ، وتعاكس الظروف أفرادا آخرين ، والأمر في النهاية يرجع إلى التنوعات والفروق الفردية التي توجد داخل كل نوع ، والكائنات الحية مختلفة حتى أفراد النوع الواحد تختلف ضعفا وقوة وطولا وشكلا ، فبعض الأفراد أو السلالات تنجح وتتفوّق على غيرها في الصراع من أجل البقاء ، وَعُبِّرَ عنه بـ "بقاء الأصلح" ، وبقاء الأصلح يرجع في جذوره إلى وجود التباين بين الأفراد ، فالأجسام الحية ميّالة للتباين ببعض صفاتها عن الأصل الذي نشأت منه ، لذلك لا يوجد تشابه تام بين الآباء والأبناء حتى في الحيوانات والنباتات ، وبمرور الدهور الطويلة يظهر التباين ويتكون النوع الجديد .

٣– قانون الوراثة :

تنتقل الصفات الوراثية للأفراد الأقوياء الذين فازوا في معركة البقاء إلى الأبناء ، ويكون للجيل الجديد فرصة البقاء ، ومع تكرار عملية الانتقاء والانتخاب على مر الأجيال لسنين طويلة تنشأ أنواع جديدة تتكيّف مع ظروف البيئة ، وهذا ما يسمّى بـ "أصل الأنواع" ، فقانون

الوراثة هو المتمّم لقانون التباين بين الأفراد ، فالتباينات تنتقل بالوراثة من الأصول إلى الفروع ، وتكون في أول الأمر جزئيّة وَعَرَضِيّة ، ثم تصبح بعد مرور الأزمنة الطويلة جوهرية وتظهر في الأنواع .

٤– قانون الانتقاء الطبيعي :

هو القانون الذي ترتكز عليه النظرية ، فقانون الوراثة ينقل التباين الموجود بين الأفراد ، وينقل أيضا جميع الصفات التي يحملها الأصل إلى الفرع أصلية كانت أم مكتسبة ، وهذه الصفات منها النافعة كالقوة والصحة والذكاء ، ومنها الضارة كالأمراض والعاهات ، والصفات الضارة تنتهي إلى أحد أمرين : إما أن تتلاشى بتغلب الصفات النافعة عليها ، وإما أن تتغلب فتؤدي إلى فناء صاحبها بذاته أو بنسله ، وأما الصفات النافعة فتجعل صاحبها فردا ممتازا وفائزا في معركة الصراع من أجل البقاء ، وتتوارث الفروع هذه الصفات النافعة جيلا بعد جيل ، وبعد مرور آلاف من الأجيال يبلغ الامتياز حدّا يجعل من الفرد الممتاز نوعا جديدا ، وهذا هو قانون الانتقاء الطبيعي الذي يراه داروين سببا لتكوين الأنواع الحية الموجودة اليوم على الأرض .

اعتراضات على نظرية التطور :

واعترض آنذاك على نظرية التطور باعتراضين :

الاعتراض الأول :

إذا كانت سلسلة التطور – التي بدأت من خلية في الكائن الحي وحتى بلوغها درجة عالية من التعقيد في الإنسان – صحيحة ، فلماذا لم تتطور الحيوانات ذات الخلية الواحدة والضعيفة؟

جواب داروين :

ليس من الضروري أن تتطوّر جميع الكائنات الحية ، إذ لعلّ كائنا حيا لم يكن بحاجة إلى التطور ؛ لأنه كان يعيش في ظروف بيئية لم تَدْعُ الحاجة إلى تغيير هيئته ، ولكن مع ذلك فهذا الكائن – طبقا لمبدأ الصراع من أجل البقاء – أخذ في سيره حتى وصل إلى ما نراه اليوم .

الاعتراض الثاني :

لماذا لم نشاهد حدّا متوسطا بين الأنواع المتطورة أو بين الإنسان والقرد ؟

جواب داروين :

الزمن الذي تعيش فيه الأنواع كحدّ متوسط قصير جدّا بالنسبة إلى الزمن الذي تُكَوِّنُ فيه الكائناتُ الحيةُ نوعًا جديدا .

ظروف ظهور نظرية التطور :

أرسلت أسرة داروين المحافظة داروين عام ١٨٢٨ م إلى جامعة كيمبردج ليدرس اللاهوت ويصبح قسيسا ، وحصل على درجة اللاهوت من هذه الجامعة ، وخلال ثلاث سنوات أشبع هوايته في دراسة التاريخ الطبيعي ، وصادق أثناء دراسته عالم النبات جون هنسلو الذي رشّحه ليصحب السفينة بيغل في رحلتها في ٢٧

ديسمبر ١٨٣١ لمسح المناطق المجهولة في نصف الكرة الجنوبي وخاصة أقصى الجنوب من أمريكا الجنوبية لاستكمال الخرائط الملاحية للبحرية الإنجليزية .

واستغرقت الرحلة خمس سنوات تقريبا ، أي إلى سنة ١٨٣٦ ، ورجعت السفينة بأمر أعظم من خرائط الملاحة ، وهو الإجابة عن مشكلة أصل الأنواع وتطورها ، وكان السؤال الملح على ذهن داروين : لو كان كل نوع من الحيوانات أو النباتات خُلِقَ منفصلا – كما هو الاعتقاد الشائع – فلماذا هذا التشابه الكبير بين الأنواع التي تفصلها بحار واسعة ؟ ولماذا لا يكون كل نوع من الأحياء متطوِّرا من نوع سابق له في الوجود ؟

وجمع داروين مخلَّفات لكائنات منقرضة منذ ملايين السنين ، وجمع من عظام الحيوانات على ظهر السفينة أحمالا كثيرة ، بالإضافة إلى الشحنات التي كان يرسلها إلى مسقط رأسه من مواد مختلفة ، ولكنه لم يتسرع بعد عودته ليعلن رأيه على الناس ، وإنما عكف قرابة ربع قرن آخر من الزمان على دراسة العينات والمجموعات التي أحضرها ، والنظر في الآراء واستنتاج الأدلة والبراهين ، وقد ساعده في ذلك فكرة استمدّها من علم الاقتصاد من المفكر الاقتصادي الإنجليزي توماس مالتوس (١٧٦٦-١٨٣٤) ، وهي فكرة الصراع من أجل البقاء ، وهو كان قد قرأ كتاب مالتوس عن السكان ، وكانت ملاحظته الطويلة لعادات الحيوانات والنباتات قد هيّأت ذهنه لتقدير أهمية

الصراع من أجل البقاء ، فقد تبادر إلى ذهنه أن تبقى التغيّرات المناسبة وتتلاشى التغيّرات غير الملائمة ، فتكون نتيجة ذلك تكوين نوع جديد ، وهنا أصبحت لديه نظرية يمكنه الابتداء بها .

في عام ١٨٥٩ م أصدر داروين كتابه أصل الأنواع ، عرض فيه مجموعة كبيرة من الأدلة على التطور ، وقد أثار الكتاب ثائرة الكنيسة التي اتهمت نظريته بأنها مناقضة لتفسير الكتاب المقدّس للخلق ، ومؤدية إلى الحط بالإنسان إلى مستوى الحيوان ، وكان داروين مؤمنا بوجود الإله ، ولكن الحملة ضده كانت شعواء قاسية ، وخرجت عن أدب النقاش العلمي إلى السب والاستهزاء والتكفير ، إلى أن أعلن أسقف أكسفورد في خطبة ألقاها أمام مجمع تقدّم العلوم البريطاني : "إن داروين ارتكب أشنع جريمة حينما حاول أن يحدّد مجد الإله في فعل الخلق" ، وقال الكاردينال هنري ماننغ : "إن مذهب داروين هو فلسفة وحشيّة تؤدّي عقلا إلى إنكار الإله" ، والدكتور به ري كبير أساقفة ملبورن وضع كتابا كتب كتابا حمل فيه على داروين واتّهمه بأنه "يزرع في نفوس الناس بذرة الكفر وإنكار الكتب السماوية" ، والمونسنيور سه غور في فرنسا قال عن مذهب داروين إنه "من المذاهب المرذولة التي لا يؤيّدها إلا أحطّ النوعات وأسفل المشاعر ، فأبوها الكفر وأمها القذارة" ، وحدثت هذه الضجة الكبرى مع أن داروين لم يكن هدفه إلا تفسير الطريقة التي تحدث بها التغيّرات في الأنواع التي شاهدها .

الآثار الفلسفية لنظرية التطور ودليل النظم :

أطلق الفيلسوف الأمريكي دانيال دينيت على نظرية التطور لداروين "الفكرة الخطيرة" ، ونحلل هذه النظرية لنستكشف آثارها الفلسفية والدينية ، ولنعرف أنه لماذا نُظِرَ إليها على أنها خطيرة تهدّد الاعتقادات الدينية للمؤمنين .

يمكن تلخيص ذلك –كما ذكر جون هاوت – في ثلاث قضايا :

القضية الأولى :

التنوّع الذي يؤدي إلى الاختلاف بين الأنواع هو عشوائي ، والعشوائية تشير إلى أن عمل الطبيعة اتفاقي ولاعقلاني ، ومعظم علماء الأحياء ما زالوا يسيرون على رأي داروين ، فينسبون عمل الطبيعة إلى الصدفة .

القضية الثانية :

الأفراد يصارعون ويكافحون من أجل الحياة ، ولكن معظمهم يعاني ويخسر في هذه المنافسة ، وهو يشير إلى قسوة الكون ووحشيته ، وخصوصا تجاه الضعفاء .

القضية الثالثة :

عملية الانتقاء الطبيعي غير العاقلة – والتي من خلالها لا يبقى على قيد الحياة إلا الأصلح – تشير إلى أن الكون أعمى ومحايد – أي لا توجد غاية في الكون – بالنسبة للحياة بشكل عام ، والحياة الإنسانية بشكل خاص .

هذه القضايا الثلاث : العشوائية ، وقسوة الصراع من أجل البقاء ، والانتقاء الطبيعي الأعمى ؛ أوحت للعقل الغربي بأن الكون لا علاقة له بإله خالق صانع .

القضية الأولى تتطلب تحليلا لمفهوم الصدفة ، والقضية الثانية تتطلب علاجا لمشكلة الشر ، وتبحث في موضوع العدل الإلهي ، والقضية الثالثة تتطلب تحليلا لمفهوم الغائية .

ومن منتصف القرن الماضي رحب بعض المفكرين بالأفكار الداروينية بوصفها انتصارا نهائيا للشك في الدين ، ونقيضا للإيمان بوجود إله خالق للكون ، منهم عالم البيولوجيا البريطاني توماس هَكسلي (١٨٢٥م-١٨٩٥م) ، والبيولوجي الألماني إرنست هيكل (١٨٣٤م-١٩١٩م) ، والمفكر الألماني كارل ماركس (١٨١٨م-١٨٨٣م) ، وعالم النفس النمساوي سيجموند فرويد (١٨٥٦م-١٩٣٩م) ، وفريدريك نيتشه (١٨٤٤م-١٩٠٠م) ، حيث وجدوا في أفكار داروين ما يدفعهم للإلحاد ، والكثير من علماء الطبيعة في عصرنا يربطون بين الداروينية وعدم الإيمان بالإله الخالق .

وقد أشار فرويد في إحدى محاضراته إلى تأثير هذه النظرية حيث قال : "لقد تلقّت الإنسانية من يد العلم – فيما سلف – طعنتين خطيرتين أصابت في الصميم أنانيّتها السّاذجة ، كانت الأولى عندما بُيِّنَ للناس أن الأرض هيهات أن تكون مركز الكون ، ما هي إلا هنّة زهيدة في منظومة كونيّة لا نستطيع أن نتصوّر ما هي عليه من

ضخامة ، وتقترن هذه الطعنة في أذهاننا باسم كوبرنيكوس ، وإن كان في تعاليم مدرسة الإسكندرية شيء شبيه بهذا كل الشّبه .

أما الطعنة الثانية فجاءت على يد عالم الأحياء ، يوم انتزع من الإنسان ما يدّعيه من مكانة ممتازة في نظام الخلق ، فخرج عليه بأنه ينحدر من سلالة حيوانية ، ويبيّن له ما تنطوي عليه نفسه من طبيعة بهيميّة لا يمكن أن تُسْتِأْصَلَ ، وقد قام بهذا الانقلاب في عصرنا تشارلز داروين وولاس (يقصد عالم البيولوجيا البريطاني ألفرد والاس (١٨٢٣م-١٩١٣م)) ومن سبقهما ، فاسْتُهْدِفُوا لأعنف ضروب المقاومة ممن كانوا يعاصرونهم من الناس" . (هامش : محاضرات تمهيدية في التحليل النفسي ، سيجموند فرويد ، ترجمة د. أحمد عزت راجح ، ج٣ ص٢١٦ ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٦م .)

ورغم أن داروين كان حريصا على تجنّب أي نتائج أخلاقية لنظريته ، فإنه بعد نشر كتابه مباشرة كان من الواضح أن هذه النظرية ستترك أثرا كبيرا على الفكر الإنساني .

مثلا نيتشه تلقّى فكرة الانتقاء الطبيعي والصراع من أجل البقاء ليحوّلها إلى دعوة للقضاء على الأخلاق المسيحية التي كان يسميها "أخلاق العبيد" ؛ لكي يَحِلَّ محلّها نوع آخر من الأخلاق ، هو أخلاق السوبرمان ، وهو الشخص الذي يجب أن ينظر إليه العالَ

على أنه مصدر المعرفة والسيطرة والقوة ، والقادر على التخلّص من معوِّقات أخلاق العبيد .

ريتشارد دوكنز عالم الأحياء الإنجليزي جادل في كتابه "صانع الساعات الأعمى" بأن الانتقاء الطبيعي مع فترات تراكمية طويلة جدا من الزمن كافية لتفسير كل أنواع الكائنات الحية المختلفة بما في ذلك نحن ، يقول دوكنز في كتابه : لماذا نظل بحاجة لاستدعاء فكرة الإله طالما أن الانتقاء الطبيعي والتراكم وحدهما كافيان لتفسير كل الإبداع الذي نراه في قصة الحياة؟ ، قبل داروين نحن نُقِرُّ أنه كان من الصعب العثور على أسباب محدّدة للإلحاد ، ويبدو أن النظم والتناسق في الطبيعة كانا يدفعان للبحث عن تفسير فوق مادي ، وبالتالي دليل النظم لإثبات وجود الإله ربما كان له معنى في نلك الأيام ، لكن الأمر لم يعد كذلك الآن ، نظرية التطور المنقَّحة باكتشافات البيولوجيا الجزيئية حطّمت فكرة الخالق الصانع التي كان معظم الناس يعتقدون بها قبل منتصف القرن الماضي ، نظرية التطور أزالت مرة واحدة وإلى الأبد أي احترام فكري متبقّي لفكرة الإله .

سحر الواقع ، ريتشارد دوكنز ، ص٥٠ : على الرغم من أننا نفتقر إلى الحفريات التي تخبرنا بالتحديد عن الهيئة التي كان عليها أوائل أسلافنا الأقدمين ، فلا شك لدينا على الإطلاق في أن جميع الكائنات الحية أبناء عمومة لنا ، وأبناء عمومة فيما بينهم ، كما أننا نعرف ما الحيوانات الحديثة أبناء العمومة القريبين لبعضهم بعضا ،

مثل الإنسان والشمبانزي ، أو الجرذان والفئران ، ومن هم أبناء العمومة البعيدين عن بعضهم بعضا ، مثل الإنسان والفئران ، كيف نعرف هذا ؟ بالمقارنة المنهجية فيما بينها ، تأتي أهم الدلائل وضوحا من مقارنة ال DNA . انتهى

ويوجد عدد من علماء الأحياء التطوري وبعض فلاسفة الغرب هم على نفس رأي دوكنز ، الفيلسوف الأمريكي دانيال دينيت في كتابه "فكرة داروين الخطيرة" جادل وبطرق مختلفة بأن الانتقاء الطبيعي هو التفسير الوحيد المعقول للتنوع في الحياة ، يقول : "من خلال انتقاء تغييرات تكيّفيّة صغيرة جدا في الكائنات الحية على مدى فترة تستغرق عدّة مليارات من السنين ، العملية العمياء تماما يمكنها أن تحقّق كل التنوع الذي نجده في كوكبنا ، بما في ذلك الكائنات الموهوبة بالبصر والوعي ، حتى الذهن البشري هو نهاية المطاف ، وربما نتيجة حتمية لسلسلة غير عاقلة من حوادث متعاقبة ، النقطة هي أنه لا حاجة لـ "مصمِّم مبدع" للإشراف على العملية ، وهذا – وفقا لدينيت – هو أخطر الآثار المترتّبة على فكرة داروين ، وخاصة بشكلها المعاصر من الداروينية الجديدة" . (هامش :

John F. Haught , God After Darwin : A theology of Evolution , Colorado : Westview Press , 2000 , p 11-17 .

الأدلة المؤيّدة لنظرية التطور :

١–أدلة من الحفريّات (علم الإحاثة) :

كانت أدلة الحفريات أقوى الأدلة تأثيرا قبل ظهور "الداروينية الجديدة" التي تعتمد على اليولوجيا الجزيئية ، فأقوى الأدلة هي ما قدّمه علم الجينات ، وفي دليل الحفريات كانت بقايا الحفريات تشكل سلسلة كاملة من الأشكال التي عاشت في الأزمنة السابقة من أدناها إلى أرقاها ، مما يدل على وجود نمو تدريجي للكائنات ، فقد وجد أنه في أقدم حفريات الأرض لا توجد إلا حفريات لكائنات بسيطة ، ثم في الطبقات الأحدث أو الأعلى منها توجد حفريات للكائن الأكثر رقيّا ، ثم في الطبقات السطحية لا توجد إلا حفريات الثدييات والإنسان ، وهذا يدل على أن الحياة بدأت بكائنات دقيقة ظهرت في الماء ، ثم انتقلت إلى الأرض ، ثم زادت الكائنات تعقيدا ، مثلا عاريات البذور سبقة كاسيات البذور في مملكة النباتات ، وفي الحيوانات كانتى اللافقاريات أسبق في ظهورها من الفقاريات ، وفي الفقاريات بدأ ظهور الأسماك ثم ثلاها البرمائيات ثم الزواحف الضخمة التي تدرّجت منها الطيور والثدييّات .

٢–أدلة من الشكل الخارجي والتشريح المقارَن :

إذ تتشابه أفراد كل مجموعة من الكائنات الحية فيما بينها تشابها كبيرا في التركيب ، فالفقاريات تتشابه مع بعضها من حيث الهيكل الخارجي رغم تميّزها إلى أسماك وبرمائيات وزواحف وطيور وثدييات ،

وبدراسة الأطراف الأمامية لهذه الفقاريات نجد أنها تتشابه أيضا من حيث النظام التشريحي الواحد .

٣–أدلة من علم الأجنّة :

جميع الكائنات تبدأ حياتها بخلية مخصّبة ، ثم تبدأ بالانقسام ، ويمر الجنين في مراحل نموّه بمراحل مختلفة ، والجنين في مراحل نموّه المختلفة يحكي قصة تطور أسلافه ، وجنين الإنسان يمثل الأطوار التي مر بها التطور على الأرض ، فهو يبدأ حياته بخلية واحدة تأخذ في الانقسام والزيادة كما تفعل الخمائر ، ثم يمر بطور ذي نسيجين كالجوفمعويات ، ثم يمر بطور ذي خياشيم كالأسماك ، ثم تظهر الأيدي والأرجل ، ويكون له ذنب ويضمر ، ويكتسي الجنين بشعر كالبهائم ، وتظهر الرئتان ، والمراحل الأولى لتطور الجنين في الإنسان والحيوان يتشابه تشابها كبيرا بحيث يصعب التمييز بينهما ، كجنين الإنسان والكلب والخفاش والزواحف .

٤–أدلة من الأعضاء المتخلّفة :

الأعضاء المتخلّفة توجد نامية في بعض الكائنات ، وضامرة في كائنات أرقى لم تعد بحاجة إليها ، كالزائدة الدودية ، فهي صغيرة في الإنسان ، كبيرة في آكلة الأعشاب ، معدومة في آكلات اللحوم ، وكذلك الفقرات العصعصية ، فهي ضامرة في الإنسان لأنها تمثل بقايا ذيل قديم ، وكذلك الشعر المغطِّي للجسم ، فهو قليل في الإنسان الحديث لأنه لم يعد للشعر وظيفة التدفئة عند الإنسان الذي بات

يستخدم الملابس ، وكثير في الثدييات الأخرى لأن الشعر يقوم بتدفئتها ، وكذلك الحلمات الثديية في ذكور الثدييات .

٥–أدلة من تحليل الدم والأنسجة :

الإنسان قد يصاب بأمراض تنقلها إليه حيوانات أدنى ، كما قد يعديها هو نَفْسُهُ ، من الأمراض داء الكلب والكوليرا والجرب ، ويدل ذلك على التشابه بين الأنسجة والدم بين الإنسان والحيوانات الأدنى ، وتوجد بعض فصائل القردة – كالسعادين – عرضة للإصابة بنفس الأمراض المعدية وغير المعدية التي يتعرض لها الإنسان ، مثلا السعدان يصاب بالزكام بنفس الأعراض الموجودة عند الإنسان ، والعقاقير لها نفس التأثير في الإنسان والسعدان .

٦–أدلة من التوزيع الجغرافي :

توجد بعض الجزر – كأستراليا – توجد فيها مجموعة كبيرة من الأنواع النادرة من الحيوانات ، وتوجد أدلة أخرى من تربية السلالات النباتية والحيوانية .

٧–أدلة من علم البيولوجيا الجزيئية المتعلِّق بالجينات الوراثية :

أبرز الأدلة التي تعتمد عليها الداروينية الجديدة هي ما كشفه علم الجينات من تشابه الشفرة الوراثية والجينات بين الأنواع التي قيل بحصول تطور بينها أو أنها تنحدر من أصل واحد مشترك ، فلقد أظهر علم البيولوجيا الجزيئية أن جميع الكائنات الحية – من البكتريا إلى الإنسان – تتشابه في طبيعة الجزيئات العضوية المكوّنة لخلاياها ،

وكذلك في شفراتها الوراثية ، مثلا تتماثل الجينات التي تتحكم في وظائف معينة في جميع الكائنات كنمو الأرجل مثلا ، فإذا تم نقل الجين المسئول عن تكوين الأرجل في الفأر إلى البرعم المسئول عن تكوين الجناح في الذبابة ، فيكوّن البرعم للذبابة رجلا كأرجلها بدلا من الجناح ، وقد توصل الباحثون إلى الجينات المسئولة عن نشأة الخياشيم والذيل في جنين الإنسان ، وقد أدّت هذه الجينات وظيفتها لفترة معينة في جنين الإنسان ، وهذه الجينات ظلت موجودة بالرغم من عدم الحاجة إلى الخياشيم والذيل في الإنسان الكامل ، ولكنها جينات خاملة ، وتشبه الجينات المقابلة لها في باقي الفقاريات ، وهذا يؤيّد الأصل المشترك بين الإنسان وغيره من الفقاريات ، وأن الإنسان قد تطور من غيره من الحيوانات ، وإذا تمت مقارنة جينوم الإنسان بجينوم الشمبانزي نجد أن الإنسان يحتوي على ٢٣ زوجا من الكروموسومات ، والشمبانزي يحتوي على ٢٤ زوجا ، واتخذ معارضو نظرية التطور هذا الاختلاف شاهدا لدحض النظرية ، ولكن بتدقيق النظر في الكروموسوم البشري وجدوا أنه يوجد كروموسومين مندمجين في الإنسان ، فاستنتجوا أن السلف المشترك بين الإنسان والشمبانزي كان لديه ٢٤ زوجا من الكروموسومات ، ثم حدث اندماج بين كروموسومين من كروموسومات بعض الأفراد الذين شكلوا الفرع التطوري الذي نشأ منه الإنسان فأصبح عدد كروموسومات الإنسان

٢٣ زوجا ، بينما بقيت كروموسومات الفرع الذي نشأ منه الشمبانزي دون اندماج .

وريتشارد دوكنز – عالم الأحياء المتخصص – يعتمد في إلحاده على نظرية التطور لداروين ، ويؤكد على أن أهم دليل يدعم نظرية التطور هو ما تم اكتشافه في الجينات الوراثية وتركيبها ، ودوكنز يؤكد على أن علم الجينات يدعم موقفه الإلحادي .

ونرى عالما أخر أكثر تخصصا في علم الأحياء يؤمن بنظرية التطور ، وهو فرانسيس كولنز ، وهو عالم جينات أمريكي ، وقد تقلّد منصب رئيس مشروع الجينوم البشري عام ٢٠٠٠ م ، ومع إيمانه بنظرية التطور فهو يؤمن بوجود الإله ولا يرى بأن نظرية التطور تدعم الإلحاد ، ويرى بأن تطور الجينات يمكن أن ينظر إليه على أنه اللغة التي يتحدث بها الإله معنا ، وقد كتب كتاب لغة الإله عام ٢٠٠٧ م .

نقاش نظرية التطور :

توجد ثلاث جهات لنقاش نظرية التطور :

١–هل نظرية التطور فرضية أو حقيقة علمية ؟

٢–نفرض أن نظرية التطور ثبتت كحقيقة علمية فهل يوجد تلازم بين ثبوت نظرية التطور وانهيار دليل النظم ؟ فهل يوجد تنافٍ بين نظرية التطور والإيمان بالإله الخالق ؟

٣–هل يوجد تعارض مستقر بين نظرية التطور ونصوص الكتب السماوية وخاصة القرآن الكريم ؟

نأتي إلى هذه الجهات تباعا :

الجهة الأولى : هل نظرية التطور فرضية أو حقيقة علمية ؟

جواب هذا السؤال متروك لعلماء الأحياء ، فهم المتخصصون في هذا العلم ، وكل شخص يتكلم في مجال تخصصه كالطبيب أو العالم بأحكام الدين أو الفيزيائي أو الكيميائي .

إن الباحث في العلوم الطبيعية حينما تكون بيده معلومات عن أي موضوع فإنه يبحث عن فرضية مناسبة تفسِّر تلك المعلومات ، وإذا تأكذت الفرضية بواسطة آليات معينة تصبح نظرية مقبولة ، وإذا تراكمت القرائن والشواهد لإثباتها يقال عنها إنها حقيقة علمية ، ففي بداية طريق البحث العلمي يبدأ العلماء بطرح فرضية ، وفي نهاية الطريق ينتهون إلى الحقيقة العلمية ، وفي الطريق بين البداية والنهاية توجد النظرية المقبولة ، وتوجد فرضيات علمية كثيرة تصل إلى درجة النظرية المقبولة ، ولكنها لا تصل إلى درجة الحقيقة العلمية .

إن علماء الطبيعة لا يتحدثون عادة عن الحقيقة العلمية ، وإنما يتحدثون عن نظريات مقبولة ، تكون مؤيَّدة بمجموعة من الشواهد ، ولا توجد شواهد تدحضها ، واليقين بصحتها هو يقين معرفي لا يقين رياضي ، ولا يمكن للمناهج العلمية كالاستقراء أو حساب الاحتمال أو المحاولة والخطأ وقابلية التكذيب وغيرها من المناهج أن تنتج يقينا رياضيا وحقيقة علمية .

إن نظرية التطور لداروين لم تصل إلى درجة الحقيقة العلمية التي لا شك فيها ، وليست مسلَّمة مفروغا من صحتها ؛ لأنه يوجد علماء وجهوا انتقادات مهمة لهذه النظرية ، وهي ليست مثل كروية الأرض التي لها شواهد وقرائن كثيرة مؤيِّدة ، ولا توجد شواهد وقرائن داحضة يعتدّ بها ، بل إن كروية الأرض يناقش فيها ، ويقول البعض بأن الأرض مسطحة لا كروية ، ويذكرون مجموعة من الأدلة الدالة على أن الأرض مسطحة ، وعدد من علماء الأحياء المتخصصين لا يتحدثون باللغة اليقينية ، وأقصى ما يدّعون – إن آمنوا بنظرية داروين – أنها تفسير مقبول للأحافير التي حصل عليها علماء الجيولوجيا والأحياء بسبب تشابه وتنوّع الكائنات الحية ، وهي أفضل تفسير للنتائج التي توصّل إليها علم البيولوجيا الجزيئية ، ولكن يمكن أن توجد تفسيرات أخرى لا تنسجم مع نظرية داروين ، فقد ينطلق عالم الأحياء من نفس الشواهد والقرائن ، ومع ذلك لا يصل إلى نفس النتيجة ، فهذه الشواهد لها قابلية أن تفسَّر بأكثر من تفسير ، مثلا عالم الأحياء البريطاني ماك جراث ، أكّد أنه ينطلق من نفس المعلومات والشواهد والقرائن ، ولكنه لا يؤمن بنظرية التطور .

إن المتخصصين في علم الأحياء من ضمن مهامهم إثبات صحة نظرية التطور أو خطئها ، وعلينا أن نرجع إلى علماء الأحياء للتأكد من شواهد الإثبات والنفي ، والأجواء العامة في الأوساط العلمية البيولوجية تقبل بنظرية التطور ، وترى بأنها تحظى بشواهد وقرائن قوية

جدا ، ولكن لا يوجد إجماع حول ذلك ، وإذا لم يصل إلى درجة الإجماع بين علماء الأحياء فإنه تظل نظرية علمية قابلة للنقاش كأي نظرية علمية أخرى ، فلا يمكن الأخذ بها كمسلَّمة ، وخصوصا عندما نجد أن نقّاد هذه النظرية يصرّون على أن الأدلة المباشرة لإثبات التطور قليلة ، والمقصود بالأدلة المباشرة هو الأمثلة التي يمكن أن نلاحظها لحدوث تعديل فعليّ ، لذلك تظل النظرية – في نظرهم – بلا إثبات ، ومع وجود الردود العلمية على النظرية وتشكيك بعض المتخصصين في علم الأحياء لا يمكن القول بأن نظرية التطور حقيقة علمية ، فهي – على أحسن تقدير – أفضل تفسير علمي للمعطيات من التقارب الجيني والأحافير والتشابه بين الكائنات الحية وغير ذلك . وأما مهمة علماء الدين والفلاسفة فهي الكشف عن وجود أو عدم وجود ارتباط منطقي أو فلسفي بين نظرية التطور ودليل النظم والإيمان بالإله الخالق العالم الحكيم ، نعم قد يكون لنظرية التطور قدرة تفسيرية عالية ، ولها شواهد وقرائن مؤيِّدة ، ولكن المشكلة ليست مع مفهوم التطور وافتراض أصل مشترك للكائنات الحية ، وإنما المشكلة مع خلط مفهوم التطور ببعض المسائل الفلسفية ، كالقول بالعشوائية والصدفة ونفي الغاية .

أدلة ردّ نظرية التطور :

ذكروا أدلة لردّ نظرية التطور ، منها :

الرد الأول :

في كتابه أيقونات التطور تعرّض جوناثان ويلز – وهو من أعلام حركة التصميم الذكي ، وحاصل على دكتوراه في اللاهوت ، ودكتوراه ثانية في علم الأجنّة والتطور – تعرّض لعملية الخداع والاحتيال الكبيرة في مواصلة تضمين كتب علم الأحياء المدرسية صورا تتعارض مع الأدلة التي نشرها علماء الأحياء أنفسهم دون أن يعطى الطلاب أي إشارة لكون تلك الصور غير حقيقية ولا أساس علمي لها ، ومن الأيقونات التي حاول ويلز كسرها :

أولا :

تجربة ستانلي ميللر وهارولد أوري عام ١٩٥٣ م ، والتي استخدمت محاكاة للجو البدائي على الأرض لأجل إنتاج بعض جزيئات الحياة ، ولكن علماء الكيمياء الجيولوجية كانوا مقتنعين أن جو الأرض الابتدائي لم يكن مشابها لهذه التجربة ، وأن نتائج التجربة ليس لها علاقة بموضوع أصل نشأة الحياة .

وفي عام ١٩٩٥ نشرت مجلة العلوم أن المتخصصين يرفضون بشدة تجربة ميللر ، ويرجّحون أن الجو السائد وقت نشأة الحياة كان يحتوي على كميات قليلة من الهيدروجين ، وكان فقيرا بالأوكسجين ، وكانت الغازات السائدة هي ثاني أكسيد الكربون والنيتروجين وبخار الماء ، وإذا استخدم ميللر هذا الخليط فإنه لن يحصل على أحماض أمينية ، ولكن سيحصل على الفورمالدهيد والسيانيد ، وهي مواد سامة لكل

أشكال الحياة ، ولا يمكن أن تكون مصدرا للمركبات العضوية الحيوية .

ويضيف ويلز قائلا : إن تصميم الداروينيّين على ذكر التجربة في كتبهم الحديثة بالرّغم من خطئها إنما يرجع إلى أنها الدليل المادي الوحيد المتاح لهم ، وحتى لو صحت التجربة فهي لا تدل على النشأة العشوائية للحياة .

ثانيا :

يستعين أنصار نظرية التطور عادة بالشجرة الداروينية للحياة ، التي طبقا لها تطورت جميع الأنواع الحديثة من الكائنات الحية تدريجيا من سلف واحد عام مشترك ، ولكن سجل الأحافير يظهر أن المجموعات الرئيسة للحيوانات ظهرت مع بعضها في وقت واحد ، ومتشكِّلة بشكلها الكامل من أول لحظة ، دون وجود أي دليل على سلف مشترك ، وهو أمر معارض تماما لتوقّع داروين .

وقد وقعت المفاجأة الكبرى عندما ثبت لعلماء الحفريات أن انفجارا أحيائيا كبيرا حدث في العصر الكمبيري ، وأن جميع الكائنات الحية الحيوانية ظهرت فجأة في هذا العصر منذ ٥٤٠ مليون سنة ، وبدلا من أن تشبه شجرة الحياة لداروين هرما مقلوبا يقف على رأسه عند الخلية الحية ، أصبح الوضع الحالي هرما مستقرا على قاعدة عريضة جدا تشكلِّها جميع الكائنات الحيوانية التي ظهرت في العصر الكمبيري .

ثالثا :

الرسومات التي رسمها إرنست هيكل ، والتي تبيّن التشابه بين أجنّة الفقاريات التي يفترض أنها تشير إلى سلف مشترك ، وعلماء الأحياء عرفوا منذ أكثر من قرن أن هيكل زوّر التشابه المزيف ، وأن أجنّة الفقاريات البدائية الأولى مختلفة تماما عن بعضها البعض .

رابعا :

التطور الداروينى قد ينجح في بعض المستويات ، كالتغيّرات الطفيفة في مناقير طائر البرقش ، ولكن لا يوجد دليل على الادعاءات الواسعة لنظرية التطور ، ويصرّ ويلز على أن ادّعاء الداروينية بأن البشر نتاج عَرَضِيّ وثانوي لعملية طبيعية وغير موجَّهة ليس قطعا استدلاليا علميا ، ولكنه وجهة نظر فلسفية فقط .

النتيجة :

إن الموقف المضادّ والناقد لبعض علماء الأحياء يدعونا للحذر من التوظيف الأيدولوجي لنظرية التطور ، وقبول الزَّعم بأنها حقيقة علمية غير قابلة للنقاش .

الرد الثاني :

الذين يقبلون نظرية التطور كتفسير كامل لم يقدِّموا تفسيرا لأصل الحياة وكيفية نشوء الخلية ، فهم يفترضون أن الحياة كانت موجودة من قَبْل ، ولا يمكن قبول تفسير مادي لتعدّد الكائنات دون تقديم تفسير مادي لأصل الحياة ، وأصحاب نظرية التطور يعترفون بجهلهم بأصل

الحياة وكيفية نشوء الخلية ، ويذهبون إلى أن الاعتراف بالجهل أفضل بكثير من التفسير الديني القائم على الخيال ، وقد حاول الداروينيّون تطبيق نظرية داروين في التطوّر على نشأة الخلية الحية الأولى ، ويلجؤون في ذلك إلى الصدفة ، ويعتبرونها قادرة على تفسير نشأة الحياة .

أصل الأنواع لداروين ، ترجمة إسماعيل مظهر ص٤٠ : كان مذهب داروين انتصارا للمادية الصرفة ، ولكنه انتصار لم يكن حاسما ولم يكن قاطعا ، غير أن الفكر بعد أن اصطدم بصخور التطور مضى يتخبط غير مستقر ، ومضى زمن طويل قبل أن يدرك سواد الناس أن داروين إنما تناول ببحثه العلمي عصر ما بعد الخلية التي هي أساس الحياة بكل صورها ، ولكنه لم يعرض للبحث في عصر ما قبل الخلية ليعرف كيف نشأت الحياة في تلك الصورة البسيطة ، ومن أين هبط ذلك السر الرهيب سر الحياة الذي جعل من المادة الجامدة كائنا حيا ، عندما شعر الماديون بأن انتصارهم لم يكن حاسما وقاطعا وأن الحياة وإن شئت فقل ماهية الحياة هي الصخرة التي تتحطم عليها أسس المادية قالوا بالتوالد الذاتي من غير مادة حية ، غير أن ذلك لم يقم على شيء من حقائق العلم ، ولم يثبتوا الأسلوب العلمي لأن العلم إنما يثبت — كما قال باستيان — أن كل حي إنما يتولد من حي مثله ، وإذن فهناك حادث خطير وقع فاصلا بين عصرين : عصر ما قبل الخلية ، وعصر ما بعد الخلية ، وفي الكشف عن السر الذي يختفي

من وراء ذلك الحادث ينطوي مستقبل الإنسان كله ، أيتّجه إلى المادة أم يتّجه إلى الروح .

تعليق :

بغض النظر عن ما يعرض على أنه تفسير ديني عن أصل الحياة فإن اعتراف أصحاب نظرية التطور بجهلهم بأصل الحياة وكيفية نشوء الخلية الحية دليل على أن التفسير الذي يقدّمونه – لوجود التنوع في الكائنات الحية والتعقيد في نظمها وتركيبها – ليس كافيا ، فنظرية التطور بدأت ما بعد الخلية الحية ، فهذه النظرية لا يمكن أن تجيب على سؤال أنه كيف انتقلت المادة الجامدة إلى خلية حية ، لذلك في أصل الأنواع تبدأ النظرية من بعد نشوء الخلية الحية ، وتبدأ من المملكة الحيوانية لأنها ما بعد الخلية الحية ، وأما قبل نشوء الخلية الحية فالنظرية لا تشير إليها ، لذلك تحيّر الماديون الذي ينكرون وجود الخالق تحيّروا في تفسير كيفية نشوء الخلية الأولى من المادة الجامدة غير الحية ، فكيف انتقلت المادة غير الحية إلى مادة حية ، ونظرية التطور لا تجيب على هذا السؤال لأنها تتكلم عن مرحلة ما بعد وجود الخلية الحية ، ولا تتعرض للبحث عن مرحلة ما قبل نشوء الخلية الحية ، ويمكنهم القول بأن المادة غير الحية تطورت وصارت حية عن طريق التوالد الذاتي أو خاصية المادة ، فالمادة يمكن أن تنتقل من عدم الحياة إلى الحياة ، وأن المادة بتفاعلاتها الكيميائية تتحول صدفة إلى خلية حية بسيطة ، ولكن هذا غير مقبول لأن المادة غير الحية لا يمكن أن

تعطي الحياة لا لنفسها ولا لغيرها ، ففاقد الشيء لا يعطي هذا الشيء لا لنفسه ولا لغيره ، وهذه المشكلة لا يمكن أن يكون لها حل إلا بوجود إله واهب للحياة مفيض للوجود ناقل للمادة من الجمود إلى الحياة ، ولا يوجد حل آخر مهما فكر الماديون للوصول إلى حل ، فالطريق مسدود أمامهم ، ولا طريق للماديين إلا الاعتقاد بوجود إله خالق للكون مفيض للحياة ، فالمادة غير الحية يستحيل أن تتحول إلى مادة حية ، والدليل الفلسفي العقلي يقول بالاستحالة ، وكذلك الدليل العلمي يقول أيضا بالاستحالة ، وأهم بحث هو : هل أن مبدأ الكائنات الحية هو المادة أو ما وراء المادة ؟

الرد الثالث :

يوجد اعتراض منهجي يبيّن عدم الانسجام بين المنهج المادي من جهة والإيمان بفكرة التطور من جهة أخرى ، وليس اعتراضا على نفس النظرية ، فمن يقبل بنظرية التطور لا بد أن يقبل بمنهج يمكن أن ينتهي به إلى الإيمان بأمور غير حسية لأن مفهومَ التطور نفسَه أمر غير حسي ، وهذا الاعتراض المنهجي هو أن نظرية التطور ومذهب دارون لا يصح أن يكون مذهبا علميا مبنيّا على التجربة الحسية ، وإنما هو مبني على الفرض والتخمين والظن والاستنتاج ؛ لأن تولّد الأنواع بعضها من بعض ليس في متناول الحس والمعاينة ، ورؤية الأحافير المستخرجة من تحت الأرض والمتوسطة بين نوعين موجودين من الحيوان ليست دليلا على توالد أحدهما من الآخر ، ولا كونها

واسطة في التوالد ؛ لاحتمال كون كل من الواسطة وطرفيها نوعا مستقلا مخلوقل برأسه ، وليس من حقهم أن ينتقلوا من التشابه المحسوس إلى التوالد غير المحسوس ، وإذا انتقل كان هذا الانتقال خارجا عن حدود التجربة التي يدّعون الوقوف عندها ، فهم يتجاوزون حدود المذهب المادي أو التجريبي لأنهم انتقلوا في استدلالهم من أمر محسوس – أي الأحافير أو التشابه الخارجي أو التشابه الجيني بين الكائنات الحية – إلى أمر غير محسوس – أي فكرة التطور – ، واعتمدوا في ذلك على أمر حدسي ظني استنتاجي لإثبات أمر لم ترصده الحواس ولم تتحقق منه التجربة ، إن فكرة التطور بحد ذاتها تعتبر انتقالا من أمر محسوس إلى أمر غير محسوس ، وهذا انتهاك للمذهب الحسي أو التجريبي ، لذلك لا بد من إعادة النظر في المذهب المادي أساسا ، وإعادة بناء نظرية غير مادية في المعرفة لكي تتهيّأ الأرضية لقبول نظرية التطور .

الجهة الثانية : هل يوجد تلازم بين الاعتقاد بنظرية التطور وانهيار دليل النظم وعدم الإيمان بالإله الخالق ؟

كانت الجهة الأولى في أن هل نظرية التطور فرضية أو حقيقة علمية ؟ ووصلنا إلى أنها نظرية مقبولة حاليا ، ولكنها ليست حقيقة علمية ، بل هي قابلة للنقاش والقبول أو الرفض .

والآن نأتي إلى الجهة الثانية لنرى أنه هل يوجد تلازم بين الإيمان بنظرية التطور وعدم الإيمان بوجود إله خالق وانهيار دليل النظم ،

فعلى فرض أن نظرية التطور حقيقة علمية فهل إذا آمنا بنظرية التطور فنتيجته عدم الإيمان بالإله ، وإذا آمنا بالإله فنتيجته عدم الإيمان بنظرية التطور ؟

الجواب :

إن خلق أنواع الموجودات الحية على ثلاثة أنحاء من الفروض :

الفرض الأول : نظرية ثبات الأنواع :

ويعبَّر عنها بـ "نظرية الخلق" ، فالخلق يساوي ثبات الأنواع القائم على أساس الحدوث الزماني لتلك الأنواع ، وهذا ما يعتقد به الناس عادة ، فإذا كانت الأنواع ثابتة فمعنى ذلك أنها مخلوقة ، فتدل على وجود خالق ، فالأنواع إذا كانت ثابتة فسوف نضطر إلى القول بأن كل نوع خرج فجأة من العدم إلى الوجود في وقت معين ، وأنه خُلِقَ من قِبَلِ شيء وراء الطبيعة ، كما في خلق سيدنا آدم ع ، فقد اقتضت المشيئة الإلهية أن يوجد هذا الكائن فجأة من العدم ، فالإنسان لم يكن موجودا ، ثم وُجِدَ زوجا من ذكر وأنثى ، وهكذا سائر الكائنات الحية .

الفرض الثاني : نظرية تبدّل الأنواع :

إذا كانت الأنواع متبدِّلة فمعنى ذلك أنها غير مخلوقة ، فتدل على عدم وجود خالق .

وللأسف حاول البعض الدفاع عن الإيمان بالإله من خلال إنكار نظرية تبدّل الأنواع ، فقال بأن الأنواع ثابتة ، ولخلقها بداية زمنيّة ،

وفي المقابل حاول المادّيّون إثبات مدّعاهم من خلال تبدّل الأنواع ، وقالوا بأن تبدّل الأنواع دال على عدم وجود إله خالق ، ونظرية تبدل الأنواع قديمة جدا ، أشار إليها الفيلسوف ابن سينا (٩٨٠-١٠٣٧م) في كتابه الشفاء ، والفيلسوف صدر الدين الشيرازي (١٥٧٢-١٦٤٠ م) في كتابه الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة ، وهي نظرية منسوبة إلى اثنين من فلاسفة اليونان ، أحدهما انكسيمندروس أو انكسيماندر (٦١٠-٥٤٦ ق.م) والآخر انباذقلس أو امبيدوكل (٤٩٠-٤٣٠ ق.م) .

ورغم أن دارون لم يكن ماديا ، بل كان مؤمنا بوجود الإله ، فقد كتب دارون : "العقل يقول لي إنه من الصعب جدا بل من غير الممكن أن نتصوّر أن هذا الكون الهائل والجميل بما فيه من مخلوق يتمتّع بقدرات إنسانية كبيرة قد جاء نتيجة لصدفة عمياء أو ضرورة ، لذا عندما أتأمّل أشعر بأني مدفوع للبحث عن سبب أول ، لديه عقل ذكي يشبه بدرجة ما عقل الإنسان ، ومن ثم أنا أقبل أن يقال عني إني موحِّد Theist" .

(هامش Charles Darwin Charles Darwin 1809 , The Autobiography of)

ولم يكن دارون يسعى في بحثه إلى الوصول إلى عدم وجود الإله ، ولكن للأسف جاءت جماعة من المؤمنين بوجود الإله وتمسّكوا بنظرية ثبات الأنواع وربطوها بالإيمان بالإله ، وجاءت جماعة أخرى وتمسّكوا

بنظرية تبدّل الأنواع وربطوها بالإلحاد ، فصار الاعتقاد بنظرية التطور لدارون عند الجماعتين دال على عدم الاعتقاد بوجود الإله .

وقد شاع في العالم الغربي بعض الأفكار التي يقول بها المتديّنون بأن كون العالم مخلوقا من قِبَلِ الإله يستلزم أن تكون جميع الأشياء ثابتة دائما ، وبالتالي لا يحدث تغيّر في الكائنات الحية ، وخصوصا في أصول الأنواع ، فالتطور الذاتي غير ممكن ، فماهية الشيء ونوعيته لا تتغيّر ، فتكون الأنواع ثابتة ، والملاحظ أنه كلما تقدّم العلم زادت القناعة بتطوّر الأحياء وتبدّل الأنواع ، واستنتج البعض من ذلك أن العلم – وخصوصا البيولوجيا أي علم الأحياء – يسير في اتجاه معاكس للإيمان بالإله .

الفرض الثالث : نظرية ثبات الأنواع بلحاظ القِدَم فيها لا بلحاظ حدوثها :

وهي نظرية غير صحيحة ، مثلا نوع الإنسان لم يشتق من نوع آخر ، بل هو نوع قديم ، فكلما رجعنا إلى الوراء نجد أن الإنسان كان موجودا ، وهكذا سائر الأنواع الأخرى ، فإن جميع الأنواع كانت ولا تزال على هذه الهيئة التي نراها اليوم ، ومال إلى هذه النظرية الفلسوف اليوناني أرسطو (٣٨٤-٣٢٢ ق.م) ، وابن سينا ، من جهة كونهما فيلسوفين ، لا من جهة كونهما مؤمنين بدين ، ونظرهما الفلسفي هو أن الموجودات كانت منذ الأزل .

والنظرية الثالثة تبتني على أساسين : التوحيد والطبيعيات ، فالحكماء قديما كانوا يعتقدون عدم انفكاك الخالق عن الخلق ، فحيث كان الإله كان الخلق معه ؛ لأن ذاته المقدسة أزليّة ، وفيضه وخلقه أزلي أيضا ، فلا يصح في نظرهم الاعتقاد بالإله الأزلي ، ولكنه لا خلق له ، وأنه بقي مدة من الزمن ثم أوجد الخلق فجأة ودفعة واحدة ، وعلماء الطبيعيات القديمة كانوا يعتقدون بأن الوضع الفلكي غير قابل للتغيير ، فلا يحصل أي تغيير في وضع الأفلاك لا في الماضي ولا الحاضر ولا المستقبل ، لذلك فالأنواع كانت ولا تزال باقية على ما هي عليه سابقا ، ولا يحدث فيها تغيير أو تبدّل .

والآن بعد تطوّر العلوم الطبيعية في العصر الحديث تزلزل ركن أساسي من أركان نظرية أرسطو وابن سينا ، فقد ثبت بالعلم الحديث أن وضع الأرض اليوم يختلف اختلافا كبيرا مع وضعها قبل قرون كثيرة ، حيث لم يوجد أي مخلوق عليها ، وهكذا يتضح بطلان نظرية قِدَمِ الأنواع التي قال بها أرسطو وابن سينا .

ونجد أن هناك خلطا وقع من جانب القائلين بتبدّل الأنواع ، حيث تصوروا أن ما ذكروه في تبدل الأنواع كافٍ في تفسير المعطيات من تقارب جيني وأحافير وتشابه بين الكائنات الحية ، ولا نريد القول ببطلان هذه النظرية ، فما ذكره لامارك وداروِن ومن جاء بعدهما غير كاف في تفسير حدوث الأنواع ، بل لا بد أن نلجأ في تفسير

الحدوث التدريجي والتطور البطيء إلى الإيمانة بالإله الخالق ليكون تفسير تلك المعطيات متكاملا .

ووقع خلط أيضا من جانب السطحيين من المؤمنين بالإله الخالق ، حيث تصوروا أن الإيمان بالإله الخالق يستلزم القول بثبات الأنواع ، وأن حدوث تلك الأنواع حدوث آنيّ دفعيّ فجائيّ ، لذلك أنكروا ما جاء به لامارك وداروِن ، مع أن ما جاءا به غير كافٍ في تفسير حدوث الحيوانات .

وهنا تبرز العلاقة بين نظرية التطور ودليل النظم ، فإن كانت نظرية لامارك ونظرية داروِن كافيتين في تفسير حدوث الأنواع وتبدّلها تزلزل دليل النظم الدال على وجود إله خالق ، وإن لم تكونا كافيتين كان ما ذكراه مؤيِّدا لدليل النظم ، فالمستدل بدليل النظم يقول إذا تأملنا أي نبات أو حيوان لوجدنا فيه نظما خاصا ، وهذا النظم الخاص يدل على وجود قوة خالقة مدبِّرة ، ولكن إن كان ما ذكره لامارك وداروِن كافيا في تفسير هذا النظم فإن دليل النظم يبطل ، مثلا عين الإنسان بهذا التركيب الخاص المتناسب مع حاجة الإنسان تدل على وجود إله خالق مبدع خلقها على هذا النحو ، وأما بناء على نظرية التطور فيمكن تفسير هذا النظم الموجود في العين عن طريق التطور التدريجي المتراكم ، وحينئذ يسقط دليل النظم .

قد يعتقد شخص – اعتقادا ساذجا – بأن من لوازم الإيمان بالإله أنه لا دور لنظام الأسباب والمسبَّبات أو العلل والمعلولات في التأثير في

العالم ، فيقول مثلا أنه لا دور للميكروبات في التسبب بالأمراض لأن الإله هو الممرِض ، ولا دور للدواء في علاج الأمراض لأن الإله هو الشافي ، ويقول بأنه لا تأثير لشيء في العالم إلا للإله الخالق ، لذلك فإنه ينكر نظرية تبدل الأنواع ، ففي نظره هذه النظرية تكون نظرية إلحادية ، ولكن هذا النمط من التفكير باطل لعدم وجود تعارض بين الاعتقاد بتأثير الأسباب والعلل في العالم وبين الاعتقاد بوجود إله خالق ، فالإله الذي خلق الكون هو الذي خلق نظام العلل والمعلولات في هذا الكون .

وبالتالي ما يقوله عالم الأحياء ريتشارد دوكنز بأن من يؤمن بالإله فهو يؤمن في الحقيقة بإله سدّ الثغرات قول باطل ؛ لأن المؤمنين لا يستخدمون الإيمان بالإله لتفسير الظواهر المجهولة بحيث نستعيض بالإله عن البحث عن الأسباب والعلل في العالم ، وتنطفئ بذلك شعلة الفضول المعرفي لاستكشاف العلل في الكون ، بل يسعى المؤمنون أيضا لاستكشاف علل الحوادث وأسبابها للوصول إلى الحقائق الكونية .

الصدفة :

يوجد نوعان من الصدفة :

١–الصدفة المطلقة :

هي أن يوجد شيء بدون سبب إطلاقا ، كأن توجد الخلية الحية أو الزرافة أو الإنسان ، أو يحدث تطور في الكائنات الحية دون أي سبب ، فالصدفة المطلقة تدّعي إمكانية وجود ظاهرة بدون أي علة .

٢–الصدفة النسبية :

هي أن توجد حادثة معيّنة نتيجة لتوفّر سببها ، ولكن يتّفق اقترانها بحادثة أخرى بنحو طارئ ، فيتزامن وقوع الحادثتين ، فالصدفة النسبية تتحدث عن تزامن طارئ بين حادثتين .

وما يوجد في الكون هو الصدفة النسبية فقط ، ولا وجود للصدفة المطلقة ، فالصدفة المطلقة أمر مستحيل ، والصدفة النسبية هي صدفة فقط بالنسبة لمن لم يطّلع على سلسلة أسباب وعلل الحادثتين اللتين تزامن وقوعهما معا ، وأما من اطّلع على سلسلة علل كل حادثة من الحادثتين فلا يرى أن التقاء هاتين السلسلتين معا في لحظة واحدة ما صدفة بالنسبة له .

مثال :

هذا المثال يتّضح من خلاله كيف أن الحادثة تكون صدفة بالنسبة لمن لم يطّلع على سلسلة علل الحادثة ، وأما المطّلع عليها فإن الحادثة لا تعتبر صدفة بالنسبة له .

لنفرض أن شخصين موظفين كانا في مدينتين مختلفتين ، ويعملان في وزارة واحدة ، وصدر من رئيسهما المباشر أمر لكل واحد منهما على حدة للذهاب إلى مدينة ثالثة ، فهذان الرجلان سيلتقيان في هذه

المدينة ، ويكون هذا اللقاء صدفة بالنسبة إليهما لأن كلا منهما لم يكن يعرف بوجود أمر موجّه للآخر بالذهاب إلى هذه المدينة ، لذلك يقول أحدهما للآخر : " ما أجمل هذه الصدفة أن التقيت بك" ، وأما بالنسبة لرئيسهما المباشر فإن لقاء الموظفين لم يكن صدفة ، فهو كان يعلم بأنهما سيلتقيان .

لذلك فإن الصدفة التي نتحدث عن وقوعها في هذا العالم هي صدفة نسبية لأنها صدفة بالنسبة لغير المطّلع على علل الحوادث ، وأنا بالنسبة لمن لديه علم بالحوادث وعللها فهي ليست صدفة ، لذلك ففي الواقع لا توجد أي صدفة في الحوادث التي تحدث في الكون .

وهذا الفهم للصدفة ينسجم تماما مع فكر دارون الذي حرّفه الدارونيّون ، يقول دارون : "تكلّمنا في الفصول الأولى من هذا الكتاب في التّحوّلات ، وأثبتنا أنها كثيرة متعدّدة الصور متنوّعة الأشكال في الكائنات العضوية ، إذ تحدث بتأثير الإيلاف ، وأنها أقل حدوثا وتشكّلا ، إذ تنشأ بتأثير الطبيعة المطلقة ، وغالبا ما نسبنا حدوثها إلى الصدفة ، على أن كلمة "الصدفة" هنا اصطلاح خطأ محض ، يدلّ على اعترافنا بالجهل المطلق ، وقصورنا عن معرفة السبب في حدوث كلّ تحوّل بذاته يطرأ على الأحياء" . (هامش : نقلا عن كتاب أفي الله شك؟ للشيخ مرتضى فرج ، وقد ذكر في الهامش المصدر : دارون ، أصل الأنواع ، ترجمة إسماعيل مظهر ، دار التنوير

للطباعة والنشر ، ٢٠٠٨ ، الفصل الخامس ، قوانين التباين ، ص١٩٣ .)

وأما الآن فإن أتباع نظرية التطور لا يؤمنون بالغائية أصلا ، ويستبعدون من أذهانهم أي تفسير غائي ؛ لأنهم يرون أن معرفة أسباب الحوادث الطبيعية كافية لتفسيرها ، ولكن لا يوجد تنافٍ بين الكشف عن أسباب وعلل الحوادث الطبيعية وبين الإيمان بوجود غاية لتلك الحوادث ؛ لأن الكشف عن العلل الفاعلية للحوادث الطبيعية لا يتنافى مع الإيمان بعلل غائية لها ، فالكشف عن علل الحوادث لا يعني أنه لا توجد غاية لتلك الحوادث ، فيوجد فرق بين العلل والغايات ، ولا يوجد تنافٍ بين علة الشيء وغايته ، فهذا المعلول حدث بسبب هذه العلة لأجل الوصول إلى غاية معيّنة ، فلو افترضنا أن نظرية التطور استطاعت تفسير وجود الكائنات الحية في الكون فهذا لا ينفي وجود غاية لنشأة الكون ، وهذه الغاية موجودة في ذهن المصمِّم الخالق الصانع للكون ، مثلا السيارة لكل جزء منها وظيفة معيّنة ، أي أن لها غاية معيّنة ، ولو نظرنا إلى السيارة ككل فإنها نصل إلى أنها نتيجة تخطيط ونظام دقيقين ، ويوجد صانع له غرض من صناعتها ، والغرض والغاية موجودة في ذهن الصانع ، وهكذا الشجرة أو الجسم البشري صمّمها مصمِّم مبدع ، فأجزاء الشجرة لها غرض ، فالأوراق تقوم بوظيفة الرئتين ، والشعيرات الدقيقة في الجذور تمتص الغذاء من الأرض ، والجذع القوي يقاوم الرياح ، ولحاء الشجر يحمي

الأجزاء الحيوية التي تقع تحته ، وجلد الحيوان وما عليه من شعر يعمل على تدفئة هذا الحيوان ، وتعمل أنياب النمر الحادة على تقطيع الفريسة .

رد أتباع نظرية التطور :

نجد أن الأمر ما هو إلا تشابه وتماثل ، فأجزاء النبات تشبه السيارة أو الساعة ، من حيث إنها تقوم بوظيفة معيّنة بقصد تحقيق غاية ، وهي الحياة في الجسم ، أو السرعة في السيارة ، وبالمماثلة والتشبيه نستنتج أنه ما دامت السيارة من إنتاج عقل فإن الجسم أو النبات لا بد أن يكون من إنتاج عقل ، وما يراه أتباع نظرية التطور أن ما نراه في النبات وفي الأجسام الحية ما هو إلا تكيّف رائع ، فيوجد تكيّف بين أجزاء الشجرة وبين البيئة التي تعيش فيها ، كما يوجد تكيّف بين فراء الدب القطبي وبين المناخ الذي يعيش فيه ، والتكيّف لا يعني وجود عقل مصمم خالق ، بل يعني ملاءمة الكائنات الحية للظروف التي تعيش فيها ، ويمكن تفسير هذه الظاهرة بالانتقاء الطبيعي الذي قال به دارون ، وهكذا هم يفكرون حيث يبحثون عن تفسير فاعلي ، ويستبعدون أي تفسير غائي له .

الرد على أتباع نظرية التطور :

من الضروري التمييز بين التفسير الفاعلي والتفسير الآلي الغائي ، فالتفسير الفاعلي يقوم على أساس بيان العلة والسبب ، والتفسير الآلي الغائي يقوم على أساس بيان الغاية والغرض ، ولا يوجد تنافٍ

بين العلة والغاية ، وأحدهما لا يغني عن الحاجة للآخر ، ولا يوجد بينهما أي تعارض بحيث يطرد أحدهما الآخر ، فهما ليسا ضدّين ، فهم أخذوا بالتفسير الفاعلي فقط ورفضوا التفسير الغائي باعتبار أنهما متضادين .

وقدم الفيلسوف البريطاني والتر ستيس مثالا لرجل يتسلّق جبلا ، فنسأل : لماذا يتسلّقه ؟

وهذا السؤال تفسير لهذا الحدث ، وتوجد هنا إجابتان مختلفتان ، فقد يقول قائل : إنه يتسلّق الجبل لأنه يريد أن يشاهد المنظر من فوق القمة ، وهذا تفسير غائي لحادث التسلق أي غاية التسلّق ، وقد يجاب عن السؤال بسلسلة من الأسباب والنتائج تنتهي بحركة أرجل هذا الرجل ، وهذا هو التفسير الفاعلي ، وهو حركة الأرجل في الصعود بسبب وجود الطاقة عنده مما دفع جسده إلى أعلى الجبل ، وهنا يبحث عن علة صعود الرجل ، والغاية تختلف عن العلة ، ولا يمكن الاستغناء بأحدهما عن الآخر ، وذكر بعض الفلاسفة إلى أن الأسباب – أي العلة الفاعلية – تدفع الحدث من الخلف ، وأن الأغراض – أي العلة الغائية – تجرّ الحدث من الأمام .

ويمكن أن نقول إن الغرض يأتي قبل الحدث في عالم التصور والوجود الذهني ، ولكنه يأتي بعد الحدث في عالم التحقّق والوجود الخارجي ، والسبب يأتي قبل الحدث من حيث الوجود الخارجي ، فمن يتسلق الجبل يتصور في عالم الذهن أنه واقف على القمة ويرى المناظر قبل أن

يبدأ في الصعود ، ولكنه في عالم الخارج يتحقق الوقوف على القمة بعد التسلق ، وأما أسباب التسلق فتحصل في عالم التحقق والوجود الخارجي قبل التسلق .

قد يقال :

يمكن تفسير الحدث تفسيرا تاما وكاملا عن طريق الأسباب أي العلل الفاعلية ، ولا توجد ضرورة لأي تفسير آخر ، ولا نحتاج إلى إقحام الأهداف والأغراض .

الجواب :

لا بد أن نفرّق بين الهدف والغرض ، الهدف هو مستقبل الحدث ، مثل الرؤية الفعلية للمنظر من على قمة الجبل ، والهدف لا يدخل ضمن الأسباب ، وأما الغرض فهو بمعنى الإرادة الحالية والرغبة الحاضرة الموجودة في النفس من أجل تحقيق هدف المستقبل ، فالغرض ليس هو الرؤية الفعلية للمنظر ، فالرغبة الحاضرة الموجودة في نفس الرجل في تحقيق الهدف تفسر جزءا من سلوكه في تسلق الجبل ، والإرادة والرغبة هي جزء من أسباب الحدث ، فيكون السبب الغائي جزءا من الأسباب الفاعلية للحدث ، نعم الهدف خارج عن العلل الفاعلية ، ولكن الغرض داخل في العلل الفاعلية ، وبدون الغرض تكون العلل الفاعلية ناقصة غير تامة .

وبمكن أن نضيف أن الهدف والغرض كتصورين ووجودين ذهنيين يكونان من أسباب الحركة أيضا ، فيدخلان ضمن العلل الفاعلية للحدث .

والنتيجة أنه لا يوجد تضاد بين التفسير الفاعلي والتفسير الغائي لأي حدث من الحوادث ، فمعرفة أسباب الحوادث الطبيعية ليست كافية لتفسير هذه الحوادث ، ولا يوجد تنافٍ بين الكشف عن أسباب وعلل الحوادث الطبيعية وبين الإيمان بوجود غاية لتلك الحوادث ، فالكشف عن العلل الفاعلية للحوادث الطبيعية لا يتنافى مع الإيمان بوجود العلل الغائية لهذه الحوادث .

ففي مثل تسلق الجبل فهذا الرجل يتسلق الجبل بسبب العضلات والتيارات العصبية التي تدفعه إلى الأمام ، وهو يتسلق الجبل أيضا بسبب أنه يريد أن يرى المنظر من قمة الجبل ، وهذا هو الهدف ، وهو عنده الرغبة في الوصول إلى الهدف ، وهذا هو الغرض ، ولا يوجد تضاد بين السبب والهدف والغرض ، فكل واحد من الثلاثة يساهم في حركة الرجل ، وكلا منها تعتبر من الأسباب الفاعلية لحركة الرجل في التسلق .

ملاحظة :

يوجد فرق بين تسلق الرجل للجبل وبين الساعة ، فالغرض الموجود في تسلق الجبل موجود في نفس الموضوع وهو الرجل ، أي في داخل الرجل ، ولكن في الساعة الغرض هو معرفة الوقت ، وهذا الغرض

موجود في ذهن من صنع الساعة أو من يستخدم الساعة ، فالغرض ليس موجودا داخل نفس الساعة لأن الساعة ليس لها عقل حتى نقول بوجود غرض عندها ، بل الغرض موجود خارج الموضوع أي خارج الساعة ، ولا بد أن يوجد موجود حي عاقل حتى نقول بوجود غرض عنده من صناعة الساعة ، لذلك لا يمكن قياس تسلق الرجل للجبل مع الساعة لأنهما ليسا متشابهين من جميع الجهات .

وهنا يأتي السؤال التالي :

هل للكون غرض ؟

الجواب :

افترض بعض الفلاسفة أن الكون في ذاته حيّ بمعنى أو بآخر ، فيكون للكون في ذاته غرض كما أن الرجل الذي يتسلق الجبل يوجد عنده غرض ، أي أن الغرض يوجد داخل نفس الكون كما هو داخل نفس الرجل ، فتكون الغائية داخلية ، ولكن إذا لم نؤمن بأن الكون حي بذاته فنسأل : هل للكون غرض كما نقول هل للساعة غرض حيث تكون الغائية خارجية ؟

وهنا يتم البحث عن موجود حي عاقل خالق خارج الكون كما نبحث عن شخص صانع خارج الساعة ، وتكون لخالق الكون غاية كما أن لصانع الساعة غاية .

إن التمييز بين التفسير الآلي الفاعلي والتفسير الغائي له أهمية كبيرة لفهم تاريخ البشرية ، والتعارض الذي يقع بين العقل في العصور

الوسطى وبين العقل في العصر الحديث هو أن العقل في العصور الوسطى سيطر عليه الدين ، والعقل في العصر الحديث سيطر عليه العلم ، والدين ارتبط بشكل عام بالغائية ، وأما العلم فارتبط بالآلية والفاعلية ، والصفة الأساسية للعقل في العصر الحديث والتي استمدّها من العلم هي أن نظرته غالبا ما تكون إلى الأسباب والعلل ، وأنه لم يهتم بالغاية حتى لو لم ينكرها ، فمعظم علماء البيولوجيا يأخذون بالتفسير الفاعلي ، ويرفضون التفسير الغائي حتى بالنسبة للموجودات الحية .

وهذا التمييز المهم بين العلة الفاعلية والعلة الغائية ، وعدم وجود التعارض بينهما ، يكشف عن الخطأ الذي وقع فيه أنصار نظرية التطور ، فقد ذهبوا إلى أن التفسير الذي قدمته نظرية التطور تام وكامل ، وأنه لا حاجة إلى التفسير الغائي الذي يقدمه الدين ؛ لأن نشوء وارتقاء الكائنات الحية تقع في أجواء مليئة بالصدفة والعشوائية ، فنظرية التطور قدمت تفسيرا على مستوى العلة الفاعلية ، وهذا التفسير ناقص لأنها أغفلت العلة الغائية ، ولكن تبيّن أنه لا يوجد تعارض مطلقا بين التفسيرين الفاعلي والغائي ، بل أكثر من ذلك فإن التفسير الغائي يقع جزءا من أجزاء التفسير الآلي الفاعلي حينما نميّز بين الهدف والغرض ، فالكون وما فيه من مخلوقات حية وغير حية لها أغراض ، وعرفنا أن ما يُعْتَقَدُ أنه صدفة واتفاق وعشوائية إنما

هو كذلك بالنسبة لمن لم يطّلع على الأسباب ، وأما من يحيط علما بالأسباب فلا توجد صدفة واتفاق وعشوائية بالنسبة إليه .

رجوع إلى السؤال السابق :

هل يوجد تلازم بين الاعتقاد بنظرية التطور وانهيار دليل النظم وعدم الإيمان بالإله الخالق ؟

الجواب :

يظن البعض بأن من لوازم الاعتقاد بمخلوقية الموجودات في العالم هو الاعتقاد بأنها مخلوقة دفعة واحدة ، وأنها لم تخلق بشكل تدريجي ، وهذا ليس صحيحا لأنه على خلاف القرآن الذي يقول بأن الله عز وجل خلق الإنسان بشكل تدريجي إلى أن ينتهي إلى آخر مراحل الخلق .

"ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين" (المؤمنون١٢-١٤)

فيتبيّن أن الخلق التدريجي لا ينافي الإيمان بوجود إله خالق ، والنتيجة أنه لا يوجد تنافٍ بين نظرية التطور – على فرض صحته – وبين الإيمان بالإله الخالق ، ولا يوجد تلازم بين ثبوت نظرية التطور وانهيار دليل النظم ، فيمكن أن يعتقد الإنسان بصحة نظرية التطور مع إيمانه بوجود نظم في الكون ، وأن وراء هذا النظم إلها صانعا خالقا ،

فيمكن توظيف نظرية التطور لدعم دليل النظم ، فالإنسان بما يتصف به من دقة في النظم والتركيب والخصوصيات التي تميزه عن باقي الحيوانات لم يخلقه الله دفعة واحدة ، بل وجد بهذه الخصوصيات على مهل عبر قرون طويلة إلى أن وصل إلى هذا الشكل المعقَّد والمتكامل ، وهذا النظام والتصميم الذكي يدل على وجود خالق ، وانتقال الكائنات من نوع إلى نوع آخر يحتاج إلى مدبِّر ومنظِّم ومصمِّم ، وهنا نقول بنظرية التطوير لا بنظرية التطور ، فالإله الخالق هو الذي قام بعملية التطوير لا أنه وقع التطور بدون عناية من الخالق ، فيوجد خالق وراء هذا التطور النوعي – على فرض صحته – ، والسيد الشهيد محمد باقر الصدر في كتابه الأسس المنطقية للاستقراء يقول بأن أهم دليل لإثبات وجود الله هو النظم بناء على حساب الاحتمالات .

نظرية التطور تفسير ناقص للكون :

الأسس التي يطرحها علماء الأحياء للتطور لا تكفي بمفردها لتفسير ظاهرة الخلق ، فمن المستحيل تفسير الخلق بدون إدخال عنصر القصد والغاية .

إن نظرية التطور تعتمد على الانتقاء الطبيعي وبقاء الأصلح ، وهذه حقيقة في معركة الحياة التي تغربل الكائنات ، فالكائن الحي الذي يتكيّف مع البيئة بدرجة أكبر هو الذي تكون له قابلية أكبر للبقاء ، فيأتي السؤال التالي :

هل الإمكانات الضرورية والمفيدة لحياة الكائن الحي يمكن أن تحصل ابتداءً صدفة واتفاقا لكي تبقى أو تزول بعد ذلك في غربال الطبيعة؟

حينما نرى عالم الموجودات ندرك أنه لا بد من وجود قوة خفيّة مدركة لها غرض ، وهي تخلق في بُنية الأحياء ما يجعلها متلائمة مع البيئة ، مثلا بعض الطيور المائية لها أغشية بين أصابعها ، فقد يقال إن هذه الأغشية ظهرت صدفة لأنها تتناسب مع البيئة ثم انتقلت وراثيا إلى نسل هذه الطيور ، وهنا يوجه سؤال لعلماء الوراثة وهم الذي يجيبون لأنهم أصحاب التخصص : هذه الصفة التي ظهرت صدفة على ظاهر جسم الكائن الحي هل يمكن أن تنتقل إلى نسل هذه الطيور عن طريق الوراثة ؟

إن بعض البنى المفيدة للكائنات الحية جاءت على صورة أجهزة معقَّدة جدّا بشكل لا يمكن الاستفادة منها إلا حينما يكون جميع الجهاز قائما بالفعل ، مثل العين ، فكيف يمكن القول بأن تغييرا تدريجيا حصل بالصدفة في جسم الكائن الحي مع أن العين لا بد أن توجد كاملة بدون نقص أي جزء منها ، فإذا قلنا بأن العين وجدت دفعة واحدة تنتقض نظرية التطور ، وإذا قلنا بالتدريج فإن هذا الكائن يظل أعمى ملايين السنوات إلى أن تكتمل العين فيبصر ، فالعين لا تبصر إلا إذا اكتملت كلّ أجزائها ، فقبل اكتمال الجزء الأخير من العين يستحيل الإبصار لأن أجزاء العين مترابطة متناسقة فيما بينها ،

وبمجموعها تؤدي غاية الإبصار ، والمادة العمياء ليس لها غاية ، ولا يمكن التوفيق بين وجود غاية من تجمع أجزاء العين وبين عدم وجود غاية عند المادة العمياء ، وهذا يدل على وجود مصمم ذكي ومنظم له غاية من عملية تجميع أجزاء العين لأجل غاية وهي الإبصار ، ونفس الكلام يأتي في باقي أعضاء الجسم ، فكل عضو يحتاج إلى مصمم ذكي ومنظم له غاية .

وهذه النقطة أشار إليها الشيخ مرتضى المطهري في كتابه التوحيد ، وهو ما يؤكد عليه مايكل بيهي في كتابه صندوق دارون الأسود تحت عنوان "مفهوم الأنظمة ذات التعقيد غير القابل للاختزال" ، ويقصد بيهي بهذا المفهوم الأنظمة التي تتركّب من عدة مكوِّنات منفصلة البُنية ، ولكنها تتضافر وظيفيّا من أجل تنفيذ مهمّة معيّنة ، وإذا تم إلغاء أحد هذه المكوِّنات يتوقّف النظام عن العمل تماما ، والمقصود من الصندوق الأسود هو الجهاز الذي تستعمله ولا تعرف شيئا عن طريقة عمله ، وطرح بيهي مثالا وهو مصيدة الفئران كنموذج للأنظمة ذات التعقيد غير القابل للاختزال ، فالمصيدة تتركّب من خمسة أجزاء أساسية ، وكل جزء مهم لوظيفة المصيدة ، وإذا تم إزالة أحد هذه الأجزاء فإن وظيفة المصيدة لن تنقص بمقدار ٢٠% مثلا ، بل ستتوقف عن العمل تماما ، لذلك يجب تركيب الأجزاء الخمسة في وقت واحد حتى تصبح المصيدة صالحة للعمل .

إن مفهوم الأنظمة ذات التعقيد غير القابل للاختزال لا يدل بالضرورة على أن الكون خلق بنحو دفعيّ ، ولكن يدل – على الأقل – على أن تطور أي جزء من أجزاء منظومة واحدة مشروط بوجود الأجزاء الأخرى ، وينتج من ذلك أن الظواهر الطبيعية تمثل احتمالات مشروطة لا مستقلة ، فكل احتمال مشروط بالاحتمالات الأخرى .

وقبل الشيخ المطهري ومايكل بيهي أشار كريسي موريسون في كتابه العلم يدعو للإيمان ص١٠٦ لهذه النقطة حيث كتب بعد شرح بنية العين العجيبة : إن جميع هذه العناصر ، بدءًا من القرنيّة وانتهاءً بالألياف العصبية ، يجب أن توجد مع بعضها في آن واحد ، إذ مع فقد أي واحد من هذه العناصر سوف تصبح الرؤية غير ممكنة ، ومع ذلك هل يمكن أن نتصوّر اجتماع جميع هذه العوامل ذاتيا وأن كل واحد منها ينظّم النور بالطريقة التي يفيد منه الآخر ويسدّ حاجته؟!

الجائزة الكونية الكبرى ، بول ديفيس : ومن الأمثلة المفضلة على ذلك العين البشرية ، وهو العضو الذي حيّر دارون ، تعدّ العين مثالا على ما يسمى التعقيد غير القابل للتبسيط ، المغزى هنا ليس أن العين البشرية عضو معقّد ، بل في احتوائها على العديد من المكوّنات المترابطة ، على غرار العدسة والسطح الحساس للضوء والبؤبؤ الذي يتحكم في تدفق الضوء ، وإذا أزلت مكوِّنا واحدا من هذه المكوِّنات فسيضرّ ذلك بعمل العين بشكل حادّ جدّا ، اللغز هنا يكمن في الكيفية التي تطورت بها هذه الأجزاء العديدة التي لكل واحد منها

على انفراد استخدامه المحدود الخاص به ، وتجمعت بمثل هذه الصورة المتعاونة ، وبما أن جوهر التطور الداروني هو أن الانتخاب يعمل بشكل بطيء تدريجي على تعديل الأعضاء الجديدة ، وأن كل مرحلة وسيطة لا بد أن يكون لها بعض المميّزات الانتخابية في وقتها ، تبدو العين مثالا جيدا على وجود ثغرة في تفسير دارون . انتهى

تعليق :

مع وجود الثغرات والإشكالات التي لا يمكن الإجابة عليها بناء على تفسير دارون ، فهذا التفسير لا يكون نظرية ، وإنما يكون فرضية .

عدم تمامية نظرية التطور :

إن نظرية التطور لا يمكن أخذها كتفسير كامل لأنه توجد حاجة لتفسير نشأة الحياة وظهور الخلية الحية ، وتوجد حاجة أيضا لتفسير غائية الكائنات وتكاثرها ومعالجة المعلومات وعملية التشكيل في هذه الكائنات ، وعملية التشكيل هي العملية التي تتحوّل من خلالها المعلومات إلى وجود حقيقي كإنسان حقيقي من لحم ودم ، وكذلك تفسير نظام التشفير والرموز في الـ DNA حيث إن المعلومات الخاصة بكيفية عمل الخلية وصفات الكائن الحي يتمّ تمريرها إلى الأجيال التالية .

سؤال : كيف نطبّق الاحتمال المشروط لبيان ضرورة إدخال عنصر الغائية في تفسير وجود الكون ؟

الجواب :

عندما نلتفت إلى التعقيد الموجود في الكون وارتباط ظواهر الطبيعة بعضها ببعض نجد أن احتمال وقوع أي ظاهرة من الظواهر التطورية مشروط بسلسلة معقَّدة من الظواهر الأخرى التي سبقتها أو حدثت معها في نفس الوقت ، وما دام أن الاحتمالات مشروطة مع استمرار التطور التراكمي مئات الملايين من السنين فهذا يتطلب وجود قصد وغاية من أجل تفسير استمرار التطور وعدم توقفه ، وحتى حينما يحدث توقف جزئي بانقراض بعض الكائنات الحية فإن هذا التوقف المؤقت يكون مقدمة لتطور أكبر لكائنات حية أخرى .

إن التطور التراكمي يفترض وجود برنامج خاص جعل التطور يسير باتجاه معيَّن لصالح استمرار حياة الإنسان على الأرض ، وليس عشوائيا وصدفة ، وكلما مضينا في التطور أكثر نرى ازدياد تعقّد الكائنات الحية مما يعني وجود جهة قصدت أن يكون التطور موجَّها ومستمرا ، فتوجد حاجة إلى جهة تأخذ بزمام الكون وتوجّهه بكل التعقيدات الموجودة فيه من أجل أن تسير حركة تطور الكائنات الحية بطريقة بنّاءة ، فلا بد من موجِّه ومبرمِج للتطور لأن الاحتمالات في الانتخاب التراكمي مشروطة بالتحسين المستمر ، ومعنى ذلك وجود القصد والغائية في عملية التطور ، ونتساءل أنه كيف أمكن للكائنات الحية أن تستمر دون أن يحدث أي خلل يهدد استمرارها ويقضي عليها ؟!

ولنفرض جدلا أن الكائنات الحية ظهرت نتيجة تفاعلات ذاتية في المادة ، وأنه توفرت ظروف بيئية استثنائية لصالح تلك التفاعلات ، ثم بدأت عملية الانتقاء الطبيعي ، ولكن يوجد احتمال وهو وقوع حادثة واحدة على الأقل تهدم جميع المكتسبات التي حقّقتها عملية الانتقاء الطبيعي خلال القرون الممتدّة ، وهذا الاحتمال الوارد لم يحدث ، فما هو تفسير ذلك؟ ولماذا ظلّت الظروف مناسبة لاستمرار عملية الانتقاء الطبيعي؟ فما هو سبب بقاء الكون مستمرا؟ ألا يدل ذلك على وجود جهة تكفلت ببقائه حتى تستمر عملية الانتقاء الطبيعي ويبقى الأصلح للبقاء وتتحقق المكتسبات بشكل تدريجي دون أن يحدث ما يهدم تلك المكتسبات؟ أليس معنى ذلك وجود قوة خفية تحفظ الكائنات الحية من الوقوع في الحوادث التي تؤدي إلى انقراضها جميعا؟

يقول الملحد السابق الفيلسوف البريطاني أنتوني فلو (١٩٢٣-٢٠١٠ م) في كتابه هناك إله : "تقول القاعدة الفلسفية إن البرهان الفلسفي يعتبر متكاملا إذا اجتمع فيه الدليل على صدق الرأي ، مع الدليل على خطأ الرأي المقابل ، لذلك أعجبني كثيرا تفنيد العالم جيرالد شرويدر (عالم الفيزياء النووية) في كتابه علم الإله للدليل الذي يشبِّه القائلون بهذا الرأي إمكانية نشوء الحياة بالصدفة بمجموعة من القردة ، تدقّ باستمرار على لوحة مفاتيح الكومبيوتر ، ويرون أن القردة يمكن أن تكتب بالصدفة في إحدى محاولاتها اللانهائية قصيدة

لشكسبير سوناتا . . . أخبرت شرويدر بأن طرحه هذا أثبت لي أن برهان القردة لا يعدو إلا أن يكون كومة من النفايات ، بالرغم من جرأة من يعرضون هذا البرهان ، ويدّعون أن القردة يمكن أن تكتب رواية كاملة لشكسبير مثل هاملت أو حتى أعمال شكسبير كلها ، وإذا كان هذا الرأي يعجز عن إثبات إمكانية كتابة سوناتا بالصدفة فهل سينجح في تفسير نشأة الحياة بالصدفة من المادة غير الحية ؟!" . ثم يقول أنتوني فلو : " بهذا العرض لشرويدر انهار تماما البرهان العقلي الذي يستند إليه الملاحدة ، وإذا أضفنا إلى ذلك قوة البرهان (النظم) الذي يقدِّمه التعقيد الهائل في بنية الكون ، وفي بنية وآلية عمل جزيء ال DNA اكتمل لدينا البرهان الفلسفي (الدليل على صدق الرأي مع الدليل على خطأ الرأي المقابل) على وجود الإله الحكيم القادر" . (رحلة عقل ، عمرو شريف ، ترجمة كتاب أنتوني فلو ، هناك إله ، ص٦٨-٧٠)

هل يوجد نظم ناقص ؟

بعض الداروينين - مثل دوكنز - حاول نقض دليل النظم بظواهر ادعي أنها تمثّل نظما ناقصا ، وزعم أن هناك تصميمات لبعض الأجزاء في الكائنات الحية كان يمكن أن تكون أفضل مما هي عليه ، وأن الإله إذا كان هو المصمِّم لخرج التصميم في غاية الكمال ، وطالما أنها تصميمات ناقصة فمعنى ذلك عدم وجود الإله المفترض .

وكان مثالهم للنظم الناقص هو شبكة عين الإنسان ، وقالوا إن مستقبلات الضوء في الشبكية تقع قرب سطحها الخلفي ، ويعتبر هذا – في نظرهم – نقضا في النظم ، إذ أن طبقات الشبكية التي تقع أمامها تشتّت الضوء قبل أن يقع على هذه الطبقة الحساسة ، كما نتج عن هذا أن هناك بقعة على الشبكية غير حساسة للضوء أبدا ، سمّيت بـ "البقعة العمياء" ، ويرى هؤلاء الداروينيين أن الأفضل أن تكون مستقبلات الضوء في الشبكية على السطح الأمامي حتى تكون في مواجهة الضوء لكي تتحاشى وجود البقعة العمياء .

يقول المتخصصون في العيون أن هذا هو الوضع الأمثل للشبكية ؛ لأن الوضع الحالي لمستقبلات الضوء يجعلها في ملاصقة الأوعية الدموية في الطبقة التالية مما يسمح لها بتغذية دموية كافية ، خاصة أن خلايا المستقبلات تعتبر أكثر خلايا الجسم احتياجا للأكسجين ، وأما البقعة العمياء فلا تعيق عملية الإبصار مطلقا لأن كل بقعة تم تغطيتها بمجال إبصار شبكة العين الأخرى ، ولن يتأثر بالبقعة العمياء إلا الأعور ، إن النظم الحقيقي ليس بتصميم كل جزء في المنظومة على أفضل نحو لنفسه ، ولكن بأن يكون الجزء على أفضل حال يخدم المنظومة ككل ، فقد يبدو تصميم أحد الأجزاء أقل كمالا لنفسه ، ولكنه يخدم المنظومة بشكل أفضل .

التوظيف الأيدلوجي الخطير لنظرية التطور :

إن نظرية التطور كنظرية علمية لعبت دورا خطيرا خارج نطاقها التطبيقي بسبب آثارها الميتافيزيقية أي ما وراء الطبيعة ، وتحولت إلى صنم يصعب نقده وإسقاطه حتى في الوسط العلمي ، فهذه النظرية صارت جزءا من العقيدة المكوِّنة للرؤية الكونية المادية المعاصرة في تشكيل تصور للعالَم ، وأن الخلق يمكن لهم أن يستغنوا عن الخالق ، وأنه لا يوجد تصميم ذكي وراء نشأة الإنسان ، فجعلوها معارضة بين نظرية التطور وبين وجود الخالق والمفهوم الإيماني للعالَم ، فهم يخافون من عودة الإله إلى المشهد ، وباتت أي محاولة لإعادة النظر فيها وإخضاعها للتحليل والفحص العلمي تُواجَهُ بمقاومة عنيفة وبكثير من الشك ، وصار الكثير من أنصارها يتمسّكون بها لا اقتناعا بها ، وإنما خوفا من سقوطها وتقديم البديل الذي يسقط عقيدتهم المادية .

الجهة الثالثة : هل يوجد تعارض مستقر بين نظرية التطور ونصوص الكتب السماوية وخاصة القرآن الكريم في إثبات خالق للكون؟

هذا السؤال يشمل جميع الكتب السماوية ، ولكن المهم عندنا هو التعارض بين نظرية التطور والقرآن الكريم .

قال الدكتور دوفيلد من جامعة برنستون الأمريكية : "إن التوفيق بين مذهب النشوء وبين التنزيل غير ممكن ، وإن من يؤمن به – ولو ثبت علميا – يكون كافرا بالإله" .

وقال الدكتور لي : "إنه لا يمكن بأي أسلوب من أساليب التفسير أن نؤوِّل لغةَ الكتاب المقدّس بتوسّع يحتمل القول بهذا المذهب" .

الجينة الأنانية ، ريتشارد دوكنز ، المقدمة ، ص٩ : تبلغ الكائنات العاقلة في أي كوكب سن الرشد عندما تنجح في اكتشاف علة وجودها ، وإذا حدث أن زارت كائنات فضائية ما كوكب الأرض فإن أول ما ستبادر إليه في سياق تقويم مستوى حضارتنا هو السؤال هل كان سكان الأرض قد اكتشفوا نظرية التطور أو لا . . . ، هذا السؤال بقي حائرا لآلاف السنين . . . ، ما أريد قوله الآن هو أن جميع محاولات الإجابة عن السؤال الأول كيف وجد الإنسان ، كل الأجوبة عقيمة . انتهى

الجينة الأنانية ، ريتشارد دوكنز ، المقدمة ، ص٣٩ : وللمناسبة لم يكن من وجودٍ لأي مهندس ، فإرشادات الحمض النووي المنقوص الأوكسجين تجمّعت بفعل الانتقائية الطبيعية . انتهى

تعليق :

معنى ذلك أنه إذا عرفنا نظرية التطور فلا نحتاج إلى الإله الخالق ، ولا طريق لمعرفة علة وجودنا إلا نظرية التطور ، فدارون أجاب عن سؤال كيف وجد الإنسان ، وذلك في عام ١٨٥٩ سنة طبع كتاب أصل الأنواع لدارون ، ويوجد تضاد بين نظرية التطور وبين الإيمان بوجود إله خالق للكون ، فيلزم من نظرية التطور نفي وجود الإله الخالق .

والاتجاه العام أنه لا يوجد تضاد بين الإيمان بنظرية التطور وبين الإيمان بوجود الإله ، فلا يوجد تلازم بين نظرية التطور وبين عدم وجود الإله ، فيمكن أن يؤمن بنظرية التطور ، وفي نفس الوقت يؤمن بوجود إله

خالق للكون ، وهذا الإله الخالق هو الذي نقل هذه الحيوانات من طور إلى طور آخر ، فتكون عندنا نظرية التطوير الإلهي .

"أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون"

الجائزة الكونية الكبرى ، بول ديفيس : وقد أجاب دارون على من اتهموه بالإلحاد وإنكار الدين بما يلي : في تذبذباتي الكبرى لم أصل أبدا إلى الإلحاد بالمعنى الصحيح لهذا اللفظ أي إنكار وجود الله ، لكني أعتقد على وجه العموم وكلما امتد بي العمر أن الوصف الأدق لحالتي العقلية هو اللاأدرية . انتهى

أصل الأنواع لداروين ترجمة إسماعيل مظهر ص٥٠٩-٥١٠ يقول داروين : وهكذا فإن أسمى هدف في هذا العالم ألا وهو نشوء الحيوانات الراقية ليتحقق مباشرة من حرب الطبيعة من الجوع والموت ، إن هناك جمالا وجلالا في هذه النظرة عن الحياة بقواها العديدة التي نفخها الخالق لأول مرة في عدد قليل من الصور أو في صورة واحدة ، وإنه لبينما ظل هذا الكوكب يدور طبقا لقوانين الجاذبية الثابتة كانت وما زالت تتطور من مثل تلك البداية البسيطة صور لانهائية من الحياة غاية في الجمال وغاية في العجب .

تعليق :

يوجد هدف وغاية في هذا العالم كما يقول داروين ، والمعلوم أن المادة ليس لها هدف لأنها صماء عمياء ، والهدف هو نشوء الحيوانات الراقية ، فتوجد هدفية وغاية في الكون ، والغاية هي الوصول إلى

موجود أرقى ، والصورة الواحدة هي الخلية الحية البسيطة التي لا يوجد فيها تعقيد ، وهذه الخلية الحية البسيطة تكاملت فحصل النوع الأول ، وتكامل النوع الأول وتكاملت الأنواع ووصلنا إلى الأنواع الجديدة ، وآخر قائمة الأنواع هو الحيوانات الراقية ، وأهم عوامل الانتخاب الطبيعي هي الجوع والموت ، وحسب كلام داروين أن الخلية الأولى نفخ الخالق الحياة فيها ، فلا توجد أمام داروين صخرة يواجهها ، ولا يقع في إشكال تحول المادة الجامدة إلى خلية حية ؛ لأنه يعتقد بوجود إله خالق ، فتحولت المادة غير الحية إلى خلية حية لا بالتوالد الذاتي ولا بخاصية المادة وتفاعلاتها الكيميائية ، وإنما بنفخ من الخالق ، والله تعالى يقول : "نفخت فيه من روحي" ، والنفخ مصطلح ديني لأن داروين درس علم اللاهوت ، وكان من أسرة محافظة حيث أرسله أبوه عام ١٨٢٨ م إلى جامعة كيمبردج ليدرس اللاهوت ويصبح قسيسا ، وحصل على درجة اللاهوت من هذه الجامعة ، ويعتقد بوجود الجمال والجلال في الحياة ، يقول تعالى : "الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين" ، وهكذا يتبيّن أن نظرية التطور الداروينية لا تخالف الدين حسب نظر صاحب النظرية الذي يقول بأن الخلية الحية الأولى بدأت بنفخة من الخالق ، ويرى الإنسان جمال الخلق فيقف متعجبا أمام هذا الجمال .

ونظرية التطور الداروينية تحدثت عما بعد الخلية الحية ، ولم تتعرض لما قبل الخلية الحية ، ومن يريد أن يفسر كل شيء بالمادة يقف أمام تحدٍّ

كبير لأن نظرية داروين لا تفسّر جميع مظاهر الوجود المادي ، وإذا أراد الماديون تفسير مظاهر الوجود المادي بناء على نظرية دارون فلا بد من أن يفسروا كيف تحولت المادة غير الحية إلى خلية حية ؛ لأن نظرية داروين تتحدث عن الموجودات الحية فقط ، ولا تتعرض للموجودات غير الحية ، وأي نظرية تريد أن تكون بديلة عن وجود الخالق فلا بد أن تفسر جميع الظواهر في المنظومة الكونية لا أن تقف عند جزء واحد من المنظومة وتعطيه تفسيرا ، أي الموجودات الحية فقط ، فتكون النظرية ناقصة غير صحيحة ، وهذا هو التحدي الأول الذي يواجه على نظرية داروين ، فنظرية تطور الأنواع لا يمكن لها أن تفسر كل منظومة الكون ، وداروين صاحب النظرية لم يَدَّعِ أنها تفسر جميع مظاهر الكون ، بل قال داروين إن الخلية الأولى نفخ الخالق الحياة فيها ، فكلامه كان عن الموجودات الحية فقط ، وداروين يعتقد بوجود خالق لها .

كتاب أصل الأنواع لداروين ، ترجمة إسماعيل مظهر ص ٥٠٩ :

ويبدو أن فطاحل المؤلفين مقتنعون تماما بوجهة النظر القائلة بخلق كل نوع مستقل عن غيره ، أما بالنسبة لتفكيري فإن مذهب وانقراض الأحياء القديمة والحالية في هذا العالم على أساس أنه يرجع إلى أسباب ثانوية ليتفق أكثر مع ما نعرف من قوانين طبعها الخالق على المادة كتلك القوانين التي تعيّن مولد القرد وموته . . . إني ألمح في المستقبل ميادين مفتوحة لبحوث أكثر أهمية سيقوم علم النفس على أسس

جديدة ، وتلك هي أن الاكتساب اللازم لكل قوة وكفاءة عقلية يتم بالتدريج . انتهى

قوله "أسباب ثانوية" : أي تطور الأنواع كان ضمن نظرية الانتخاب الطبيعي لا مطلقا ، والانتخاب الطبيعي من مميزات نظرية التطور الداروينية ، وقوله "بالتدريج" مهم ، فداروين يعتقد أن الأنواع تطورت من خلال قانون التدريج لا قانون الطفرة والفجأة ، ونظريته ستطبق على الإنسان في المستقبل ، ومن أهم نقاط نظريته التدريج ، ومنها الانتخاب الطبيعي ، ومنها أن الحياة بدأت من خلية أولى بسيطة .

ويأتي الحديث في نظريته في مقامين :

المقام الأول : يرتبط بنظرية التطور الداروينية من خلال الانتخاب الطبيعي على ما دون الإنسان أي في أصل الأنواع .

المقام الثاني : في تطبيق النظرية على الإنسان أي في أصل الإنسان ، وحتى مع عدم قبول المقام الأول يتم البحث في المقام الثاني .

قلنا إن التحدي الأول الذي يواجه نظرية داروين أن أي نظرية لا بد أن تكون على تفسير كل المنظومة لا جزء من المنظومة فقط ، وإذا فسرت جزءا من المنظومة فتكون ناقصة ، ونظرية داروين ناقصة ، لذلك حاولوا تتميمها بإضافة أفكار أخرى عليها ، والذين حاولوا تتميمها حاولوا بكل طريقة لأنهم من أيديولوجية معينة ، وإذا سقطت النظرية فلا يبقى أمامهم إلا الاعتراف بوجود الإله الخالق والمصمم الذكي ، وهو لا يريد أن يعترف بوجود الخالق ، لذلك ينتصر لنظرية

داروين بأي طريقة ، فكون الشخص من أيديولوجية معينة لا يدخل في المعارف الدينية فقط ، بل يدخل في المعارف العلمية الطبيعية أيضا .

كتاب حقيقة الخلق ونظرية التطور – محمد فتح الله كولن – مترجم من اللغة التركية – دار النيل للطباعة والنشر الطبعة الثانية ١٤٢٦ المترجم أورخان محمد علي : يقول المترجم في المقدمة ص ١١ : كل نظرية علمية تسعى إلى تفسير كل أو معظم الظواهر المتعلّقة بها . . . إذا نظرنا إلى نظرية التطور من هذه الزاوية نرى أنها نظرية قاصرة في هذا الصدد ، وندرج أدناه بعض المواضيع التي لم تقم هذه النظرية بتقديم أي تفسير لها : الأمر الأول : أصل الحشرات : لا تقدم هذه النظرية أي تفسير لأصل الحشرات مع أنها تمثّل ٨٠% من مجموع الحيوانات . الأمر الثاني : تطور القوارض مع أن أعدادها هائلة وتزيد على أعداد الثدييات . الأمر الثالث : أصل الطيران بجميع أشكاله غير معروف تماما ، فكما هو معلوم فهناك أربعة أنواع من الحيوانات الطائرة : الحشرات ، والطيور ، وبعض اللبائن كالخفافيش ، وبعض الزواحف الطائرة ، لا تقدم نظرية التطور أي جواب حول سؤال : كيف ظهر الطيران عند هذه الحيوانات ؟ ، إذن ما بالك بنظرية لا تقوم بتفسير ٩٠% من الظواهر التي من المفروض تناولها ، ولا تستطيع تسليط الضوء عليها ، وما دامت هذه النسبة الكبيرة من

الظواهر غير معروفة وغير مفسَّرة من قِبَلِها فكيف يمكن عدّها نظرية صحيحة؟! . انتهى

تعليق :

إذن نظرية داروين ليست نظرية صحيحة ، فهي ليست نظرية ، وإنما هي فرضية لأنها تفسر ١٠% فقط من الظواهر في جميع الممالك الحيوانية ، وهذا تحدي يواجه نظرية أو فرضية داروين .

الموسوعية الفلسفية العربية المجلد الأول ص ٢٦٩ : التطور هو افتراض فلسفي قديم يرتئي أن الأنواع الحيّة ليست ثابتة على ما هي عليه ، ويعود هذا الافتراض إلى فلاسفة يونان ولاتين مثل . . . وإلى بعض الفلاسفة المؤمنين بالله . . . الذين تكلموا عن تطور العالم كله بموجب الطاقات المعطاة له من الله . انتهى

الموسوعية الفلسفية العربية المجلد الأول ص ٢٧٣ : عُرِفَتْ كلمة النشوء . . . عربيا وإسلاميا في الفكر الحديث انتشارا في الهند أوّلا ، ومع دخول الأفكار الأوروبية عبر الإنجليز ، وقد كان أحمد خان من بين الأوائل الذين دعوا إلى تفسير الإسلام على ضوء النظريات الطبيعية النشوئية (، وأول كتاب للرد عليهم بدأ من جمال الدين الأفغاني الذي هو كتاب الرد على الدهرية ، رد على نظرية النشوء والارتقاء) ، وأما شميّل فكان من أبرز معارضي مذهب النشوء والتطور من خلال ترجمته لمحاولة بخنر في شرح دارون وكان ينظر إلى النشوء والارتقاء كطريق إلى التقدم والحداثة ، وقد ربط (أي شميّل) بين

النشوء والمذهب الطبيعي الإلحادي ، وقد رد عليه الحسين الجسر من موقع الدفاع عن الشريعة على مذهب النشوء بالصيغة التي عرضها ، وعنده أن هذه النظرية إذا ثبتت صحتها لا تتعارض مع الإيمان ، بل يمكن اعتبار ذلك من تدبير الله وتصريفه لشؤون خلقه ، ومن أبرز النشوئيين العرب المؤمنين إسماعيل مظهر الذي عارض على التوالي الأفغاني لأنه رفض المذهب برمّته دون أن يتفهمّه ، كما ردّ على ربط مذهب النشوء بالإلحاد ، ويمكن القول بأن سلامة موسى كان أحد أولئك الذين بسطوا مذهب النشوء عند الفلاسفة الإنجليز . انتهى

وقد تجاسر المفكر الإسلامي الشيخ حسين أفندي الجسر (١٨٤٥-١٩٠٩ م) على تأليف كتاب الرسالة الحميدية ، ونشره سنة ١٨٨٨ م ، أي بعد ٢٩ سنة فقط حيث نشر دارون كتابه أصل الأنواع سنة ١٨٥٩ م ، وقد أكد الشيخ الجسر في كتابه على أن مذهب دارون في حال ثبوته لا يتعارض مع أحكام القرآن الكريم ، ولا مع الإيمان بوجود الله تعالى .

وصرّح الشيخ الجسر بأن الأمر المهم الضروري هو أن نعتقد بأن الله هو الخالق للعالَم ، ولما فيه من أنواع ، وبعد هذا الاعتقاد لا فرق بين القول بمذهب الخلق (أي الخلق الدفعي وثبوت الأنواع) ، أو القول بمذهب التطور (أي الإيجاد التدريجي وتبدّل الأنواع) ونشوء الأنواع وارتقائها من مادة أصلية خلقها الله ، ثم كوّن منها الأنواع وفرّعها بطريق النشوء والارتقاء وفق نواميس وضعها الله في هذا الكون .

والشيخ الجسر – في ذاك الوقت – كان يرى أن نظرية التطور لا تزال نظريةً مختلفًا في صحتها ، ولم تقم عليها الدلائل القاطعة التي من شأنها أن تحملنا على تأويل ظاهر النصوص المنزلة ، ولكن متى ما قامت الدلائل القاطعة على صحة هذه النظرية جاز القول بها ، ووجب تأويل النصوص والتوفيق بينها وبين ما قام عليه الدليل القاطع . (نقلا من كتاب أفي الله شك للشيخ مرتضى فرج ، وذكر المصدر : الرسالة الحميدية للشيخ حسين أفندي الجسر ، دار الكتاب المصري ، ٢٠١٢ م ، القاهرة ، ص ٢٧٧-٢٩٧ ، وأيضا نديم الجسر ، قصة الإيمان ، ص٢٠٨-٢٠٩)

والفيلسوف العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان الجزء الرابع ، وتلميذه الشيخ المطهري لهما نفس الموقف ، فقد أكّد الشيخ المطهري على أن نظرية التطور والارتقاء في الكائنات الحية لا تتنافى مع مبدأ الخلق والإيمان بأن الكون مخلوق ، وليس من الصحيح أبدا الوهم الذي شاع بين كثيرين بأن الإيمان بأن الكون مخلوق يعني أن الوجود ظهر مرة واحدة وبشكل دفعي ، وأن التطور والارتقاء يعني عدم كون الكون مخلوقا .

وهكذا يتبيّن أنه لا يوجد تعارض بين نظرية التطور والإيمان بالإله الخالق ، ويمكن تأويل بعض ظواهر القرآن بما لا يتنافى مع هذه النظرية لو ثبتت صحتها .

يقول الشيخ المطهري : لا العلم الإلهي الأزلي يعني ولا الإرادة الإلهية الأزلية تعني أن الوجود ظهر دفعة واحدة ، ولم يطرح الإلهيون في العالَم أو النصوص الدينية هذه المسألة بهذا النحو ، فقد جاء في النصوص الدينية أن السماوات خلقت في ستة أيام ، وأيّا كان المراد من الأيام الستة . . . فإنه يفهم منه التدرج ، ولم يطرح الإلهيون المسألة بهذا النحو حتى يقال بأن العلم الأزلي او الإرادة الأزلية تستوجب أن تكون السماوات قد خلقت في لحظة وآن واحد ، فلماذا نجد أن النصوص الدينية تصرّح بأن السماوات خلقت تدريجا وخلال زمن معيَّن ؟

وكذلك القرآن الكريم يعرض الخلق التدريجي بكل صراحة ، ويعتبره دليلا على معرفة الله ، ولم يقل أحد إن العلم الأزلي والإرادة الأزلية — التي إن تعلَّقت بشيء قالت له "كن" فيكون — يعني أن يتكوّن الجنين في لحظة واحدة .

ويقول الشيخ المطهري : لنفرض أن ما جاء في الكتاب المقدَّس يؤكِّد بصراحة أن آدم خلق مباشرة من التراب ، وبشكل يبيّن أنه ملازم مع نوع من التأثير والتأثر في الطبيعة ، وقد جاء في بعض النصوص الدينية أن طينة آدم عجنت خلال أربعين يوما . . . ، ربما كل المراحل التي تمر بها الخلية الحية بشكل طبيعي خلال المليارات من السنين حتى تنتهي إلى حيوان من نوع الإنسان ، هذه المراحل طوتها طينة آدم الأول في أربعين يوما وفقا لشرائط غير عادية وفّرتها لها يد القدرة الإلهية ، تماما كما يقال إن الجنين في مراحل نموّه المختلفة في

تسعة أشهر يحكي قصة تطوّر أسلافه ، فجنين الإنسان يمثّل الأطوار التي مرّ بها التطور على الأرض . (هامش : نقلا من كتاب أفي الله شك للشيخ مرتضى فرج ، وقد ذكر المصدر : الدوافع نحو المادية للشيخ مرتضى المطهري ص٧١)

ويضيف الشيخ المطهري : وعلى فرض صحة نظرية التطور ، وفرض تنافيها مع بعض ظواهر القرآن الكريم في نشأة الإنسان ، ألا يمكن تفسير القرآن الكريم بنحو لا يجعله يصطدم مع هذه النظرية أم أن التعارض بينهما مستحكم؟ أليست الظواهر القرآنية قابلة للتوجيه والتبديل؟ ، إننا إذا جعلنا القرآن الكريم محور كلامنا فسوف نجد أنه يبيّن قصة آدم كنموذج ، ولا يوظِّف كيفية خلقة آدم لإثبات العقيدة الإلهية ، وإنما يركّز عليها لبيان المقام المعنوي للإنسان ، وبيان سلسلة من المسائل الأخلاقية ، وبالتالي من الممكن جدّا أن يؤمن الإنسان بالله والقرآن ، وفي نفس الوقت يؤوِّل قصة آدم بتأويل معيّن ، فلدينا اليوم أفراد يؤمنون بالله ورسوله والقرآن ، ويفسِّرون خلقة آدم في القرآن بتفسير ينسجم مع العلوم الحديثة ، وعلى أي حال فليس من الإنصاف أن تجعل هذه النظرية ذريعة لإنكار القرآن والدين فضلا عن الجحود بالله . (هامش : نقلا من كتاب أفي الله شك للشيخ مرتضى فرج ، وقد ذكر المصدر : الدوافع نحو المادية للشيخ مرتضى المطهري ص٧١-٧٢ ، والميزان في تفسير القرآن للعلامة الطباطبائي ج٤ص١٤٢)

ويقول الشيخ المطهري : وعلى فرض صحة هذه النظرية فهي لا تتنافى مع كل الأديان . . . فهي إن تنافت مثلا مع بعض نصوص الكتاب المقدّس في دين ما أو بعض الأديان فهي لا تتنافى بالضرورة مع كل الأديان حتى تفترض أنها تضعِّف الإيمان بالله .

ويقول أيضا : لو فرضنا أن ظواهر النصوص الدينية لا تقبل التأويل ، ولو فرضنا أنه ثبت علميا أن ثمة علاقة بيولوجية بين الإنسان والحيوان ، وبالتالي لا بد من إنكار الكتب السماوية ، فلماذا نجعل ذلك ملازِما للجحود بالله؟ ، فهناك أديان أخرى في العالَم لا تصرّح – كما صرّحت التوراة – بأن أصل الإنسان هو من التراب مباشرة ، ما هي الملازمة بين عدم قبول دين معيّن أو عدم قبول الأديان من ناحية وعدم الإيمان بالله من ناحية ثانية؟ ، هذا ونحن نجد دائما أناسا كانوا ولا يزالون يؤمنون بالله ، ولكنهم لا ينتمون إلى أي دين . (هامش : نقلا من كتاب أفي الله شك للشيخ مرتضى فرج ، وقد ذكر المصدر : الدوافع نحو المادية للشيخ مرتضى المطهري ص٧٢)

والشيخ ناصر مكارم الشيرازي له موقف مطابق ، فبعد سرده لقوله تعالى : "إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام" (يونس:٣) قال : لقد ورد ذكر خلق السماوات والأرض في ستة أيام في سبع آيات أخرى من القرآن الكريم . . . وهذا يبرهن على أن القرآن الكريم يولي اهتماما خاصا لمسألة الخلق التدريجي للعالَم . . . كلمة اليوم لغويا – وما يماثلها في بقية اللغات – لها معان مختلفة من

حيث المفهوم والاستعمالات اليومية ، فمنها ما يعني "المرحلة" ، وقد تكون هذه المرحلة قصيرة أو طويلة جدّا ، كما يقول الراغب في كتاب المفردات : اليوم يعبّر به عن وقت طلوع الشمس إلى غروبها ، وقد يعبّر به عن مدّة من الزمان أي مدة كانت .ونقول في الاستعمالات اليومية : "إن الناس كانوا في يوم ما يسافرون على ظهور الحيوانات ، واليوم يسافرون بوسائل النقل السريعة" ، وهنا كلمة "اليوم" تشير إلى حقبة طويلة نسبيّا ، ونقرأ في الحديث المعروف عن الإمام علي عليه السلام : "واعلم بأن الدهر يومان : يوم لك ويوم عليك" ، أو الحديث الآخر : "إن اليوم عمل بلا حساب ، وغدا حساب بلا عمل" .

وعليه فإن المقصود من خلق السماوات والأرض في ستة أيام هو ست مراحل ، وقد تمتدّ كل مرحلة من هذه المراحل ملايين أو آلاف الملايين من السنين .

الجدير بالذكر أن القرآن في آية واحدة أشار إلى تفصيل هذه المراحل الست ، وأن مرحلتين كانتا لخلق السماوات ، ومثلها لخلق الأرض ، ومرحلتين لإيجاد النباتات والحيوانات ، يقول تعالى : "بالذي خلق الأرض في يومين . . . وقدّر فيها أقواتها في أربعة أيام" . (هامش : نقلا عن كتاب أفي الله شك للشيخ مرتضى فرج ، وقد ذكر المصدر : نفحات القرآن للشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، ج٢ ص١٧٧-١٧٩ ، فصلت : ٩-١٠ .)

التحدي الثاني :

في كتاب أصل الأنواع في ص ٥٠٩ يقول داروين : الاكتساب اللازم لكل قوة وكفاءة عقلية يتم بالتدريج . انتهى

الخلية البسيطة تحولت إلى مليون نوع ، وكل نوع فيه مليارات من الخلايا ، لو وضعنا يدنا على أي حيوان من الحيوانات ، كالذئب مثلا ، الخلية البسيطة لم تتحول إلى ذئب مباشرة وبدفعة واحدة ، وإنما تحولت بالتدريج عبر ملايين أو مليارات السنين ، وبين الخلية البسيطة والذئب يوجد ألف نوع مثلا ، وحصل التطور لهذه الأنواع بسبب الانتخاب الطبيعي إلى أن صارت ذئبا بعد ملايين أو مليارات السنوات ، والمفروض أن نجد في الأحافير بعض هذه الأنواع التي انقرضت ، وهذه مشكلة الحلقات المفقودة في جميع الأنواع ، ولا يوجد دليل علمي عليها ، ونفس المشكلة تأتي في الإنسان أيضا ، نعم قد تجد حلقة مفقودة في نوع واحد ، وكلامنا في جميع الأنواع الموجودة اليوم ، والبعض قد يحذف التدريج من نظرية دارون ، ويقول بالفجأة والدفعة الواحدة ، مثلا هذا الطير وضع بيضة ، ولكن خرج منها الذئب ، ولا يمكن قبول نظرية الفجأة والدفعة الواحدة والطفرة ، وهذه واحدة من نظريات التطور الحديثة ، وفي هذه النظرية ألغوا ركنا مقوِّما لنظرية دارون ، ومع إلغاء التدريج تكون هذه نظرية أخرى ، وحدثت عدة ترميمات لنظرية دارون ، ولم يبق من نظرية دارون إلا

الاسم فقط ، ولكن التغيير في الشفرات الوراثية تؤدي دائما إلى نتائج سلبية ، ولا يمكن أن يسبب تطورا وتكاملا في الأنواع .

كتاب حقيقة الخلق ونظرية التطور – محمد فتح الله كولن ص١٤ مقدمة المترجم : وهذا الفشل الذريع في الحصول على هذه المتحجرات هو الذي دفع بعض علماء التطور إلى البحث عن مخرج من هذه الورطة التي تهدّد بإعدام نظرية التطور ، لذا قام هؤلاء منهم غولدشميدت . . . ، ومجمل النظريات الأخيرة هو أن التطور حصل فجأة ودون مراحل انتقالية ، مثلا حدث أن زاحفا وضع بيضة فخرج منها طائر . انتهى

الموسوعية العربية العالمية المجلد ٢٥ ص ٣٥٧ : من أجل هذا لجأ التطوريون الجدد إلى القول بالطفرة لتفسير ما يحدث بين الكائنات من فروق زاعمين أن الانتخاب الطبيعي يبدأ عمله بين الأحياء التي تحدث فيها طفرات ، ويقصد بالطفرة التغيرات التي تحصل في طبيعة العامل الوراثي أو شفرات الوراثة . . . عن طريق الخطأ أو المصادفة ، فينشأ تغيير في ظهور صفات وراثية جديدة . . . ، ولكن العلم جاء أيضا بما يثبت خطأ التطوريين الجدد ، كما كشف خطأ أسلافهم ، وتبيّن للعلماء أن العبث بجزيئات الوراثة لا يؤدي إلا إلى آثار سلبية . انتهى

الخلاصة :

نظرية التطور لا بد أن يكون الحديث عنها في مقامين ، وخلاصة النظريتين مذكورة في مقدمة أصل الأنواع لداروين ، والمقدمة لمترجم الكتاب إسماعيل مظهر ، والمقامان هما :

المقام الأول :

ما يرتبط بتطور الأحياء غير الإنسان ، من الخلية الحية إلى ما قبل الإنسان ، وهذا ما ذكره داروين في كتابه "أصل الأنواع" ، ولم يطبق نظريته على الإنسان .

المقام الثاني :

ما يرتبط بتطور الإنسان ، وأنه كيف وصلت الأنواع إلى النوع الأرقى وهو النوع الإنساني .

كتاب تراث الإنسانية ، سلسلة تتناول بالتعريف والبحث والتحليل روائع الكتب التي أثرت في الحضارة الإنسانية ، دار الرشاد الحديثة ، والكتاب يقع في ٨ مجلدات ، في المجلد الرابع ، ص ٩٧٣ – ٩٩٠ ، أصل الأنواع ، بقلم دكتور سيد بدوي أستاذ الاجتماع بجامعة الإسكندرية ، يقول في ص ٩٧٦ : كان داروين إذن يؤمن بالله (هامش : الصحيح أن يقول الإله) ، ولكنه لم يكن يعتقد في تدخل الإرادة الإلهية في حوادث الحياة اليومية ، نعم في أخريات حياته . . . عبارته التي نشرت : ترددت كثيرا في حياتي بين كثير من المعتقدات ، وتأرجحت عاطفتي الدينية كثيرا بين الصعود والهبوط ، ولكني في أشد اللحظات ترددا لم أشعر قط بأني كنت ملحدا ، ولم أنكر قط وجود

الله (هامش : الصحيح أن يترجم إلى وجود الإله) ، وأعتقد بصفة عامة وخصوصا عندما أخذت أقترب نحو الشيخوخة أن اللاأدرية هي المبدأ الذي ينطبق أكثر من غيره على آرائي الدينية . انتهى

قوله : " لم يكن يعتقد في تدخل الإرادة الإلهية في حوادث الحياة اليومية" ، قريب إلى نظرية المعتزلة ، وهي نظرية التفويض ، فالله خلق الكون ووضع فيه قوانين ، والقوانين هي التي تعمل في الكون ، ووجود الله وعدم وجوده لا يؤثر في الكون ، وهذا ما ذكر في علم الكلام من أن الكون يحتاج إلى الله حدوثا لا بقاءً .

تعليق :

داروين لم يكن يرى أي تعارض بين ما ذكره في كتابه "أصل الأنواع" وبين وجود الإله ، ولا يوجد تلازم عقلي أو تلازم علمي بين نظرية تطور الأنواع وبين إنكار وجود الإله الخالق ، وداروين صاحب النظرية لم ينكر وجود الإله ، ولم يقل بأن نظريته تؤدي إلى عدم وجود إله خالق للكون .

تحديات في المقام الأول :

التحدي الأول :

تحدي التعقيد غير القابل للتبسيط ، ومن أهم أركان نظرية التطور الداروينية هو التدرج الزماني عبر آلاف أو ملايين أو مليارات السنين ، وحذف التدرج من نظرية داروين يؤدي إلى إلغاء النظرية لأنه إلغاء لركن من أركان النظرية .

التحدي الثاني :

الحلقات المفقودة .

الجينة الأنانية لريتشارد دوكنز ص ٣٧ : فإذا ما أخذنا الحشرات وحدها وجدنا أن عدد الفصائل الحية منها يقدر بنحو ثلاثة ملايين فصيلة ، في حين أن عدد الحشرات الفردية قد يقارب مليون مليون مليون . انتهى

تعليق :

أي ١ بجنبه ١٨ صفرا ، ١٠ أس ١٨ ، وإذا كانت خلية بسيطة تتطور إلى هذا العدد من الفصائل كم عدد الحلقات المفقودة بينهما ، وإذا قلنا بأنه توجد ثلاث حلقات مفقودة فنحتاج إلى ٩ ملايين حلقة مفقودة ، لذلك لا بد أن توجد مجموعة كبيرة من الأحافير من هذا العدد الكبير من الحلقات المفقودة .

سحر الواقع لريتشارد دوكنز ص ٢٤ : لتحويل كائن عضوي معقد إلى كائن عضوي معقد آخر في خطوة واحدة – كما في حكاية خرافية – سيكون حقا عملا خارجا عن عالم الاحتمال الواقعي ، وحتى الآن توجد الكائنات العضوية المعقدة ، وبالتالي كيف ظهرت للوجود ؟ كيف في الواقع جاءت للوجود ؟ الأشياء المعقدة مثل الضفادع والأسود وقرود البابون وأشجار تين البنغال . . . ، في أغلب فترات التاريخ كان ذلك سؤالا محيّرا ، لم يستطع أحد الإجابة

عنه بشكل مناسب ، لذلك اخترع الناس قصصا لمحاولة تفسيره ، لكن تمّت الإجابة على يد أعظم عظماء التاريخ داروين . انتهى

سحر الواقع لريتشارد دوكنز ص ٢٤ : بافتراض انقضاء أجيال كافية يمكن للأسلاف التي تشبه سمندل الماء أن تتغيّر إلى سلالات تشبه الضفادع ، وبافتراض وجود أجيال أكثر يمكن للأسلاف أن تشبه السمك ، أن تتغير إلى سلالات تشبه القردة ، وبافتراض مرور أجيال أخرى بما يكفي فإن الأسلاف التي تشبه البكتيريا يمكن أن تتغير إلى أسلاف تشبه الإنسان ، ذلك بالضبط هو ما حدث ، هذا ما حدث في تاريخ كل حيوان ونبات استمر على قيد الحياة ، وعدد الأجيال اللازمة أكبر مما أستطيع أنا أو أنت أن نتخيّل احتماله أساسا ، لكن العالم يعود تاريخه إلى ملايين السنين من خلال بعض الحفريات ، نزعم أن الحياة بدأت قبل أكثر من ثلاثة بلايين ونصف البليون سنة (هامش : أي ثلاثة ونصف مليار سنة) ، لذلك كان هناك زمن هائل يتيح حدوث التطور . انتهى

إشكالات على أقوال دوكنز :

الإشكال الأول :

ماذا نفعل بالأعضاء المعقدة غير القابلة للتفسير ؟

لأنهم يقولون بأن هذه الأعضاء وجدت أجزاؤه على مر مليارات من السنين ، ومعناه أن العين كانت عمياء إلى أن اكتملت ، والقلب لم

يكن يعمل إلى أن اكتمل ، والكبد لم يكن يعمل إلى أن اكتمل ، وهذا خلاف نظرية التدريج في نظرية داروين .

الإشكال الثاني :

الحلقات المفقودة بين الكائنات .

سحر الواقع لريتشارد دوكنز ص ٤٥ : رحلة في زمن مضى : هيا نجري تجربة فكرية ، لنأخذ عددا من الزملاء وندخل في آلة الزمن ، ولنبدأ في إطلاق الآلة رجوعا في الزمن لعشرة آلاف عام ، افتح الباب لنلقي نظرة على الناس الذين نقابلهم ، لو حدث وهبطت في أرض هي ما تسمى الآن العراق في مرحلة اختراع الزراعة . . . إذا ما ألبستهم من الأزياء الحديثة ومنحتهم قصات شعر معاصرة فلن يختلف شكلهم عن البشر الحاليين ، ولن يزيد على الاختلاف بين أيّ من الناس المعاصرين وأناس آخرين في هذه الأيام ، وسيكونون قادرين تماما على التناسل من أي شخص حديث ممن يستقلّون آلة الزمن معك . . . ارجع للوراء إلى جد ٤٠٠ ، المسألة أنه في نهاية المطاف بعد عدد كبير من رحلة العشرة آلاف سنة ربما بعد أن تقطع مليون سنة في الزمن الماضي ستبدأ في ملاحظة أن الناس الذين ستلاقيهم بعد خروجك من آلة الزمن مختلفون عنا على نحو واضح ومحدّد ، ولا يستطيعون التناسل مع من يستقلّون معك آلة الزمن في هذا الزمان ، وأنا أطرح المسألة نفسها كما فعلت من قبل عن التغيّر . . . تقدم لنا المحطة ٣٠٠ مليون و١٠ ملايين سنة جدّتنا الكبرى . . . على الرغم

من أننا نفتقر إلى الحفريات التي تخبرنا بالتحديد عن الهيئة التي كان عليها أوائل أسلافنا الأقدمين ، فلا شك لدينا على الإطلاق أن جميع الكائنات الحية أبناء عمومة لنا . انتهى

تعليق ١ :

هذا بحث علمي أو قصة خيالية بدون أي دليل علمي على صحة ما يقوله ؟!!

وآخر شيء يقول : "فلا شك لدينا" ، مع أنه لم يقم أي دليل على صحة ما يقول .

تعليق ٢ :

البحث الطبيعي لا يقول "إذن الإله غير موجود" ، هذا يثبته أو ينفيه البحث الفلسفي العقلي ، ووجود الإله أو عدم وجوده ليس من البديهيات والمسلمات .

الإشكال الثالث :

داروين بدأ من بعد الخلية الحية ، والإشكال يوجه إلى الملحد الذي يقول بعدم الحاجة إلى الخالق : كيف تحول الجماد إلى خلية حيّة ؟! وكيف وجد أصل الحياة؟!

وحقيقة الحياة مجهولة غير معروفة ، وهنا تتضح صفة الخلق لله تعالى الذي جعل من الجسم الميت حيًّا يتحرّك .

توجد ثلاث نظريات في تكوّن أصل الحياة :

أصل الأنواع – المقدمة ص ٢٢ : وينحصر الرأي في أصل الحياة الآن في ثلاثة آراء كبرى :

الرأي الأول : الرأي الإلهي : . . . إذ قال بأن كل نوع من الأنواع خُلِقَ بفعل خاص من أفعال القوة الخالقة .

الرأي الثاني : نظرية التولد الذاتي : هذه المادة بتفاعلات كيميائية خاصة لا نعلمها تحولت بقدرة ذاتية وصارت حية .

الرأي الثالث : أزلية المادة الحية : المادة من الأزل هي حية ، لم تكن جامدة فصارت حية ، فلا يأتي هذا الإشكال .

تعليق :

دوكنز يتبنى الرأي الثاني ، ولكنه يحتاج إلى تفسير علمي لبيان انتقال المادة الجامدة إلى خلية حية بسيطة ، ولا بد من إقامة الدليل العلمي على هذا الانتقال .

يأتي هذا السؤال :

كيف تحولت الخلية غير الحية إلى خلية بسيطة حية ؟ وكيف تحولت الخلية البسيطة إلى خلايا مركبة معقدة ؟

الجينة الأنانية – ريتشارد دوكنز ص ٢٥ – ٢٦ : لأنها تبيّن لنا كيف يمكن أن تتحول البساطة إلى تعقيد ، وكيف يمكن أن تتجمع الذرات غير المنتظِمة في أنماط أشد تعقيدا إلى أن ينتهي بها المطاف إلى تكوين البشر . . . والواقع أن جزيء الهيموجلوبين الواحد يتكون من ٥٧٤ جزيئا من الأحماض الأمينية التي تنتظم في أربع سلاسل

تلتفّ بعضها على بعض لتشكل بنية كروية ثلاثية الأبعاد ذات تعقيد محيِّر ، وقد يبدو أيّ نموذج من جزيء الهيموجلوبين أشبه بشجيرة شائكة كثّة ، لكنها خلافا للشجيرة الشائكة الحقيقية ، وليس نموذجا تقريبيا عشوائيا ، وإنما محددة وثابتة لا يشوبها أي غصن متفرع أو انحناء في غير موضعه ، ولكنه تتكرر تكرارا متطابقا نحو ٦ آلاف مليون مليون مليون مرة في الجسم البشري العادي (هامش : ٦ أمامها ٢١ صفرا) ، فشجيرات الهيموجلوبين الشائكة تنبت في جسمك وفقا للشكل المفضل لديها بمعدل ٤٠٠ مليون مليون شجيرة في الثانية الواحدة تولد وبقدرها تموت ، ولكن الإنسان يتكون من أكثر من ألف مليون مليون مليون مليون ذرة (هامش ١ أمامها ٢٧ صفرا) ، فلكي تصنع إنسانا يجدر بك أن تتمرس باستخدام أخلاط تركيبتك البيولوجية الكيميائية وقتا طويلا جدا ، يبدو عمر الكون كله لمحة بصر بالنسبة إليها (هامش : عمر الكون الذي هو تقريبا ١٣ مليار سنة يعتبر لمحة بصر بالنسبة إلى صنع إنسان واحد ، وليس كافيا لصنع إنسان ، مع أنه يتبنى نظرية التطور) ، بل إن جهودك هذه قد لا تفلح ، وهنا تأتي نظرية داروين لتحل المشكلة (هامش : كيف تحل نظرية داروين المشكلة مع أن ١٣ مليار سنة يعتبر لمحة بصر بالنسبة إلى صنع إنسان واحد) ، والجدير ذكره أنه لا شك في أن روايتي لمنشأ الحياة مجرد تخمين ، فمن حيث المبدأ لم يكن أحد موجودا ليشهد ما

حدث ، صحيح أن النظريات المتناقضة كثيرة إلا أنها تتشارك كلها في بعض الخصائص ، ولعل الرواية المبسطة . . . . انتهى

كون من لا شيء – لورانس كراوس ص١٨–١٩: يصرون على أن مفهوم لا شيء لا علاقة له بما أناقشه ، هنا في رأيي يكمن إفلاس الفكر لكثير من اللاهوتيين ولبعض من الفلاسفة المعاصرين ، ذلك أن اللاشيء هو فيزيقي في كل كثرة منه (هامش : أي مادي) ، مثل شيء ما ، خاصة إذا تم تعريفه بأنه غياب شيء ما (هامش : الأفضل ترجمته إلى : بأنه شيء مبهم ، وهو في الفلسفة المادة الأولى التي ليس لها تعيّن وليس لها صورة) ، ومن ثم يتوجّب علينا أن نفهم بدقة الطبيعة الفيزيائية لكل من الكميتين (هامش : الكميتين : الكمية اللاشيء ، والكمية الشيء) . . . وبالفعل ربما يكون ضروريا لكي يصبح الكون موجودا أن يخرج شيء ما من لاشيء (هامش : يمكن أن يقال بأن ليس المراد هو العدم ، بل المراد من اللاشيء هو شيء ما أو شيء مبهَم) ، علاوة على ذلك تطرح كل العلامات أن كوننا قد يكون انبثق بهذه الكيفية (هامش : هو لا يعتقد بوجود خالق للكون ، فلا بد أن يقول "إنّ" لا "قد") ، إني أبرز كلمة "قد" هنا لأننا ربما لا نحصل أبدا على بيانات تجريبية كافية لحل هذا السؤال حلا واضحا لا لبس فيه ، لكن الحقيقة "أن الكون خلق من لاشيء" حقيقة دالة على الأقل بالنسبة لي (هامش : لو كان بعنوان أنه فرضية فلا توجد مشكلة ، فكيف لا يعتقد بوجود خالق للكون مع أنه لا

توجد عنده بيانات كافية وهو يقول "قد" أي احتمال ثم يقول الحقيقة بالنسبة لي ؟!!) ، . انتهى

تعليق :

اللاشيء عند الماديين غير اللاشيء الموجود عند الإلهيين ، اللاشيء عند الإلهيين هو اللاوجود أي العدم المقابل للوجود ، وهم لا يقصدون من اللاشيء هو العدم ، مرادهم هو المادة ، والقائلون بنظرية المادة الأزلية لا يقولون بالصدفة المطلقة ، والصدفة المطلقة هي أن يوجد شيء بلا أي فاعل ، والمادي يختلف مع الإلهيين لا في ضرورة الحاجة إلى العلة الفاعلية ، يختلف معنا في أمرين : الأمر الأول توجد علة فاعلية ، ولكنها ليست خارج إطار المادة ، الإلهيون يقولون إن العلة الفاعلية خارج إطار المادة أي ميتافيزيقي ، والماديون يقولون إن العلة الفاعلية فيزيقي أي مادي ، والأمر الثاني : الإلهيون يعتقدون بالعلة الغائية للكون ، والماديون لا يعتقدون بالعلة الغائية للكون .

كون من لا شيء – لورانس كراوس ص ١٥ : من المفيد في سياق الصراحة التامة أن أعترف من البداية بأنني لا أحمل تعاطفا تجاه قناعة أن الخلق يتطلب خالقا ، وهي القناعة التي تمثل جوهر كل أديان وديانات العالم . . . . انتهى

أزلية المادة لا ينفي وجود الإله :

يقول الماديون إن الحاجة إلى الخالق فرع حدوث المادة ، والإلهيون لا دليل عندهم على حدوث المادة ، فالمادة أزلية قديمة .

دوكنز يقول إن المادة غير الحية انتقلت إلى مادة حية ، سؤال : كيف انتقلت ؟ يقول : خاصية ذاتية ، نقول : هذا لا ينافي وجود الخالق لأنه في نظرية التطور لدارون الإله خلق نظاما يتطور بهذه الكيفية ، ودارون آمن بالتطور وآمن بوجود الخالق ، والجواب هنا كذلك وهو أن الله خلق المادة بنحو فيها تطور كيميائي بحيث تتحول من مادة غير حية إلى مادة حية ، يقولون لا نحتاج إلى خالق لأن الخالق يوجد الشيء الذي لم يكن ، وأما الشيء الأزلي القديم فلا يحتاج إلى خالق لأنه موجود ، والجواب أنه لا توجد ملازمة بين أزلية المادة وبين نفي الحاجة إلى الإله والعلة الأولى .

أرسطو من القائلين بأزلية المادة ، والبعض قال بأن أرسطو لا يؤمن بالإله استنتاجا من قوله بأزلية المادة ، ولكن أرسطو يعتقد بضرورة وجود إله خارج المادة مع أنه قائل بأزلية المادة ، ويسميه المحرك الأول ، المحرك الأول هو الإله الذي يقول به أرسطو ، وسنبيّن الفرق بين إله أرسطو وبين إله الأديان السماوية الإبراهيمية ، إله أرسطو ليس هو الخالق ، وإنما هو صانع ، الخالق هو الذي أوجد الوجود ، والمادة أزلية لم يعطها الإله الوجود ، مثلما يعطونك مواد أولية وأنت تصنع منها شيئا كالسيارة ، هذا الإله صنع هذا الكون من المادة الأزلية الأولى ، فهو صانع لا خالق ، فإله أرسطو وبعض الفلاسفة الذين قالوا بقدم العالم إلههم صانع لا خالق ، وإله الأديان السماوية خالق وصانع ، فحتى مع فرض أزلية المادة لا يُسْتَغْنَى عن العلة الأولى ، فأزلية المادة

لا تنافي الحاجة إلى العلة الأولى ، هذا هو الفرق الأول بين إله أرسطو وإله الأديان السماوية ، هذا على قراءة بعض أتباع الأديان القائلين بحدوث العالم ، وأما أتباعُ الأديانِ القائلون بقدم العالم يشتركون مع أرسطو في أن الإله صانع لا خالق ، والفرق الثاني هو أن إله الأديان خلق العالم وصنعه في البعد التكويني الطبيعي المادي ، واعتنى بشئونهم التشريعية بواسطة الأنبياء ع ، وأما إله أرسطو فتوجد عنده عناية تكوينية بصنعه ، ولكن لا توجد عنده عناية تشريعية بما صنع ، فلا توجد حاجة إلى النبوة ، كما هو الحال في باقي مخلوقاته ، مثلا النمل صنعهم الإله ، ولكن لم يرسل إليهم الأنبياء ، جعل فيهم غرائز يستطيعون من خلالها أن يديروا شئونهم ، وأعطى الإنسان العقل ليدير بواسطته شؤونه ، وهذه هي نظرية محمد بن زكريا الرازي ، يقول إن الله خالقنا ، وأعطانا العقل ، والعقل يدبر شئوننا ، فلا نحتاج إلى شريعة ، وبالتالي لا توجد حاجة إلى النبوة ، وهؤلاء يؤمنون بوجود إله ، ولكنهم ينكرون النبوات والأديان والشرائع ، وهؤلاء هم الربوبيّون الذين يؤمنون بوجود إله ، ولكنهم لا يؤمنون بالأديان والأنبياء والشرائع ، ويمكن مراجعة كتاب أعلام النبوة لأبي حاتم الرازي وهو إسماعيلي المذهب ، وفي هذا الكتاب مناظرة بينه وبين محمد بن زكريا الرازي ، وهو كتاب لإثبات أصل النبوة وإثبات الحاجة إلى النبوة .

يقول محمد بن زكريا الرازي بوجود خمسة وجودات أزلية : الهيولى (هامش : أي المادة الأولى) والزمان والمكان والنفس والخالق .

كتاب الطب الروحاني ص١٧-١٨ : يقول محمد بن زكريا الرازي : إن العقل عطاء من الباري حبانا به لننال ونبلغ ، وإنه أعظم نعم الله وأنفع الأشياء لنا وأجداها علينا . انتهى

فيكون الإله صانعا لا خالقا ، وصنع الكائنات من المادة الأولى التي كانت غير حية ، فأعطاها الحياة فصارت خلايا حية ، وبنظرية التطور - على فرض صحتها - صار إنسانا ذا عقل ، والاعتقاد بصحة نظرية التطور لا ينفي الإيمان بالصانع .

تاريخ الإلحاد — د. عبدالرحمن بدوي : بحث عن محمد بن زكريا الرازي ص ٢٣٠-٢٦٣ : الرازي - إذن - يؤمن بإله خالق حكيم ، ولكنه لا يؤمن بالنبوة والأديان ، وينزع نزعة فكرية حرة من كل آثار للتقليد أو العدوى ، ويؤكد حقوق العقل وسلطانه الذي لا يحده شيء ، وينحو منحى تنويريا شبيها كل الشبه بحركة التنوير . انتهى

أتباع حركة التنوير يعتقدون بوجود إله ، يسمونه "إله طبيعي" ، أي إله للطبيعة فقط ، وليس إلها للتشريع ، وهم الربوبيّون .

(معلومات : سرعة الضوء ٣٠٠ ألف كيلومتر في الثانية (١٨٦ ألف ميل في الثانية) ، المسافة بين الأرض والقمر ٢٥٠ إلى ٣٠٠ ألف كيلومتر ، فتكون الفاصلة ثانية ضوئية واحدة ، وبين الأرض والشمس ٨ دقائق ضوئية ، وما كشف من سعة الكون ١٣ مليار سنة ضوئية .)

أركان الإلحاد المعاصر :

من أهم أركان الإلحاد المعاصر هو أنهم افترضوا أن العلم كلما استطاع أن يكتشف قوانين الوجود المادي الطبيعي الحي وغير الحي وسير الموجودات الطبيعية والكونية كلما نقصت الحاجة إلى الخالق ، فحينما كنا لا نعرف شيئا عن قوانين الطبيعة كنا نقول كل هذه تحتاج إلى خالق موجد مصمم إله ، فإذا اكتشفنا ١٠% من قوانين الوجود فلا نحتاج إلى الإله بنفس النسبة ، وإذا اكتشفنا جميع قوانين الوجود فتنتفي الحاجة إلى الإله ، لذلك قالوا بأن الناس كانوا بحاجة إلى الدين لأنهم كانوا يجهلون قوانين الطبيعة ، ولما اكتشفوا قوانين الطبيعة وجدوا بأن الذي كانوا ينسبونه إلى الغيب في الواقع ليس منسوبا إلى الغيب ، وإنما هو منسوب إلى القوانين التي تحكم الطبيعة ، فمن أهم أركان الإلحاد المعاصر قاعدة التعارض ، وهي قاعدة عقلية فلسفية ، فيوجد تعارض بين العلم والإيمان بوجود إله خالق ، وهم يصرحون بأننا لا نحتاج إلى الخالق .

خرافة الإلحاد – د. عمرو شريف ص ٣٦١ : عندها انتشى دوكنز وأعلن أنه إذا كان دارون قد ألقى بالإله بعيدا عن علم البيولوجيا فقد ظل له موضعا في الفيزياء حتى أخرجه منها ستيفن هوكنج . انتهى

(هامش : د. عمرو عبدالمنعم شريف من مواليد بورسعيد عام ١٩٥٠ ، أستاذ ورئيس أقسام الجراحة في كلية الطب في جامعة عين شمس ، وحاصل على درجة البكالوريوس في الجراحة ، ثم درجتي الماجستير والدكتوراه في الجراحة العامة ، مؤلفاته تصب في البعد العلمي وارتباطه

بالبعد الديني ، مؤلفاته : رحلة عقل ، كيف بدأ الخلق؟ ، ثم صار المخ عقلا ، الإلحاد مشكلة نفسية ، المخ ذكر أو أنثى؟ ، خرافة الإلحاد ، ثمار رحلة عبد الوهاب المسيري الفكرية ، أنا تتحدث عن نفسها .)

تعليق :

يقول بأننا لا نحتاج إلى الإله في علم البيولوجيا لأن دارون اكتشف قوانين التطور ، وحينما كنا لا نعرف هذه القوانين كنا ننسب الأشياء في علم البيولوجيا إلى الإله ، فنسأل بكيف ، وكنا نجيب بأن الإله يفعل هذه الأشياء ، والآن نجيب أن القوانين هي التي تفعل ، وستيفن هوكنج ألقى الإله بعيدا عن علم الفيزياء وعلم الكونيات ، ولكن نسأل : ما هي العلاقة بين اكتشاف القوانين وعدم الحاجة إلى الخالق؟! هل توجد علاقة ملازمة بين اكتشاف القوانين وعدم الحاجة إلى الخالق ؟ ، واكتشاف علاقة الملازمة بين شيئين ليس من وظيفة العلم الطبيعي ، وإنما هو من وظيفة العقل والاستدلال العقلي ، فالمقدار الذي يقول به العلم هو أن الأرض تدور حول الشمس ، ولكنه لا يقول بأنه يوجد خالق أو لا يوجد خالق ، فالعلم ليس من وظيفته أن يقول بوجود موجد للشيء أو عدم وجود موجد ، وإنما العقل والفلسفة يقولان يوجد خالق للأرض والشمس أو لا يوجد خالق لهما ، فالعالم يبيّن ما لاحظه من خلال التجربة ، فيقول لاحظت أن الأرض تدور حول الشمس ، وأما الاستنتاجات التي

يصل إليها فهي استنتاجات عقلية فلسفية ، فإذا قال بقاعدة كلية كأن يقول كل كوكب يدور حول الشمس ، فهذه القاعدة ليست علمية ، وإنما هي قاعدة عقلية فلسفية ؛ لأن التجربة تتناول بعض الأفراد لا جميع الأفراد ، فيمكن للعالم أن يقول لاحظت أن بعض الكواكب تدور حول الشمس ، ولكنه لا يمكن أن يعطي قاعدة كلية ، والقاعدة الكلية يقول بها العقل والفيلسوف ، والبحث عن علة الشيء وغاية الشيء من البحوث العقلية الفلسفية ، ولا يتكلم العلم عن علة الشيء والغاية من وجوده ، وإنما العالم يقول ما يلاحظه ويراه ويجربه ، وأما الاستنتاجات والنتائج فهي عقلية فلسفية ، فيرى ارتفاع حرارة الماء عند تسخينه بالماء ، فيقول رأيت أن الماء ترتفع حرارته عند تعرضه للنار ، وأما أن النار علة لارتفاع حرارة الماء فهذا استنتاج عقلي ونتيجة فلسفية ؛ لأنه رأى أن هذا الماء فقط ترتفع حرارته ، وقد يجري التجربة على ألف ماء ، ولكن القاعدة الكلية "كل ماء يسخن بالنار" قاعدة عقلية لا تجريبية ، ولا يتكلم العالم عن غاية وجود الكون ؛ لأن الغاية استنتاج عقلي ، ولا تظهر من خلال ملاحظة نفس التجربة .

ونسأل أيضا : من الذي أوجد هذه القوانين في الكون؟

الجواب :

لا يمكن أن نقول بأن الكون أوجد قوانينه لأن القوانين وجدت مع وجود الكون ، فالكون يحتاج إلى خالق ، والخالق يجعل هذه القوانين

التي تدير الكون المخلوق ، واكتشاف القوانين لا يعني أن القوانين ليس لها جاعل ، فالقوانين تعمل بفعل فاعل .

وستيفن هوكنج بنفسه يقول بأن البحث الفلسفي له دائرة ، والبحث العلمي له دائرة أخرى .

تاريخ موجز للزمن – ستيفن هوكنج ص ١٥٠ : وحتى الآن فإن معظم العلماء كانوا مشغولين جدا بإنشاء نظريات جديدة تُوصِفُ "ما هو الكون" بحيث لم يسألوا عن "لماذا" ، وعلى الجانب الآخر فإن الأفراد الذين كانت مهمتهم أن يسألوا "لماذا" –أي الفلاسفة– لم يتمكنوا من ملاحقة تقدّم النظريات العلمية ، وفي القرن الثامن عشر كان الفلاسفة يعتبرون أن كل المعرفة البشرية بما فيها العلم هي مجالهم ، فناقشوا أسئلة من مثل هل للكون بداية . انتهى

تعليق :

العلماء يقصد علماء الطبيعة ، ووظيفة العلم هو التوصيف ، فهو يرى الشيء في الطبيعة ويوصفه ، وأما السؤال : من هو الفاعل ؟ وما هي الغاية ؟ ، فالعلم لا يجيب عن هذين السؤالين ، وإنما يجيب عن سؤال كيف ؛ لأن كيف مرتبط بالعلم الطبيعي ، ولا يجيب عن سؤال لماذا ؛ لأن لماذا مرتبط بالفاعل ، ولا يجيب عن سؤال لأجل ماذا ؛ لأن لأجل ماذا مرتبط بالغاية ، والعلم يتكلم عن كيف فقط ، والبحث عن لماذا ولأجل ماذا مرتبط بالفلسفة ، والفيلسوف حينما يتكلم عن العلم الطبيعي يأخذ المعلومات من علماء الطبيعة ، ولا يبحث في

العلم الطبيعي ، والبحث عن هل للكون بداية من مهمة علماء الطبيعة ، وليس من مهمة الفلاسفة ، ولكن البحث الفلسفي والبحث العلمي يسيران معا ، ولا يفترقان أبدا ، فنحتاج إلى تحصيل الأجوبة عن جميع الأسئلة : كيف ولماذا ولأجل ماذا ، سؤال كيف يجيب عنه العلم الطبيعي ، وسؤال لماذا وسؤال لأجل ماذا يجيب عنهما الفلسفة ، والفلسفة هو التحليل العقلي للأشياء بواسطة القواعد العقلية ، فالفلسفة هي علم معارف العقل أو علم المعارف العقلية ، فالعلم الطبيعي يبحث عن كيف حصل هذا الشيء؟ ، والفيلسوف يأخذ المعلومات من العلم الطبيعي ، ويجيب عن سؤال من هو فاعل هذا الشيء؟ ، وسؤال لأي غاية وجد هذا الشيء؟

ولكن ستيفن هوكنج في كتابه التصميم العظيم ذكر عدة أسئلة لا فقط كيف :

يقول في التصميم العظيم : وعادة ما يسأل الناس عددا من الأسئلة مثل : كيف يمكننا فهم العالم الذي وجدنا أنفسنا فيه ؟ كيف يتصرف الكون ؟ ما حقيقة الواقع ؟ من أين أتى كل ذلك؟ هل الكون كان بحاجة لخالق أم لا؟ ، معظمنا يمضي وقته في قلق بشأن تلك الأسئلة ، لكننا جميعا قلقون بشأنها بعض الوقت .

كانت تلك هي الأسئلة التقليدية للفلسفة ، لكن الفلسفة قد ماتت ، ولم تحافظ على صمودها أمام تطورات العلم الحديثة ، وخصوصا في

مجال الفيزياء ، وأضحى العلماء هم من يحملون مصابيح الاكتشاف في رحلة التنقيب وراء المعرفة . انتهى

تعليق :

نرى أن هذه الأسئلة ليست على منوال واحد ، فكلامه هنا أن الفلسفة قد ماتت ، فانتفت الحاجة إلى الفلسفة ، وأن العلم الطبيعي يمكنه الإجابة عن جميع الأسئلة ، والعلم الطبيعي قادر على تفسير كل شيء ، مع أن بعض الأسئلة ليست من اختصاص العلم الطبيعي ، وإنما من اختصاص الفلسفة ، فالعلم الطبيعي له دائرة ويجيب عن أسئلة معينة ، والفلسفة لها دائرة أخرى وتجيب عن أسئلة أخرى ، والدائرتان مختلفتان ، ومهمة العالم الطبيعي تختلف عن مهمة الفيلسوف ، وهوكنج يقول بأن كل ما وصلنا إليه عبارة عن فرضيات ونظريات قابلة للتّغيّر ، وليست حقائق ثابتة غير قابلة للتغير .

ويقول هوكنج في **التصميم العظيم ص ١٨** : ولا يتطلب خلقها تدخّلا من إله أو من كائن فوق طبيعي . انتهى

تعليق :

يقول هوكنج بأننا لا نحتاج إلى الخالق لأن العلماء الطبيعيين اكتشفوا القوانين التي تدير الكون ، ولكن نسأل : ما هي العلاقة بين اكتشاف العلماء للقوانين وعدم وجود الخالق ؟

فيقول إنه كلما ازدادت معرفتنا العلمية قلّت الحاجة إلى الخالق والموجِد والمصمِّم ، وهذه الملازمة بين ازياد العلم وقلة الحاجة إلى وجود الخالق لا يوجد دليل وبرهان عليها .

ولكن نسأل : من الذي أوجد هذه القوانين؟

يقول **هوكنج في تاريخ موجز للزمن ص ١٥١** : فلو اكتشفنا فعلا نظرية كاملة فإنه ينبغي بمرور الوقت أن تكون قابلة لأن يفهمها كل فرد بالمعنى الواسع ، وليس فقط مجرد علماء معدودين ، وعندها فإننا كلنا – فلاسفة وعلماء وأناسا عاديين وحسب – سنتمكن من المساهمة في مناقشة السؤال عن السبب في وجودنا نحن والكون ، ولو وجدنا الإجابة عن ذلك فسيكون في ذلك الانتصار النهائي للعقل البشري ؛ لأننا وقتها سنعرف الفكر الخلاق .انتهى

تعليق :

يحاول علماء الطبيعة أن يصلوا إلى القانون الواحد الذي يحكم الكون ، وإذا اكتشفنا هذا القانون الواحد فيمكننا معرفة كيف يعمل الكون كله ، وهو القانون العام للكون ، ويقول البعض بأنه إذا اكتشفناه فيمكن أن نكتشف عقل الإله .

كتاب خرافة الإلحاد – د. عمرو شريف ص ٣٦١ : إذا اكتشفنا النظرية الجامعة لقوى الفيزياء سنكون قد حققنا انتصارا كبيرا للعقل البشري ، وعندها سنكون قد فهمنا عقل الإله . انتهى

وهذه الترجمة هي الأدق من الترجمة السابقة لكلام هوكنج ، هوكنج كان يعتقد بوجود الإله قبل كتابه التصميم العظيم ، وفي التصميم العظيم أنكر وجود الخالق ، فيمكن أن يقول عقل الإله ، والشاهد على ذلك أنه في كتاب آخر يكتب المترجم "عقل الإله" في كتاب :

أقوى براهين د. جون لينوكس في تفنيد مغالطات منكري الدين ص ٢٥ : ستيفن هوكنج . . . إذ كتب في ختام كتابه الذي كان على قائمة الكتب الأكثر مبيعا (تاريخ مختصر للزمن) : "إن اكتشفنا نظرية كاملة . . . فإنه الانتصار الأعظم للعقل البشري لأنه يدرك حينها عقل الإله" . انتهى

كتاب "داروين" – تأليف مايكل ريوس – المقدمة والترجمة د. فتح الله الشيخ – راجعه وشارك في الترجمة أحد عبدالله السماحي – المركز القومي للترجمة – إشراف جابر عصفور – الطبعة الأولى ٢٠١٠ – والسلسلة تحت عنوان "عقول عظيمة" – ص ١٣ : مقدمة : لماذا نُضَمِّنُ دارون أبا نظرية التطور في سلسلة مكرَّسة لفكر عظماء الفلاسفة ؟ ، هناك العديد من الأسباب بدءً من حقيقة أن دارون كان مهتمّا بالفلسفة ، وعلى كل حال فإن هناك أسبابا أقوى لضمّ دارون إلى سلسلة الفلاسفة ، فأعماله في حد ذاتها أشياء تتطلب تحليلا فلسفيا ، وتحمل قضايا فلسفية . انتهى

وفي نفس الكتاب ص ٢٧٥ – ٢٧٧ : المعتقدات الدينية دارون والدين : . . . ولم يكن دارون يشعر بأنه ملحد أبدا ، ولم يَدْعُ

للإلحاد أبدا ، وقد أصبح فيما بعد من اللاأدريين ، تماما مثل أي شخص آخر من فئته العلمية ، وبحلول منتصف ثلاثينات القرن التاسع عشر كان أفضل ما يمكن وصف دارون به أنه ربوبي ، وهو الشخص الذي يعتقد أن الرب هو المحرك الذي دفع العالم إلى الحركة ، وهو ثابت مستقر ، وجعل كل شيء يسير وفق قانون لا يمكن الخروج عنه . . . ويبدو أن مذهب الربوبية كان هو موقف دارون أثناء كتابته لأصل الأنواع ، وبعد ظهور هذا الكتاب مباشرة اعترف لآسا جراي (Asa Gray) . . . أنه لا يستطيع رؤية الرب في التفاصيل ، لكنه ما زال يعتقد بأن هناك شيئا ما وراء كل شيء . انتهى

وهذه كانت عبارات دارون في كتاب أصل الأنواع لداروين ، ترجمة إسماعيل مظهر ص ٥٠٩ : ويبدو أن فطاحل المؤلفين مقتنعون تماما بوجهة النظر القائلة بخلق كل نوع مستقل عن غيره ، أما بالنسبة لتفكيري فإن مذهب وانقراض الأحياء القديمة والحالية في هذا العالم على أساس أنه يرجع إلى أسباب ثانوية ليتفق أكثر مع ما نعرف من قوانين طبعها الخالق على المادة كتلك القوانين التي تعيّن مولد القرد وموته . انتهى

تعليق :

أعمال دارون تتطلب تحليلا فلسفيا لأن البحث العلمي والبحث الفلسفي لا يفترقان ، فحينما يقول إذن لا نحتاج إلى الإله ، فهذه النتيجة تكون من نتائج البحث الفلسفي ، فالبحث العلمي يعطيك

الملاحظات عما يرى ، وأما البحث الفلسفي فهو الذي يستنتج ويعطيك النتائج أو القواعد الكلية ، فالبحث العلمي لدارون يقول بأن أنواع الكائنات الحية تتطور بقانون الانتخاب الطبيعي والبقاء للأصلح ، هذا المقدار فقط ، ولكن استنتاج عدم الحاجة إلى خالق – وهو ما استنتجه دوكنز – هذا الاستنتاج يكون ضمن البحث الفلسفي ، وكذلك القول بالحاجة إلى خالق يكون ضمن البحث الفلسفي أيضا ، فإذا رأينا أن الكون مصمم ضمن تصميم ذكي ونظام عالي فنستنتج وجود مصمم ذكي ومنظم وفاعل عالم قادر حكيم لهذا الكون ، فالنتيجة الفلسفية نفيا أو إثباتا تكون مترتبة على البحث العلمي ، فتأخذ المعلومات من البحث العلمي ، وتأتي إلى القواعد العقلية لتنستنتج نتيجة قائمة على أساس الأدلة العقلية أي الأدلة الفلسفية ، وداروين يقول بأن تطورالأنواع دليل على وجود الإله ، فهو كان ربوبيا لا يعتقد بالوحي والأنبياء والأديان ، فهو يعتقد بالإله والرب ، وصار لاأدريا بعد ذلك ، والقول بأن الربوبي هو الشخص الذي يعتقد أن الرب هو المحرك الذي دفع العالم إلى الحركة – هو نفس قول أرسطو ، أرسطو قال بأن المادة الأولى أزلية قديمة ، والرب أعطاها الحركة ، ولإثبات وجود الإله استند أرسطو إلى برهان المحرك الأول ، العالم كان مستقرا ، والإله أوجد فيه الحركة .

عقائد المفكرين – عباس محمود العقاد ص ٤٤ : أما داروين فلم يزعم قط أن ثبوت التطور ينفي وجود الله ، ولم يقل قط أن التطور

يفسر خلق الحياة ، وغاية ما ذهب إليه أن التطور يفسر تعدد الأنواع الحيوانية والنباتية . . . وفي سنة ١٨٧٣ (هامش : قبل وفاة دارون بتسع سنوات) كتب قبل ذلك إلى طالب هولندي سأله السؤال نفسه ، قال : إن استحالة تصور هذا الكون العظيم العجيب وفيه نفوسنا الشاعرة هي في نظري أقوى البراهين على وجود الإله ، ولكنني لم أستطع قط أن أقرر قيمة هذا البرهان ، وعاد الطالب يسأل ويطلب التفصيل ، فكتب إليه داروين نفسه في هذه المرة وقال : إنه لا يرى دليلا على الوحي ، وأن الإيمان بالبعث متروك لمن يشاء أن يتخذ له فيه معتقدا بين المحتملات المتضاربة ، وآخر ما عندنا من آرائه في هذا الموضوع خطاب أرسله إلى . . . صاحب كتاب عقيدة العلم سنة ١٨٨١ (هامش : أي سنة قبل وفاة داروين) : إنك عبّرت عن عقيدة الباطنة ، إن الكون لم ينجم عن مصادفة ، . . . وقد قال والاس في كتابه عالم الحياة متحدثا عن عقيدة داروين في الإله أنه على ما يظهر قد صار إلى نتيجة واحدة ، وهي أن الكون لا يمكن أن يكون قد وُجِدَ بغير علة عاقلة ، ولكن إدراك هذه العلة على أي وجه كامل يعلو على إدراك العقل البشري قائلا : وإنني لأولي هذه النظرة كل عطفي وشعوري ، ولكنني مع هذا أرى أننا مستطيعون أن نلمح قبسا من القدرة التي تعمل في الطبيعة يساعدنا على تذليل الصعوبة البالغة التي تحول دون العلم بحقيقة الخالق الذي لا أول له ولا آخر . انتهى

والاس زميل وصديق لداروين ومعاصر له .

وفي عقائد المفكرين ص ٤٦ : أن صاحبي مذهب التطور كما ذاع في النصف الأخير من القرن التاسع عشر لم يستندا إلى التطور في إنكار العقيدة الدينية ، ولم يزعما أنه يفسر سر الحياة أو سر الكون . . . . انتهى

الموسوعة العربية العالمية ص ٣٢ : والاس ألفريد رسل ١٨٢٣-١٩١٣ ، عالم طبيعي ، ومكتشف بريطاني الجنسية ، ذاع صيته بعد أن توصّل مستقلا إلى التفسيرات الخاصة بالتطور كما فعل داروين .

"داروين" – تأليف مايكل ريوس ص ٢٩ : وفي خمسينيات القرن التاسع عشر تحوّل داروين مرة أخرى إلى مشكلة التّغيّر العضوي ، وبدأ في كتابة عمل ضخم عن التطور تعطّل هذا العمل في صيف ١٨٥٨ (هامش : صدر كتاب أصل الأنواع سنة ١٨٥٩) ، وصلته رسالة من والاس ، والذي كان في ذلك الوقت موجودا تطرّق بالفعل ألفريد والاس للأفكار نفسها التي كان قد وجدها داروين منذ عشرين سنة تقريبا ، عندئذ اعتكف داروين على مدى خمسة عشر شهرا ونشر قرب نهاية ٥٩ ما عرف بمقولته المحدِّدة للموضوع عن أصل الأنواع بواسطة الانتقاء الطبيعي . انتهى

الجائزة الكونية الكبرى – بول ديفيس – ص ٢٣٥ : من الأمور التي تضفي المزيد من الغموض على هذا النقاش الفشل في التفريق بين تطور الحياة وظهور الحياة ، بمعنى كيف بدأت الحياة من الأصل ،

تجنب داروين بنفسه أي إشارة إلى أصل الحياة ، وذلك حين قال لا يزال علينا تدبر كيفية ظهور المادة ، هناك اعتراف بأن أصل الحياة يظل لغزا محيِّرا إلا أن هذا لا يمكن أن يؤخذ كحجة معارضة للتطور الداروينى . انتهى

تعليق :

نظرية التطور تبدأ ما بعد وجود الخلية الحية ، وداروين لم يفسر كيفية بدء الخلق ، ولا بد أن نفرق بين تطور الحياة وظهور الحياة ، ولا يمكن تفسير أصل الحياة وكيفية ظهور الحياة بقانون الانتخاب الطبيعي ، فبدأ داروين من بعد الخلية الحية ، وكيفية ظهور الخلية الحية لا بد أن يفسرها دوكنز وهوكنج ، وهوكنج حاول أن يقلّل من قيمة الحياة لأنه لا يجد لها تفسيرا ، مع أن قيمة الوجود هو في الحياة ، والموجودات لها قيمة إذا كانت حية ، وانتقال الخلية غير الحية إلى حية لا يبطل نظرية داروين لأن نظرية التطور تتحدث عن ما بعد وجود الخلية الحية ، ولم تتعرض لكيفية ظهور الحياة ، وكل من داروين ووالاس المعتقدين بنظرية التطور لا يَرَيَانِ أن النظرية تنافي وجود الإله الخالق .

رحلة عقل – عمرو شريف الجزء الأول ص ١٣ : قبل أن تقرأ هذا الكتاب أنتوني فلو أستاذ الفلسفة البريطاني اسم ذائع الصيت في مجالات الفكر والفلسفة والإلحاد ، كان يُعَدُّ بحق من أكبر ملاحدة العصر الحديث ، وتعتبر كتاباته الغزيرة جدول أعمال الفكر الإلحادي

طوال النصف الثاني من القرن العشرين ، في التاسع من ديسمبر عام ٢٠٠٤ فوجئ العالم بخبر ما زال صداه يتردد في الأوساط الفلسفية والعلمية والثقافية والدينية ، لقد أعلن وقد بلغ ثمانين عاما أعلن إيمانه ، أنه قد صار يؤمن بأنه هناك إله (هامش : "هناك إله" هو عنوان كتاب لأنتوني فلو) ، وقد أذاعت وكالة أنباء الأسوشيتبرس خبر بعنوان "ملحد شهير يؤمن بالإله بدافع من الشواهد العلمية" ، أصاب الخبر الملاحدة من زملاء أنتوني فلو وتلاميذه بهستيريا عارمة حتى امتلأ الإلعلام الغربي الحر بسخريتهم وازدرائهم لهذا التحول ، وقد طلب من أنتوني فلو مرارا أن يصدر كتابا يعرض فيه رحلته من صبي مؤمن إلى رجل ملحد إلى شيخ في الثمانين يؤمن بوجود الإله ، وأخيرا صدر عام ٢٠٠٧ الكتاب المنتظَر "هناك إله" كيف عدل أشرس ملحد عن الإلحاد ؟ ، ونقوم في كتابنا هذا رحلة عقل بعرض لكتاب أنتوني فلو "هناك إله" . انتهى

رحلة عقل – عمرو شريف الجزء الأول ص ٨٩ : مع ستيفن هوكنج : عالم الفيزياء النظرية والرياضيات التطبيقية البريطاني ، يشغل منصب أستاذ الرياضيات الذي كان يشغله إسحاق نيوتن ، ولد عام ١٩٤٢ ، وهو مشهور بأبحاثه في الكون ، وخاصة في الثقوب السوداء ، اهتم بتبسيط العلوم للعامّة ، وقد صار كتابه "تاريخ موجز للزمن" أكثر الكتب العلمية مبيعا في التاريخ ، فقد بيع منه نسخة لكل ٥٠٠ إنسان على سطح الأرض ، وقد أصيب في بداية شبابه بمرض

أدى إلى شلل تام شمل عضلات العنق والرأس ، وهو يتعامل مع المحيطين من خلال أجهزة يوجهها بحركات عينيه وشفتيه إذ أفقده المرض على الكلام ، ومرادهم من النظرية الجامعة يعني أنه هناك أربع قوى أساسية تحكم الفيزياء ، ويبحث العلماء عن قوانين ومعادلات مشتركة يمكن أن تطبق القوى الأربع الأساسية في الكون ، وهي القوة الكهرومغناطيسية ، وقوة الجاذبية ، والقوة النووية القوية ، والقوة النووية الضعيفة ، فنقرأ في خاتمة كتابه "تاريخ موجز للزمن" : إذا توصلنا إلى النظرية الجامعة فإنها ستمكن كلا من العلماء والفلاسفة بل والناس العاديين من فهم بعض الجوانب عن الحكمة من وجود الكون ووجودنا ، وإذا عرفنا ذلك فسنكون قد عرفنا كيف يفكر الإله ، وفي موضع آخر من الكتاب يقول : إن النظرية الجامعة ستكون مجموعة من القواعد والمعادلات والسؤال هو : من الذي نفخ في هذه المعادلات المجرّدة القدرة والحياة ليخرج منها الكون المادي الذي نوصفه ؟ ، ويقول : لا شك أنك إذا تساءلت في يوم ما عن الحكمة من وجود الكون قد لا تجد إجابة إلا مشيئة الإله (هامش : كتب هذا قبل كتابه "التصميم العظيم") . انتهى

أسئلة عن نظرية تطور الأنواع لداروين :

ما الذي كان قبل داروين ؟ وما الذي حصل من خلال هذه النظرية ؟ هل العلماء كانوا لا يعتقدون بالتطور قبل داروين ؟ وهل أول من قال بتطور الأنواع هو داروين ؟ فهل هو من ابتكارات داروين ؟ وهل

كان موجودا من عصر اليونانيين وإلى زمان داروين في القرن التاسع عشر؟ وإذا كان النظرية موجودة من السابق فما الذي أضافه داروين ؟

من الأزمنة السابقة وإلى زماننا الحالي توجد تغيرات في الطبيعة نراها ، مثل يتحول الماء إلى بخار ، ويتحول البخار إلى ماء ، ويتحول التراب إلى جزء من النبات ، ويتحول النبات ليشكل جزءا من الحيوان ، فأصل التغير والتحول أمر ثابت علميا ، ويأتي السؤال العقلي الفلسفي التالي في بيان كيفية التحول ، وهو :

هل التغير والتحول على نحو الكون والفساد – على رأي الفلسفة المشائية – أو على نحو الحركة والخروج من القوة إلى الفعل – على رأي الحكمة المتعالية لملا صدرا الشيرازي– ؟

في نظرية التطور هل داروين كان مبتكرا لأصل التطور أو مبتكرا لآلية التطور؟

مسألة أصل التطور كانت موجودة من عصر اليونانيين قبل داروين ، وداروين بيّن كيفية التطور ، وكيفية التطور هي الانتخاب الطبيعي .

موسوعة الفلسفة – د. عبدالرحمن بدوي – ج١ ص٤٧٤ : من هذا العرض يتبيّن أن داروين لم يكن هو مبتكر نظرية التطور ، إنما هو تلقاها من لامارك من الناحية البيولوجية ، ومن سبنسر من ناحية تحديد قانون التطور ، وحتى كلمة "التطور" نفسها لم يكن هو من استخدمها للتعبير عن هذا المذهب ، بل سبقه إليها سبنسر في

١٨٥٤ ثم في ١٨٥٧، ولكن فضل داروين هو في جمع هذه الأفكار . انتهى

تعليق :

د. عبدالرحمن بدوي لم يفرق بين أصل التطور وكيفية التطور ، وداروين ليس فضله في جمع الأفكار ، وإنما قبل أصل التطور الموجود قبله ، ولكنه قال ما ذكره الآخرون عن كيفية التطور ليس صحيحا ، وإنما كيفية التطور هي الانتخاب الطبيعي والبقاء للأصلح والتّكيّف .

أصل الأنواع – داروين – ترجمة إسماعيل مظهر ص ٥٢ المقدمة :

لما يئس داروين من أن يجد في بحوث الذين سبقوه تعليلا مقبولا لنشوء الأنواع بطريقة التحول العضوي مضى يرتّب مذهبه مستقلا عنهم ، وبدأ شوطه بأن ينظر في الشواهد التي يمكن ، ولقد أكبّ على ذلك إكبابا ، وعكف على درسه عكوفا فَبَزَّ بذلك جميع الذين تقدّموه ، ولم يلبث غير قليل حتى وضح له أن الانتخاب هو حجر الزاوية . انتهى

تعليق :

نظرية داروين لا تتكلم عن أصل التطور ، ولا يريد داروين أن يثبت أصل التطور ، وإنما تتكلم النظرية عن آلية التطور أي الانتخاب الطبيعي ، فداروين أراد أن يبيّن كيف يحصل التطور أي آلية التطور وكيفيته .

الموسوعية العربية العالمية ج٢٥ ص ٣٥٣ – ٣٥٥ : تاريخ النظرية : على الرغم من أن نظرية التطور ارتبطت في شهرتها وذيوعها بداروين فإن داروين لم يكن أول من بحث في مسألة التطور . . . قبل داروين ظهر في الغرب علماء أخذوا بفكرة التطور واهتموا بها . . . أسس النظرية : . . . ثالثا : الكائنات بعد التنازع ومن أجل بقائها وصراعها تستعمل الانتخاب الطبيعي . انتهى

الموسوعية العربية العالمية ج١٠ ص ٢٢٦ : نظريات داروين : أجرى داروين دراسات على العينات . . . وكان عنوان البحث نظريات عن التطور . . . وأطلق داروين على هذه العملية الانتخاب الطبيعي أو بقاء الأصلح . انتهى

الموسوعية العربية العالمية ج٣ ص ١٦٠–١٦١ : الانتخاب الطبيعي عند بعض علماء الطبيعة هو عملية تحدث بالكون ، وقد أطلق عليها البقاء للأصلح . انتهى

داروين اختار هذه الآلية للتطور بسبب وجود آليات أخرى في زمانه ، مثلا لامارك كان معتقدا بآلية أخرى ، لامارك كان يعتقد أن الصفات المكتسبة – لا الصفات الجينية فقط– تنتقل من جيل إلى جيل آخر ، ونظرية داروين تقول إن الأصل في الجينات لا في الصفات المكتسبة .

الموسوعية العربية العالمية ج٢٥ ص ٣٥٤ : وقد ذهب لامارك في سنة ١٨٠٩ ميلادية إلى أن البيئة لها الأثر الكبير لا في إيجاد صفات

الأفراد وانقراضها فحسب ، بل في انقراض هذه الأفراد ، وأن الصفات المكتسبة تُورَثُ من جيل إلى جيل ، وعلى هذا فإن صفات الأفراد عند لامارك وليدة الظروف البيئية التي يمر بها الكائن الحي ، كما أن استعمال الأعضاء أو إهمالها . . . . انتهى

النتيجة :

النتيجة المترتبة على التمييز بين أصل التطور وآلية التطور ، فإذا أبطلنا آلية الانتخاب الطبيعي لداروين فإننا لا نبطل أصل التطور لعدم وجود الملازمة بين إبطال آلية التطور وإبطال أصل التطور ، وهذا بحث فلسفي ، فيمكن قبول أصل التطور وعدم قبول نظرية داروين في آلية التطور وهي الانتخاب الطبيعي ، فتفسير داروين لكيفية التطور لا يقبل ، وإذا أثبتنا أصل التطور فنحتاج إلى تفسير آخر لكيفية التطور .

من أهم خصائص الانتخاب الطبيعي لداروين :

هذا الانتخاب تدريجي زماني طال الزمن أو قصر ، والانتخاب ليس دفعيا وفجأة ، وداروين كان ابتكاره أن آلية التطور هي الانتخاب الطبيعي والبقاء للأصلح والتدريج الزماني ، وركن الانتخاب الطبيعي هو التدريج الزماني ، وإذا حصل تطور من غير تدريج زماني فإن نظرية داروين تنهار .

أصل الأنواع – داروين – ترجمة إسماعيل مظهر ص ٢٣٩ :

الفصل السادس تحت عنوان "صور الانقلاب والتحول" : إذا استطاع

أحد أن يثبت أن أي عضو من الأعضاء المهذبة التركيب الراقية التكوين قد أمكن أن يُسْتَحْدَثَ من غير أن يكون لتحول الصفات التدرجي على مدى الأزمان يد في استحداثه فإن مذهبي لا محالة ينهار من أساسه . انتهى

أصل الأنواع – داروين – ترجمة إسماعيل مظهر ص ٢٣٦ : إذا ادعى أحد الباحثين بأن العين على ما فيها من الخصائص والتراكيب الغريبة ونظام بؤرتها في كشف المسافات البعيدة وتحديد الأبعاد وإدخال كميات مختلفة من الضوء وتصحيح الانحراف الدائري واللوني يمكن استحداثها بتأثير الانتخاب الطبيعي لظهر قوله بداءة ذي بدء منافية لبديهة العقل . انتهى

الجائزة الكونية الكبرى – بول ديفيس ص ٢٣٢ : ومع ذلك أشار بعض منتقدي داروين إلى أعضاء أو كائنات معينة ، واعتبروها أكثر تعقيدا وتنظيما مما يمكن تفسيره بالتنوع والانتخاب الطبيعي ، ومن الأمثلة المفضلة على ذلك العين البشرية ، وهي العضو الذي حيّر داروين ، تُعَدُّ العين مثالا على ما يسمى التعقيد غير القابل للتبسيط ، والعين البشرية عضو معقد ، بل في احتوائها على العديد من المكونات المترابطة المتآزرة على غرار العدسة والسطح الحساس للضوء والبؤبؤ الذي يتحكم في تدفق الضوء ، وإذا أزلت مكوّنا واحدا من هذه المكوّنات فسيضر ذلك بعمل العين بشكل حاد ، واللغز هنا يكمن في الكيفية التي تطورت بها هذه الأجزاء العديدة التي لكل

واحد منها على انفراد استخدام محدود ، وتجمعت بمثل هذه الصورة المتعاونة ، وبما أن جوهر التطور الدارويني هو أن الانتخاب يعمل بشكل بطيء تدريجي على تعديل الأعضاء الجديدة ، وأن كل مرحلة وسيطة لا بد أن يكون لها بعض المميزات الانتخابية في وقتها تبدو العين مثالا جيدا على وجود ثغرة في تفسير داروين كما حدد عدد آخر من الثغرات المشادة . انتهى

تعليق :

العين تؤدي إلى انهيار نظرية داروين ، ففي العين تعقيد ومركب بنحو إذا لم يوجد فيه جزء واحد فإن الإنسان لا يرى ، فلا يوجد تدريج ، فإما أن يوجد مرة واحدة أو لا يوجد ، ولا يمكن أن يوجد تدريجيا . هذا التحدي تصدى له مايكل بيهي .

خرافة الإلحاد – د. عمرو شريف ص ٢٢٠ : التعقيد غير القابل للاختزال : أعلن داروين في كتابه أصل الأنواع قائلا : "إذا ثبتت استحالة الوصول إلى بنية أي عضو في أي كائن حي عن طريق تعديلات بسيطة متتالية شديدة البطء فإن نظريتي ستنهار إذ يعجز التطور عن إحداث قفزات كبيرة ، ولن يكون هناك مفرّ من الإقرار بأن قوى غيبية تعاونه" ، ومع ذلك قبل مايكل بيهي التحدي ، ووضع حججه في كتابه الرائع "صندوق داروين الأسود" ، . انتهى

في هامش الكتاب : مايكل بيهي أستاذ البيولوجيا الجزيئية ، ومن أعمدة التصميم الذكي ، ولد عام ١٩٥٢ .

وفي هامش الكتاب : يستخدم العلماء اصطلاح الصندوق الأسود للإشارة إلى الأنظمة التي نستخدمها ولا نعرف طريقة عملها ، فالكومبيوتر مثلا بالنسبة لمعظمنا صندوق أسود ، فنحن نستعمله ، لكن لا نعرف كيف يعمل ، كذلك كانت الخلية أيام داروين تبدو تحت الميكروسكوب قطرة من مادة جيلاتينية ، ولم يكن يدرك شيئا عن تعقيدها المذهل ، وقد وصفت المجلة العلمية المحترمة . . . الكتاب (هامش : أي كتاب "صندوق داروين الأسود") بأنه أهم كتاب غير قصصي صدر في القرن العشرين في ١٩٩٦ م . . . تركز حجج بيهي ضد عشوائية التطور على أن الدراونة عجزوا عن أن يفسروا الآليات الجزيئية شديدة التعقيد في الكائنات الحية ، والتي لا يمكن أن تنشأ عن طريق التعديلات البسيطة المتتالية شديدة البطء التي يعمل من خلالها التطور الدارويني ، ولإثبات ذلك طرح بيهي تحديا بالغ الأهمية أمام التطور العشوائي ، وهو مفهوم الأنظمة ذات التعقيد غير القابل للاختزال . . . الأنظمة التي تتركب من عدة جزيئات بيولوجية تتضافر وظيفيا لتنفيذ مهمة أساسية معينة ، وفي نفس الوقت إذا غاب أحد هذه المكونات يتوقف النظام عن العمل تماما ، وقد وصف بيهي مصيدة الفئران كنموذج للأنظمة ذات التعقيد غير القابل للاختزال . انتهى

تعليق :

مايكل بيهي قال بأن نظرية التطور باطلة ، ولكن الباطل هو آلية التطور لا أصل التطور .

الأصول التي اعتمد عليها داروين :

مر سابقا أن :

الأصل الأول : داروين بدأ ما بعد الخلية الحية ، فالتطور وقع في الكائنات الحية .

الأصل الثاني : داروين بيّن أن آلية التطور تكمن في الانتخاب الطبيعي .

الأصل الثالث : الانتخاب الطبيعي كان بالتدريج الزماني .

على فرض أن الأصول السابقة كانت صحيحة وأن نظرية داروين استطاعت أن تتجاوز جميع التحديات فنأتي إلى الأصل التالي :

الأصل الرابع : ما هي دائرة نظرية أو فرضية الانتخاب الطبيعي؟ هل تختص بالموجودات الحية فقط أو تشمل علم الكونيات والفلكيات أيضا بحيث يكون الانتخاب الطبيعي والبقاء للأصلح في المجرات مثلا ؟ هل يمكن تطبيق آلية الانتخاب الطبيعي على نحو التدريج الزماني في المجرات أيضا ؟ وهل يمكن أن تفسِّر جميع ظواهر الكون أو أنها مختصة بدائرة ضيقة ؟

وقبل الجواب لا بد من معرف مساحة الكون والعالم المادي .

الجائزة الكونية الكبرى – بول ديفيس ص ٣٦–٣٧ : حين تفكر أسلافنا في السماء تخيلوا أن الشمس والقمر والنجوم تدور حول

الأرض ، لم يكن حجم الكون معروفا في ذلك الزمان ، وحتى اختراع التلسكوب فشل في الكشف عن الحجم الحقيقي الهائل للكون ، وحتى وقت قريب لم يكن بمقدور علماء الفلك تحديد الأرقام التي يمكن بها قياس هذا الحجم ، إن شمسنا واحدة من مئات المليارات من النجوم التي تؤلّف مجرة درب التبانة ، وبدورها ما هي إلا واحدة من مئات المليارات من المجرات المتناثرة في أرجاء الفضاء إلى حدود ما تدركه معداتنا ، إن الفجوات بين النجوم شاسعة للغاية حتى أن علماء الفلك يقيسونها بالسنوات الضوئية ، والمقصود بها المسافة التي يقطعها الضوء خلال سنة ، يبلغ طول السنة الضوئية حوالي ستة تريليون ميل أو عشرة تريليون كيلومتر ، لتصور الأمر تصورا أفضل نقول إن القمر يبعد عن الأرض حوالي ثانية ضوئية واحدة ، وتبعد الشمس عن الأرض أكثر من ثمان دقائق ضوئية بقليل ، يبلغ عرض مجرة درب التبانة التي تعدّ من المجرات التقليدية حوالي مائة ألف سنة ضوئية ، ومجرة إندوميدا الجارة القريبة تبعد عنا اثنين ونصف مليون سنة ضوئية ، فيما يقع أبعد المجرات التي صورها تلسكوب الفضاء هابل على بعد يزيد عشرة مليارات سنة ضوئية . انتهى

الموسوعة العربية العالمية ج٢٢ ص ٢٨٢ تحت عنوان "مجرة" :

المجرة نظام من النجوم والغبار والغازات المتماسكة معا بواسطة الجاذبية ، ويتراوح قطرها بين بضعة آلاف ونصف مليون سنة ضوئية . . . اكتشف الفلكيون أن معظم المجرات يتحرك بعضها بعيدا عن بعض

بسرعة فائقة ، وبالإضافة إلى ذلك يبدو أن المجرات الأكثر بعدا عن الأرض هي الأسرع تحركا وبعدا عن الأرض ، ولهذا فإن معظم العلماء يعتقدون أن الكون يتسع باطّراد . انتهى

"والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون"

سؤال : بماذا يقاس تمدد الكون ؟

الجواب :

يقاس بالإزاحة الحمراء .

الموسوعة العربية العالمية ج١ ص٥٧٩ : الإزاحة الحمراء : في عام ١٩٢٩ اكتشف الفلكي الأمريكي هاول هابل أن الإزاحة الحمراء للمجرات تزيد بزيادة بعد المجرات عن الأرض ، وهكذا فإن الإزاحة الحمراء أمكن استخدامها لتقدير المسافات بين المجرات والأرض ، كما أن اكتشاف هابل قاد الفلكيين كثيرا للاعتقاد بأن المجرات تتحرك بسرعة ، وهي طول موجي معين . . . . انتهى

سؤال : كيف وجد الكون ؟ وهل له بداية أو ليس له بداية؟

الجواب :

اتفقت الكلمة على أن الكون له بداية ، وأي نظرية لتفسير بداية الكون لا بد أن تأخذ بعين الاعتبار ثلاث ملاحظات :

الملاحظة الأولى : لماذا نحن في الليل نرى السماء سوداء ؟

الملاحظة الثانية : المجرات في حركة دائمة في ابتعاد بعضها عن بعض .

الملاحظة الثالثة : توجد موجات الراديو تطلقها السماء بأكملها .

الموسوعة العربية العالمية ج٢٠ ص٣١٥ : علم الكونيات هو دراسة تركيب الكون وتطوره وحركته في علم الفلك والفيزياء الفلكية ، تحاول هذه الدراسة أن تشرح كيفية نشوء الكون وماذا حدث له في الماضي وماذا يمكن أن يحدث له في المستقبل ، فسر علماء الفلك ثلاث ملاحظات رئيسية حول الكون لتطوير النظريات التي يتألف منها علم الكون الفيزيائي الحديث . . . أن كون السماء داكنة يناقض أبسط شرح عن الكون ، وأن المجرات البعيدة تتحرك مبتعدة بعضها عن بعض ، وأن السماء بأكملها تطلق موجات رادوية ، وذكرت تفسيرات متعددة ، ولكن هناك نظريتان أساسيتان : نظرية الحالة الثابتة ، وهي النظرية التي تعتقد أن الكون دوما موجود كما هو في حالته الراهنة ، وعندما أخذت المجرات تتحرك متباعدة فإن مادة جديدة ظهرت بينها وشكلت مجرات جديدة ، ولا توضح هذه النظرية مصدر هذه المادة ، والملاحظات الفلكية اليوم لا تؤيد نظرية الحالة الثابتة ، ونظرية الانفجار العظيم ، وهذه النظرية أفضل شرح للملاحظات الثلاث الأساسية ، وطبقا لهذه النظرية يكون بدء الكون نتيجة لانفجار يدعى الانفجار العظيم ، وقع هذا الانفجار ما بين ١٠ و٢٠ مليار سنة ، وقد تلا ذلك الانفجار مباشرة تكوّن الكون من إشعاع قوي ، وشكّل هذا الإشعاع منطقة آخذة في التوسع بسرعة عظيمة تسمى كرة النار الأساسية . انتهى

تعليق :

نظرية الانفجار العظيم تقول إن الكون كان مادة مضغوطة وحجمها صغير جدا ، ثم انفجرت ، ولكن ما هي قوانين الانفجار ؟ هل انفجرت انفجارا فوضويا عشوائيا أو ضمن قوانين خاصة؟ ، اتفقت الكلمة على أن له قوانين خاصة ، ومن أوجد هذا الانفجار لا بد أن يكون مصمما ذكيا وعالما خبيرا ، ويقال بأن هذا الانفجار وقع قبل ١٣,٧ مليار سنة ، وهذا هو عمر الكون .

"ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير" .

"لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس" .

"أو لم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بكم" .

راجع كتاب "تاريخ موجز للعالم" – ستيفن هوكنج

راجع كتاب "التفسير العلمي للقرآن في الميزان" .

سؤال : هل يمكن لنظرية الانتخاب الطبيعي على نحو التدريج الزماني التي قال بها داروين في الأنواع الحية هل يمكن أن تفسر لنا هذه السعة في الكون أو لا يمكنها؟

الجواب :

الانتخاب الطبيعي يقوم على أسس : منها الصراع بين الأنواع ، والبقاء للأصلح ، والتكيف مع البيئة ، فهل يمكن أن نقول بأنه وقع صراع بين المجرات ، فبقي الأصلح .

الجائزة الكونية الكبرى لغز ملاءمة الكون للحياة – بول ديفيس ص٢٣٦ : في علم الفلك وعلم الكونيات يظهر التصميم بوضوح عند الحديث عن قوانين الفيزياء والترتيب الكلي للكون ، خاصة فيما يخص موضوع الضبط الدقيق والملاءمة لاستضافة الحياة الذي أناقشه بين دفتي هذا الكتاب ، هنا حجة التصميم تصمد بدرجة كبيرة أمام الهجوم الذي تشنه الداروينية عليه ، إذ لا يمكن تبني الآلية الداروينية للتنوع والانتخاب بسهولة في علم الكونيات ، فلا توجد معركة للبقاء تتصارع فيها الأكوان ذات الأنياب والمخالب الحمراء التي تنقل سماتها الناجحة إلى أكوان رضيعة ، ولا توجد منافسة على الموارد حتى نقول صراع من أجل البقاء ، ولا توجد منافسة على الموارد أو صراع تلتهم فيه أكوان أكوانا أخرى ، يمكن القول إنه في نسخة التضخم الأبدي من نظرية تعدد الأكوان يؤول النصر إلى المناطق الخاوية غير ذات الملامح الواقعة بين فقاعات الأكوان حيث لم يتوقف التضخم ، هذا إذا كان النصر يعني الحصول على مساحة أكبر من الفضاء ، لكن من الجلي أن الداروينية ليست الإطار الفكري المناسب للبحث عن تفسير لمظهر التصميم في الكون . انتهى

ويبيّن ديفيس في آخر كتابه في تعدد الأكوان : التفسيرات الجوهرية لبداية الكون :

١-الكون العبثي .

٢-الكون المتفرّد .

٣-الكون المتعدد .

٤-التصميم الذكي .

٥-الكون المفسِّر لذاته .

٦-الكون الوهمي .

٧-لا شيء مما سبق .

تعليق :

إذا في الأحياء مسألة التصميم الذكي فيها شك أو ترديد ، ولكن في علم الكونيات مسألة التصميم الذكي ليس فيها شك ، بل التصميم الذكي واضح جدا ، والكون قد صمم بضبط دقيق لاستضافة الحياة ، وإذا استطاع أصحاب نظرية التطور الداروينية أن يحققوا انتصارا في الأنواع الحية بنحو يغنيها عن الخالق المصمم كما يقول ريتشارد دوكنز ، ففي تفسير الكون لا يستطيعون ، ولا يمكنهم بيان استغناء الكون عن المصمم الذكي ، فنظرية داروين لا تغنينا عن نظرية الإله الخالق المصمم الذكي .

راجع كتاب "التطور : نظريّة في أزمة" ، وكتاب "قَدَر الطبيعة" –كلا الكتابين لمايكل دنتون .

وهذه النقطة مهمة جدا لأن دوكنز في عالم في الأحياء وليس في علم الفلك وعلم الكون ، فإثبات وجود الخالق أو عدم وجوده بناء على علم الأحياء يدخل في تخصصه ، ولكن في الفيزياء الحديثة هو غير متخصص ، فلا بد أن يرجع إلى المتخصصين ، وهو رجع إلى ستيفن هوكنج ، فحينما ينكر دوكنز وجود الإله الخالق في علم الكون فلا يدخل ضمن تخصصه ، أو كما نقول هو مقلد وليس مجتهدا .

خرافة الإلحاد – د. عمرو شريف ص ٣٦١ : وفي كتابه الأخير التصميم العظيم بدّل هوكنج موقفه وأعلن أنه لم يعد هناك مجال للقول بوجود الإله . انتهى

التصميم العظيم – ستيفن هوكنج ص ٢٠٦ : إن قوانين الطبيعة تخبرنا بالكيفية التي يتصرف بها الكون ، لكنها لا تجيب على سؤال : لماذا ، وهي الأسئلة التي وضعناها في بداية هذا الكتاب ، لماذا يوجد شيء ما بدلا من لا شيء ، لماذا نحن موجودون ؟ لماذا هذه المجموعة من القوانين وليست مجموعة أخرى ؟ ، قد يزعم بعضهم أن إجابة تلك الأسئلة هي أن هناك إلها قد اختار خلق الكون بهذه الطريقة ، ومن المعقول أن نسأل : من أو ما الذي خلق الكون؟ . انتهى

تعليق :

قوانين الطبيعة تجيب عن : كيف يتصرف الكون؟ ، ولا يمكنها الجواب عن : لماذا يتصرف الكون هكذا؟ ، هذا السؤال يحتاج إلى جواب فلسفي ، وسأل : من أو ما الذي خلق الكون ؟ ، من إذا

كان الخالق هو المصمم الذكي ، وما إذا كان الخالق هو قوانين الطبيعة .

تاريخ أكثر إيجازا للزمن – ستيفن هوكنج ص ٢٥ : لكن يبدون أن الرب قد اختار أن يجعل العالم يتطوّر بطريقة منتظمة تماما وفقا لقوانين معينة ، ولذلك فمن المنطق بقدر نفسه أن يقترح وجود قوانين تحكم حالة العالم في بدايته كذلك ووسطه ونهايته . انتهى

تعليق :

الكون بهذه الطريقة لأن الرب اختار أن يتطور من خلال الانفجار العظيم ، وهنا لا توجد مشكلة في وجود الإله ، وفي هذا الكتاب كان هوكنج معتقدا بالمصمم الذكي ، ولكن في كتابه "التصميم العظيم" أنكر وجود الإله ، وهناك عقبة أدّت بهوكنج إلى إنكار الإله ، وسبب ذلك هو أنه لم يستطع الإجابة على أبسط المسائل الفلسفية ، وهو لم يكن بيده البحوث الفلسفية فوقع في الإلحاد ، والمسألة البسيطة هي ما ذكرها في التصميم العظيم .

التصميم العظيم – ستيفن هوكنج ص ٢٠٦ : ومن المعقول أن نسأل مَنْ أو ما الذي خلق الكون ، لكن إن كانت الإجابة هي الإله ، فحينها سينقلب السؤال وحسب ليكون ومن خلق الله؟ ، ومن هنا من المقبول حسب تلك الرؤية وجود كينونة ليس بحاجة إلى الخالق . انتهى .

تعليق :

إذا كان الكون يحتاج إلى إله خالق ، فيسأل : ومن خلق الإله ؟ ، ولا ينتهي السؤال ، فينتهي إلى نتيجة هي أنه لا نحتاج إلى خالق ، وهو لم يستطع الجواب فاستنتج عدم وجود الخالق ، فنقول له شخص آخر يمكنه الإجابة عن هذا السؤال ، ونفس المشكلة وقع فيها دوكنز .

وهم الإله – ريتشارد دوكنز : ليس هناك دليل فلسفي أو علمي على وجود سبب أول ذكي لأن ذلك الدليل سينهار عند البحث عن سبب هذا السبب الأول . انتهى

وهم الإله – دوكنز – ص ٧٨ وما بعده : الفصل الثالث : الدليل على وجود الله (هامش : الصحيح أن يترجم إلى الإله) .

تعليق :

في جميع العلوم يتم الجواب عن السؤال إذا كان السؤال صحيحا ، فالخطوة الأولى هي لا بد أن نرى بأن السؤال صحيح أو خاطئ ، فإذا كان السؤال صحيحا فإنه يأتي الجواب عليه ، وأما السؤال الخاطئ فلا يوجد له جواب ، فسؤال : من خلق الخالق ؟ ، سؤال خاطئ .

نسأل : ما هو الملاك والعلة والسبب للحاجة إلى الخالق لكي نقول إن الخالق يحتاج إلى خالق أو لا يحتاج إلى خالق ؟

فإذا قلنا هو الإله الخالق وسبب وعلة الكون فهو لا يحتاج إلى خالق ، فيقولون بأن كل موجود له سبب ، والإله الخالق موجود ، إذن فهو يحتاج إلى سبب وخالق وعلته ، والجواب هو أن كل موجود ممكن

يحتاج إلى خالق ، وأما الموجود الواجب الوجود الأزلي الأبدي فلا يحتاج إلى خالق ، فهو لم يكن يفتقر إلى الوجود في لحظة واحدة من الماضي أو الحاضر أو المستقبل لكي يفيض شيء آخر الوجود عليه .

خرافة الإلحاد – د. عمرو شريف ص ٣٦١ : عندما بدّل ستيفن هوكنج نظره من مؤمن بالإله إلى ملحد انتشى ريتشارد دوكنز وأعلن أنه إذا كان داروين قد ألقى بالإله بعيد عن علم البيولوجيا ، فقد ظل له موضع في علم الفيزياء ، حتى أخرجه منه ستيفن هوكنج . انتهى

سؤال : ما هي القوانين التي تحكم الكون ؟

الجواب :

توجد أربعة قوانين أساسية تحكم كل الكون المرصود إلى زماننا الحالي .

التصميم العظيم – ستيفن هوكنج ص ٢١٩ : قوانين الطبيعة التي نلاحظها في كوننا : القوة الأولى : الجاذبية : أضعف قوة من قوى الطبيعة الأربعة ، وهي الطريقة التي تتجاذب بها الأشياء ذات الكتلة ، القوة الثانية : القوة الكهرومغناطيسية : ثاني أقوى قوة من قوى الطبيعة الأربعة ، وهي تعمل ما بين الجسيمات المشحونة كهربائيا ، القوة الثالثة : القوة النووية القوية ، الأقوى من بين قوى الطبيعة الأربعة ، تلك القوة تمسك البروتونات والنيوترونات داخل نواة الذرة ، وهي تمسك أيضا البروتونات والنيوترونات أنفسها ، وهو الأمر الضروري حيث إنها مصنوعة من جسيمات أدق تسمى "الكوارتات" ، القوة الرابعة : القوة النووية الضعيفة ، إحدى القوى الأربع الموجودة

في الطبيعة ، والقوة الضعيفة مسئولة عن النشاط الإشعاعي ، وتلعب دورا حيويا في تكوين العناصر في النجوم وفي الكون المبكّر . انتهى

كيف بدأ الخلق؟ – د. عمرو شريف ص : ولدت هذه القوى تدريجيا أثناء تبرّد الكون ، وكانت عند حدوث الانفجار الأعظم أو العظيم مُوَحَّدَة في قوة واحدة متفرّدة ، وهذه القوى الأربع هي : أولا : القوة الجاذبية ، وهي المسئولة عن سقوط الأجسام تجاه مركز الأرض ، ومسئولة عن تشكل المجرات والنجوم والكواكب ، إذ تقوم بالإمساك بهذه الأجرام في أفلاكها ، وهي أضعف القوى الأربعة ، ثانيا : القوة النووية الشديدة أو القوية ، وإليها يرجع تماسك نواة العناصر ، فهي قوة جذب شديدة تربط الكوارتات ببعضها لتتشكّل البروتونات والنيوترونات ، كما تربط هذه الجسيمات ببعضها لتتشكل نواة الذرة ، ويؤدي تحطيم الذرة في الانفجارات النووية إلى انطلاق جزء من هذه القوة النووية الشديدة ، ثالثا : القوة النووية الضعيفة : وهي المسئولة عن النشاط الإشعاعي للنظائر المشعة ، فيتحول العنصر المشع بعد إطلاق جسيمات بيتا إلى نظير آخر ، مثل تحول اليورانيوم إلى رصاص ، رابعا : القوة الكهرومغناطيسية : وهي التي تحفظ إلكترونات الذرة السالبة الشحنة في مداراتها حول النواة موجبة الشحنة ، كما تؤدي دورا مهما في التفاعلات الكيميائية وانتشار الضوء ، ومن استخداماتها موجات إرسال التلفزيون والتلفونات المحمولة . . . . انتهى

تعليق :

استطاعت الفيزياء الحديثة هذه القوى الأربعة ، ولكن إلى الآن لم يستطيعوا أن يكتشفوا أن هذه القوانين الأربعة يجمعها قانون كلي واحد أو لا ، وهو القانون الكامل أو القانون الجامع بين القوانين الأربعة .

تاريخ موجز للزمن – ستيفن هوكنج ص ١٥٠ : فلو اكتشفنا فعلا نظرية كاملة فإنه ينبغي بمرور الوقت أن تكون قابلة لأن يفهمها كل فرد بالمعنى الواسع ، وليس فقط مجرد علماء معدودين ، وعندها فإننا كلنا – فلاسفة وعلماء وأناسا عاديين وحسب – سنتمكن من المساهمة في مناقشة السؤال عن السبب في وجودنا نحن والكون ، ولو وجدنا الإجابة عن ذلك فسيكون في ذلك الانتصار النهائي للعقل البشري ؛ لأننا وقتها سنعرف الفكر الخلاق .انتهى

تاريخ أكثر إيجازا للزمن – ستيفن هوكنج ص ٢٤–٢٦ : والهدف النهائي للعلم هو تقديم نظرية واحدة لوصف العالم كله ، وعلى الرغم من ذلك فإن الطريق الذي يسلكه معظم العلماء هو تقسيم المشكلة إلى قسمين ، يضم القسم الأول القوانين التي تنبئنا عن كيفية تغيّر العالم مع الزمن ، ويتضمن القسم الثاني سؤالا عن حالة العالم في بدايته ، ويعتقد بعض الناس أن على العلم أن يهتم بالقسم الأول فقط ، وهم يرون أن التساؤل عن حالة العالم في بدايته أمر يتعلق بالميتافيزيقا . . . وقد اتضح أنه في غاية الصعوبة أن نتوصل إلى نظرية

تصف العالم كله مرة واحدة ، وبدلا من ذلك فقد قسمنا المشكلة إلى قطع صغيرة ، وابتكرنا عددا من النظريات الجزئية ، وتصف كل واحدة من هذه النظريات الجزئية عددا محدودا من المشاهدات ، وتتنبأ بها من دون أن تضع في الحسبان تأثير أي كميات أخرى ، وتمثيلها بفئات بسيطة من الأرقام بدلا من ذلك ، وقد يكون هذا المنهج خطأ تماما ، فإذا كان كل شيء في العالم يعتمد على كل شيء آخر في الأساس فربما يكون من المستحيل التوصل إلى حل شامل بدراسة أجزاء المشكلة كلٍّ على حدة ، ومع ذلك فمن المؤكَّد أننا قد صنعنا تقدمنا في الماضي بهذه الطريقة . . . ولسوء الحظ إن هاتين النظريتين (نظرية النسبية ونظرية الكم) متعارضتان كما هو معروف ، وعليه فإن إحداهما غير صحيحة ، وأحد الجهود العظيمة في فيزياء هذه الأيام هو البحث عن نظرية جديدة تربط النظريتين معا ، ولا نزال نفتقد مثل هذه النظرية ، وربما ما يزال أمامنا وقت طويل للتوصل إليها ، لكننا نعلم كثيرا من الخواص التي يجب أن تتضمنها ، وسنرى في الفصول القادمة أننا نعلم بالفعل كمية لا بأس بها من التنبؤات التي يجب أن تقدمها نظرية الكم للجاذبية . انتهى

التصميم العظيم – هوكنج : كانت تلك هي الأسئلة التقليدية للفلسفة ، ولكن الفلسفة قد ماتت .

تعليق :

يهتم بالقسم الأول فقط لأنه لا يستطيع أن يجيب عن القسم الثاني ، ويرون أن التساؤل عن حالة العالم في بدايته أمر بتعلق بما وراء الطبيعة أي بأمر غيبي ميتافيزيقي ، فيكون البحث فيه بحثا فلسفيا ، والبحث العلمي لا ينفك عن البحث الفلسفي ، فالبحثان لا ينفك أحدهما عن الآخر ، فالبحث العلمي يعطيك مشاهداته للظواهر ، والبحث الفلسفي يتكفل بتفسير هذه الظواهر ، والكون عبارة عن منظومة واحدة ، لذلك حاول هوكنج أن يأتي بنظرية واحدة وقانون واحد شامل لكل الكون ، وهوكنج يقول بأن النظريات ناقصة أي أن المعلومات ناقصة ، ونقص المعلومات يؤدي إلى الخطأ في النتائج الفلسفية ، فالمعلومات الناقصة تعطيك نتائج ناقصة خاطئة ، والمعلومات الموجودة حاليا ليست كافية لنفي وجود الإله ، والكثير من الملحدين يطرحون عدم وجود الإله كأنه بديهة من البديهيات ، ويدّعون أن العلوم الحديثة تثبت عدم وجود الإله ، ويقول هوكنج يقول : وسنرى في الفصول القادمة أننا نعلم بالفعل كمية لا بأس بها من التنبؤات .

فالمعلومات قائمة على تنبؤات ، والتنبؤات قد تكون صحيحة وقد تكون خاطئة ، والملحدون يعتمدون في إثبات إلحادهم على دوكنز وهوكنج ، وفي كلماتهما لا يدّعيان القطع واليقين بعدم وجود الإله ، فكيف يقطع الملحدون بعدم وجود الإله الخالق للكون ؟!!

إن المقدمات الظنية تؤدي إلى نتائج ظنية ، وعلى الملحدين مراجعة المقدمات التي يعتمدون عليها ، وعليهم أن يثبتوا يقينية المقدمات لكي يصلوا إلى يقينية النتيجة بعدم وجود الإله .

كيف بدأ الخلق – د. عمرو شريف ص ٣٥ : وانطلاقا من الأصل المشترك لهذه القوى الأربع يحاول العلماء التوصل إلى معادلات مشتركة تجمع بين هذه القوى الأربع ، وقد توصل العالم الباكستاني محمد عبدالسلام إلى النموذج الذي يجمع بين القوة النووية الضعيفة والقوة الكهرومغناطيسية ، فحصل على جائزة نوبل في الفيزياء . انتهى

تساؤلات تواجه الماديين :

يقولون إن هذا الكون على عظمته لا يحتاج إلى خالق خارج هذا الكون ، وإذا لم يحتج إلى خالق فتأتي مجموعة من التساؤلات ، ولا بد أن يجيب الماديون على هذه التساؤلات والتحديات حتى يقال بعدم الحاجة إلى خالق ومصمم ذكي .

هل يوجد دليل على وجود الإله ؟

البحث في هذا السؤال لم ينته ولن ينتهي ، فمنذ بداية البشر وهم يتساءلون عن وجود الإله الخالق حينما يرون السماوات بما فيها من نجوم وكواكب ويرون الغيوم والأمطار والرياح .

بحثان قبل الدخول إلى البحث :

البحث الأول : في نظرية المعرفة :

بحث مرتبط بنظرية المعرفة ، وهو ما يسمى "الأبستمولوجي" .

البحث الثاني : في الوجود :

بحث مرتبط بالوجود ، وهو ما يسمى "الأنطولوجي" .

البحث الأول : في نظرية المعرفة :

هل من الضروري لكي يدعي الإنسان شيئا أو ينفي شيئا أو يؤمن بشيء أو يؤمن بعدم شيء هل من الضروري أن يقيم دليلا لذلك أو أنه يدعي شيئا بدون أن يكون لأحد الحق في أن يطالبه بالدليل ؟ هل نحتاج إلى دليل لكل ما يقوله أو يفعله الإنسان ؟

مثلا شخص يقول : الإله الخالق موجود ، وشخص آخر يقول : الإله الخالق غير موجود ، هل لا بد أن يعرضا أدلتهما أو نكتفي بقوليهما فقط ؟

وإذا بينك وبين نفسك أنت تعتقد بوجود الإله أو لا تعتقد بوجود الإله هل تحتاج إلى أدلة للإثبات أو النفي أو أنك تعتقد فقط بلا دليل ؟

وإذا سألته عن الدليل يقول لك : لا شأن لك بي ، فأنا أعتقد ما أريد ، ولا يحق لأحد أن يسألني عن الأدلة على اعتقاداتي .

النتيجة :

نحتاج إلى دليل لإثبات شيء أو لنفي شيء ، فلا يمكن إثبات شيء أو نفي شيء إلا بالدليل ، فندور مدار الدليل ، وما نصل إليه عن طريق الدليل نعتقد به ونأخذ به ونتمسك به ، ونرتب الآثار عليه ،

وأولا أحتاج الدليل لنفسي لكي تكون اعتقاداتي وقناعاتي مبنية على أدلة تقنعني ، وثانيا أحتاج الدليل لإقناع الآخرين باعتقاداتي وقناعاتي لأن الآخرين سيسألونني عن الدليل ، وكل إنسان يحاول أن يقنع الآخرين بما يعتقد ، وخاصة في الاعتقادات الدينية ، وحتى الأنبياء ع حينما يأتون بالرسالة يطالبهم الناس بالدليل على إثبات نبوتهم وأنهم مرتبطون بالإله ، فيأتون بالمعاجز لإثبات صدق دعواهم ، وكذلك علماء الطبيعة لا بد أن يقيموا الدليل على ما يأتون به من فرضيات أو نظريات أو حقائق .

"قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين" .

وهذا منهج قرآني ، فإذا كنت تعتقد بصدق دعواك ، فأتنا بالدليل على إثباته .

"وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا . . . والذين إذا ذكّروا بآيات ربهم لم يخرّوا عليها صما وعميانا" .

فقبول شيء بناء على التقليد الأعمى من الأمور المذمومة ، وقبول شيء بلا دليل يكون من باب التقليد الأعمى .

وهذا منهج قرآني ، وهو عدم الاعتقاد بشيء إلا عن طريق الدليل ، فلا بد أن تراجع اعتقاداتك وقناعاتك لترى أنه عندك الدليل على كل واحدة منها أو لا ، طبعا هذا بالنسبة لمن عنده القدرة على النظر في الدليل ، وأما من لا توجد عنده القدرة عليه أن يبدأ من الآن بالتفكير والبحث وسؤال العلماء المتخصصين ليحصل على الأجوبة

والأدلة ، ويبدأ التفكير بها ، وعلى الإنسان أن لا يعطل تفكيره أبدا ، فالإنسان كائن مفكر ، وقوام الإنسان مبني على التفكير وعلى العقل الفعال المبتكر المبدع .

وفي وجود الإله الخالق توجد أدلة مختلفة : أدلة فطرية ، وأدلة عقلية فلسفية ، وأدلة كلامية ، وأدلة نقلية من الكتاب والسنة ، وأدلة علمية من العلوم الطبيعية .

إذن :

من يريد أن يثبت وجود الإله فلا بد أن يكون عنده تصور عن الإله ، ومن يريد أن يثبت وجود إله المسلمين وهو "الله" فلا بد أن يوجد عنده تصور عن الله سبحانه ، وتصور الشيء يكون قبل إثبات وجود هذا الشيء أو إثبات نفي هذا الشيء ، ما الذي تريد أن تثبته بالضبط أو ما الذي تريد أن تنفيه بالضبط ؟

والملحد حينما ينكر وجود الإله فنسأله : ما هو تصورك عن الإله الذي تريد أن تنكر وجوده وما هي صفاته لكي يمكننا أن نتصور أيضا هذه الإله ؟

الموسوعة الفلسفية العربية – رئيس التحرير معن زيادة ج١ ص٨٧ – مادة "إلحاد" : الإلحاد هو المذهب الذي يرى في العقل الإنساني القدرة على تفسير الكون تفسيرا متحرّرا من المعتقدات الشائعة للعامّة ، والذي يرفض الاعتقاد بكل ما يتجاوز الطبيعة من أرواح وآلهة وخلود وبعث بعد الموت وكل ما يخالف قوانين الطبيعة من

معجزات وخوارق . . . والملحد هو الشخص الذي لا يؤمن بالآلهة . . . . انتهى

وفي ص ٨٩ : الإلحاد المطلق في العصر الحديث : وهي المحاولات التي تمت لوضع نمط صريح من الإلحاد واستبعاد الإله ، وقد شهد القرن التاسع عشر مولد مذهب كامل التكوين في الإلحاد ينكر وجود الله دون قيد أو شرط . انتهى

تعليق :

النظرية المادية تجعل العقل الإنساني بدل الوحي الإلهي ، وتجعل الإنسان محورا بدل الإله ، والإلحاد يرفض الاعتقاد بكل ما يتجاوز الطبيعة من أرواح وآلهة وخلود وبعث بعد الموت وكل ما يخالف قوانين الطبيعة من معجزات وخوارق ، فهو يؤمن بقوانين الطبيعة فقط ، ولا يوجد شيء وراء الطبيعة ، فلا يوجد شيء وراء العالم المادي .

والبحث تارة يقع عن أصل وجود الإله ، وتارة ثانية يقع البحث عن صفات الإله ، هل هو عالم أو جاهل ؟ هل هو قادر أو عاجز ؟ هل هو حكيم أو عابث ؟ هل هو يتكامل أو هو كامل ؟ هل هو مطلق أو متناهي ؟ ، وتارة ثالثة يقع البحث عن أفعال الإله ، والملحدون يخلطون بين هذه الأبحاث الثلاثة ، مثلا يشكلون بأن العالم مليء بالأمراض والزلازل ، ويستنتجون أن الإله غير موجود ، وهذا الإشكال يأتي في البحث الثالث حينما يبحث عن أفعال الإله ، ولا يأتي هذا الإشكال في البحث الأول وهو البحث عن أصل وجود

الإلـه ، فإشـكال يأتي في البحـث الثالـث ويسـتنجون اسـتنتاجا في البحث الأول مع أن الأبحاث الثلاثة منفصلة عن بعضها البعض ، فهذا الإشكال يأتي في أفعال الإله لا في أصل وجود الإله ، ويشكلون على صفاته مثلا إذا كان عالما قادرا فلماذا يترك الفقراء بدون قضاء حاجاتهم مع أنه يعلم بحاجاتهم ويقدر على قضائها ، وهذا الإشكال يأتي في البحث الثاني وهو صفات الإله ولا يأتي في البحث الأول وهو أصل وجود الإله ، فيشكلون في البحث الثاني ويستنتجون نتيجة في البحث الأول ، فلا بد من التمييز بين الأبحاث الثلاثة لكي يشكلوا في بحث ويستنتجوا نتيجة في نفس البحث لا في بحث آخر .

إذن :

لا يقبل إثبات وجود شيء ولا نفي وجود شيء إلا بالدليل ، فلا يقبل إثبات وجود الإله أو نفي وجود الإله إلا بالدليل ، فمن يؤمن بوجود الإله يُسْأَلُ عن دليله ، ومن ينفي وجود الإله يُطَالَبُ بالدليل ، فالمؤمن يسأل الملحد : ما هو دليلك على نفي وجود الإله ؟ ، ويرد على أدلة الملحد ، والملحد يسأل المؤمن : ما هو دليلك على وجود الإله ؟ ، ويرد على أدلة المؤمن .

ومن يقول أنا اعتقادي هذا ولا يوجد عندي دليل فمثل هذا الشخص لا يفتح باب النقاش معه لأن أقواله واعتقاداته وقناعاته ليست مبنية على الأدلة ، وأهم شيء هو الدليل ، فليس نفس القول يناقش ، وإنما دليل القول ، والعلماء يبحثون عن الأدلة ويناقشونها

لكي يبيّنوا صحتها أو خطأها ، وأي قول أو فكرة من أي شخص إذا كان بلا دليل فهذا الشخص لا يناقش لأن أقواله وأفكاره مزاجية استحسانية .

من كتب ريتشارد دوكنز : وهم الإله ، صانع الساعات الأعمى ، الجينة الأنانية ، العلم ووجود الإله .

سؤال : هل العلوم الطبيعية تثبت وجود الإله أو تنفي وجود الإله أو هي حيادية لا تثبت ولا تنفي وإنما تثبت الحقائق العلمية الطبيعية ؟

العلم ووجود الإله – هل قَتَلَ العلمُ الإيمانَ بوجود الإله؟ – جون لينوكس ص ٢٥ : "عندما يقول لك أي شخص عن شيء ما إنه حق أقترح أن تقول له : ما الدليل على ذلك؟ ، وإن عجز عن تقديم إجابة شافية ، فأرجو أن تفكر مليّا قبل أن تصدّق كلمة واحدة مما يقول" . ريتشارد دوكنز زميل الجمعية الملكية . انتهى

كتاب آخر للينوكس : أقوى براهين د. جون لينوكس في تفنيد مغالطات منكري الدين .

تعليق :

هل دوكنز التزم بمقولته أو لا ؟ هل عنده دليل على عدم وجود الإله ؟ فإذا لا يوجد عنده دليل على عدم وجود الإله فلا تصدق كلمة مما يقول ، كما هي مقولته .

في كتابه **"حوارات مع سيدني" يقول ريتشارد دوكنز في ص ٢٦ تحت عنوان "الإلحاد واللاأدريّة"** : سيد من الجمهور : سؤالي إلى ريتشارد دوكنز في مقابلات سابقة لك سبق أن قلت إنك غير قادر على أن تثبت عدم وجود الله ، وإنك تعدّ نفسك "لاأدريّا" أكثر مما تعدّ نفسك ملحدا ، فلماذا تظهر نفسك وكأنك بطل حركة الإلحاد حول العالم ؟ ولماذا توافق على الظهور في عروض تلفزيونية تَظْهَرُ فيها وكأنك مجالِد بروتستانتي من أجل قضيتك التي هي الإلحاد ؟ أليس هذا مُلْمِحًا فيه اللاعلميّة والنفاق الشيء الكثير ؟

د. ريتشارد دوكنز : . . . لكنكم لن تجدوا أيّ عالم من أيّ اتّجاه عقلي يمكن له أن يبرهن لكم على عدم وجود أي شيء ، ليس باستطاعتي أن أثبت لكم عدم وجود إله . انتهى

إذن :

دوكنز يقول بأنه لا يمكن إقامة الدليل على عدم وجود الإله ، فالعلم لا يمكن أن يقيم دليلا على نفي وجود الإله .

وهم الإله يقول ريتشارد دوكنز ص ٥٢ : . . . لست متأكدا من عدم وجود الله ، ولكن اعتقادي بأن الاحتمال ضعيف جدا ، وأعيش حياتي بفرض أنه غير موجود . انتهى

سؤال : كم احتمال عدم وجود الإله عند دوكنز؟

في كتاب أقوى براهين د. جون لينوكس في تفنيد مغالطات منكري الدين ص ٢٧ في الهامش : قد لا يعرف أكثر الذين يتبعون ريتشارد

دوكنز أن الرجل نفسه لا يملك نفيا قاطعا لوجود الخالق . . . عام ٢٠٠٨ عندما طلب منه شتاين أن يضع نسبة احتمالية لعدم وجود الله فقال أنه غير مرتاح لوضع نسبة ، ثم قال أنها ٩٩% (لاحظوا أنه ترك ١% ، وهذا يعني أنه على غير يقين) ، ثم لما سأله شتاين مرة أخرى كيف تحدّد هذه النسبة مثلا وليس ٩٧% ، فعاد دوكنز محاولا التستر بأنها احتمالية ضعيفة جدا إلى القول بأنها تتخطى ٥٠% بكثير . انتهى

تعليق :

احتمال عدم وجود الإله عند دوكنز تتخطى ٥٠% ، ويتبين أن دوكنز لاأدري وليس ملحدا ، ومعنى ذلك أن احتمال وجود الإله يكون أقل من ٥٠% ، وهذا معناه أن احتمال وجود الإله ليس ضعيفا ، فهو احتمال لا بد أن يؤخذ بعين الاعتبار ، فإذا احتملنا وجود الإله فيوجد احتمال وجود الجنة والنار ، فكيف يمكن للإنسان أن لا يعيش القلق بسبب هذا الاحتمال .

النتيجة :

لا يمكن إقامة أي دليل على عدم وجود الإله ، ولكن يمكن إقامة الأدلة على وجود الإله ، وكل من النافي لوجود الإله والمثبت لوجود الإله والشاك في وجود الإله لا بد أن يقيم الأدلة على النفي أو على الإثبات أو على الشك ، بالإضافة إلى تفنيد كل طرف لأدلة الأطراف الأخرى ، فكل طرف يعرض أدلته ويفند أدلة الأطراف

الأخرى ، بل كل قول ومعتقد ومتبنى وقناعة يحتاج إلى إثباتها بالدليل ، وإذا لم يوجد دليل على إثباتها فهذا القول والمعتقد والمتبنى والقناعة لا قيمة لها .

"قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين" .

البحث الثاني : في الوجود :

لا بد من التمييز بين الإلحاد النظري والإلحاد العملي .

الإلحاد العملي والإلحاد النظري :

يقول الملحد العملي بأنه لا علاقة له لا بالإله ولا بالدين ولا بالآخرة ، فيعيش حياته كأن الإله والدين والآخرة لا وجود لها ، فلا يهتم بوجود هذه الأمور أو عدم وجودها .

الموسوعة الفلسفية العربية ، رئيس التحرير : دكتور معن زيادة ، ج٢ ص١٦٨ : الإلحاد العملي هو موقف كل من يتصرّف في هذه الحياة وكأن الله غير موجود ، وأما الإلحاد النظري فهو مذهب كل من يسلب عن الله صفة الوجود أو لا يُقِرُّ له بها ، وغالبا ما يوصف الإلحاد العملي الخالص ، كذلك شأن الإلحاد النظري إذا ما اقترن بسلوك عملي ، وهنا نكون أقرب إلى المجون أو الزندقة ، ولكن هذا لا يعني أن كل إلحاد هو بالضرورة موقف أو مذهب لا أخلاقي ، فَكُثُرٌ هم فلاسفة الإلحاد الذين تطلّعوا إلى الاستعاضة عن الأخلاق الدينية بأخلاق مدنية أو علمانية ، أي بمذاهب تبغي بناء سلالم

جديدة للقيم ، وليس التحلل من كل قيمة ، والواقع أن اللاأخلاقية ليست صفة الإلحاد المباطِنة له بقدر ما هي تهمته المقترِنة . انتهى

الموسوعة الفلسفية العربية ج١ ص٨٧ : مقالة كتبها حسن حنفي يقول : والملحد هو الشخص الذي لا يؤمن بالآلهة المعترف بها في بلدته ولا يخضع لطقوس عبادتها ، وهذا هو المعنى الديني ، فالإلحاد يساوي الكفر ، وكذلك يقصد به من لا يؤمن بوجود الله ، ويسمى ملحدا نظريا ، أو الذي يحيا ويتصرف كما لو لم يكن الله موجودا ، فهو ملحد من الناحية العملية . . . وهذا الملحد العملي يطلق عليه لفظ فاسق . انتهى

ودوكنز في كتابه **حوارات مع سيدني ص ١٠٧– ١٠٨** تحت عنوان "دوكنز على قناة الجزيرة" أجرى المقابلة معه مهدي حسن :

سأله مهدي حسن : قبل أن أخوض في أي شيء أريد أن أتأكد من صفة ما ، هل تسمي نفسك ملحدا (لادينيّا) ؟

يجيب دوكنز : لأسباب عملية أجيبك بـ "نعم" أنا ملحد ، لا أحد في الواقع يستطيع أن يؤكد ويقول بأنه متأكد تماما من أن شيئا غير موجود ، لكني ملحد بنفس الطريقة التي أؤمن بها بأنه لا وجود للكائنات الفضائية أو الشخصيات الخيالية التي تقصّها علينا الخرافات الدينية .

مهدي حسن : إذن أنت لست متأكدا بنسبة ١٠٠% من عدم وجود إله ، لكنك عمليا متأكد بما يكفي لاطمئنانك .

دوكنز : . . . لا يستطيع أحد أن ينفي وجود الإله .

سؤال : ما هو الموقف من الملحد العملي ؟

الجواب :

الملحد العملي لا ندخل معه في نقاش نظري عن الإله لأن البحث لا يهمه ، وبعض الذين اسمهم "مسلمون" يعيشون كما يعيش الملحد العملي ، فاعتقاده بالله لا يؤثر على حياته بشيء ، فاعتقاده نظري ذهني فقط ، وليس لاعتقاده أي آثار عملية ، وفي الواقع هو اعتقاداته اعتقادات أخرى غير التي يصرّح بها ، ودوكنز ملحد عملي ، فلا يستحق أن ندخل معه في نقاش نظري عن وجود الإله ، وهو قال : " ليس باستطاعتي أن أثبت لكم عدم وجود إله" .

ملاحظة :

ليس جميع الملحدين من الفاسدين أخلاقيا ، فيوجد في الملحدين من يلتزم بالأخلاقيات الإنسانية والقيم والمبادئ الأخلاقية العامة ، فلا يكذب ولا يسرق ولا يختلس ولا يظلم ، وهو يدعو الناس إلى الالتزام بالأخلاق ، ويكون صادقا في أقواله ، ويساعد جاره ، ويتبرع بكثير من أمواله لمساعدة الفقراء والمحتاجين ، بل قد يتبرع أكثر من المسلمين .

والقرآن يقول عن النبي ص : "وإنك لعلى خلق عظيم" .

وأتباع النبي ص لا بد أن يكونوا على خلق عظيم ، ولا يتفوق عليهم غيرهم .

وروي عن النبي ص : إني بعثت لأتمم مكارم الأخلاق .
أو : إني بعثت بمكارم الأخلاق .

وهم الإله – دوكنز – ص ٢١٠ تحت عنوان "منشأ الأخلاق : لماذا نحن صالحون؟" : ينقل عبارة عن ألبرت إينشتاين (هامش : إينشتاين إنسان مؤمن) : غريب هو وضعنا على كوكب الأرض ، كل منا يأتي في زيارة قصيرة ، لا يعرف لماذا ، ولكن نشعر في بعض الأحيان بأن هناك غاية ، من الحياة اليومية نعرف بأن هناك شيء مؤكد ، وهو أن الإنسان هنا من أجل الإنسان الآخر ، وقبل كل شيء لأجل هؤلاء الذين سعادتنا تتوقف على سعادتهم وابتساماتهم . انتهى

ملحدون محدثون ومعاصرون – رمسيس عوض – ص ٦٧ : فليس من الضروري أن نؤمن بالله كي نؤمن بالدين ، ويدلل على ذلك بالبوذية في أنقى صورها ، فالبوذية لا تؤمن بوجود إله أو كائن أسمى ، الأمر الذي جعل الفيلسوف الفرنسي رينان يصف البوذية بأنها كثلكة بدون الإيمان بوجود الله ، مضيفا أن هذا الدين الملحد يتحلى بأسمى الأخلاق وأرفع أعمال الصلاح ، يقول هكسلي إن كثيرا من دارسي الأديان البدائية يرون أنه من الممكن إستثارة المشاعر الدينية دون الإيمان بوجود الله كما يحدث في حالة رؤية الإنسان للموت ، ومن ثم فإنه يعرّف الدين بأنه قائم على تبجيل الإنسان بعض الأشياء

وإضفاء القداسة عليها ، وتتصل هذه الأشياء بالمصير البشري كما أنها تتصل بالقوى التي يرتبط بها هذا المصير . انتهى

"وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا" [1] .

فالإنسان يمكنه التمييز بين الفجور والتقوى بفطرته وعقله سواء اعتقد بوجود إله خالق أو آخرة أم لم يعتقد ، نعم مع الإيمان بالإله الخالق والنبوة والآخرة والدين ، فتمييزه يصير أقوى وأفضل ، ويلتزم بالأخلاق الإنسانية والمبادئ الدينية أكثر ، لذلك يدعو البعض إلى "المذهب الإنساني" الذي يقول بأنه لا علاقة لنا بالإله والدين ، ولكن لا بد أن يعيش الإنسان في الدنيا على أساس إنسانيته ، فيحترم الإنسان الآخر .

سؤال : من هو الملحد النظري ؟

الجواب :

إذا كان شخص يؤمن بالإله الخالق ولكنه لا يؤمن بالنبوة فهل هو مؤمن أو ملحد ؟ ومن لا يؤمن بالأديان هل هو مؤمن أو ملحد؟

نقول بأنه لا بد أن نبيّن ما هو متعلَّق الإيمان وما هو متعلَّق الكفر وما هو متعلَّق الإلحاد لكي نقول هذا مؤمن أو كافر أو ملحد ، مؤمن بأي شيء ، وكافر بأي شيء ، وملحد بأي شيء ، فإذا قال هذا شخص مؤمن ، فنسأله مؤمن بماذا؟ وإذا قال ذاك شخص كافر أو ملحد ، فنسأله كافر بماذا وملحد بماذا؟

---

[1] الشّمس : ٧ – ٨ .

لا بد أن نبيّن متعلق الإيمان ومتعلق الكفر ومتعلق الإلحاد ، ولا يمكن أن نقول هذا مؤمن مطلقا أو كافر مطلقا أو ملحد مطلقا ، فالإيمان أو الكفر أو الإلحاد يكون مقيدا دائما ، فلا بد أن نذكر التقييد دائما مع الإيمان والكفر والإلحاد ، فنقول هو مؤمن بالإله أو مؤمن بالنبوة أو مؤمن بالمعاد ، ومن الممكن أن يكون مؤمنا بالإله الخالق ولكنه كافر بالنبوة أو كافر بالمعاد ، فذكر متعلق الإيمان والكفر أمر مهم جدا ؛ لأن الإيمان والكفر لا يكونان مطلق بدون تقييد ، وقد يكون كافرا بالله ، ولكنه مؤمن بالإله الخالق ، فيقول بأن الإله الخالق ليس هو الله الموجود عند المسلمين ، ولا يمكن أن نقول بأن من لا يعتقد بالله الموجود عند المسلمين فهو ملحد ؛ لأنه بناء على هذا التعريف يكون اليهود والمسيحيون وجميع الناس في العالم كفارا ملحدين ، ومن يعتقد بوجود الإله الخالق يكون كافرا ملحدا ، وكذلك اليهودي يقول عن المسلمين والمسيحيين بأنهم كفارا ملحدين ، وكذلك المسيحي يقول عن اليهود والمسلمين بأنهم كفارا ملحدين .

وكذلك بالنسبة للمسلمين أنفسهم ، الله في تصور كل فرقة من فرق المسلمين تصور مختلف عن تصور الفرق الأخرى ، فإذا كل فرقة تقول بأن الله هو تصورى فقط ، فمعنى ذلك أن كل فرقة من المسلمين تكفر الفرقة الأخرى ، ونأتي ضمن الفرقة الواحدة نرى بأت التصورات عن الله مختلفة أيضا ، فالأقسام ضمن الفرقة الواحدة ستكفر بعضها البعض .

إن النظرة الصحيحة للمسلمين هي أن نقول بأن المسلمين أمة واحدة ، وأنه ضمن الأمة الواحدة توجد عدة تصورات عن الإسلام وعن الله وعن التوحيد والنبوة والإمامة والمعاد وباقي الأمور الدينية ، ولا بد للمسلمين من أن يقبلوا تعدد القرءات وتعدد الأفهام عن الإسلام ، فالنصوص الدينية فيها تعدد قراءات وتعدد أفهام ، وكل فرقة تناقش الفرقة الأخرى في قراءاتها وأفهامها للنص الديني ، وكذلك داخل الفرقة الواحدة تتم نقاش الأفكار عن النص الديني .

في مواضيعنا حينما نقول مؤمن أي أنه مؤمن بأصل وجود الإله الخالق للكون ، لا إله المسلمين ولا إله المسيحيين ولا إله اليهود ولا إله أي دين آخر ، نعم سنأتي إلى إثبات أصل وجود الله أي إله المسلمين ، مع ذكر الصفات المتفق عليها بين المسلمين ، وتوجد اختلافات في تصور "الله" سبحانه بين المسلمين ، فرقة تذهب إلى أنه جسم ، وفرقة أخرى تذهب إلى أنه ليس بجسم ، فرقة تذهب إلى أنه جالس فوق عرش مادي ، وفرقة أخرى تقول بأن العرش أمر غير مادي ، وهكذا توجد اختلافات بين المسلمين أنفسهم في تصوراتهم عن الله سبحانه ، وتقريبا لا توجد مسألة لا يوجد فيها اختلاف بين المسلمين سواء في الفقه العقائدي أم في الفقه الأخلاقي أم في الفقه العملي .

فيأتي السؤال التالي :

هل لهذا الكون إله خالق أو قوة وراء الكون أو لا ؟

من يقول نعم فهو مؤمن بالإله الخالق ، ومن يقول لا فهو ملحد كافر بالإله الخالق ، ولنقل غير مؤمن بالإله الخالق ، وهنا الكلام عن أصل وجود الإله الخالق ، وليس عن صفاته ، فالملحد النظري هو من ينكر وجود الإله الخالق أو قوة وراء الطبيعة أو مبدأ الوجود ، وعنده الدليل على عدم وجود الإله ، ولا يوجد عندهم دليل على عدم وجود الإله ، ففي الواقع لا يوجد ملحد نظري وإن كانوا يدّعون ذلك ، وجميع الملحدين هم في الواقع ملحدون عمليّون ، نعم هم ينكرون الآلهة التي يقول بها الأديان .

يقول دوكنز في كتابه **حوارات مع سيدني ص ١٠٧** :

مهدي حسن : أنت تقول في كتابك "وهم الإله" ، وهذا مقطعي المفضَّل منه : إن الإله المذكور في العهد القديم إلهٌ مُتَنَمِّرٌ ، مثير للشّفقة ، غير عادل بشكل استثنائي ، غير متسامح ، محبّ للسّلطة ، غير متسامح مع المثليّين ، وهو عنصري ، وائد للبنات ، مصاب بجنون العظمة ، فيه ما يكفي من الصفات المازوخيّة ، وهو مزاجيّ متقلِّب ، يرتكب القتل الجماعي ببساطة ، هذا الوصف لقطعة بلاغية يبدو رائعا ، لكن هل أنت بالفعل تؤمن بذلك ؟

إذن :

مشكلة دوكنز مع إله بهذه الصفات ، أي المصداق المذكور للإله في التوراة ، وليست مشكلته

مع مبدأ الوجود والقوة الأزلية وراء الطبيعة ، فمشكلته مع مصداق الإله الذي يعرضه المؤمنون بالإله حيث يصورون الإله بأنه شديد العقاب ، وأنه ينتقم من الناس يوم القيامة ، وأنه يعذبهم أشد العذاب ، ولو بينا أن الإله شديد الرحمة ، وأنه رحيم بالناس في الدنيا والآخرة ، وأنه يتعامل معهم على أساس الحب كما تتعامل الأم مع أبنائها حيث يمكن أن تشد عليهم أحيانا لمصلحتهم ، ولكنها لا تعذبهم عذابا شديدا أو تنتقم منهم انتقاما لا مثيل له ، نعم عذاب الله لقلة من الناس الذين طغوا في الدنيا وكانوا يقتلون الناس بلا ذنب ، فمثل الذي رمى القنبلة الذرية على هيروشيما وناجازاكي ألا يستحق العذاب الشديد ؟!! ومن قتل ملايين الناس الأبرياء في الحرب العالمية الأولى والثانية ألا يستحق الخلود في نار جهنم؟!! ، مثل هؤلاء يكونون خالدين في نار جهنم ، وهم قلة ، وأما أكثر الناس فيدخلون إلى الجنة ؛ لأن الأصل هو رحمة الله تعالى ، وأما غضب الله فهو استثناء .

وبعد السؤال عن أصل وجود الإله يأتي السؤال عن مصداق الإله : ومن هو هذا الإله الخالق ؟

ويكون الحديث عن مصداق الإله الخالق ، وأتباع كل دين يطرحون تصورهم عن الإله الخالق وما هو مصداق الإله ، وقد تتعدد التصورات عن الإله في الدين الواحد والمدرسة الواحدة والمذهب الواحد .

وفي بحث النبوة نسأل :

هل يوجد أنبياء أو لا؟

من يقول نعم فهو مؤمن بالنبوة ، ومن يقول لا فهو ملحد كافر بالنبوة ، أو لنقل هو لا يؤمن بالنبوة ، وغير المؤمن بالنبوة قد يكون مؤمنا بالإله وقد لا يكون .

وفي بحث الإمامة نسأل :

هل يوجد أئمة معصومون بعد النبي ص أو لا ؟

من يقول نعم فهو مؤمن بالإمامة ، ومن يقول لا فهو ملحد كافر بالإمامة ، أو لنقل لا يؤمن بالإمامة ، ومن لا يؤمن بالإمامة قد يكون مؤمنا بالإله والنبوة ، وقد يكون مؤمنا بالإله دون النبوة ، وقد لا يكون مؤمنا بالإله ولا بالنبوة .

@@تطور النوع الواحد :

نرى أن جسد الفرد يتطور من نطفة إلى علقة إلى أن يكون إنسانا كاملا ، فياتي السؤال التالي :

هل يمكن أن يوجد تطور في النوع الواحد؟

الجواب :

نعم يمكن أن يقع تطور في النوع الواحد ، مثلا ذهن النوع الإنساني في زمن يكون بمستوى معين ، وفي زمن آخر يكون بمستوى أعلى ، فلو رجعنا خمسة آلاف سنة إلى الإنسان البدائي نرى بأنه يختلف عن

الإنسان الموجود في زماننا الحالي من حيث وعيه وفهمه وفكره وتصوراته ، وكذلك قد يتغير شكل الإنسان ، مثلا قد يكون رأسه أكبر أو أصغر ، أو تكون قامته أطول أو أقصر ، ولكن الإنسان يظل إنسانا ولا يتحول إلى نوع آخر من الكائنات ، وهكذا بقية الحيوانات قد تتغير إلى شكل آخر قريب من الشكل الأول ، ولكنه يظل نفس نوع الحيوان ، ولا يتحول إلى نوع آخر من الحيوانات .

أقسام التطور :

التطور على عدة أقسام :

١-التطور البيولوجي :

هو التطور المرتبط بالأحياء والأنواع الحيوانية ، وهو نظرية دارون .

٢-التطور الاجتماعي :

هو التطور المرتبط بالقضايا الاجتماعية ، فأخذ نظرية التطور في الأحياء ووسّع دائرة التطور لتشمل القضايا الاجتماعية ، فجعل التطور مفهوما كليا ، وجعل لها مصاديق متعددة ، من باب وحدة المفهوم وتعدد المصداق ، فالمجتمعات تتطور ، ويوجد تطور نوعي في المجتمعات الإنسانية ، فيوجد تطبيق لنظرية التطور في علم الاجتماع .

الموسوعة العربية العالمية المجلد العاشر ص٢٢٨ : الدارونية الاجتماعية : اعتقاد يقوم على أن الأفراد داخل المجتمع يتنافسون من أجل البقاء ، وأن المتفوقين من الأفراد والمجموعات والسلالات يصبحون ذوي

نفوذ وثراء ، وتطبق الدارونية الاجتماعية نظريات تشارلز دارون في النشوء على تطور المجتمع . انتهى

الموسوعة العربية العالمية المجلد العاشر ص٢٢٧ : بعض الكتّاب استغلوا تلك النظرية لدعم آرائهم الخاصة حول المجتمع ، فقد قارن الألماني كارل ماركس الكفاح من أجل البقاء بين الكائنات العضوية مع الكفاح من أجل السيطرة السياسية بين الطبقات الاجتماعية ، واعتمد كتّاب وباحثون آخرون على فكرة الانتخاب الطبيعي . . . . انتهى

٣–التطور الفكري :

هو التطور المرتبط بالفكر ، فأولا يكون عندنا تطور كمي أي في كمية المعلومات ، ويترتب عليه تطور كيفي ، وينشأ نوع جديد من الفكر يختلف عن النوع السابق ، فيوجد تعدد أنواع في الفكر ، وتنشأ طفرة فكرية .

ملحدون محدَثون ومعاصرون ، دكتور رمسيس عوض ، ص١١٩ : والإنسان هو أعلى نوع سائد ثم إنتاجه فيما يزيد على مليارين ونصف من الأعوام ، قضاها في تحسّن بيولوجي بطيء كانت ثمرة عمليات الانتخاب الطبيعي العمياء والقائمة على المصادفة . انتهى

ملحدون محدَثون ومعاصرون ، دكتور رمسيس عوض ، ص١١٧ :

هذه الخطوات استغرقت ما يربو على نصف مليون عام ، ولم يتمكن الإنسان من البدء في استحقاق لقب النوع السائد إلا منذ مائة ألف

عام ، ولم تكتب له السيادة التامة إلا مذ يقرب عشرة آلاف عام ، وبعد ظهور الإنسان في كامل صورته كإنسان استمر التطور في الحدوث ، ولكن مع فرق هام ، فتطور الإنسان لم يعد بيولوجيا ، بل أصبح اجتماعيا ونفسيا ، ويجري هذا التطور وفق جهاز التقاليد الثقافية والأفكار والمعتقدات والأيديولوجيا ، فلم يعد التطور فسيولوجيا بيولوجيا . انتهى

٤–التطور العلمي :

هو التطور المرتبط بالعلوم الطبيعية .

٥–التطور العمراني :

هو التطور المرتبط بعمران المدن والبنى التحتية للمدن .

@نعمة الله في الحياة الاجتماعية للإنسان :

إن الإنسان موجود اجتماعي بسبب الفطرة أو الحاجة ، فبسبب فطرته حيث يشعر بحاجة إلى الاجتماع بالآخرين ، أو بسبب حاجته إلى الآخرين في قضاء حاجاته المختلفة المتباينة حيث لا يمكن للفرد أن يقضي بنفسه جميع ما يحتاج من الحاجات الروحية والجسدية ، فالإنسان يتكامل معنويا وماديا من خلال الحياة الاجتماعية ، فيتطور في العلوم والمعارف والحضارات والصناعات والآداب والتقاليد ، والحياة الاجتماعية للإنسان من الآيات الدالة على الله تعالى .

١-"ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون" الروم٢١

لفظ "الزوج" في الأصل يطلق على المذكر والمؤنث ، ويطلق أيضا على كل شيئين متناظرين سواء كانا متشابهين أم متضادين ، والمتشابهان كزوج الجوارب ، والمتضادان كالليل والنهار أو الخير والشر ، فيطلق على ما يكون له مثيل أو يكون له مضاد ، ويطلق أيضا على الأرقام التي تقبل القسمة على اثنين ، ويطلق على خصوص البشر إذا أبرم عقد الزواج بينهما ، فالرجل زوج ، والمرأة زوج ، فالزوج هو كل فرد من الزوجين ، ويقال لهما معا زوجان .

"تسكنوا" مشتقة من السُّكون ، وتعني في الأصل ثبات الشيء بعد الحركة ، والسَّكِينَة معناها الاطمئنان ، أو مشتقة من السَّكَن ، والمِسْكَن هو مكان سَكَنِ الإنسان واستقراره .

إن الروح الاجتماعية للبشر من أعظم المواهب الإلهية ، وفي سورة الروم تم تعداد الآيات الإلهية في سبع آيات من آية ٢٠ إلى ٢٥ ، والآية ٧ ، والآية ٤٦ ، وتبتدئ كل منها بتعبير "ومن آياته" ، وقد أشارت الآية السابقة إلى اللبنة الأولى في بناء المجتمع البشري ، وهي الأسرة والعلاقة التي تسودها ، ولم تذكر الآية الكريمة أن الهدف من الحياة الزوجية هو بقاء النسل ، بل ذكرت السكينة أي الاطمئنان الذي يحصل عليه الزوجان من خلال الحياة الزوجية ، أو السّكن الذي يسكن إليه الإنسان ، والاطمئنان والسكون لا يقتصر على

الجانب الجسدي بل إن جانبه الروحي أهم وأقوى ، فمن لا يتزوج تحصل له اضطرابات نفسية ، ويفقد التوازن الروحي ، وقد تصيبه بعض الأمراض .

وبعد ذلك تقول الآية الكريمة "وجعل بينكم مودة ورحمة" ، والمودة والرحمة هما الركن الأساس للارتباط بين جميع الناس ، والمودة هي المحبة ، والرحمة هي حالة الليونة التي تحصل في قلب الإنسان فتجعله يميل إلى الإحسان تجاه من يستحق الرحمة ، هذا في الإنسان ، وأما رحمة الله تعالى فتعني الإنعام والعطاء والإحسان ، والمودة والرحمة تربطان بين الأشخاص البعيدين عن بعضهما البعض ، وأساس الحياة الزوجية هو المودة والرحمة بين الزوجين ، فتنشأ العلاقة القوية بينهما ، وكل منهما يكون حريصا على راحة الآخر ومصلحته وسعادته .

والفرق بين المودة والرحمة هو أن المودة تقال لشيء له مقابل ، فتكون المودة متبادلة من الجانبين ، فيسعى كل من الزوجين إلى خدمة الآخر مقابل خدمة الآخر له ، وأما الرحمة فتقال لشيء لا مقابل له ، فتكون من جانب واحد ، وفيها معنى التضحية ، كعلاقة الأم مع ولدها ، لذلك في الحياة الزوجية وكذلك في الحياة الاجتماعية بشكل عام يوجد نوعان من العلاقات المعنوية حث عليهما القرآن الكريم ، وتعيش الأسرة والمجتمع الاطمئنان والراحة إذا أخذت بهذين النوعين من العلاقات ، وهما :

العلاقة الأولى : الخدمات المتبادلة :

كل فرد يقدّم خدمة للآخر مقابل خدمة الآخر له انطلاقا من المودة .

العلاقة الثانية : الخدمات المجانية :

يوجد في الأسرة أو في المجتمع أطفال وضعفاء وعجزة ، وهم لا يستطيعون تقديم خدمات للآخرين ، فيقدّم الآخرون لهم الخدمات المجانية انطلاقا من الرحمة .

وفي نهاية الآية الكريمة يقول تعالى : "إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون" ، وفي أول الآية قال تعالى : "ومن آياته" ، والأسرة أول وحدة اجتماعية ، وتوجد فيها المودة والرحمة ، ثم ننتقل إلى الوحدات الاجتماعية الأكبر من العائلة والأقارب والطائفة والعشيرة والمجتمع المحلي ثم المجتمع العالمي ، ونرى في كل وحدة اجتماعية آية من آيات الله عز وجل ، فالله جعل المودة والرحمة بين المرأة والرجل وبين الأب والأم وأبنائهما وبين أفراد العشيرة ، والمفروض أن تكون المودة والرحمة موجودة بين أفراد المجتمع العالمي لأنهم إخوة في الإنسانية ، فالإنسان أخو الإنسان لأنهما من أب واحد وأم واحدة ، فينتهي نسبهما إلى آدم وحواء ، وقد جعل الله التوازن بين جنس المرأة وجنس الرجل في المجتمع ، فلكل منهما مهام معينة لا يمكن لأحدهما القيام بمهام الآخر ، مثلا الزوجة تحمل وتلد وتتحمل حضانة الأولاد ، والرجل ليست له هذه المهام ولا يمكنه تحملها ، ومهمة الزوج السعي على رزق عائلته ، وهذه المهمة ليست موكلة للمرأة إلا في حال الاضطرار ، وكل منهما

يكمّل الآخر ، ومن مهامهما معا ينتج عندنا مجتمع إنساني متكامل من جميع الجوانب ، ولا توجد أفضلية لأحدهما على الآخر ، لذلك يقول القرآن الكريم : "ولا تنسوا الفضل بينكم" .

٢-"هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها" الأعراف١٨٩

خلقكم الله من نفس واحدة أي من نوع واحد ، فتوجد وحدة نوعية بين الرجل والمرأة ، ولا توجد أفضلية بينهما من حيث النوع الإنساني ، فزوجة آدم مخلوقة من النوع المخلوق منه آدم لا من نوع آخر ، لذلك تحدث بينهما الجاذبية ، ولو كانا من نوعين مختلفين لما انجذب كل منهما إلى الآخر ، ويأتي هنا أيضا موضوع سكن كل من الزوجين إلى الآخر ، والسكينة والاطمئنان والاستقرار بينهما .

٣-"يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم" الحجرات١٣

الخطاب موجّه إلى جميع الناس في مختلف الأماكن والأزمان ، وهذه من الخطابات العالمية ، فالقرآن الكريم ليس مختصا بزمان النزول ، وإنما يمتد إلى يوم القيامة ، فيتحرك مع الإنسان كحركة الشمس والقمر ، ويجري معه كجريان الليل والنهار ، والآية هنا تريد أن تبيّن أنه لا يوجد أي تمايز بين الناس لأنهم يرجعون إلى أصل واحد ، فأبوهم آدم وأمهم حواء ، ثم ذكرت الآية سبب تصنيف الناس إلى شعوب وقبائل ، والشعوب والقبائل تتمايز بعاداتها وتقاليدها الخاصة ، وسبب

التصنيف هو التعارف بين الشعوب والقبائل ، وأول شروط الحياة الاجتماعية هو تعارف الأفراد ، وانتساب الفرد إلى شعب معين أو قبيلة معينة ليس سببا لأن يكون أفضل من غيره ، بل إن التفاضل والكرامة بين الأفراد يكونان على أساس التقوى ، فمن يكون أتقى يكون أفضل وأكرم عند الله ، وهذا هو مقياس التفاضل والكرامة بين الأفراد في المجتمع ، فالأتقى هو الأفضل والأكرم ، ولكن أين نحن اليوم من هذا المقياس الإلهي العالمي ؟! ، فالمقياس اليوم هو الوجاهة والمال والسلطة ، فمن يكون أكثر وجاهة ومالا وسلطة يكون هو الأفضل والأكرم ، وبناء على ذلك فالتقوى ليست مسألة أخلاقية فقط ، بل هي مسألة اجتماعية لا تستقيم الحياة الاجتماعية إلا بها ، وتأتي التقوى في جميع المجالات ، فنحتاج إلى التقوى السياسية ، والتقوى الاقتصادية ، والتقوى الاجتماعية ، والتقوى الفكرية ، والتقوى اللسانية .

٤-"هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إن الله عزيز حكيم" الأنفال٦٢-٦٣

"أَلَّفَ" مشتقة من إِلْف ، وتعني الاجتماع المقترن بالانسجام والوئام ، وتأليف القلوب معناه إيجاد الإلفة وأواصر الصلة بينها ، ويعتبر تأليف القلوب من الأدلة المهمة على انتصار رسول الإسلام ص ، وتأليف القلوب من الحلول المهمة للمشاكل الاجتماعية ، وإذا لم تأتلف

قلوب أفراد المجتمع فإن ذلك سبب لاضطراب الحياة الاجتماعية ونشوء المشاكل بين أفراد المجتمع ، وأعداء الدين يستغلون هذا الأمر لإشعال الفتن الطائفية بين الأفراد والجماعات في المجتمعات الإسلامية ، وتأليف القلوب لا يتحقق بالطرق المادية ، فلو أنفقنا كل الأموال الموجودة في العالم فإن ذلك لا يؤدي إلى تأليف القلوب ، ولا يتم تحقيق ذلك إلا من خلال الإيمان بالله والأساليب المعنوية والقيم الإنسانية ، وأما الأمور المادية فإنها مصدر للنزاعات والصراعات بين الأفراد وبين الأمم والدول ، والوحدة التي تنشأ من خلال الأمور المادية تكون وحدة مؤقتة ، وتزول بعد مدة من الزمن ، والوحدة الراسخة الدائمة تتحقق في ظل الإيمان بالله والتقوى والقيم الروحية فقط ، وفي بداية الآية نرى قوله تعالى "هو الذي" ، فالله أيّد الرسول ص بالنصر وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم ، وهذه الأمور آيات لله تعالى ، هذا التآلف الروحي يسمو على روابط النسب والحسب والقرابة ، وتظهر آثار هذا التآلف الروحي المعنوي في جميع جوانب الحياة الفردية والحياة الاجتماعية .

@عبادة الإنسان للإله الخالق للكون :

البعض ينكر وجود الخالق لاعتقادهم بأنه وهم من الأوهام ، أو أسطورة من الأساطير ، أو قوة سحرية تفسّر بها مقتضَيات الطبيعة ، أو يخدم الاستعمار والإقطاع وأرباب الجاه والمال ، وأن الدين من

صنع الإنسان ، وأن الإله من وهم الخيال ، فأنكر وجود الإله الخالق ، ولكن بعد أن عرفنا أنه يوجد إله واحد خالق للكون فعلى الإنسان أن يعترف بربوبيّة هذا الإله ويتّجه إلى عبادته وطاعته فيما يأمر وينهى لأن للإله الخالق حق الطاعة على عباده ، ولا تجوز عبادة أحد سواه ولا الشرك بعبادته ، والعقل الفطري يقول بوجوب حق الطاعة للإله لأنه المنعم الحقيقي الذي تأتي منه نعمة وجود الإنسان والنعم الأخرى التي لا تحصى ، والعقل الفطري يقول بوجوب شكر المنعم ، بالإضافة إلى ذلك فهو المالك الحقيقي لكل عالم الوجود الذي هو وجود تبعي للوجود المستقل ، والوجود المستقل لا يوجد إلا للخالق ، ويجب على المملوك طاعة المالك ، هذا هو الإله الذي ندعو إلى عبادته ، فهو إله الخير والحق والجمال والفضيلة ، لا إله الأساطير والخرافات .

"إياك نعبد وإياك نستعين" الفاتحة٥

"ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت" النحل٣٦

"وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدني" الأنبياء٢٥

"لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم" الأعراف٥٩

"وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون" الأعراف٦٥

"وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بيّنة من ربّكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم" الأعراف٧٣

"وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بيّنة من ربّكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلك خير لكم إن كنتم مؤمنين" الأعراف٨٥

وكون الخالق هو المنعم الحقيقي تبيّنه الآية التالية :

"ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السماوات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير" لقمان٢٠

وكون الخالق هو المالك الحقيقي تبيّنه الآية التالية :

"إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين" الأعراف٥٤

"قل أغير الله أبغي ربا وهو رب كل شيء ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون" الأنعام١٦٤

"اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون" التوبة٣١

"وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة" البينة ٥

"اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون" الأعراف٣

وقال الله تعالى على لسان يوسف ع :

"يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار" يوسف٣٩

والملك الحقيقي لا يكون إلا له :

"خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنى تصرفون" الزمر٦

والحكم لا يكون إلا لله تعالى :

"قل إني على بينة من ربي وكذبتم به ما عندي ما تستعجلون به إن الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين" (الأنعام ٥٧)

معنى العبادة :

العبادة هي الخضوع الناشئ عن اعتقاد خاص ، وهو اعتقاد الخاضِع أن المخضوع له هو خالقه وربّه ، وهو المالك لشؤون العابد كلها في دينه ودنياه وآخرته ، فإذا أحس الإنسان بأنه مملوك مملوكية كاملة في

جميع أموره ، وأن هذه المملوكية لخالقه ومدبّره ، وأنه منعم عليه بجميع النعم ، وأنه قادر قدرة مطلقة ، وأن كل ما عداه محتاج مفتقر إليه في وجوده وبقائه ، فإذا اعتقد الإنسان بهذا الاعتقاد فإنه يجسِّد اعتقاده بأعمال وأفعال خاصة تحمل مظاهر الخضوع والانقياد التام والتسليم الكامل ليوفّي حق ربّه عليه في جميع شؤون وجوده ، وهذا هو العبادة ، ويكون لخالقه وربّه حق الطاعة والعبادة .

وليس كل خضوع عبادة ، فحقيقة العبادة هي أن يكون الخضوع العملي واللفظي نتيجة عقيدة قلبية لدى الخاضع ، وهي خالقية ومالكية وربوبية واستقلالية المخضوع له ، وبدون ذلك يكون ذلك العمل واللفظ تعظيما واحتراما وتقديرا فقط .

والإيمان بالإله معناه أن الإنسان لا يترك سدى ، وأنه مسئول عن جميع أعماله ، وأن المحسن يثاب ، والمسيء يعاقب ، وآثار الدين لا تقف على العبادات المخصوصة والعبادة الظاهرية ، بل تتجاوزها إلى جميع مجالات الحياة من الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها .

سجود الملائكة لآدم ع :

"وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا" البقرة٣٤

سجود الملائكة آدم ع خضوع عملي ، ومع ذلك هو ليس شركا بالله لأنه لم يكن ناشئا من الاعتقاد بخالقية آدم ع لهم وربوبيّته ، فهو ليس عبادة لآدم ع ، ولو كان شركا لكان الله قد أمر بالشرك ، ولكانت الملائكة مشركين .

سجود إخوة يوسف ع له :

"ورفع أبويه على العرش وخرّوا له سجدا" يوسف١٠٠

السجود بمجرده بدون الاعتقاد بخالقية وربوبية المسجود له ليس عبادة .

ومن المظاهر تقبيل يد الأبوين احتراما ، وتقبيل المصحف تبرّكا ، وتقبيل ضرائح الأنبياء والأوصياء ع تبجيلا وتعظيما لمقاماتهم ، وهذه المظاهر تقبلها فطرة الإنسان ، ودعا إليها الشارع ، وفهي ليست عبادة لا لغة ولا شرعا ولا عرفا .

ومن هنا يتضح بطلان أن التبرّك بضرائح الأولياء والتوسل بهم وطلب الشفاعة منهم شرك بالله وعبادة لغير الله ؛ لأن العبادة لا تصدق إلا مع الاعتقاد بخالقية ومالكية وربوبية المخضوع له ، وهذه الأفعال القصد منها الاحترام والتعظيم لأصحابها باعتقاد أن لهم مقاما عاليا عند الله ، فهم يشفعون بإذن الله ، ويكونون وسائل إلى الله تعالى .

"يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون" المائدة٣٥

"أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا" الإسراء٥٧

@هل الإنسان مختار أو مجبر على أفعاله ؟

الإنسان مختار في جميع أفعاله ، فهو مختار في عين وقوع فعله في دائرة القدرة والمشيئة والإرادة الإلهية ، ، ووقوعه تحت المشيئة الإلهية لا يعني إجبار الإنسان على فعله .

والقائلون بالجبر استدلوا بأنه لا قادر ولا مؤثّر في الكون سواه ، وبقوله تعالى "إن الله يفعل ما يشاء" الحج١٨ ، "وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين" التكوير٩ ، "والله خلقكم وما تعملون" الصافات٩٦ ، "هل من خالق غير الله" فاطر٣ ، وقولهم هو إنه لا خالق إلا الله وإن أعمال العباد مخلوقة لله مقدَّرة وإن العباد لا يقدرون أن يَخْلُقُوا شيئا وهم يُخْلَقُونَ ، والإنسان عبارة عن آلة تحرّكها القدرة الإلهية ، وتوجِد بها ما تشاء من الأفعال الحسنة والسيئة ، والفعل هو فعل الله ، ولكن الكسب للإنسان ، واختلفوا في معنى الكسب ، فالبعض قال إن الكسب هو صفة الفعل من كونه طاعة أو معصية ، وقال البعض إن الكسب هو عزم العبد على فعل شيء فيخلق الله الفعل عقيبه ، وهم يقولون بأن القدرة موجودة عن الإنسان ، ولكنها معطَّلة لا يستند إليها فعل ولا ترك ، ووجودها فيه كوجود الشعر على بدنه ، والفاعل لكل ما يصدر عن الإنسان هو الله وحده ، وليس الإنسان إلا ظرف ووعاء للفعل ، والرد على ذلك أنه إذا قلنا بالجبر فهذا يستلزم الظلم لأن الله يفعل ثم يعاقب الإنسان على فعل مجبور عليه .

والقائلون بالتفويض يقولون باستقلالية الإنسان استقلالا تاما عن المشيئة الإلهية ، ومعنى ذلك خروج فعل الإنسان عن الإرادة الإلهية ،

والله وهب الإنسان القدرة على أن تكون ملكا مطلقا له لا يعارضه فيها أحد حتى الله سبحانه لأنه نقلها من سلطانه القاهر إلى سلطان الإنسان تماما كما تنتقل ملكية المتاع من البائع إلى المشتري ، غاية الأمر أن الله تعالى أمر العبد أن يستعمل قدرته في الخير لا في الشر ، وترك له الخيار ، إن شاء أطاع ، وإن شاء عصى ، فالله فوّض أمر القدرة لعباده ، وقطع كل علاقة بينه وبينها ، ولكن لا يوجد شيء في الكون – بما فيه فعل الإنسان – يخرج عن الإرادة الإلهية ، وكون الإنسان مختارا في عين وقوع فعله في دائرة الإرادة الإلهية هو معنى الأمر بين الأمرين الذي وردت فيه روايات أهل البيت ع ، فالإنسان في اختياره ليس مستقلا استقلالا تامّا عن المشيئة والإرادة الإلهية ، فلا توجد منافاة بين اختيار الإنسان لفعله وبين الإرادة الإلهية .

@معنى الأمر بين الأمرين :

الإنسان مختار في فعله اختيارا لا يخرجه عن الإرادة الإلهية ، وتوجد أدلة عقلية وأدلة نقلية على إثبات ذلك :

الأدلة العقلية :

تنقسم إلى قسمين :

القسم الأول : ما يدل على أن الإنسان مختار في فعله :

١–يوجد فرق بين صدور الفعل من الإنسان عن قصد واختيار – كالنزول على السلم من الطابق الثاني إلى الطابق الأول – وبين صدور الفعل من الإنسان بلا قصد ولا اختيار –كالسقوط من السلم

بسبب خارجي أو مع الغفلة – ، ويمكن للإنسان أن يترك في الفعل الأول دون الفعل الثاني ، ولو كانت أفعال الإنسان غير واقعة باختياره لما كان يوجد فرق في أفعال الإنسان بل تكون كلها على طريقة واحدة ، ولكنه يوجد فرق ، فتكون بعض الأفعال باختيار الإنسان .

٢–لو لم يكن الإنسان فاعلا باختياره لامتنع تكليفه ، وإذا تم تكليفه فيكون ظلما له ممّن كلّفه ، والظلم منافٍ لحكمة الله تعالى .

٣–لو لم يكن الإنسان فاعلا باختياره لكان الله سبحانه أظلم الظالمين لأنه يوجِد في الإنسان الأفعال بلا اختيار من الإنسان ثم يعاقبه عليها .

القسم الثاني : ما يدل على عدم استقلال أفعال الإنسان عن المشيئة الإلهية :

الإنسان مختار في أفعاله عن وعي وشعور ، والإنسان غير مستقلّ عن إرادة الله ، وكل فعل يرتكبه الإنسان يكون بمشيئة الله وقدرته وإرادته بدليل أن كل ما في الكون – من ذوات أو أفعال – ممكن ، والله تعالى واجب الوجود ، والممكن لا يمكن أن يتحقّق ويوجَد في الخارج إلا بإفاضة الوجود عليه من واجب الوجود لأن الممكن مفتقر في وجوده إلى علة ، والعلة إذا أوجدته وُجِدَ ، وإذا لم توجِده بقي الممكن عدما ، فلا يمكن أن توجَد أفعال الإنسان في الخارج إلا بإيجاد واجب الوجود لها ، وأفعال الإنسان لا توجد إلا بعد إرادتِه لها وإيجادِه لها .

وثبت بالأدلة العقلية أن الإنسان مختار فيما يفعل ، فينتج أن فعل الإنسان في عين كونه مرادا ومخلوقا للإنسان مخلوق لله تعالى ، فهو فعل الإنسان ومنسوب إليه حقيقةً لأنه فَعَلَهُ باختياره ،

وهو فعل الله أيضا ومنسوب إليه حقيقةً ؛ لأن الفعل شيء ممكن ، وكل ممكن لا يتحقق إلا بإفاضة الوجود عليه من واجب الوجود ، وهذا هو الأمر بين الأمرين .

مثال الأمر بين الأمرين :

لو أن شخصا كانت يده مقطوعة ، وأقدم طبيب على تركيب يد صناعية لهذا الشخص ، ولكن اشترط عليه أن يستعمل اليد الصناعية في عمل الخير فقط ، وكان بيد الطبيب جهاز إرسال بحيث يمكنه قطع التيار الكهربائي عن اليد الصناعية في أي وقت ، وأقدم الشخص على قتل إنسان آخر بيده الصناعية ، فإلى من ينسب القتل ؟

ينسب الفعل إلى نفس الشخص لأنه أقدم على القتل ، وينسب إلى الطبيب الذي ركّب اليد الصناعية لأنه أعطى الوسيلة له ، ولكن مسؤولية القتل يتحملها القاتل دون الطبيب لأنه قتل باختياره مع اشتراط الطبيب عليه أن يستعمل اليد في الخير فقط ، وإذا عمل الشخص فعلا فيه خير فإنه ينسب أيضا إلى الفاعل والطبيب ، ويكون الفضل لهما معا في هذا الخير ، الفاعل لأنه فعل الخير ، والطبيب لأنه ساهم في فعل الخير بتركيب اليد التي هي واسطة الخير .

ونفس المثال يمكن جعله للتفويض إذا لم يكن بإمكان الطبيب قطع التيار الكهربائي عن الجهاز ، فبعد تركيب اليد لم يكن عند الطبيب جهاز إرسال لقطع الكهرباء ، وكانت اليد تحت سيطرة الفاعل فقط ، ومثال الجبر هو أن الطبيب يكون هو المسيطر على اليد بواسطة جهاز الإرسال ولم يكن للمريض أي اختيار في استعمال اليد الصناعية .

الأمر بين الأمرين في القرآن لكريم :

وهذه الآيات تنفي الجبر والتفويض ، وهي على ثلاث مجموعات :

١-آيات صريحة بأن جميع ما يصدر من الإنسان يكون بإذن الله ومشيئته ، وهذه الآيات تنفي التفويض ، منها :

"وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين" التكوير٢٩

"وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله" يونس١٠٠

٢-آيات صريحة في أن الإنسان مختار في أفعاله ، وهي تنفي الجبر ، منها :

"ونفس وما سوّاها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكّاها وقد خاب من دسّاها" الشمس٧-١٠

"من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد" فصلت٤٦

٣-آيات صريحة في أن لكل فعل يصدر من الإنسان نسبتين : نسبة إلى الإنسان ، ونسبة أخرى إلى الله تعالى من دون أن يقع التزاحم والتضاد بين النسبتين ، منها :

"وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا إن الله سميع عليم" الأنفال١٧

فالرمي منسوب إلى النبي ص ، وفي نفس الوقت منسوب إلى الله تعالى .

الأمر بين الأمرين في الروايات الشريفة :

ورد عن الإمام الرضا ع قال : سألته فقلت له : الله فوّض الأمر إلى العباد ؟ قال ع : "الله أعزّ من ذلك" . قلت : فأجبرهم على المعاصي ؟ قال ع : "الله أعدل وأحكم من ذلك" . ثم قال ع : قال الله عز وجل : "أنا أولى بحسناتك منك ، وأنت أولى بسيئاتك مني ، عملت المعاصي بقوّتي التي جعلتها فيك" . التوحيد للشيخ الصدوق ص٣٦٢ ح١٠

ورد عن الإمام الرضا ع أنه قد ذكر عنده الجبر والتفويض فقال ع : "ألا أعطيكم في هذا أصلا لا تختلفون فيه ، ولا تُخاصمون عليه أحدا إلا كسرتموه ؟" . قلنا : إن رأيت ذلك . فقال ع : "إن الله عز وجل لم يُطَعْ بإكراه ، ولم يُعْصَ بِغَلَبَةٍ ، ولم يُهْمِلِ العبادَ في ملكه ، هو المالك لما مَلَّكَهُمْ ، والقادر على ما أقدرهم عليه ، فإن ائتمر العباد بطاعته لم يكن الله عنها صادًّا ولا منها مانعا ، وإن ائتمروا بمعصيته

فشاء أن يحول بينهم وبين ذلك فَعَلَ ، وإن لم يَحُلْ وفعلوه فليس هو الذي أدخلهم فيه" .

ثم قال ع : "من يضبط حدود هذا الكلام فقد خصم من خالفه " . التوحيد للشيخ الصدوق ص٣٦١ ح٧

وعن الإمام الصادق ع : "لا جبر ولا تفويض ، ولكن أمر بين الأمرين" . التوحيد للشيخ الصدوق ص٣٦١ ح٨

والمراد من "لا جبر" هو أن أفعال الإنسان تستند إلى قدرته مباشرة ، والمراد من "لا تفويض" هو أن سلطان الله على قدرة الإنسان قائم بالفعل ، فالعبد وما ملكت يداه في قبضة مولاه ، فالإنسان يترك ويفعل بإرادته الشخصية ، وفي الوقت نفسه كلٌّ من عند الله ، ولكنه تعالى أذن لعبده أن يتصرّف بها في حدود حلاله وحرامه ، فإن أطاع فله جزاء من أحسن عملا ، وإن عصى فله العقاب الذي يستحقّه .

والنتيجة التي نصل إليها أن الله تعالى حكيم في أفعال عباده ، لا يجبرهم على طاعة ولا معصية ، فهم الذين يختارون الطاعة والمعصية بإرادتهم ، ولا يخرجون عن سلطان الله وقدرته وإرادته بطاعتهم أو معصيتهم ، فجميع ما يفعلونه بإقدار منه ، ويثيب المطيع على طاعته التي وقعت باختيار نفس المطيع ، ويعاقب العاصي على معصيته التي وقعت باختيار نفس العاصي ، والله تعالى وهب الإنسان القدرة على التمييز بين الخير والشر بفطرته وعقله ، ووهبه أيضا القدرة على الفعل مخيَّرا لا مسيَّرا .

@القضاء والقدر :

حارب رجل شامي مع الإمام ع في صفين ، وبعد منصرفه منها سأل الشاميُّ الإمامَ ع : هل كان مسيرنا إلى حرب صفين بقضاء الله وقدره ؟ فقال له الإمام ع : ما وطأنا موطئا ولا هبطنا واديا إلا بقضاء الله وقدره . فقال له الشاميّ : عند الله أحتسب عناي ، ما أرى لي أجرا . فقال له الإمام ع : مَهْ ! لقد عظم الله أجركم في مسيركم ومنصرفكم . فقال الشامي : كيف وقد ساقنا القضاء والقدر ؟ فأجابه الإمام ع بما معناه : ما أردت القضاء اللازم والقدر الحتم الذي يكون الإنسان معه مسيَّرًا لا مخيَّرًا ، ويستحيل أن أقصد ذلك وأريده ؛ لأن الإنسان مخيَّر غير مسيَّر ، وإلا امتنع التكليف وسقط الحساب والعقاب .

وفي جواب الإمام ع توجد حلقة مفقودة ، وهي سكوت الإمام ع عن القضاء والقدر في جوابه الأول للشامي ، وهو قوله ع : "ما وطأنا موطئا إلا بقضاء الله وقدره" ، ولوجود هذه الحلقة المفقودة خلط البعض بين مسألة القضاء والقدر ومسألة الجبر والاختيار ، وظنوا بأن الإمام ع يتكلم عن معنى القضاء والقدر في قوله : "لعلك ظننت قضاء لازما وقدرا حاتما ، ولو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب ، وسقط الوعد والوعيد ، إن الله سبحانه أمر عباده تخييرا ،

ونهاهم تحذيرا" ، وهذا الكلام خاص بالجبر والاختيار لا بالقضاء والقدر .

فيأتي السؤال التالي :

ما هو شرح هذه الرواية ؟

الجواب :

القضاء له معاني متعدّدة ، منها اللزوم والحتم ، وهو تعبير آخر عن الجبر وعدم الاختيار ، ومنها علم الله تعالى بالطريق الذي سوف يسلكه العبد في جميع أفعاله الاختيارية خيرا كانت أم شرّا .

والقدر له عدة معاني ، منها اللزوم والحتم كالمعنى الأول للقضاء ، ومنها إيجاد الله تعالى للمسبَّبات عند وجود أسبابها إراديّة كانت أم قهريّة .

وحينما قال الإمام ع : "ما وطأنا موطئا ولا هبطنا واديا إلا بقضاء الله وقدره" ، فهم الشامي من كلمة القضاء وكلمة القدر معنى واحدا ، وهو اللزوم والحتم ، لذلك قال : "ما أرى لي أجرا" ، فزجره الإمام ع ونفى إرادة هذا المعنى ، لذلك قال ع : "ويحك ! لعلّك ظننت قضاء لازما وقدرا حاتما" ، واكتفى الإمام ع بهذا النفي دون أن يبيّن المعنى الذي أراده من القضاء والقدر ، وانتقل إلى مسألة أخرى ، وهي مسألة الجبر والاختيار .

وقطعا أن الإمام ع أراد من القضاء والقدر المعنى الذي ينسجم مع اختيار العبد في أفعاله ، ولا يناقض صحة التكليف ، وجواز الثواب والعقاب ، وهذا يدل عليه ظاهر كلامه ع .

والمعنى الذي ينسجم مع حرية العبد هو أن نفسّر القضاء هنا بعلم الله أن العبد سيقوم بهذا الفعل أو ذاك بإرادته واختياره ، ونفسّر القدر بأن الله يوجد الأفعال عند وجود أسبابها ، ومن أسبابها إرادة العبد وقدرته ، والله عليم بذلك وبغيره من الأمور .

@الوحي السماوي

نفحات القرآن ج١ ص٢٠٩-٢٤٣

@الكشف والشهود

نفحات القرآن ج١ ص٢٤٨-٢٨٤

@حجب المعرفة وآفاتها ومؤهلاتها

نفحات القرآن ج١ ص٢٨٧-٤٦٥

@

@**التفسير الموضوعي للقرآن الكريم** : نفحات القرآن ج١ ص٥-٢٣

هذه مقدمة لمعرفة كيفية التفسير في الآيات القرآنية ، وسيأتي بحث تدبر القرآن الكريم .

الأنواع المختلفة للتفسير :

وهذه الأنواع هي كما يلي :

١-التفسير الترتيبي :

فيه يبحث آيات القرآن بالترتيب ،

@**تدبر القرآن الكريم** :

@**مصالح البلايا والمحن** :

في البلايا والمحن مصالح يعلمها الإله ويمكن أن نعلم بعضها ، ومن المصالح :

١-الامتحان :

"أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين" (العنكبوت٢-٣)

شدة البلاء تكون على قدر شدّة الإيمان ، فكلما قوي إيمان الشخص ونجح في الامتحان الأدنى امتحنه الله بامتحان أعلى ليصعد في درجات الإيمان .

ورد بسند صحيح عن هشام بن سالم عن الصادق ع أنه قال : "إن أشدّ الناس بلاءً الأنبياء ثم الذين يلونهم ثم الأمثل فالأمثل" . الكافي ج٢ باب شدة ابتلاء المؤمن ح١

٢–التّنبيه والتّأديب :

"ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون" (السجدة٢١)

"ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون" (الروم٤١)

وهذا ليس خاصا بغير المؤمنين ، بل يأتي حتى في الأنبياء والأولياء اعتمادا على أن حسنات الأبرار سيئات المقرّبين .

٣–كفّارة الذنوب :

روي عن أمير المؤمنين ع : "ما من الشيعة عبد يقارف أمرا نهيناه عنه فيمت حتى يبتلى ببليّة تمحّص بها ذنوبه : إما في مال وإما في ولد وإما في نفسه ؛ حتى يلقى الله عز وجل وما له ذنب ، وإنه ليبقى عليه الشيء من ذنوبه فيشدّد به عليه عند موته" . البحار ج٦٤ ص٢٣٠ باب شدّة ابتلاء المؤمن وعلّته ح٤٣

من هو من شيعة أهل البيت ع : " إنما شيعتنا من اتقى الله وأطاعه"
.

عن أمير المؤمنين ع قال : "ولقد سمعت محمدا رسول الله ص يقول : إنه كان فيما مضى قبلكم رجلان : أحدهما مطيع لله مؤمن ، والآخر كافر به مجاهر بعداوة أوليائه وموالاة أعدائه ، وكل واحد منهما ملك عظيم في قطر من الأرض ، فمرض الكافر فاشتهى سمكة في غير أوانها لأن ذلك الصنف من السمك كان في ذلك الوقت في اللجج بحيث لا يقدر عليه ، فآيسته الأطباء من نفسه ، وقالوا : استخلف في ملكك من يقوم به ، فلست بأخلد من أصحاب القبور ، فان شفاءك في هذه السمكة التي اشتهيتها ، ولا سبيل إليها ، فبعث الله ملكا وأمره أن يزعج تلك السمكة إلى حيث يسهل أخذها فأخذت له [تلك السمكة] فأكلها وبرأ من مرضه ، وبقي في ملكه سنين بعدها ، ثم إن ذلك الملك المؤمن مرض في وقت كان جنس ذلك السمك بعينه لا يفارق الشطوط التي يسهل أخذه منها مثل علة الكافر ، فاشتهى تلك السمكة ووصفها له الأطباء ، وقالوا : طب نفسا فهذا أوانه ، تؤخذ لك فتأكل منها ، وتبرأ . فبعث الله ذلك الملك فأمره أن يزعج جنس تلك السمكة عن الشطوط إلى اللجج لئلا يقدر عليه ، فلم توجد حتى مات المؤمن من شهوته ، وبعد دوائه ، فعجب من ذلك ملائكة السماء وأهل ذلك البلد في الأرض ، حتى كادوا يفتنون ؛ لأن الله تعالى سهّل على الكافر مالا سبيل له

إليه ، وعسّر على المؤمن ما كان السبيل إليه سهلا ، فأوحى الله إلى ملائكة السماء وإلى نبي ذلك الزمان في الأرض : إني أنا الله الكريم ، المتفضل القادر ، لا يضرّني ما أعطي ، ولا ينقصني ما أمنع ، ولا أظلم أحدا مثقال ذرّة ، فأما الكافر فإنما سهّلت له أخذ السمكة في غير أوانها ليكون جزاءً على حسنة كان عملها ، إذ كان حقًّا ألاّ أبطل لأحد حسنة حتى يرد القيامة ولا حسنة في صحيفته ، ويدخل النار بكفره ، ومنعت العابد تلك السمكة بعينها لخطيئة كانت منه ، فأردت تمحيصها عنه بمنع تلك الشهوة وإعدام ذلك الداء ، وليأتيني ولا ذنب عليه فيدخل الجنة" . البحار ج٦٤ ص٢٣٣-٢٣٤ باب شدّة ابتلاء المؤمن وعلّته ح٤٨

٤-رفع الدرجات :

عن أبي يحيى الحنّاط عن عبدالله بن أبي يعفور قال : شطوت إلى أبي عبدالله ع ما ألقى من الأوجاع - وكان مسقاما - ، فقال ع لي : "يا عبدالله ، لو يعلم المؤمن ما له من الأجر في المصائب لتمنّى أنه قُرِّضَ بالمقاريض" . الكافي ج٢ ص٢٥٥ ح١٥

عن فضيل بن يسار عن أبي عبدالله ع قال : "إن في الجنة منزلا لا يبلغها عبد إلا بالابتلاء في جسده" . الكافي ج٢ ص٢٥٥ ح١٤

ثلاثة من المصالح وهي الامتحان وكفارة الذنب ورفع الدرجات تناسب المؤمن ، وأما التّنبيه فإن كان بمعنى التذكير فإنه يناسب المؤمن والفاسق ، وإن كان بمعنى العذاب ناسب الفاسق .

ورد في صحيحة محمد بن مسلم قال : سمعت أبا عبدالله ع يقول : "المؤمن لا يمضي عليه أربعون ليلة إلا عرض له أمر يحزنه يُذَكَّرُ به" . الكافي ج٢ ص٢٥٥ ح١١

وبعض الروايات تؤكّد على ضرورة ابتلاء المؤمن .

عن ذريح المحاربيّ عن أبي عبدالله ع قال : كان علي بن الحسين ع يقول : "إني لأكره للرجل أن يعافى في الدنيا ، فلا يصيبه شيء من المصائب" . الكافي ج٢ ص ٢٥٦ ح١٩

٥–المجازاة وإنزال العذاب :

وهذا يناسب الفسقة .

"وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا" (الإسراء١٦–١٧)

"وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون" (النحل١١٢)

"فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون" (العنكبوت٤٠)

عن إبراهيم بن أبي زياد عن الصادق ع قال : "إن الله تعالى إذا غضب على أمة ثم لم ينزل بها العذاب أغلى أسعارها ، وقصّر أعمارها

، ولم تربح تجّارها ، ولم تغزر أنهارها ، ولم تَزْكُ ثمارها ، وسلّط عليها شرارها ، وحبس عليها أمطارها" . البحار ج٧٣ص٣٥٣ح٥٧

عن العباس بن علي الشامي قال : سمعت الرضا ع يقول : "كلّما أحدث العباد من الذنوب ما لم يكونوا يعملون أحدث لهم من البلاء ما لم يكونوا يعرفون" . البحارج٧٣ص٣٥٤ح٥٨

عن محمد بن القاسم بن الفضيل بن يسار عن أبيه عن أبي عبدالله ع أنه قال : "من يموت بالذنوب أكثر ممّن يموت بالآجال ، ومن يعيش بالإحسان أكثر ممّن يعيش بالأعمار" . البحارج٧٣ص٣٥٤ح٥٩

عن أبي حمزة عن أبي جعفر ع قال : "وجدنا في كتاب رسول الله ص : إذا ظهر الزنا من بعدي كثر موت الفجأة ، وإذا طفّفت المكيال والميزان أخذهم الله بالسنين والنقص ، وإذا منعوا الزكاة منعت الأرض بركتها من الزرع والثمار والمعادن كلها ، وإذا جاروا في الأحكام تعاونوا على الظلم والعدوان ، وإذا نقضوا العهد سلط الله عليهم عدوّهم ، وإذا قطعوا الأرحام جعلت الأموال في أيدي الأشرار ، وإذا لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر ولم يتّبعوا الأخيار من أهل بيتي سلّط الله عليهم شرارهم ، فيدعو خيارهم فلا يستجاب لهم" . الكافي ج٢ص٣٧٤ح٢

قد يكون سبب نزول البلاء هم الأشرار ، ولكن البلاء النازل قد يشمل الأخيار إما لمداهنتهم الأشرار وترك النهي عن المنكر وإما لأن

البليّة بطبيعتها التكوينية حينما تنزل تعمّ ، ولكن الله تعالى يعوّض المؤمن غير المداهن .

عن جابر عن أبي جعفر الباقر ع قال : "أوحى الله إلى شعيب النبي : أني معذِّب من قومك مائة ألف : أربعين ألفا من شرارهم ، وستين ألفا من خيارهم . فقال ع : يا ربِّ ،هؤلاء الأشرار ، فما بال الأخيار ؟ فأوحى الله عز وجل إليه : داهنوا أهل المعاصي ولم يغضبوا لغضبي" . البحار ج١٢ص٣٨٦ح١٢

عن الجعفري قال : سمعت أبا الحسن ع يقول : ما لي رأيتك عند عبد الرحمن بن يعقوب؟! فقال : إنه خالي . فقال ع : إنه يقول في الله قولا عظيما ، يصف الله ولا يوصف ، فإما جلست معه وتركتنا ، وإما جلست معنا وتركته . فقلت : هو يقول ما شاء ، أي شيء علي منه إذا لم أقل ما يقول ؟ فقال أبو الحسن ع : أما تخاف أن تنزل به نقمة فتصيبكم جميعا ؟! أما علمت بالذي كان من أصحاب موسى ع وكان أبوه من أصحاب فرعون ، فلما لحقت خيل فرعون موسى تخلّف عنه ليعظ أباه فيلحقه بموسى ، فمضى أبوه وهو يراغمه حتى بلغا طرفًا من البحر فغرقا جميعا ، فأتى موسى الخبر فقال : هو في رحمة الله ، ولكن النقمة إذا نزلت لم يكن لها عمّن قارب المذنب دفاع" . الكافي ج٢ص٣٧٤-٣٧٥ح٢

@القرآن الكريم يتحدث عن نفسه :

يمتاز الإسلام عن باقي الأديان في العالم بأنه الدين الوحيد الذي لم يتعرض كتابه الكريم إلى التحريف .

"إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون" الحجر٩

"لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه" فصلت٤٢

إعجاز القرآن :

"وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين"

هذا تحدي من القرآن الكريم ، فإعجاز القرآن الأدبي أفحم أدباء وشعراء زمان النبي ص ، والنثر القرآني أقصى الشعر وأبقى الوزن والموسيقى ، وهنا يكمن سر الإعجاز الأدبي ، لذلك قال الوليد بن المغيرة : "والله لقد سمعت كلاما لا هو من كلام الإنس والجن ، والله يعلو ولا يعلى عليه" ، وهذا من حيث الشكل ، وأما من حيث المضمون فإن أسلوب الكلام فيه روح المتكلم ، والله سبحانه ليس كمثله شيء ، فكذلك كلامه ، بالإضافة إلى تنوع الموضوعات القرآنية ، فهو يبدأ بالذرة في الصخرة ، ويسير إلى الأرض والسماء ، ثم يتحدث عن النجم ، وعن الكون وما وراءه ، وعن الإنسان والأديان والعادات والأخلاق والتشريع ، والأمم الماضية والقرون الخالية .

قال الفيلسوف توماس كارليل : "هذا القرآن صدى متفجِّر من قلب الكون نفسه" .

إن محمدا ص لم يكن عنده علم الكون وكل ما في القرآن من علم ، ومهما كان الإنسان عبقريا فإن عبقريته تخضع لظروفه الزمانية والمكانية ، ولو كان القرآن من عند محمد ص لتحدّث فيه كثيرا عن نفسه ، وعن المصائب التي عاشها ، كفقد عمه أبي طالب وزوجته خديجة ، ولا نجد لذلك أي ذكر في القرآن .

هل أخذ النبي ص من التوراة والإنجيل ؟

لم يتلقَّ النبي ص تعليما عن التوراة والإنجيل ، ولم يكن في عهد النبي ص أي ترجمة لهما ، ولا كان النبي ص أو غيره من أهل مكة يتقن اللغة العبرية .

"ولقد نعلم إنهم يقولون إنما يعلّمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين" النحل١٠٣

بالإضافة إلى أن القرآن تحدّى اليهود فيما دار بينهم وبين النبي ص :

"فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين" آل عمران٩٣

وتحدّى النبي ص أهل الكتاب بشكل عام :

"فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين"

ويقول القرآن عن اليهود :

"من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل" المائدة٦١

وقال عن النصارى :

"لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة" المائدة

وقال لأهل الكتاب :

"يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون" آل عمران٧١-٧٢

هل القرآن الكريم كتاب عالمي ؟

هل القرآن يتفق مع العلم أو لا ؟

@القرآن يدعو إلى الاعتقاد عن دليل :

توجد آيات كريمة تذمّ الكفار بسبب اعتقاداتهم الباطلة التي اعتنقوها بلا دليل وبرهان ، وإنما متابعة لآبائهم أو الأخذ بالظنون والأوهام ، ويناقشهم القرآن ويطلب منهم الدليل القطعي على ما اعتقدوا لأن الدليل القطعي هو الذي يوصل الإنسان إلى الحق ، فالعقائد لا تقبل إذا كانت عن تقليد وظنون وأوهام ، ولا يكون أصحابها معذورين ، فيستحقون الذم والعقاب إذا كانوا مقصّرين ، ويحرم التقليد والمتابعة العمياء في أي أصل من أصول الدين ، والقرآن يأمر بالاحتكام إلى العقل في مجال العقائد ، ويحث على النظر والتفكر في ملكوت السماوات والأرض .

-"قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السماوات ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين" الأحقاف٤

الآية تطلب من المشركين الدليل على اعتقادهم بتعدد الآلهة ، فهل الآلهة التي يعتقدون بها لها آثار في الأرض أو في السماوات تقوم بتدبيرها وإدارة شئونها ، وهل ذُكِرَتْ آلهتهم في الكتب السماوية السابقة ، وهل عندكم دليل علمي قطعي على وجود هذه الآلهة ، فإذا لم يوجد عندهم الدليل على وجودها فلا يقبل كلامهم عن تعدد الآلهة ، والنتيجة أن الإله الوحيد المدبر في الكون هو الله تعالى .

-"فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون أم خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله وإنهم لكاذبون أصطفى البنات على البنين ما لكم كيف تحكمون أفلا تذكّرون أم لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين" الصافات١٤٩-١٥٧

هذه الآية تردّ على المشركين الذين جعلوا لله البنات وأن الله سبحانه قد وَلَدَ ، وبعد أن ذكرت الآية اعتقادهم طالبتهم بالدليل المبين ، وذمّتهم الآية بأنكم كيف تحكمون بلا دليل ، أفلا تتّعظون فتنتهون عن قولكم إذا لم يكن عندكم برهان مبين على ما تقولون ، وإذا كان عندكم برهان فأتوا بكتابكم الذي كتبتم فيه براهينكم التي تثبت اعتقاداتكم ، وهذا أمر فطري وهو أن كل معتقد لا بد أن يستند إلى

برهان ودليل بيّن واضح ، وإذا لم يوجد برهان فإن الاعتقاد لا قيمة له ، ويكون مبنيّا على أساس الأهواء الدنيوية والمصالح الشخصية .

-"وما يتّبع أكثرهم إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئا إن الله عليم بما يفعلون" يونس٣١

أكثر الناس يتّبعون في اعتقاداتهم الظن بدون دليل ، والظن لا يغني من الاعتقاد الحق شيئا ، ثم تقول الآية "إن الله عليم بما يفعلون" من الأفعال القائمة على الظنون والأوهام وعدم الاعتماد على الأدلة والبراهين القطعية .

فائدة :

المطلوب من الإنسان أن تكون اعتقاداته قائمة على أساس البرهان حتى يكون مؤمنا ، ويكون مسلما ظاهريا إذا تشهد الشهادتين "أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا رسول الله" ، فيكون محقون الدم محترم المال والعرض ، وتترتب على إسلامه الظاهري الأحكام الدنيوية ، وأما إذا أراد الآثار الأخروية وهو الفوز بالجنة والدرجات والنجاة من النار والدركات فعليه أن تكون اعتقاداته القلبية على أساس البرهان ، ويكون قلبه مطابقا لتشهده ، ويرتب الآثار القلبية والأعمال الخارجية على اعتقاداته ، فليتزم قلبا وقالبا بما تشهده من الشهادتين .

والإسلام لا يريد أن يؤمن به أي أحد عن جبر وإكراه ، ولا عن جهل وتقليد ، بل عن معرفة وتعقل وقناعة ، وحذّر من الانسياق

وراء الظن ، وأنكر على من يؤمن أو يقول أو يفعل بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير .

"ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير" ٢٢الحج٨

والمراد بالعلم الحس والعيان ، وبالهدى العقل والبرهان ، وبالكتاب المنير الوحي الثابت ، والعقل هبة من الله لعباده لينتفعوا به في كل شأن من شئونهم ، وحجته على من تصرّف بالهوى وانحرف عن الهدى ، والعلم ثمرة العقل ، وإدراك الحق والخير هو عمل العقل ومهنته ، وجوهر العقل واحد في كل إنسان ، وذوو العقول متفقون على كثير من الحقائق ، ويطلق عليها اسم الأوّليّات والمسلّمات والبديهيات ، ومنها الحقيقة التالية وهي : كل من شك في شيء فلا يحق له الحكم عليه بإيجاب أو سلب إلا بعد البحث المؤدّي إلى معرفة أنه موجود أو غير موجود .

وميّز القرآن الكريم بين المسلم الظاهري والمؤمن الحقيقي بقوله تعالى : "قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم" الحجرات١٤

وهنا المسلم هو الذي اعتقد بلا يقين ، وهو أدنى مراتب الإسلام ، والمؤمن هو الذي اعتقد عن دليل يقيني .

عن الفضيل بن يسار قال : سمعت أبا عبدالله ع يقول : "إن الإيمان يشارك الإسلام ، ولا يشاركه الإسلام ، إن الإيمان ما وقر في القلوب

، والإسلام ما عليه التناكح والمواريث وحقن الدماء" . الكافي ج٢ص٢٦ح٣

ويطلق القرآن الكريم الإسلام على مراتب متعددة ، مثلا إسلام إبراهيم ع ، والذي هو من المراتب العالية ، فالإسلام مفهوم مشكك له درجات متعددة .

"ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين إذ قال له ربه أسلم فقال أسلمت لرب العالمين ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون" البقرة ١٣٠-١٣٢

والشهادة الأولى تتوقف على إثبات خالق للكون ، وعلى اتصافه بصفات الكمال كالعلم والقدرة والحكمة ، وتنزهه عن صفات النقص كالجسمية ، وعلى نفي الشريك عنه .

"ليس كمثله شيء" الشورى١١

عن أمير المؤمنين ع : "ما وحّده من كيّفه ، ولا حقيقته أصاب من مثّله ، ولا إياه عنى من شبّهه ، ولا حمده من أشار إليه وتوهّمه" نهج البلاغة الخطبة١٨٦

والشهادة الثانية تتوقف على أن الله كلف الناس بتكاليف توصلهم إلى السعادة الدنيوية والأخروية ، وبعث الأنبياء والرسل ليوصلوا هذه التكاليف إليهم .

وأشار القرآن الكريم إلى بعض المعارف التي تشكل مقوِّمات الإيمان :

-"آمن الرسول بما أنزل إليه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير" البقرة٢٨٥

فيؤمنون بالله الخالق والمدبِّر للكون ، وبوجود عوالم أخرى غيبية فيها الملائكة المدبرات بإذن الله ، وبالكتب السماوية ، وبالأنبياء والرسل الذي يبيّنون تكاليف الناس ، وعدم التفريق بين الرسل لأنهم يشكلون دعوة واحدة ، وبالمعاد والرجوع إلى الله تعالى .

ولا يكفي أن يؤمن الإنسان بالله وبرسوله وباقي الاعتقادات الضرورية من ناحية نظرية فقط ، بل لا بد أن يكون باطنه صالحا ويتصف بالصفات القلبية الحسنة ويبتعد عن الصفات القلبية السيئة ويتبع ذلك العمل الصالح ؛ حتى يحصل على الثواب والجنة والرضا من الله تعالى .

"وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون" البقرة٢٥

"وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم والله لا يحب الظالمين" آل عمران٥٧

وهناك عشرات الآيات القرآنية التي فيها "آمنوا وعملوا الصالحات" .

@حرية الاعتقاد في القرآن

-مسألة قتل المرتد

-موقف الإسلام من أهل الكتاب وغير أهل الكتاب :

"إن الدين عند الله الإسلام"

"ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه" آل عمران٨٥

معرفة الآخرين أمر مهم حتى يمكن لك أن تصنفهم ، فحينما تقول فلان كافر أو ملحد هل هو فعلا هكذا أو أنه يعتقد بإله كما تعتقد أنت بإله ، ولكن صفات الإله عنده تختلف عن الصفات التي أنت تقول بها ، فهو مؤمن بإله أيضا ، فيوجد اتفاق على أصل وجود الإله ، ولكن الاختلاف يكون في صفات هذا الإله ، والاختلاف بين الأديان والأفكار ضرورة إنسانية .

يقول القرآن الكريم :

"ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم" هود١١٨-١١٩

" وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا" الحجرات١٣

وسيبقى البشر على اختلافاتهم لأن التكامل الإنساني ينشأ من اختلافاتهم ووجود الحوار بينهم ، ونحتاج إلى الأخلاق واحترام الآخر في حواراتنا معهم ، والقرآن الكريم أكّد على أهم صفة للرسول ص ، وهي صفة الأخلاق العظيمة ؛ لأن هذه هي الصفة المشتركة بين جميع البشر مهما اختلفت ثقافاتهم وظروفهم .

"وإنك لعلى خلق عظيم " .

ومن يريد الدعوة إلى ما يعتقد به فعليه أن يلتزم بالمنهج القرآني في الدعوة والحوار :

"ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن" .

وإذا دعا إلى الإسلام ولم يقتنع به الآخرون فما هو الموقف الذي يتخذ من الذين لا يعتقدون بعقائد المسلمين مع الالتفات إلى أن عقائد الإسلام مختلف فيها بين المسلمين بحسب مدارسهم ومذاهبهم المختلفة؟

الجواب :

نأخذ الجواب من القرآن الكريم ، وهو المنهج القرآني في التعامل بين جميع الأديان والمذاهب والمدارس .

"وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون" البقرة١١٣

"وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلتُ به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين" الأعراف٨٧

"وادع إلى بك إنك لعلى هدى مستقيم وإن جادلوك فقل اللهُ أعلمُ بما تعملون الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون" الحج ٦٧-٦٩

"ولو شاء الله لجعلكم أمةً واحدةً ولكن ليبلوَكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيراتِ إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون" المائدة٤٨

". . . فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد" آل عمران ٢٠

"فإن تولوا فقل حسبيَ اللهُ لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم" التوبة ١٢٩

". . . وإن تولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير" هود٣

"فإن تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم ويستخلف ربي قوما غيركم ولا تضرونه شيئا . . ." هود٥٧

"فإن تولوا فإنما عليك البلاغ المبين" النحل ٨٢

"قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حُمِّلَ وعليكم ما حُمِّلْتُمْ وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين" النور ٥٤

"ولو شاء الله ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا وما أنت عليهم بوكيل" الأنعام٤٧

"إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنت عليهم بوكيل" الزمَر ٤١

@الحرية الفكرية في الإسلام :

كل شيء قابل للنقاش والتساؤل حتى الأديان ، فالحرية الفكرية حق لكل إنسان بحسب قدرته العقلية ومستواه العلمي ، فالطفل مثلا يسأل عن كل ما يراه : من الذي أوجده؟ ولماذا وُجِدَ؟ ، ولكن الأب لا يجيب على بعض أسئلة الطفل لا لعجزه عن الجواب ، وإما لأن عقل الطفل لا يستوعب الجواب ، وهذا عجز في السائل لا في المجيب ، كما يقال عن إدخال العالم في بيضة إنه عجز في القابل لا في الفاعل ، والشخص الذي يدرس ويتخصص في مجال عمله فإنه يكون عالما في مهنته ، وأما في تفاصيل غيرها فهو جاهل ، فالفيلسوف لا يحق له أن ينكر على الفلاح معرفته بالزراعة ، فلا يبدي الفيلسوف رأيا تحقيقيا في تفاصيل الزراعة ، كما أنه لا يحق للفلاح أن يناقش الفيلسوف في استنتاجاته القائمة على الأسس المنطقية والفلسفية الصعبة ، فلا يبدي الفلاح رأيا علميا في المنطق والفلسفة ، فكل شخص عالم في تخصّصه ، وجاهل في غير تخصّصه ، وإذا كان للجميع حرية إبداء آرائهم في جميع العلوم والتخصصات فإن المجتمع يسوده الفوضى ، فلا يصح أن كل شخص يبدي رأيه في كل علم ، وإنما الذي يبدي رأيه في مجال معيَّن هو المتخصص في هذا المجال ، والآخرون يستفيدون من رأيه ويرجعون إليه ، كما أن هذا المتخصص في هذا المجال يستفيد من المتخصصين في المجالات الأخرى ، وهكذا ينتشر الوعي والنضوج والعلم والمعرفة والثقافة بين الأفراد ، ويتكامل الأفراد والمجتمع من خلال الاستفادة من كل متخصص في مجاله بناء

على القاعدة القائلة بـ "رجوع الجاهل إلى العالم" بل "رجوع الجاهل إلى الأعلم" ، وهذه القاعدة الفرعية مبنية على القاعدة الفطرية العقلية العرفية الشرعية ، وهي القاعدة الكلية القائلة بـ "البحث عن الأكمل" ، وهذه القاعدة بحثناها تفصيلا في موضوع "التقليد والأعلمية" ، فليراجع هناك ، ولا بد أن ينتبه العالم المتخصّص في علمه إلى أنه لا يعلم إلا قطرة من بحر ، فلا يصاب بالعُجْب بنفسه والغرور على الآخرين ، وإنما التواضع هو رأس العلم .

"وما أوتيتم من العلم إلا قليلا" الإسراء٨٦

رواية "رأس العلم التواضع" .

@فلسفة الدين ؟

راجع الفطرة للشيخ المطهري مصدر من المصادر .

-هل الدين علاقة بين الإنسان وربّه فقط أي أن الدين قضية شخصية فردية أو أن الدين يأتي لتنظيم حياة الناس في جميع المجالات الفردية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها ، ويطرح منظومة كاملة لحصول الإنسان على السعادة الدنيوية والسعادة الأخروية؟

-إن ثقافة كل أمة تنطلق من دينها ، وترفض الكثير من الاتجاهات لأنها لا تتناسب مع دينها .

-الدين هو الأكثر تأثيرا في حياة الناس ، فالدين هو الطريق العام الذي يحدد حياة البشرية في كل مرحلة من مراحل التاريخ ، والإيمان

بالإله قديم وأصيل ، ويقوم على أساس الفطرة والعقل والحجة والقناعة .

-واجه الدين الكثير من التحديات والمؤامرات ، ولكن كلها تبخرت ، وبقي الدين متوَّجا على عرشه ، وآخر الأمر سيركع له الملوك الجبابرة ، ويخضعون للإله الواحد .

"بل له ما في السماوات والأرض كل له قانتون"

-بعض علماء الاجتماع والنفس الماديين يقولون بأن ظهور الدين سببه الجهل أو الخوف أو عوامل أخرى انطلاقا من اعتقادهم بأنه لا يوجد إلا عالم المادة ولا يوجد عالم غيب وراء عالم الطبيعة ، لذلك يريدون أن يفسروا كل شيء بالنظرة المادية ، فيقولون بأن الدين بدأ في صورة الخرافة والوثنية ، وأن الإنسان أخذ يترقّى في دينه عبر الأجيال حى وصل إلى الكمال فيه بالتوحيد ، كما أن الإنسان تدرّج نحو الكمال في علومه وصناعاته ، وزعم البعض بأن عقيدة الإله الواحدة عقيدة حديثة ، وهي وليدة عقلية خاصة بالجنس السامي ، ونلاحظ أن الرؤية الكونية للباحث لها تأثير على النتائج التي يصل إليها في دراسته للدين .

ويمكن أن نذكر خمسة أسباب لنشوء الدين ، وهذه الأسباب هي :

السبب الأول : الجهل :

جهل الإنسان بأسباب كثير من الأمور المحيطة به هذا الجهل دعا إلى ظهور الدين ، ويقال بأن العلم والدين عدوان لا يمكن أن يجتمعا ،

وجهل الإنسان بعلل الحوادث الطبيعية دعته إلى تصور وجود قوة وراء الطبيعة أوجدت هذا الكون ، وهي التي تدير الكون ، فجهل الإنسان بأسباب الزلازل والبراكين والفيضانات والخسوف والكسوف وغيرها دفعه لنسبة هذه الحوادث إلى كائن غيبي ، ولكن كلما اتضحت الأسباب والعلل الطبيعية تَراجَعَ الدين ، فمع تقدّم العلم واكتشاف أسباب الحوادث الطبيعية زالت الحاجة للإيمان بالإله الخالق ، مثلا قانون العلية هو الذي يحرّك الكون ، والكون لا يحتاج إلى وجود من يحرّكه لأن قانون العلية يتكفل بذلك ، ولا يوجد شيء يمكن أن يغيّر قانون العلية أو يمنعه من التأثير .

الرد على السبب الأول :

الرد الأول :

لا يوجد تعارض بين وجود خالق للكون وقانون العلية ، فالإيمان بقانون العلية والكشف عن العلل الطبيعة طريق لمعرفة المقنِّن الذي خلق هذا القانون ، فوجود النظام دالّ على وجود المنظِّم ، ولا يوجد تنافي بين الإيمان بوجود أسباب للحوادث الطبيعية والإيمان بوجود إله خالق مسبِّب للأسباب .

الرد الثاني :

كان الإنسان يرى نظاما يحكم العالم ، والنظام ليس وليدا لعلل لا شعور لها ، وكان يعتبره دوما علامة على وجود خالق ، وكلما تطوّرت العلوم اكتشف الإنسان هذا النظام بصورة أوسع وأدقّ مما يدل على

وجود الخالق العالم القادر ، والدين والإيمان بوجود الخالق يتقدمان إلى الأمام مع تطور العلوم ، وكل اكتشاف جديد يؤدي إلى معرفة الخالق بصورة أفضل ، ففي زماننا نعرف الخالق أكثر من معرفة السابقين ، وفي كل زمان مستقبلي يتعرف الناس على الخالق بصورة أفضل من الزمان الذي سبقه .

السبب الثاني : الخوف :

سبب نشوء الدين والاعتقاد بالخالق هو الخوف من كل شيء ، الخوف من الكوارث الطبيعية كالزلازل ، والخوف من الحروب ، وأهم خوف هو الخوف من الموت ، والإنسان البدائي لم يكن يصدق بأن الموت ظاهرة طبيعية ، فكان يتصور بأن للموت سببا وراء الطبيعة ، والإنسان يرغب في الأمن والطمأنينة ، ورغبته دفعته لافتراض وجود إله يحتمي به ، ويبعد عنه الخوف من كل شيء وخاصة من مظاهر الطبيعة .

الرد على السبب الثاني :

افترض أصحاب هذه النظرية أنه لا توجد جذور ما وراء الطبيعة للدين والاعتقاد بالخالق ، وأنه لا بد من البحث عن سبب له في الطبيعة فقط ، ويغفل هؤلاء عن النظام الذي يحكم الأرض والسماء والأحياء والنباتات والجمادات ووجود الإنسان ذاته ، فلا يمكن تفسير جميع هذه الوجودات بأسباب عمياء ، وكل هذه الوجودات هي السبب في الإيمان بوجود خالق ، وبالتالي وجود الدين ، لا أن السبب

هو الجهل أو الخوف ، فالشعور بالأمن والطمأنينة هو مسبَّب عن الدين ، فالدين سبب للشعور بالأمن لا أن الشعور بالأمن سبب للدين ، ولو كان الدين وليد الخوف والرعب لكان أكثر الناس تديّنا هم أشدهم خوفا مع أننا نرى أن الذين حملوا مشعل الدين على مرّ التاريخ كانوا من أقوى الناس نفسا .

السبب الثالث : العوامل الاقتصادية والتناقض الطبقي :

تقول الماركسية بأن القوة التي تحرك التاريخ هي شكل وسائل الإنتاج ، وجميع الظواهر الاجتماعية والثقافية والعلمية والفلسفية والسياسية والدينية ناتجة عن شكل وسائل الإنتاج ، فيربطون بين ظهور الأديان والمسائل الاقتصادية ، فيقولون إن الطبقة المستغِلّة أوجدت الدين من أجل القضاء على مقاومة الشرائح المستغَلّة وتخديرها وتكريسا لاستغلالهم ، فالدين أفيون الشعوب ، أو أن الطبقة المستغَلّة أوجدت الدين تنفيسا لهم لأنه لا يمكنهم مقاومة الطبقة المستغِلّة .

الرد على السبب الثالث :

الرد الأول :

الإسلام كان سببا في نهوض أمة متخلّفة استطاعت أن تسقط عروش الطبقة المستغِلّة من سلاطين الساسانيين وقياصرة الروم ، ونشاهد اليوم الحركات الإسلامية القائمة ضد المستعمِرين ، وانتفاضة الشعب الفلسطيني ضد الكيان الصهيوني ، وهكذا يتّضح أن الدين ليس مادة مخدِّرة وأفيونا للشعوب ، بالإضافة إلى أن القضايا الاقتصادية ليست

السبب الوحيد في ظهور الحركات الاجتماعية ، نعم القضايا الاقتصادية تشكل جزءا من حياة الإنسان ، ولكنها ليست كل شيء في حياته ، ولا ينحصر وجود الإنسان في البعد الاقتصادي فقط .

الرد الثاني :

الإيمان بوجود إله خالق سَبَقَ أي تناقض طبقي ، ومواجهة المستغِلّين الظالمين والوقوف إلى جانب المستغَلّين المظلومين من أبرز مبادئ الدين .

السبب الرابع : الجنس :

سيجموند فرويد أراد أن يقيم علاقة بين ظهور الدين والغريزة الجنسية ، فالدين وهم ، وهو وليد الكبت الجنسي ، فالإنسان بوهمه صنع الدين ، فحينما يعجز عن مواجهة القوى الخارجية والقوى الغريزية داخل نفسه ولا يستطيع أن يستعمل عقله لا يجد مفرّا من كبت قواه الغريزية في منطقة اللاشعور أو التحايل عليها بقوى عاطفية أخرى ، هنا تنشأ حالة وهمية تظهر عند الإنسان نتيجة نكوص وتكرار تجربة الطفل الذي يشعر أن أباه يحميه .

الرد على السبب الرابع :

يرى فرويد بعدا واحدا فقط من الإنسان ، ولكن وجود الإنسان لا ينحصر في الغريزة الجنسية فقط ، ومن غير المقبول ردّ جميع القضايا إلى الكبت الجنسي ، والإنسان يرى نظاما حاكما في الكون ، ولا

يمكن له تفسيره بالعلل الطبيعية غير العاقلة غير العالمة ، وهذا هو المنطلق في ظهور الدين والاعتقاد بالإله الخالق .

السبب الخامس : الحاجات الاجتماعية والإحساس بالوحدة :

إن النزعة الاجتماعية عند الناس من أسباب ظهور الدين ، فالفرد يرى أن الأشخاص الموجودين حوله يموتون ، ويرحلون واحدا بعد الآخر ، فيشعر بالوحدة ، وتوجد رغبة عند الإنسان أن يكون محبوبا في مجتمعه وأن يعتمد على شخص ما ، هذه الرغبة تمهِّد الأرضية في نفسه لقبول الاعتقاد بالإله الخالق ، وبالتالي يظهر الدين ، فالدين يعالج آلام الإنسان الروحية ، والإيمان بالخالق يخلّصه من الإحساس بالوحدة عند فقد الأحبة ، ويملأ الفراغ الناتج من فقدهم ، ويعتمد على الخالق بدل الاعتماد على الأشخاص .

الرد على السبب الخامس :

ما ذكروه هي عبارة عن آثار ناتجة عن الدين والاعتقاد بالخالق ، وليس هو الدافع والسبب لنشوء الدين والاعتقاد بالخالق ، ويوجد فرق بين الدافع والسبب وبين الأثر والنتيجة ، فالدافع والسبب الحقيقي لنشوء الدين والاعتقاد بالخالق هو ما يراه الإنسان من نظام عجيب في هذا الكون ، فلا يمكن للإنسان أن يعتبر ظهور الوردة بما لها من بناء دقيق أو العين بما لها من نظام معقَّد أن يعتبر ذلك وليدا للطبيعة العمياء الصمّاء ، لذلك يبحث الإنسان عن إله خالق لهذا

النظام العجيب الدقيق المعقَّد ، والإيمان بالخالق ينير طريق العلماء في بحوثهم الطبيعية وما وراء الطبيعة .

إذن :

الرأي الأول يقول بأن الدين بدأ في صورة الخرافة والوثنية ، وأن الإنسان أخذ يترقّى في دينه عبر الأجيال حى وصل إلى الكمال فيه بالتوحيد ، كما أن الإنسان تدرّج نحو الكمال في علومه وصناعاته .

الرأي الثاني :

يقول بأن عقيدة الإله الخالق أقدم ديانة ظهرت لأنها لم تنفك عنها أي أمة من الأمم قديما وحديثا ، وأما الوثنيّات فهي أمراض طارئة على العقيدة العالمية الخالدة ، والقبائل البدائية الموجودة في أستراليا وأفريقيا وأمريكا عندهم عقيدة الإله الأعلى ، وكذلك عند الأجناس الآرية القديمة ، وعند الساميين قبل الإسلام ، وعند الأقزام ، وعند سكان أستراليا الجنوبية الشرقية ، ففكرة الإله الأعظم توجد عند شعوب أقدم الأجناس البشرية .

رأي السيد الشهيد محمد باقر الصدر رض :

نظرية السيد الشهيد لتفسير نشأة الدين هي الحاجة إلى المطلق ، ذكرها في كتابه "نظرة عامة في العبادات" ، وفي محاضراته عن "عناصر المجتمع في القرآن الكريم" ، وخلاصة كلامه قدس سره هي أنه مع غض النظر عن المشاكل اليومية للإنسان لو نفذنا إلى جوهر مشكلة الإنسان لوجدنا أنها تنحصر في مشكلتين رئيسيتين :

المشكلة الأولى : الضياع واللاانتماء :

وهذا هو الجانب السلبي من المشكلة ، وهي مشكلة الإلحاد .

المشكلة الثانية : الغلو في الانتماء :

وذلك بتحويل الحقائق النسبية التي ينتمي إليها الإنسان إلى مطلق ، وهذا هو الجانب الإيجابي من المشكلة ، وهي الوثنية والشرك .

ونضال الإسلام مستمر ضد الإلحاد والشرك لأن المشكلتين تشتركان في نقطة واحدة أساسية وهي إعاقة حركة الإنسان في تطوّره عن الاستمرار الخلاّق المبدع الصالح .

إن مشكلة الإلحاد تؤدي إلى ضياع الإنسان حيث لا يسند نفسه إلى مطلق في مسيرته الطويلة الشاقة ، فلا يوجد عنده ما يستمد منه العون والرؤية الواضحة للهدف حتى يربط من خلال المطلق حركتَه بالكون وبالوجود كله أزلا وأبدا ، ويحدّد موقعه منه وعلاقته بالإطار الكوني الشامل ، فالتحرّك الضائع بدون مطلق تحرّك عشوائي ، كريشة في مهبّ الريح ، تنفعل بالعوامل من حولها ، ولا تؤثّر فيها ، وكل إبداع وعطاء في مسيرة الإنسان على مر التاريخ مرتبط بالاستناد إلى مطلق ، والالتحام معه في سير هادف .

ومشكلة الغلو في الانتماء تحوّل النسبي إلى مطلق حيث ينسج الإنسان ولاءه لقضية لكي يقدر على الحركة ومواصلة السير ، ولكن هذا الولاء يتجمّد بالتدريج لأن النسبي يستحيل أن يتحوّل إلى مطلق ، وهذا النسبي يكون قد تحوّل إلى إله يُعْبَدُ ، بدلا عن أن يكون

النسبي حاجة يستجاب لإشباعها ، وحينما يتحوّل النسبي إلى مطلق – أي إلى إله يُعْبَدُ – يصبح سببا في تطويق حركة الإنسان ، وتجميد قدراته على التطور والإبداع ، وإقعاده عن ممارسة دوره الطبيعي في المسيرة ، يقول تعالى : "لا تجعل مع الله إلها آخر فَتَقْعُدَ مذموما مخذولا" . الإسراء٢٢ .

إن كل محدود نسبي – كالقبيلة أو العلم الحديث أو غير ذلك – إذا نسج الإنسان منه في مرحلة ما مطلقا يرتبط به فإنه يصبح في مرحلة رشد ذهني جديد قيدا على الذهن الذي صنعه لأنه محدود ونسبي ، والمسيرة البشرية تحتاج إلى مطلق حقيقي يستطيع أن يستوعب المسيرة الإنسانية ويهديها سواء السبيل ، مهما تقدّمت وامتدّت على خطّها الطويل ، ويمحو من طريقها جميع الآلهة التي تعيق المسيرة ، وبهذا يعالج الإسلام كلتا المشكلتين .

وهذا العلاج يتمثّل في عقيدة الإيمان بالإله الخالق للكون ، وهو الله بوصفه المطلق ، حيث يمكن للإنسان المحدود أن يربط مسيرته به ، دون أن يسبّب له أي تناقض على الطريق الطويل ، فالإيمان بالله يعالج مشكلة الضياع والإلحاد واللاانتماء إذ يضع الإنسان في موضع المسئولية في حركته وتدبيره للكون ، ويجعله خليفة الله في الأرض ، وكذلك فإن الإيمان بالله يعالج مشكلة الغلو في الانتماء وتحويل المحدود والنسبي إلى مطلق ، والمطلق الذي يقدّمه الإيمان بالله للإنسان فهو ليس نسيج مرحلة من مراحل الذهن البشري ليصبح في مرحلة

رشد ذهني جديد قيدا على الذهن الذي صنعه ، ولم يكن وليد حاجة محدودة لفرد أو فئة ليتحول إلى سلاح بيد فرد أو فئة لضمان استمرار مصالحها غير المشروعة .

إن الله تعالى مطلق لا حدود له ، ويستوعب بصفاته الثبوتية جميع المثل العليا للإنسان ، من إدراك وعلم وقدرة وقوة وعدل غنى ، وجميع هذه الصفات صفات مطلقة ، وهذا يعني أن الطريق إليه لا حدّ لها ولا تنتهي عند نقطة معيّنة ، والسير إليه تعالى فيه يستمر ولا ينتهي عند حد ، ويتدرج النسبي نحو المطلق بدون توقّف .

والارتباط بالله المطلق يستوعب تطلّعات المسيرة الإنسانية كلها ، وهذا يعني في نفس الوقت رفض جميع المطلقات الوهمية التي كانت تشكل ظاهرة الغلو في الانتماء ، ويعني أيضا خوض نضال دائم مستمر ضد جميع ألوان الوثنية والتأليه المصطنع ، فيتحرر الإنسان من سراب جميع المطلقات الكاذبة التي تزوّر هدفه وتقف حاجزا أمام سيره نحو الله تعالى .

ونرى أن هدف الأديان الإلهية يتمثل في الشعار الرئيس وهو "لا إله إلا الله" ، ، فهذا الشعار قرن بين رفض كل مطلق مصطنع من خلال "لا إله" ، وشد المسيرة الإنسانية إلى المطلق الحق من خلال "إلا الله" ، وتاريخ المسيرة الإنسانية يؤكد الارتباط الوثيق بين هذا الرفض وذاك الشد الواعي إلى الله تعالى ، فبقدر ما يبتعد الإنسان عن الإله الحق بنفس القدر ينغمس في متاهات الآلهة والأرباب المتفرقين ، والرفض

والإثبات المندمجان في "لا إله إلا الله" هما وجهان لحقيقة واحدة ، وهي حقيقة لا تستغني عنها المسيرة الإنسانية على مدى خطّها الطويل ؛ لأنها الحقيقة الجديرة بأن تنقذ المسيرة البشرية من الضياع ، وتساعد على تفجير جميع طاقاتها المبدعة ، وتحرّرها من كل مطلق كاذب .

والعبادات المفروضة في الدين يرتبط بالإشباع السّويّ لحاجة الارتباط إلى المطلق ؛ لأنها التعبير العملي لهذا الإشباع ، فالشعور العميق بالتطلع نحو الغيب والانشداد إلى المطلق يحتاج إلى توجيه يحدّد طريقة إشباع هذا الشعور ، وإلى سلوك يعمّقه على نحو يتناسب مع سائر المشاعر الأصلية في الإنسان ، والعبادات هي التي تقوم بدور التعميق لذلك الشعور ؛ لأنها تعبير عملي وتطبيقي لغريزة الإيمان بالله المطلق . وعلى هذا الأساس يفسِّر السيد الشهيد في كتابه المدرسة القرآنية قوله تعالى : "أرأيت من اتّخذ إلهه هواه" (الفرقان٤٣) بأنه هوى تصاعد تصاعدا مصطنعا فأصبح المثل الأعلى والغاية القصوى للفرد ، ويفسِّر الطاغوت في قوله تعالى : "والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى" (الزمر١٧) بالقِوَى التي تحاول أن تحوِّل المحدود إلى مطلق وتحصر الجماعة البشرية في إطار هذا المحدود ، ويفسِّر قوله تعالى : "إن هي إلا أسماء سمّيتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان" (النجم٢٣) بالمثل المنخفضة والأقزام المتعملقة ، ويفسّر قوله تعالى : "يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا

فملاقيه" (الانشقاق٦) بواقع ثابت وحقيقة قائمة ، وهي أن كل سير وكل تقدم للإنسان في مسيرته التاريخية الطويلة الأمد هو سير وتقدّم نحو الله تعالى ، حتى تلك الجماعات التي تمسّكت بالمثل المنخفضة والآلهة المصطنعة المحدودة واستطاعت أن تحقق لها سيرا ضمن خطوة على هذا الخط الطويل حتى تلك الجماعات – التي يسميها القرآن الكريم بـ "المشركين" – يسيرون هذه الخطوة نحو الله تعالى ، ولكن يوجد تقدّم مسئول وتقدّم غير مسئول ، فحينما تتقدّم البشرية واعية على المثل الأعلى – أي المطلق – وعيا موضوعيا يكون التّقدّم مسئولا ، وأما حينما يكون التّقدّم منفصلا عن الوعي بالمثل الأعلى فهو تقدّم وسير نحو الله تعالى ، ولكنه تقدّم غير مسئول ، وكل تقدّم هو تقدّم نحو الله ، حتى الذين يركضون وراء المثل المنخفضة يصلون إلى سراب فلا يجدون شيئا ، ويجدون الله عنده فيوفّيهم حسابهم .

إذن :

نظرية السيد الشهيد محمد باقر الصدر رض هي أن نشأة الدين تفسَّر على أساس حاجة الإنسان الأصيلة إلى المطلق .

إشكال :

اختلاف الأديان في الإله دليل على عدم وجود إله ، وإلا لو كان يوجد إله لاتفقت الأديان عليه ولم يوجد اختلاف بينهم في تعيينه ومعرفته .

الجواب :

إن اختلاف الأديان في تعيين الإله الجدير بالعبادة لا يعني أنه لا يوجد إله أصلا ، فعلماء كل علم يختلفون في تعاريف الأشياء – كالذّرّة – ، فلا يصح أن نعتبر اختلافهم دليلا على عدم وجود الأشياء ، فالذرة موجودة وإن اختلفت تعاريف العلماء عنها ، إن اختلافهم ليس في الإله بل في تعيين مصداق الإله ، فهم متفقون على وجود إله ، ولكنهم اختلفوا في تشخيص المصداق ، والاختلاف في المصاديق التي ينطبق عليها المفهوم لا يعني عدم وجود المفهوم ، بل إن اختلافهم في المصاديق دليل على اتفاقهم في المفهوم ، فالمفهوم واحد والمصاديق متعدّدة .

إن الإله الذي تؤمن به الأديان السماوية مطلق لا حدود لوجوده ، هو حي ، وسرمدي أي أزلي لا بداية لوجوده وأبدي لا نهاية لوجوده ، له قدرة مطلقة ، وعلم مطلق ، وغنى مطلق ، وعدل مطلق ، وهو خالق الكون ، ومهيمن عليه ، عالم بكل شئونه ، لا يحده زمان ولا مكان ، لا يدرك بالحواس بل بالبصيرة ، وجميع الكائنات بحاجة دائمة إليه ابتداءً واستمرارًا ، وهو الملجأ الحقيقي للإنسان ، وهو مصدر كل قوة وكل قدرة وكل علم وكل غنى ، لا موجود آخر يشبهه أو يماثله أو يكافئه أو يضادّه ، فليس كمثله شيء .

@ما هو الدين ؟

–التعريف اللغوي للدين :

كلمة "الدين" لها ثلاثة معاني :

المعنى الأول : فعل متعدّي بنفسه :

نقول "دَانَهُ دَيْنًا" ، معناه ملكه وحكمه وساسه ودبّره وقهره وحاسبه وجازاه ، فالدِّين هنا بمعنى الملك والتصرف بما هو شأن الملوك من الحكم والسياسة والتدبير والقهر والمحاسبة والمجازاة ، والدَّيَّانُ هو الحَكَمُ القاضِي .

قوله تعالى : "مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ" الفاتحة٤

وقوله تعالى : "وإن الدِّين لواقع" الذاريات٦ ، أي يوم الحساب والجزاء .

وفي الحديث : "الكَيِّسُ من دان نفسه" ، أي حكمها وضبطها .

وفي المثل : "كما تُدِينُ تُدانُ" ، أي كما تُحاسِبُ الآخرين وَتَحْكُمُ عليهم فإنك تُحاسَبُ وَيُحْكَمُ عليك بنفس الطريقة .

المعنى الثاني : فعل متعدّي باللام :

تقول "دانَ لَهُ" ، أي أطاعه مخضع له ، فالدِّين هنا هو الخضوع والطاعة .

قوله تعالى : "قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرّمون ما حرّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون" التوبة٢٩

والمعنى الثاني ملازِم للمعنى الأول ، تقول "دانَهُ فَدَانَ لَهُ" ، أي قهره على الطاعة فخضع وأطاع .

المعنى الثالث : فعل متعدّي بالباء :

تقول "دانَ بِهِ" ، أي اتّخذه دينا ومذهبا ، فاعتقده أو اعتاده أو تخلّق به ، فالدِّين هنا بمعنى المذهب والطريقة التي يسير عليها نظريا وعمليا .

قوله تعالى : "لكم دينكم ولي دين" الكافرون٦

والمعنى الثالث له علاقة بالمعنيين السابقين ؛ لأن العقيدة والطريقة التي يسير عليها لها سلطان على صاحبها بحيث تدفعه للانقياد والخضوع لها .

إن كلمة "الدِّين" تشير إلى وجود طرفين ، أحدهما يعظِّم الآخر ويخضع له ، فإذا وصف بها الطرف المنقاد كانت خضوعا وانقيادا ، وإذا وصف الطرف المنقاد له كانت أمرا وسلطانا ، وإذا نظر إلى الانقياد الرابط بين الطرفين كانت هي طبيعة العلاقة التي تربط الطرفين والدستور المنظِّم لتلك العلاقة ، وهكذا نرى أن المادة كلها تدور حول معنى الانقياد ولزومه ، والمعنى الأول "دانَهُ دَيْنًا" هو إلزام الانقياد ، والمعنى الثاني "دان له" هو التزام الانقياد ، والمعنى الثالث "دان به" هو المبدأ الذي يُلْتَزَمُ الانقيادُ له .

-التعريف الإصطلاحي للدين :

عند المسلمين يعرَّف الدين بأنه اعتقاد بما وراء الطبيعة وبما هو إلهي ، وللدين ارتباط بأعمال الإنسان المتمثِّلة بالعبادات والطقوس والأخلاق والعلاقات ، أو أن الدين هو وضع إلهي لأولي الألباب يتناول الأصول والفروع ، أو أن الدين هو وضع إلهي سائقٌ لذوي العقول

باختيارهم المحمود إلى ما هو خير بالذات قلبيًّا كان أو قالبيًّا ، أو أن الدين هو ما يُدانُ به من الطاعات مع اجتناب المحرمات ، أو أن الدين هو الإيمان بذات إلهية جديرة بالطاعة والخضوع ، ويبيّن الدين صفات القوة الإلهية وكيفية عبادتها ، أو أن الدين هو الصراط المستقيم الذي خطّه الله لكل أبناء البشر في كل زمان ومكان ، ويتمثّل في التسليم المطلق والانقياد الكامل لله بوصفه المالك الحقيقي لهم .

يقول العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان : "ليس الدين إلا سنة الحياة والسبيل التي يجب على الإنسان أن يسلكها حتى يسعد في حياته ، فلا غاية للإنسان يتّبعها إلا السعادة ، وقد هُدِيَ كل نوع من الخليقة إلى سعادته التي هي بغية حياته بفطرته ، وجُهِّزَ في وجوده بما يناسب غايته من التجهيز ، ربّنا الذي أعطى كل شيءٍ خلقه ثم هدى" . الميزان في تفسير الميزان ج١٦ ص١٨٣

وعند الغربيين يعرَّف الدين بأنه الرباط الذي يصل الإنسان بالإله ، أو هو الشعور بواجباتنا من حيث كونها قائمة على أوامر إلهية ، أو هو شعورنا بالحاجة والتبعية المطلقة ، أو هو محاولة تصوّر ما لا يمكن تصوّره والتعبير عمَّا لا يمكن التعبير عنه وهو التطلع إلى اللانهائي وهو حب الإله ، أو هو الإيمان بكائنات روحية ، أو هو مجموعة متساندة من الاعتقادات والأعمال المتعلقة بالأشياء المقدَّسة فهي اعتقادات وأعمال تضم أتباعها في وحدة معنوية تسمى الملة .

–تعريف جديد للدين :

هذا التعريف وصلت إليه قبل أن أطّلع على تعاريف المسلمين أو الغربيين ، وقدمت تعاريفهم هنا لنطلع على تعاريفهم قبل أن نأتي إلى الرأي النهائي في تعريف الدين ، وبعض التعاريف تحصر الدين في الأديان الإلهية السماوية أي في أهل الكتاب ، فيكون شاملا لليهودية والمسيحية والإسلام فقط ، ويوجد نقاش بين العلماء في شمول الدين السماوي للمجوس الزرادشتيين والصابئة ، وبعض التعاريف تحصر الدين في الإسلام فقط استنادا لقوله تعالى : "إن الدين عند الله الإسلام" آل عمران١٩ .

يمكن تعريف الدين بتعريف آخر شامل لجميع الأديان السماوية وغير السماوية ، وشامل للإلحاد أيضا لأن الإلحادَ دينٌ حسب التعريف الجديد ، وهذا التعريف هو أن الدين عبارة عن مجموعة من الاعتقادات تترتب عليها مجموعة من الأعمال التي تتناسب مع تلك الاعتقادات ، وهذا التعريف شامل حتى لاعتقاد من لا يعتقد بوجود خالق للكون ولا يعترف بالأديان ، فهو دينه الإلحاد لأنه عنده مجموعة من الاعتقادات التي تترتب عليها مجموعة من الأعمال المتناسبة مع هذه الاعتقادات ، فهذا التعريف شامل لجميع الاعتقادات التي يعتقد بها البشر ، فيكون هذا التعريف شاملا لأديان عبدة الأصنام والحيوانات والكواكب وغيرها ، وفي الكتاب الكريم : "قل يا أيها الكافرون . . . لكم دينُكم ولي دينِ" سورة الكافرون ، فسمى القرآن الكفر بأنه دين ، بل أكثر من ذلك يكون التعريف

شاملا لكل الاعتقادات التي يترتب عليها أعمال معينة متناسبة مع هذه الاعتقادات ، كالماركسية والوجودية .

مواصفات الأديان :

١-تؤمن الأديان بوجود إله واحد خالق أو آلهة متعددة خالقة للكون تتحكم بجميع ما في الكون من موجودات بما فيهم من الجنس الإنساني .

٢-تقسِّم الأديان العوالم إلى عالمين : عالم الشهادة أي عالم المادة ، وفيه الكائنات المادية ، وعالم الغيب أي عالم ما وراء المادة ، وفيه الكائنات الروحية المجرَّدة .

٣-تحترم الأديان الذات الإلهية وما يتّصل بها ، وتعبَّر عن ذلك بطقوس معيَّنة كالصلاة التي تختلف كيفيتها من دين لآخر ، وتعبِّر الصلاة عن الخضوع للذات الإلهية ، وما يبجِّله الدين يكون "مقدَّسا" عند أتباعه .

٤-تطلب الأديان من أتباعها الالتزام بالفضائل الأخلاقية ، واجتناب الرذائل الأخلاقية .

٥-توفِّر الأديان لأتباعها رؤية كونية تفسِّر كيفية خلق الكون ، وكيفية إدارة الخالق لهذا الكون ، والموت وما بعد الموت ، وموارد الثواب والعقاب .

-العلوم الإنسانية التي تهتم بدراسة الدين :

توجد عدة علوم إنسانية تهتم بدراسة الدين ، منها علم الاجتماع الديني الذي يبحث في دور الدين والمؤسسات والتنظيمات والشخصيات الدينية الملهِمة في المجتمع ، ومنها علم الإنسان "الأنثروبولوجيا" الذي يبحث في تطوّر الأديان في المجتمعات المختلفة ، ومنها علم النفس الديني الذي يبحث في الحاجة النفسية للدين ، ودوافع ارتباط الإنسان بالدين ، ومنها علم تاريخ الأديان الذي يدرس تاريخ الاعتقادات الدينية في الحضارات المختلفة ، ومنها علم الأديان المقارن الذي يبحث في التشابه والاختلاف بين الأديان السماوية وغير السماوية ، ومنها فلسفة الدين الذي يبحث في أهمية الدين ودوره في حياة الناس .

-تأثير الرؤية الكونية للباحث :

لرؤية الباحث الكونية تأثير على النتائج التي يتوصّل إليها في بحثه عن الدين ، فكل باحث يتأثر بقناعاته السابقة عن الدين وموقفه القبلي من الدين ورؤيته نحو الكون ، ويقول البعض بأن الإنسانية في تاريخها الطويل مرت بثلاث مراحل : مرحلة السحر ثم الدين وأخيرا العلم ، وأن السحر مهّد لظهور الدين ، وأن الطقوس التي مارسها البدائيون والتي كانت تتصل بعالم الغيبيات وبالكائنات الإعجازية أو الخارقة للطبيعة كانت طقوسا سحرية ، وقال البعض الآخر إن فكرة وجود خالق كانت موجودة مع بداية البشرية ، وأن الاعتقاد بالدين كان موجودا حتى مع الرجل البدائي .

ونلاحظ أن كلا القولين متأثر بالرؤية الكونية للباحث ، فمن يرى أن الدين والتعلق بالخالق من فطرة الإنسان وأن الدين موجود مع وجود الإنسان يقول بالقول الثاني ، ومن لا يرى ذلك يقول بالقول الأول .

والعلماء اليوم يقفون من دراسة السحر والدين والعلم موقفا يختلف عن القول الأول ، فهم لا ينظرون إليها على أنها مراحل مختلفة متمايزة يمر بها المجتمع الإنساني في تطوره ، وإنما يعتبرونها ثلاثة أنماط من النشاط العقلي ، وأنها ثلاث وجهات نظر إلى الكون والطبيعة ، ويمكن أن توجد جميعها في المجتمع الواحد في وقت واحد ، ويؤثر بعضها في البعض ، وتؤثر بدرجات مختلفة في السلوك الإنساني .

–هل الدين الإسلامي له علاقة بفطرة الإنسان؟

الدين أمر فطري ثابت عند الإنسان ، والشواهد التاريخية في الأمم السابقة تثبت ذلك ، ففكرة الخالق كانت موجودة منذ أقدم العصور ، والرجل البدائي في جميع المجتمعات المتأخرة كان يؤمن بالدين .

والدين الإسلامي منسجم تماما مع فطرة الإنسان ؛ لأن الإنسان بفطرته يعشق الكمال المطلق ، ولكنه قد يخطئ في تشخيص مصداق الكمال المطلق ، وهذا الدين لا يقبل التغيير مع مرور الزمن وتطور الإنسان ؛ لأن الفطرة في ذاتها غير قابلة للتغيّر والتّبدّل ، والحاجات المعنوية الأساسية للإنسان غير قابلة للتغيير والتبديل مع تغيّر الزمن .

وهذا ما يعبّر عنه قوله تعالى : "فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيّم ولكن أكثر الناس لا يعلمون" الروم٣٠

أي : اتّجه إلى الدين الذي ليس فيه انحراف ولا اعوجاج ، وهذه هي فطرة الله التي خلق الناس عليها ، وهذه الفطرة لا تتبدّل ولا تتغيّر لأنها راسخة في طبيعة الإنسان ، وهذا هو الدين القيّم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون هذه الحقيقة الجوهرية المؤثّرة في حركة الإنسان .

عن الإمام الصادق ع حينما سئل عن قوله تعالى : "فطرة الله التي فطر الناس عليها" الروم٣٠ ، وقوله تعالى : "صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة" البقرة١٣٨ ، فقال إنها التوحيد ، وفي رواية أخرى أنها الإسلام ، ولا يوجد تعارض بين قولي الإمام الصادق ع ، فهذا الدين يسمى الإسلام وفطرة الله وصبغة الله ، وشعاره التوحيد "لا إله إلا الله" ، والدين الوحيد الذي أقرّه الله تعالى هو الإسلام بمعنى التسليم الكامل له وحده لا شريك له ، وهو دين جميع الأنبياء ع .

"إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب" آل عمران١٩

"ومن يبتغِ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين" آل عمران٨٥

سؤال : ما هي أهم العوامل التي جعلت الإنسان يذهب إلى الإلحاد ونفي وجود الإله أو الشك في وجود الإله وعدم قبول الدين؟

الجواب :

نرى أن الدين على مر التاريخ حاجة ثابتة عند جميع الأقوام ، والدين مكوّن أساسي في حياة الإنسان على مر التاريخ ، وظهرت الظاهرة الدينية بكل أشكالها في حياة الناس بسبب أهمية الدين في حياتهم .

معارك التنويريين والأصوليين في أوروبا ، تأليف : هاشم صالح ، ص٣٥٩-٣٦٧ : وقعت مؤخرا على كتاب جديد كنت أنتظره بشكل واعٍ أو لاواعٍ منذ زمن طويل لكي أجد الأجوبة عن تساؤلات عالقة في نفسي يتحدث عن مفهوم الدين في الغرب وما طرأ عليه من تحولات طوال القرون الأربعة الماضية ، أما مؤلفه فهو الباحث الفرنسي لونوار المختص بفلسفة الدين وعلم الاجتماع الديني ، وقد أشرف على موسوعة ضخمة بعنوان موسوعة الأديان ، ومنذ البداية يزف لنا المؤلف هذا النبأ السعيد ، وأن الإيمان لم ينقرض من الغرب بعد انتصار العلم والتكنولوجيا . . . هل تعلمون بأن ٩٣% من الأمريكيين يؤمنون بالله ، لكنه إيمان حرّ بالطبع لا أنه ناتج عن إكراه اجتماعي ، كما أنه غير مرتبط بممارسة الطقوس والشعائر بالضرورة ، والواقع أن الإلحاد الراديكالي يمثل أقلية في الغرب على عكس ما كنا نتصور . . . ولكن في السنوات الأخيرة طرأ نوع من التحول على

النفسية الأوروبية فأخذت تعود إلى الدين وتبحث عن الروحانيات بكل سبيل ، ولكن هذه العودة لم تكن إلى الدين المسيحي بالمعنى التقليدي للكلمة ، وإنما إلى التصوف والحكمة الشرقية والإيمان المحرّر من الطقوس إلى حد كبير ، وشهدنا إقبال قطاع واسع من الفرنسيين على العقيدة البوذية والروحانيات الشرقية بشكل عام ، يحصل كل شيء كما لو أن الأوروبيين بعد أن شبعوا من الماديات حتى أتخموا ، أخذوا يشعرون بفراغ داخلي ، وراحوا يبحثون عما يتجاوز الماديات ، أي عن معنى الحياة والوجود ، وهنا بدا أن الحداثة قد استنفدت طاقتها بدورها بعد أن جربت نفسها وأعطت كا ما يمكن أن تعطي على مدار القرنين الماضيين . . . وكذلك فإني أطمئن المؤمنين في العالم العربي وأقول لهم بأن حداثتنا المقبلة لن تكون معادية للدين ، وإنما للتعصب الأعمى فقط . . . فالسؤال المطروح فعلا في الغرب لم يعد هل أنت مع الدين أم أنت مع الحداثة ، وإنما أصبح ما هي التحوّلات التي تطرأ على فهم الدين وطريقة تفسيره في عصر الحداثة ، والأطروحة المركزية للمؤلف تقول بأن الحداثة تؤثر على الدين مثلما أن الدين يؤثر على الحداثة في علاقة تفاعلية خلاّقة شهدتها أوروبا منذ أربعة قرون . انتهى

تعليق :

تركيز المتدينين اليوم على الفقه العملي بما فيه من أعمال وعبادات من واجبات ومستحبات ، وليس التركيز على الفقه العقائدي والفقه

المعنوي الأخلاقي للدين ، وفي دروسنا بشكل عام يتم التركيز على الفقه العملي أكثر من أنواع الفقه الأخرى ، مع أننا نحتاج إلى الاجتهاد في الفقه العقائدي والفقه الأخلاقي أيضا ، والفقه العقائدي والفقه الأخلاقي تعتبر دروسا جنبية ، وأهم ما نحتاج إليه دروس في تفسير القرآن الذي هو المصدر الأول للاستنباط ، والاجتهاد والتفقه لا بد أن يكون في جميع نواحي الدين ، وأولوياتنا الدرسية لا بد أن تتناسب مع أولويات القرآن الكريم .

فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون"

فالمطلوب التفقه في الدين ، والحذر يتناسب مع العقاب ، والعقاب يتناسب مع البعد العقائدي بشكل مباشر لأن المعاد من أصول الدين .

أهمية الدين في حياة الإنسان :

علم الأديان تاريخه مكوناته مناهجه أعلامه حاضره مستقبله ، تأليف : خزعل الماجدي ص٥١ : ضرورة هذا العلم وأهميته : لا يوجد تاريخ للبشرية بلا دين . انتهى

تعليق :

لا شك أن الدين مهم في حياة الإنسان ، والأصل في الإنسان هو التدين بدين ، فظاهرة الدين ظاهرة أصيلة ، ولم تفارق الإنسان في الماضي ، ولا تفارقه في الحاضر ، ولن تفارقه في المستقبل ، وتأتي

أسباب مانعة عن تدين الإنسان ، وتاريخ الأديان يقول إن البشرية لم تترك الدين يوما ، وهذه هي فطرة الإنسان ، والإنسان يضحي بكل شيء لأجل دينه ، وعلى مر التاريخ أول حاجة في الإنسان هي الدين قبل الطعام والشراب والحاجات الأخرى ، لذلك السؤال الذي يجب أن يطرح هو لماذا هذا الإنسان ليس متديّنا ؟ ما هي الموانع التي تجعله يترك التدين أو يشكك في الدين ؟

"فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها"

الكلام في التوحيد جذور المسألة وروافدها وتطور الجدل فيها بين أهم الفرق الإسلامية إلى القرن الخامس الهجري ، تأليف : الحبيب عيّاد ، ص٥١ : إن ربط البحث إلى الظاهرة الدينية ظاهرة أصلية ملازمة للإنسان مهما تقدمنا في التاريخ ، وهي ظاهرة كونية لا يكاد يخلو منها مجتمع من المجتمعات ، ثم إنها ظاهرة متكررة نحس بحضورها ووطأتها حتى في صلب الحركات المعادية للدين نفسه . انتهى

الكلام في التوحيد ، تأليف : الحبيب عيّاد ، ص٤٨ : ومحور الدين في كل المجتمعات البشرية هو التوحيد . انتهى

الاتجاهات الأساسية في أسباب وجود ظاهرة التدين :

البحث يدور حول لماذا يحتاج الإنسان إلى الدين؟

علم الأديان ، تأليف : خزعل الماجدي ص٤٣ وما بعدها : نظريات نشوء الدين في حياة الإنسان : النظرية الأنثروبولوجية ، النظرية

الطبيعية ، النظرية الاجتماعية ، النظرية العاطفية ، النظرية الفلسفية ، النظرية النفسية . انتهى

من أهم من كتب في النظرية النفسية لنشوء الدين في حياة الإنسان هو فرويد ، وله كتاب :

موسى والتوحيد ، تأليف : دارون ، ترجمة : جورج طرابيشي ، مقدمة المترجم : يدرس فرويد في هذا الكتاب موسى ونشوء الديانة التوحيدية من وجهتي نظر تاريخية وتحليلية نفسية ، فمن وجهة نظر التاريخ يفاجئنا بأن موسى لم يكن عبريا بل كان مصريا وأن اليهود هم قتلوه ، ومن وجهة نظر التحليل النفسي يرجع فرويد ظهور التوحيد إلى العقدة الجنسية ، إن موسى والتوحيد كتاب بالغ الخطورة إلى حد أن فرويد نفسه لم يجرؤ على نشره إلا في العام الأخير من حياته ، وبسبب نشره اتهمه أبناء دينه باللاسامية ، وبكلمة واحدة أنه أجرأ تفسير للأديان لصاحب أجرأ نظرية في تفسير الإنسان . انتهى

سؤال : هل تطورت ظاهرة الدين على مر تاريخ البشر؟

الجواب :

نعلم أن هناك أقواما كان عندهم تعدد الآلهة ، كما في العهد اليوناني ، وتوجد ثلاثة اتجاهات في كيفية نشوء ظاهرة الدين في حياة الإنسان ، وهي :

الكلام في التوحيد ، الحبيب عيّاد ، ص٣٩ : النظرية الأولى : وهي الاتجاه التطوري ، وهو أن منظومة الدين بدأت بحالة الطوطمية وتعدد

الآلهة ، وبعد قرون وصلت إلى التوحيد ، والنظرية الثانية : وهي الاتجاه الأيديولوجي ، ويقوم على ربط نشأة فكرة الإله ذاتها بالعوامل الطبيعية أو الاجتماعية أو النفسية المحدّدة لوجود الإنسان ، والنظرية الثالثة : التوحيد نفسه فضلا عن فكرة الكائن الأسمى ، وهذه الفكرة ظهرت عند الإنسان البدائي . انتهى

تعليق :

في الاتجاه التطوري عملية التطور مستمرة ، فتوحيد المعتزلة يختلف عن توحيد ابن عربي ، فالتوحيد مشترك في اللفظ مختلف في المعنى ، كلفظ العين مشترك لفظي دال على العين الباصرة والعين النابعة .

سؤال : ما هو الدين ؟

الجواب :

علم الأديان ، خزعل الماجدي ، ص٣٠ : فقد عرّف عالم الاجتماع الفرنسي إميل دوركايم الدين في كتابه "الأشكال الأساسية للحياة الدينية" بهذا النحو : هو نظام متّسق من المعتقدات التي تدور حول موضوعات مقدّسة يجري عزلها عن الوسط الدنيوي وتحاط بشتّى أنواع التحريم . . . عند ذلك يتضح لنا بشكل واضح أن تاريخ الأديان من أكثرها بدائيّةً إلى أكثرها ارتقاءً عبارة عن تراكم من تجليات الحقائق القدسية ، بدءا من تجلي القدسي في شيء ما كحجر أو شجر وانتهاءً بالتجلي الإلهي الذي يمثل لدى المسيح في يسوع المسيح ، وبشطر الوجود إلى عالم مقدّس وعالم دنيوي أصل ، وحلول

المقدّس في الدنيوي وتطلّع الإنسان للانتقال من الدنيوي إلى المقدّس ، نكون قد توصلنا إلى تلمّس ماهيّة الدين . انتهى

علم الأديان ، خزعل الماجدي ، ص٣٢ ، ما هي أهم المكونات الأساسية للمقدّس ؟ : المكونات الأساسية لكل دين : المعتقدات والطقوس والأخرويات والأساطير ، والمكونات الثانوية للدين : الأخلاق والشرائع والسير المقدسة وتشكل الجماعة الدينية والبعد الروحاني . انتهى

العوامل التي أدت إلى النفور من الدين :

هذه العوامل هيأت الأرضية للبعض لأن ينفر من الدين ويتجه إلى الإلحاد وإنكار وجود الإله وإنكار الدين أو إلى اللاأدرية ، ومن العوامل :

العامل الأول :

وجود قراءة عن بعض أحكام الدين منسجمة مع ظروف سابقة ولا تنسجم مع ظروفنا الحالية ، وتطرح هذه القراءة على أنها هي الدين ، وهنا الإنسان بين أمرين : إما الابتعاد عن الحياة وإما الابتعاد عن الدين ، ولأن الإنسان لا يمكنه الابتعاد عن الحياة فإنه يبتعد عن الدين ، ومن باب التنظير وجود نسخ للأحكام في الشريعة لأن الحكم السابق كان لظروف سابقة ولا يمكن تطبيقه في الظروف الحالية فيأتي نسخ حكم بحكم جديد يتناسب مع الظروف الجديدة ، فالحكم المنسوخ انتهى أمده وظرفه فيأتي الحكم الناسخ ، وفي الغرب وجود

القراءة الواحدة لم يؤدِّ إلى إقصاء الدين عن حياة الناس فقط ، بل أدّى إلى القول بموت الإله ، ويقصدون الإله الذي تقول به الكنيسة ، والمنطق والخطاب الذي توجهه الكنيسة إلى الناس ، فالناس ليسوا ملحدين ، ومشكلتهم ليست مع الإله الواقعي ، وإنما مشكلتهم مع الإله الذي تصوره الكنيسة ، والحل هو أن نقدم قراءة جديدة لبعض أحكام الإسلام التي لا تواكب زماننا الحالي ، ولا تساهم في حل المشاكل العالمية ، وبالطبع تكون القراءة الجديدة بالأدلة التي تدل على هذه الأحكام لا أن تكون بلا أدلة شرعية ، فالأدلة ليست مزاجية ، وما يوجد في زماننا الحالي ليس هو الدليل ، فدليلنا ليست أطروحات الغرب والشرق ونظريات الغربيين ، بل الدليل بالإضافة إلى الكتاب والسنة الفطرة والعقل والسيرة العقلائية وغيرها ، ولا نحتاج إلى دين جديد لأن الإسلام خاتم الأديان ، ولا نحتاج إلى نبي جديد لأن النبي ص هو خاتم الأنبياء ، بل نحتاج إلى قراءة جديدة للنصوص الدينية وفكر ديني جديد عن طريق الاجتهاد والاستنباط بما يتناسب مع عالمية الإسلام .

ملحدون محدَثون ومعاصرون ، تأليف : دكتور رمسيس عوض ، ص٢٥ : هل يريد نيتشه أن يهاجم فكرة الألوهية كفكرة أم أنه يريد أن يهاجم فكرة الألوهية كما هي واردة في الحضارة الغربية . . . يعني أن الله موجود ، ولكن المسيحيين وغيرهم أساؤوا فهمه بطريقة خاطئة . انتهى

ملحدون محدَثون ومعاصرون ، تأليف : دكتور رمسيس عوض ، ص٣٠ : والرأي أن عجز الرجل الحديث عن الإيمان بوجود الله يرجع في نهاية الأمر إلى وجود عيوب ومشاكل في المنطق المدافع عن وجود الله . انتهى

العامل الثاني :

توظيف وعاظ السلاطين الدين لصالح القادة السياسيين ، ويستفيد وعاظ السلاطين من القادة السياسيين لتثبيت قراءتهم عن الدين ، والقادة السياسيون يستفيدون من وعاظ السلاطين لتثبيت شرعيتهم وحكمهم وسلطتهم ، فوعاظ السلاطين يصدرون الفتاوى لصالح القادة السياسيين بالحكم على المعارضين السياسيين بالارتداد والسجن والإعدام ، والقادة السياسيون يصدرون الأحكام السياسية لصالح وعاظ السلاطين بالحكم على علماء الدين المخالفين بقراءة أخرى بالسجن أو الإعدام ، وهذا أمر قديم موجود من السابق في جميع الديانات الإلهية والديانات الوضعية ، فهناك تبادل منافع دنيوية بين وعاظ السلاطين وبين القادة السياسيين .

ملحدون محدَثون ومعاصرون ، تأليف : دكتور رمسيس عوض ، ص٣٩ : يقول بوخنر إن التاريخ قد أثبت أن الإيمان بوجود الله قد أفضى إلى إقامة النظام الملكي من ناحية وحكم رجال الدين من ناحية أخرى ، وذهب بوخنر إلى أنه لا شيء يؤدّي إلى الحرية والعقل والتقدّم وإدراك الإنسان لإنسانيته سوى الإلحاد . انتهى

تعليق :

الدين لم يؤدِّ إلى هذا الأمر ، وإنما قراءة الكنيسة أدّت إلى تقديس الحاكم وقيام محاكم التفتيش على يد رجال الدين ، وفي الغرب نفروا من الدين ورجال الدين بسبب هذه القراءة للدين ، وعند المسلمين البعض ينفرون من الدين وممن يدّعون أنهم من علماء الدين بسبب بعض القراءات التي يقدمونها للدين ، والتي لا تتناسب مع عالمية الإسلام ولا مع زماننا الحالي ، لذلك يتجه الكثير إلى الإلحاد أو اللاأدرية بسبب هؤلاء المدّعين ، فهم لا يملكون الأدلة على عدم وجود الإله وعدم الحاجة إلى الدين إلا ممارسات بعض المنتسبين إلى علماء الدين ، وكثير من الناس لا يستطيعون الفصل بين الدين وقراءة وفهم العلماء للدين .

العرب والبراكين التراثية ، تأليف : هاشم صالح ، ص١٦ : الدين ذروة الذّرى وغاية الغايات ، يعلو ولا يُعْلَى عليه ، الدين هو قدس الأقداس ، فإذا ما فسد فهمه فسد كل شيء ، إذا ما فسد تفسيره فسدت السياسة والاقتصاد والاجتماع ، هذا ما فهمته من التجربة الأوروبية ، فبعد أن فسدت طبقة رجال الدين وأصبحت تتاجر بالإيمان وتبيع صكوك الغفران ظهر مارتن لوثر والإصلاح الديني كعلاج ، ولاحقا عندما اندلعت حروب المذاهب المخيفة بين الكاثوليكيين والبروستانتيين سقطت الضحايا بالملايين ظهر التنوير الديني والفلسفي كعلاج لهذه القراءة الدينية . انتهى

تعليق :

الدين لا يفسد ، وإنما فهم الدين يفسد ، فالقراءة التي نفهمها عن الدين قابلة للفساد لأنها لا تنسجم مع الظروف التي نعيشها اليوم .

العامل الثالث :

أن يصاب الإنسان بحالة نفسية وشعور نفسي بالنقس والمهانة أمام الآخر الذي يتفوق عليه علميا وفكريا وصناعيا ومدنيا ، وهذا أيضا أصاب الغرب أمام مدنية المسلمين سابقا ، ولكن الفرق أن الغرب استفادوا وتحركوا وسبقوا المسلمين ، والشاب يرى هذا فيجعل اللوم على الإسلام أنه سبب في تأخر المسلمين ، فينكر الدين ، ويلحد بوجود الله ، وهذا حصل في الغرب أيضا أنهم تصوروا أن المسيحية سبب تأخرهم وتخلفهم ، فأبعدوا المسيحية عن حياتهم ، وهذا سبب طلب بعض المسلمين إبعاد رجال الدين عن حياة الناس ، وخاصة التدخل في الحياة السياسية ، وطلب فصل الدين عن السياسة ، وأن الدين مكانه المسجد وعلاقة الإنسان بربه ، ولا شأن للدين بحياة الإنسان السياسية والاقتصادية والاجتماعية والمدنية والحضارة والتقدم العلمي والصناعي ، وأنه لا بد من ترك الدين بعيدا عن حياة الإنسان حتى يمكن التقدم والتطور وإنشاء حضارة كما هو في الغرب ، فالمشكلة كل المشكلة في الدين .

من النهضة إلى الردة تمزقات الثقافة العربية في عصر العولمة ، تأليف : جورج طرابيشي ص٩-١٠ : فقد اكتشف الشرق نفسه

متأخرا في قبالة الغرب الذي اكتشفه متقدما بزهاء قرون خمسة . انتهى

العرب والحداثة ، تأليف : عبدالإله بلقزيز ، ص٥٢ : في كل حال أتت الصلة بالآخر من خلال الرحلة والمعاينة والمقارنة تؤسس فكرة هذا الآخر في الوعي العربي وتنبّه إلى الفجوة التي تفصل مجتمعات الإسلام عن مدنية الغرب . انتهى

العامل الرابع :

العوامل الثلاثة السابقة مرتبطة بعوامل خارجية أي خارج نفس الملحد ، وأما العامل الرابع فهو عامل داخل نفس الملحد ، فهذا العامل مرتبط بالبعد النفسي للملحد ، فهو ينفي الجانب النظري للدين ووجود الإله حتى ينفتح على كل شيء بدون وجود محرمات ، ولكي لا يعيش حالة التناقض بين الاعتقاد بالإله وارتكاب المحرمات ، والقرآن الكريم يشير إلى هذا العامل ، فالقرآن حينما يتكلم عن الذين يريدون أن ينفوا الآخرة يقول : "بل يريد الإنسان ليفجر أمامه" (راجع تصحيح الآية) ، يريد أن يتحلل من كل التزام ، لا يريد حلالا وحراما وواجبا ويجوز ولا يجوز .

إن من ينكر الآخرة لا بد أن ينكر الألوهية قبل ذلك لأن وجود الآخرة من لوازم الألوهية .

"أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون"

فـإذا لا توجـد آخـرة فمعـنى ذلـك أن الله عابـث ، ولكنـه حكـيم ، ونتيجة حكمته أنه لا بد من وجود الآخرة والحساب والجزاء .

العامل الخامس :

الاحتجاج على مجتمعه المتخلف ، والذي ظاهره مجتمع ديني ، ، وهو يـرى أن بعـض المسـلمين يسـرقون ويكـذبون ويختلسـون ويخـدعون ، فيقـول لـو كـان يوجـد آخـرة وحسـاب فلمـاذا المسـلم يسـرق ويختلس الأموال؟ ، ويرى أوضاع المسلمين في تخلف ، وأن المسلمين يعيشون في مشاكل كثيرة بين بعضهم البعض من طائفية وفتن وقتل على الهوية ، فـأين الآخـرة والحسـاب والجـزاء الـذي يتحـدث عنـه المسـلمون؟! ، فيريـد أن يظهـر معارضـته عـن طريـق وجـود إنكـار وجـود الإلـه ورفـض الدين .

العامل السادس :

الظهـور بمظهـر الحداثـة والتنـوير ، ويطـرح في القنـوات الفضـائية ومواقـع الإنترنـت ووسـائل التواصـل أن المتـدين متخلـف وغـير حـداثوي ، فيـترك الدين حتى يقال عنه إنه حداثوي ومتنوّر .

ملحـدون محـدَثون ومعاصـرون ، دكتـور رمسـيس عـوض ، ص٨٩ في ترجمة والتر كوفمان المتوفى ١٩٨٠ م : ورغـم ميل كوفمـان إلى الإلحـاد فإنـه يقـول إن الإلحـاد قـد يكـون نتيجـة احتجـاج غـير المتـأقلمين مـع مجتمعـاتهم أو نتيجـة الرغبـة في صـدم مشـاعر الآخـرين أو إيـذائهم أو الظهور بمظهر النضوج والاستنارة . انتهى

لماذا المجتمعات الإسلامية متخلفة؟

للدين دور في حياة الإنسان ، ومن أهم عوامل تكامل الإنسان هو الدين ، ولكن نرى أن المجتمعات الإسلامية متخلفة ، والمجتمعات غير القائمة على أساس الدين صارت متقدّمة ، فيأتي السؤال التالي :

أليس هذا دليلا على أن الدين هو سبب التخلّف ؟

الجواب :

المشكلة ليست في الدين ، وإنما المشكلة في القراءة التي قيلت عن الدين ، ونحتاج إلى قراءة جديدة عن الدين تتناسب مع عالمية الإسلام وصلاحية الإسلام لكل زمان ومكان ، وهذه هي الحداثة الإسلامية ، والحداثة الغربية ليست عالمية وليست صالحة لكل زمان ومكان ولكل شعوب العالم بمختلف ثقافاتها ، والحضارة الغربية ليست حضارة عالمية ، فلا تكون قابلة للاستنساخ في جميع المجتمعات بسبب اختلاف الثقافات ، فالفكر الغربي ليس فكرا عالميا ، وبعض الحداثويين من العرب والمسلمين كانوا يدعون إلى أن نكون نسخة من الغرب بخيره وشره وصلاحه وفساده حتى نتقدم كا تقدّموا ، مع أن لكل أمة ثقافة ودينا وفكرا خاصا ، ولا بد أن يكون الدين العالمي متناسبا مع جميع الثقافات بواسطة المبادئ الإنسانية العامة المشتركة بين جميع البشر ، ويمكن الاستفادة من تجربة الحداثة الغربية في بعض الجوانب كتجربة إنسانية لا أن نستنسخها ، والدين العالمي يقدّم قراءات مختلفة للشعوب المختلفة بما يتناسب مع ثقافتها وفكرها ،

والقراءات المختلفة عن الدين لكل أمة تساهم في تكاملها وتطوّرها ، والحداثة لا بد أن تكون لها مرجعية دينية قائمة على الوحي والغيب لا أن تكون من إنتاج البشر والعقل مستقلا عن الدين ، وإنما عقل يأخذ النور من معارف الدين الإلهي ، والدين القادر على ذلك هو الإسلام ، فيمكن لنا أن نقدّم حداثة إسلامية عالمية تساهم في تكامل البشرية وتطورها ، ويمكن الاستفادة من التجارب الإنسانية والعلوم الإنسانية والنتاج الإنساني وآراء الأديان الأخرى وأراء المذاهب الإسلامية المختلفة والآراء ضمن المذهب الواحد في تقديم قراءات جديدة للدين ، وحينما نقول قراءات جديدة ليس المراد أنها قراءات بلا دليل ، بل هي قراءات بأدلة من النصوص الدينية .

رواية : "العارف بزمانه لا تهجم عليه اللوابس" .

أي العارف بأفكار وتوجهات وأديان ومذاهب وثقافات زمانه لا يقع في إشكالات لا يعرف الإجابة عليها ، فيلتبس عليه الحق والباطل ، ولا يستطيع التمييز بينهما ، فقد يظن بعض الحق باطلا ، وبعض الباطل حقّا .

والحداثة العربية الإسلامية التي عمرها قرنين مرت بثلاث مراحل ، ونحن الآن نعيش في المرحلة الثالثة التي بدأت من أواسط القرن العشرين إلى الآن .

كتاب "من النهضة إلى الحداثة" – مركز دراسات الوحدة العربية – العرب والحداثة الحلقة الثانية – تأليف : الدكتور عبدالإله

بلقزيز ص١٢ : ثلاثة أجيال وثلاث موجات فكرية للحداثة شهدها الفكر العربي منذ ثلاثينيات القرن التاسع عشر حتى اليوم . . . سمات أربع تسم الموجة الثالثة من موجات الحداثة في الفكر العربي المعاصر منذ انطلقت في خمسينيات القرن العشرين الماضي . . . ثالثتها : علاقة نقديّة بالمرجعين الثقافيين التراثي والغربي اللذين تستقي منهما هذه النخبة معرفتها ، وتضعهما في الوقت عينه موضع مساءلة ونقد . . . . انتهى

سؤال : ما هي الشريعة؟

الجواب :

الشريعة هي الأوامر والنواهي المتعلقة بأفعال الإنسان ، ويجسد الإنسان من خلالها تسليمه المطلق وانقياده الكامل لله تعالى .

سؤال : ما هو الثابت ؟ وما هو المتغيّر ؟

الجواب :

الدين ثابت لا يتغيّر لأن الفطرة لا تتغيّر ، وأما الشريعة فإنها قابلة للتغيير مع مرور الزمن وتطوّر المجتمعات وتكامل الأمم ، والقرآن الكريم يصرّح بوحدة الدين وتعدّد الشرائع ، وكل شريعة جديدة تأتي وتنسخ الشرائع السابقة ، وشريعة الرسول ص ناسخة لجميع الشرائع السابقة .

"إن الدين عند الله الإسلام"

"ومن يبتغِ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين" آل عمران٨٥

"لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا" المائدة٤٨

"ومصدّقا لما بين يديّ من التوراة ولأحلّ لكم بعض الذي حرم عليكم" آل عمران٥٠

ومن خلال الشرائع يلبّي الدين الحاجات المتغيّرة للإنسان عبر الزمان والمكان ، فالحاجة الثابتة للإنسان هي الارتباط بالمطلق والتسليم والانقياد الكامل له ، فتوجد حاجة معنوية ثابتة يلبّيها الدين ، ونرى أن إدراكات الإنسان تتطوّر ، وعلاقته مع الطبيعة ومع أخيه الإنسان تتغيّر ، فتأتي الشريعة لتتناسب مع هذه التغيّرات ، فتوجد حاجات متغيّرة تلبّيها الشرائع .

@أنواع الشرك بالله سبحانه :

إن الإيمان بالله لا يعني الإيمان بالتوحيد ، فقد يؤمن الإنسان بالله وفي نفس الوقت يشرك به تعالى ، فيكون مؤمنا غيرَ مُوَحِّدٍ .

"وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون"

"ولئن سألتهم من خلق السماواتِ والأرضَ ليقولُنَّ الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أَرادَنِيَ الله بِضُرٍّ هل هُنَّ كاشِفاتُ ضُرِّهِ أو أرادَنِي برحمةٍ هل هُنَّ ممسكاتُ رحمتِهِ قل حسبِيَ الله عليه يتوكّل المتوكِّلون" الزمر٣٨

والشرك على أنواع ، وهي :

أولا : عبادة الأصنام والأوثان والطواغيت :

يعبد تمثالا من خشب أو معدن أو حجر أو تمر ، ويكون مقدَّسا عنده ، وهذا التمثال إما أن يصنعه بنفسه وإما أن يصنعه شخص آخر يعرضه للبيع في السوق ويشتريه هو ، والفرق بين التمثال والصنم والوثن والنُّصُب هو : (مقالة بقلم وفاء برهان في الموقع (pointofviewofquran.wordpress.com

أن التمثال ما يصنع من مثال سابق كإنسان أو بقرة أو طير وكانت منحوتة من أي مادة من حجر أو معدن أو خشب أو تمر ، وهذا هو الفن المعروف اليوم .

قال سيدنا إبراهيم ع لقومه :

"إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون" الأنبياء٥٢

والأصنام هي الجمادات التي لا حياة فيها وتكون من الحجارة وغيرها ولها هيئات وأشكال مختلفة .

قال سيدنا إبراهيم ع في حق الأصنام :

"قال بل فعله كبيرهم فاسألوهم إن كانوا ينطقون" الأنبياء٦٣

والأوثان هي كل ما يعبد من دون الله سواء كان إنسانا أم حيوانا أم نباتا أم جمادا .

"إنما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون إفكا إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه تُرْجَعونَ" العنكبوت١٧

فكل صنم وثن ، وليس كل وثن صنما .

والنصب هي الأماكن التي تذبح عندها الذبائح لتقديمها قرابين للآلهة .

"حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم" (المائدة٣)

قوم نوح ع :

وَدٌّ وسُواعٌ ويَغوثُ ويَعوقُ ونَسْرٌ كانت أصناما يعبدها قوم نوح .

"قال نوح رب إنهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا ومكروا مكرا كبارا وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا ولا تزد الظالمين إلا ضلالا مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا" (نوح٢١-٢٧)

قوم إبراهيم ع :

"وإن من شيعته لإبراهيم إذ جاء ربه بقلب سليم إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون أئفكا آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم فتولوا عنه مدبرين فراغ إلى آلهتهم فقال ألا تأكلون ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين فأقبلوا إليه يزفون قال أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه في الجحيم فأرادوا به كيدا فجعلناهم الأسفلين" (الصافات٨٣-٩٨)

قوم موسى ع :

عبدوا وثنا على شكل عجل .

"واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه قال ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين قال رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي

المفترين والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم" (الأعراف١٤٨-١٥٣)

قوم إلياس ع :

"وإن إلياس لمن المرسلين إذ قال لقومه ألا تتقون أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين الله ربكم ورب آبائكم الأولين فكذبوه فإنهم لمحضرون إلا عباد الله المخلصين" (الصافات١٢٣-١٢٨)

مشركو قريش :

"وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق" (ص٤-٧)

"أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذا قسمة ضيزى إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى" (النجم١٩-٢٣)

وكان لقريش أصنام أخرى ، منها هُبَل وإساف ونائِلَة ، وكان لأهل كل دار من مكة صنم في دارهم يعبدونه .

معنى الطاغوت :

أي شيء من دون الله يأخذ حجما في نفس أي إنسان أكبر من حجمه الحقيقي فهو طاغوت بالنسبة لهذا الإنسان ، وقد يتجسد في

خشب أو معدن أو نبات أو حيوان أو إنسان ، ويتجسد أيضا بأفكار ونظريات ومدارس فكرية ومؤسسات اجتماعية ، فكل ذلك له قابلية التحوّل إلى طاغوت يعبد من دون الله سبحانه ، فيحجب قلب الإنسان وبصيرته عن رؤية الله تعالى ، ويتحول إلى دين في مقابل دين الله عز وجل .

"لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم" (البقرة٢٥٦)

من أراد أن يؤمن بالله عليه أن يكفر بجميع الطواغيت ، ويكسر كل الطواغيت في قلبه حتى يمكنه الإيمان بالله تعالى ؛ لأن الطاغوت يقع حاجزا أمام عبادة الله عز وجل .

"الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون" (البقرة٢٥٧)

ولي المؤمنين واحد وهو الله تعالى الذي يخرجهم من الظلمات إلى النور ، وأما الذين كفروا فلهم أولياء متعددون ، فكل طاغوت يشكل وليا يخرج الكافرين من النور إلى الظلمات .

"ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين" (النحل٣٦)

"والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب" (الزمر١٧-١٨)

"والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب" (الزمر١٧-١٨)

الذين يتركون عبادة الطاغوت ويعودون إلى الله لهم البشرى .

مهمة الأنبياء ع تتمثل في عبادة الله تعالى واجتناب كل ما يكون طاغوتا بالنسبة لأي إنسان .

"الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا" (النساء٧٦)

المؤمنون عندهم استعداد أن يقاتلوا في سبيل الله ، والكافرون عندهم استعداد أن يقاتلوا في سبيل طاغوتهم .

ثانيا : عبادة الكواكب والنجوم :

حسب اعتقادات الأوائل كانوا ينظرون إلى الكواكب والنجوم أنها كائنات حيّة ، ويتحدّثون عن نفوس وعقول حتى جاء العلم الحديث وأثبت أنها تتكون من عناصر كيميائية كعناصر الأرض .

وكان قوم سيدنا إبراهيم ع يعبدون الكواكب والنجوم والقمر والشمس ، وبعض الأقوام كانوا يعتقدون تأثيرها على مصير الإنسان في الدنيا وأنها تحدّد ما يقع له في المستقبل .

"وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين" (الأنعام٧٥-٧٩)

ثالثا : عبادة وتقديس النباتات :

قال علماء الأنثروبولوجيا (علم الإنسان) بوجود قبائل بدائية تعبد وتقدِّس بعض أنواع النباتات ، وهذا النوع من العبادة والشرك لم يكن موجودا في الجزيرة العربية .

رابعا : عبادة وتقديس الحيوانات :

توجد دراسات أنثروبولوجية عن أقوام وقبائل كانت تقدس بعض الحيوانات كالهنود الحمر والسكان الأصليين في أستراليا ومنطقة القطب الشمالي ، وأتباع الديانة الهندوسية في الهند يقدِّسون البقر بوصفه رمزا للحياة ، ويحرِّمون قتله أشدّ التحريم .

خامسا : الإيمان بإله الخير وإله الشر (المجوس والمانويّة) :

"وقال الله لا تتّخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد" النحل٥١

القرآن الكريم ذكر المجوس في سياق الكلام عن أهل الكتاب ، وأكّد على أن شرّ إبليس لم ينطلق إلا بعد أن سمح الله له بذلك ، وأنظره إلى يوم يُبْعَثونَ ، لذلك فإن إبليس ليس قوة الشر التي تقف على صعيد واحد في صراع مع قوة الخير وهو الله ، بل إن الله هو الإله الوحيد ، وهو إله الخير ، ولا يوجد إله غيره ، وهو الذي سمح لإبليس بالوسوسة للإنسان في نشأة الدنيا ، فأزمة الأمور كلها بيد الله ، ولا يوجد شيء يخرج عن سيطرته وإرادته التكوينية ، وهذا بخلاف الرؤية المجوسية والمانويّة الثّنويّة التي تؤمن بإلهين اثنين ، وإله الخير يكون في صراع مرير مع إله الشر .

والقرآن الكريم لم يفنّد هذه العقيدة بشكل مباشر ، وإنما فنّدها بالتّبع ، فقال تعالى بشأن الحوادث الحسنة والسيئة : "قل كلٌّ من عند الله فَمالِ هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا" النساء٧٨

سادسا : عبادة الجنّ :

يشير القرآن الكريم ومصادر أخرى إلى أن بعض العرب عبدوا الجن .

"وجعلوا لله شركاءَ الجِنّ وخلقهم وخرقوا له بنينَ وبناتٍ بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون" الأنعام١٠٠

". . . بل كانوا يعبدون الجِنَّ أكثرهم بهم مؤمنون" سبأ٤١

"وجعلوا بينه وبين الجِنَّةِ نَسَبًا ولقد علمت الجِنَّةُ إنهم لمحضرون" الصافات١٥٨

سابعا : عبادة الملائكة :

يشير القرآن ومصادر أخرى إلى أن عبادة الملائكة بوصفها بنات لله سبحانه كان اها وجود في الجزيرة العربية ، لذلك أكّدت سورة التوحيد على أنه "لم يلد ولم بولد" التوحيد٣

"وقالوا اتّخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عبادٌ مُكْرَمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتصى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نَجْزِيهِ جهنم كذلك نَجْزِي الظالمين" الأنبياء٢٦-٢٩

بالإضافة إلى النصارى الذين يؤمنون مع الله بروح القدس – وهو جبرئيل ع - ، وهما يمثّلان مع المسيح ع الأقانيم الثلاثة .

ثامنا : عبادة البشر :

توجد نماذج متعددة لعبادة البشر ، منها :

١-عبادة الأسلاف :

المقصود بها عبادة الآباء والأجداد وتقديسهم ، وتقوم على الاعتقاد بأن الموتى أحياء ، ولهم القدرة على التأثير على الأجيال اللاحقة بمباركة أو لعنة ، وكانوا يشعرون بمزيج من الاحترام والخوف تجاه الأسلاف ، وتجسّد هذا بالصلاة وتقديم الهدايا والقرابين لهم ، وشاع هذا النوع من العبادة في مصر القديمة والصين واليابان وعند القبائل البدائية في أفريقيا ، ولا توجد شواهد على أن العرب كانوا يعبدون

أسلافهم ، ولكن إذا أخذنا العبادة بمعنى التقديس والاتباع والطاعة العمياء فهذه كانت موجودة عند العرب .

"وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون" (البقرة١٧٠)

وفي التفاخر بين بطون قريش يقول القرآن :

"ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر" التكاثر١-٢

فبلغ التفاخر بينهم إلى حدّ أنهم لم يكتفوا بعدّ الأحياء ، بل كانوا يذهبون إلى المقابر لعدّ الموتى .

وفي بعض الآيات القرآنية إشارة إلى أن تأثير الآباء والأجداد كان أكبر من تأثير الله أو تأثير الآلهة ، كقوله تعالى :

"فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا" (البقرة٢٠٠)

ونقل في أسباب النزول عن مجاهد أن الناس كانوا يجتمعون في أيام الحج ويتحدثون عن آبائهم وأعمالهم وحروبهم ، ويتفاخرون بأنسابهم .

٢-عبادة الزعماء والقادة :

ويكونون زعماء وقادة سياسيين أو عسكريين ، كفرعون ونمرود اللذين طرحا أنفسهما كأرباب وآلهة .

بشأن نمرود :

"ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي

بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين" (البقرة٢٥٨)

بشأن فرعون :

"فحشر فنادى فقال أنا ربكم الأعلى فأخذه الله نكال الآخرة والأولى إن في ذلك لعبرة لمن يخشى" (النازعات٢٣-٢٦)

"وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين" (القصص٣٨)

"ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين" (الزخرف٥١-٥٤)

٣-الغلو ببعض الأشخاص :

الغلو قد يكون بأناس صالحين أو طالحين ، والغلو في الأشخاص فيه خطورة وإن كانوا صالحين لأنه مدخل خطير إلى الشرك بالله .

بشأن المسيح ع وعلماء الأديان :

"اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون" (التوبة٣١)

"أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم وإن الظالمين لهم عذاب أليم" (الشورى٢١)

بشأن عُزَيْر والمسيح ع :

"وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون" (التوبة٣٠)

اليهود كانوا يسكنون المدينة وأطرافها كخيبر وفدك ، والنصارى كانوا في نجران ، وكانت النصرانية منتشرة بين ربيعة وغسّان وبعض طوائف قضاعة وبني كلب .

بشأن المسيح ع :

"لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم" (المائدة٧٢-٧٣)

وفي هذه الآية إشارة إلى عبادة النصارى لبعض الملائكة وهو روح القدس – أي جبرئيل – بوصفه هو والمسيح شريكان لله تعالى .

"وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن

كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب" (المائدة١١٦)

@أسباب الشرك بالله تعالى :

هناك أسباب مختلفة تجعل بعض الناس يميلون إلى الشرك بالله تعالى ، فإما أن يعبدون صنما وإما أن يعبدوا أشخاصا معيّنين ، وبعض هذه الأسباب مرتبطة بخصائص النفس البشرية ، منها :

السبب الأول : ميل الإنسان إلى المحسوسات أكثر من المجرَّدات :

هذا الميل إن التقى مع هوى الإنسان فإنه يتّخذ وثنا أو صنما محسوسا ، ولكن إن تقيَّد هذا الميل بالعقل والأوامر والنواهي الإلهية فإنه سيتم إشباع الميل بطريقة صحيحة ، كالتوجّه إلى قبلة رمزية ، والله تعالى يفيض القداسة على بعض الأشياء كالكتاب الكريم والكعبة الشريفة وقبور الأنبياء والأئمة ع .

السبب الثاني : الميل لتخليد الأموات :

يتجسّد هذا الميل بصنع تماثيل لهم ، ولكن الأجيال اللاحقة يتعلقون بالتماثيل ذاتها ويقدّسونها ؛ لأنهم لا يعرفون أنها محاولة لإبقاء صور الأموات في أذهان الأجيال السابقة .

السبب الثالث : تأثير العقل الجمعي :

للعقل الجمعي تأثير كبير على الفرد بحيث يتبنّى الفرد أمورا لا وجود لها ، وينكر أمورا هي حقائق لا يمكن إنكارها ، وفي قصة سيدنا إبراهيم

ع عندما كسر الأصنام تزلزل العقل الجمعي ، ورجع قومه إلى أنفسهم وأدركوا أنهم ظالمون ، ولكن سرعان ما استعادوا تماسكهم وأدانوا إبراهيم ع بعد أن كشف زيف ادّعاءاتهم .

"قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون ثم نكسوا على رءوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين" (الأنبياء٦٣-٦٨)

السبب الرابع : النّزعة التّشبيهيّة :

الإنسان عادة ما ينزع إلى جعل صفاته لمعبوده ، فبعض القبائل الأفريقية تتصور الإله على هيئة إنسان أسود له أنف أفطس .

السبب الخامس : قوة الخيال :

عندما يؤمن الإنسان بإله فإن قوة الخيال تتحرّك لترسم صورة لهذا الإله ، فيتصور بأنه موجود كبير في السماء وجالس على عرشه ، وهذا سبب أدّى بالبعض إلى تجسيم الله سبحانه .

عن الإمام الباقر ع : كل ما ميّزتموه بأوهامكم في أدقّ معانيه مخلوق مصنوع مثلكم ، مردود إليكم ، ولعلّ النمل الصغار تتوهّم أن لله تعالى زبانيّتين فإن ذلك كمالها ، ويتوهّم أن عدمها نقصان لمن لا يتّصف بهما ، وهذا حال العقلاء فيما يصفون الله تعالى به . بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج٦٦ ص١١٣ ح١٢ . زبانيّتين : قرنين .

عن الإمام الرضا ع : ما توهّمتم من شيء فتوهّموا الله غيرَه . التوحيد للشيخ الصدوق باب ما جاء في الرؤية ص١١٤ ح١٣

السبب السادس : الحاجة الفطرية للإله :

الإنسان بأمس الحاجة للتعلق بشيء يتّكئ عليه في المواقف الصعبة ، وهذه الحاجة لا يشبعها إلا التعلق بالإله العالم القادر الغني المطلق ، ولكن إشباع هذه الحاجة قد ينحرف عن مساره ، فيخلع الإنسان صفات المطلق على مخلوقات محدودة .

"إنما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون إفكا إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون" (العنكبوت١٧)

السبب السابع : عدم الاستعداد لدفع ثمن الإيمان :

من يريد أن يعيش بسلام ولا يصطدم بسلطات سياسية أو دينية ولا يريد أن يفقد علاقاته العائلية والاجتماعية فإنه يكيّف اعتقاداته مع ما يريده الآخرون حتى لا يضطر لدفع ثمن إيمانه واعتقاداته المخالفة .

الإمام الحسين ع : "الناس عبيد الدنيا ، والدين لَعَقٌ على ألسنتهم ، يحوطونه ما درّت معايشهم ، فإذا مُحِّصوا بالبلاء قلّ الدّيّانون" .

السبب الثامن : تقديس آراء الآباء والأجداد :

الكثير من الناس يستبعدون أن يكون الآباء والأجداد على خطأ وضلال ، فيمشون على سيرة الأجداد اعتمادا على رجاحة عقول السابقين المتقدّمين .

السبب التاسع : اتخاذ رمز للوحدة القبلية أو القومية :

بعض القبائل أو الأقوام تعتزّ بإلهها الخاص ، وتخلع له قدرات خارقة ، ويظنون أنه بهذه القدرات المزعومة يتفوق على آلهة القبائل والأقوام الأخرى ، فيختلط الكبرياء القبلي أو القومي بالدين .

ويكون هذا الإله رمزا للوحدة الاجتماعية .

"وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين" (العنكبوت٢٥)

وكان بعضهم يعتقد أن إلههم يجلب لهم العزة والنصر على القبائل الأخرى .

"واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا" (مريم٨١-٨٢)

"واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون" (يس٧٤-٧٥)

السبب العاشر : الوقوع تحت تأثير القدرات الخارقة :

استخدام السحر أو الشعوذة يدفع السّذّج لتصديق صاحب القدرات الخارقة .

قصة السامري مع بني إسرائيل .

"وما أعجلك عن قومك يا موسى قال هم أولاء على أثري وعجلت إليك رب لترضى قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري

فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامري فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى" (طه٨٣-٩١)

ثم يقول القرآن الكريم :

"قال فما خطبك يا سامري قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي" (طه٩٥-٩٦)

@مخاطر الشرك بالله سبحانه :

أفي الله شك ص١١١-١١٥

@مخاطر الجحود بالله سبحانه :

أفي الله شك ص١١٧-١٢٨

@معنى لا إله إلا الله :

أفي الله شك ص١٢٩-١٣٦

@أسباب قصور أفهام الناس عن معرفة الله :

أفي الله شك ص١٥٣-١٥٦

@المعاد :

من فطرة الإنسان أنه يحب ذاته ، ويحب أن يدوم وجوده ويكره الموت ، بمعنى أنه يحب أن يكون خالدا وأن يستمر وجوده إلى الأبد .

الأعمال الخيّرة لا يثاب عليها دائما والأعمال الشريرة لا يعاقب عليها دائما في الدنيا ، والمظلوم لا يحصل على حقه دائما والظالم لا يعاقب دائما في الدنيا ، فلا بد من وجود يوم آخر يثاب فيه الصالح والمظلوم ويعاقب فيه الشرير والظالم ، ولا بد من وجود موجود ينصف المظلوم من الظالم ، وهذا الموجود لا يمكن أن يكون ظالما لأنه إذا كان ظالما فلا ينفع لأن يكون قاضيا في ذلك اليوم ، فلا بد أن يكون عادلا قادرا حكيما .

@التاريخ والآثار التاريخية

نفحات القرآن ج١ ص١٦١-١٨٤

@الدين والعلم :

سؤال : هل يوجد تضاد بين الدين والعلم ؟

الجواب :

لا بد أن نبدأ بتعريف الدين والعلم :

العلم بمعناه العام هو معرفة الشيء بما هو عليه عن أي طريق كان ، والمعنى المراد هنا هو العلم النابع من الحس والتجربة ، والمراد من الدين هو الإيمان بالله تعالى ، وهو أصل كل المعارف الدينية ، ومن الإيمان بالله تتفرّع كل المعارف الأخرى من النبوة والإمامة والمعاد وباقي العقائد ، وأيضا علم الأخلاق وعلم الفقه العملي ، وأيضا كل معرفة أخرى مستقاة من الكتاب الكريم والسنة الشريفة .

معطيات العلم الحديث لا تتنافى مع الدين ، والدين والعلم يمكن أن يتعايشا ، ولا يوجد صراع بينهما ، والحقائق الدينية والحقائق العلمية لا يحدث تصادم بينها لأن لكل حقيقة فلكها المحدَّد الذي لا تتعدّاه ، والإنسان بحاجة إلى جميع الحقائق ، والدين والعلم يلتقيان في خدمة الإنسان وتحقيق مصالحه ، وكلما تقدّم العلم ازدادت الدعوة إلى الله قوة ووضوحا حتى أصبح العلم الحديث من مصادر الإيمان بوجود إله خالق للكون ، وتفترق الحقيقة الدينية – أي الإيمان بالله – عن الحقيقة العلمية بأن موضوع الأولى هو ما وراء الطبيعة ، وموضوع الثانية هو الطبيعة ، والعين تنظر إلى عالم الطبيعة وعجائبها فيحكم العقل بالاستناد إلى قانون العلية بوجود عالم ما وراء الطبيعة ووجود

خالق لعالم الطبيعة ، فنؤمن بالله عن طريق الحس والعقل ، ولا يشرع الله حكما منافيا للعلم ولا للطبيعة وقوانينها ولا لمصلحة الإنسان .

والدين يدعو إلى طلب العلم ، والإسلام جعله فريضة ، ورفع أهله درجات ، وأثنى على الراسخين في العلم ، ولو كان يوجد صراع بينهما لما رفع الدين من شأن عدوه ، والمصادمات التي ظهرت في التاريخ بين الدين والعلم إنما هي بسبب المنتسبين الدخلاء ، والدين والعلم يساهمان معًا في حياة أفضل للبشرية بما يعود بالنفع على الفرد والمجتمع ، فيوجد كمال للفرد وكمال للمجتمع ، ولا يوجد تضاد بين الكمالين .

ونزعة الإيمان أصيلة في فطرة الإنسان ، وإذا تخلى الإنسان عن اتخاذ خالق الكون إلها فإنه يتخذ إلها آخر وهو الهوى ، وهذا الهوى يتمثّل بالجاه والمال أو بالتعصب للطائفة أو القبيلة والعشيرة والعائلة أو لأي صنم من الأصنام أو أي وثن من الأوثان .

"أرأيت من اتخذ إلهه هواه" .

سؤال :

هل العلوم الطبيعية يمكنها أن تجيب على تساؤل : لماذا وُجِدَ الكون ؟

الجواب :

يقول ستيفن هوكنج في كتابه "التصميم العظيم" ص١٣ : وعادة ما يسأل الناس عددا من الأسئلة مثل : كيف يمكننا فهم العالم الذي

وجدنا أنفسنا فيه؟ كيف يتصرّف الكون؟ ما حقيقة الواقع؟ من أين أتى كل ذلك؟ هل الكون كان بحاجة لخالق؟ ، معظمنا يمضي وقته في قلق بشأن تلك الأسئلة ، لكننا جميعا قلقون بشأنها بعض الوقت .

وفي ص ٢٠٦ : إن قوانين الطبيعة تخبرنا بالكيفية التي يتصرف بها الكون ، لكنها لا تجيب على سؤال لماذا ، وهي الأسئلة التي وضعناها في بداية هذا الكتاب : لماذا وجد شيء ما بدلا من لا شيء؟ لماذا نحن موجودون؟ لماذا هذه المجموعة من القوانين وليست مجموعة أخرى؟

وفي كتاب العلم ووجود الله ص ١٢٠ : ما هي بداية هذا الكون؟ انتهى .

سؤال : من الذي يجيب على تساؤل : لماذا وُجِدَ الكون؟

الجواب :

الفلسفة تجيب لا العلم ، العلم يجيب عن سؤال كيف ، والشيء الموجود تسأل عن كيفيته والقوانين التي تحكمه ، فالعلم يبحث في العلة المادية والعلة الصورية ، والفلسفة تجيب عن سؤال لماذا ، وسؤال لماذا يأتي قبل الوجود لا عن الموجود ، والعلة الفاعلية والعلة الغائية — أي فاعل الشيء وغاية الشيء – تدخلان في سؤال لماذا .

في كتاب العلم ووجود الله ص٧٣ : ولكن أن نقول مثل "برتراند رسل" إنه ما دام العلم لا يستطيع أن يخبرنا بالسبب الذي دعا الخالة ماتيلدا إلى صنع الكعكة ، فلا يمكننا أن نعرف لماذا صنعتها – هو

خطأ بيّن . . . ولكن من الإنصاف أن نقول أيضا إن "رسل" رغم أنه كتب تلك العبارة المذكورة آنفا التي تبدو علمية للغاية ، أشار في موضع آخر أنه لم ينضم للمعسكر العلمي بكامل خصائصه . . . ولكن سرعان ما يستطرد قائلا إن معظم الأسئلة المهمة تقع خارج اختصاص العلم : هل العالم ينقسم إلى عقل ومادة؟ وإن كان كذلك فما هو العقل؟ وما هي المادة؟ وهل العقل خاضع للمادة أم أنه يتمتع بقوى مستقلة؟ هل في الكون أي وحدة أو غرض؟ هل يتجه نحو غاية ما؟ هل هناك بالفعل قوانين للطبيعة أم أننا نؤمن بوجود قوانين نظرا لميلنا الفطري للنظام؟ . . . هذه الأسئلة ليس لها إجابات في المعمل . انتهى

ويقصد "رسل" الأسئلة المرتبطة بلماذا ، فهذه الأسئلة ليست من اختصاص العلم ، ولا يمكن للعلم أن يجيب عليها ، مثلا إذا كان العقل ماديا فيمكن أن يجري العلم عليه التجارب في المختبر ، وأما إذا لم يكن العقل ماديا فلا يمكن إجراء التجارب عليه في المختبر ؛ لأنه خارج نطاق المختبر الذي يتعامل مع الأشياء المادية فقط ، والعلوم الطبيعية تحتاج إلى الفلسفة ، والفلسفة لم تمت بل ما زالت حية وتحتاج إليها جميع العلوم ، وعبارة هوكينج بموت الفلسفة غير صحيحة .

كتاب التصميم العظيم – ستيفن هوكنج ص ١٣ : كانت تلك هي الأسئلة التقليدية للفلسفة ، لكن الفلسفة قد ماتت ولم تحافظ على

صمودها أمام تطورات العلم الحديثة ، وخصوصا في مجال الفيزياء .
انتهى

وفي ص ٢٠٦ : إن قوانين الطبيعة تخبرنا بالكيفية التي يتصرف بها الكون ، لكنها لا تجيب على سؤال لماذا ، وهي الأسئلة التي وضعناها في بداية هذا الكتاب .

وهذا تناقض من هوكنج ، ففي أول الكتاب يقول بموت الفلسفة ، وفي آخر الكتاب يقول إن العلم لا يجيب على الأسئلة التي وضعها في أول الكتاب ، فإذا الفلسفة لا تجيب والعلم لا يجيب على سؤال لماذا فمن يجيب إذن؟!

يقول هوكنج في كتابه تاريخ موجز للزمن : وحتى الآن معظم العلماء كانوا مشغولين جدا بإنشاء نظريات جديدة توصف "ما هو الكون" بحيث لم يسألوا عن "لماذا" ، وعلى الجانب الآخر فإن الأفراد الذين كانت مهمتهم أن يسألوا "لماذا" – أي الفلاسفة – لم يتمكنوا من ملاحقة تقدم النظريات العلمية .

تعليق :

يوجد انسجام بين الدين والفلسفة وبين العلوم الطبيعية ، ولا بد أن يتعاون علماء الدين وعلماء الفلسفة وعلماء الطبيعة ليفهموا الكون أكثر ، والنزاع ليس بين الدين الإلهي والعلوم الطبيعية لأن الدين من الإله ، والطبيعة من الإله ، فلا يقع التضاد بينهما ، وإنما النزاع بين المتصدين للعلوم الدينية والمتصدين للعلوم الطبيعية لأن كل طرف

يفهم أمورا تختلف عن فهم الطرف الآخر ، مثلا عالم الدين يقول بثبات الأرض ، وعالم الطبيعة يقول بحركة الأرض .

إذن :

العقل البشري مصمّم على عدم إنكار المبدأ الأزلي مهما اختلفت الأقوال في مصداق المبدأ الأزلي ، سواء كان مصداق المبدأ الأزلي هو الطبيعة أم الإله عند غير المسلم أم الله عند المسلمين ، فيوجد اتفاق عند جميع البشر على وجود المبدأ الأزلي ، ولا يمكن لأي إنسان إنكار المبدأ الأزلي ، إذن وجود المبدأ الأزلي لا يمكن إنكاره ، وبعد ذلك يأتي السؤال عن صفات وأفعال هذا المبدأ الأزلي ، هل هو حي أو لا؟ هل هو عالم أو لا؟ هل هو حكيم أو لا؟ هل هو عادل أو لا؟ هل هو قادر أو لا؟ ، ومشكلة الملحدين هي في مسألة الحكمة ، فلو كان الإله حكيما فلماذا توجد الشرور في العالم كالزلازل والبراكين والأمراض والحروب ؟ ، وقضية الشرور لا تؤثر على وجود المبدأ الأزلي ، بل تكون إشكالا على صفة من صفات المبدأ الأزلي ، وهي حكمته ، والملحدون خلطوا بين البحث في أصل المبدأ الأزلي وبين البحث في صفات وأفعال المبدأ الأزلي ، والمؤمنون الذين يقولون بحكمة المبدأ الأزلي لا بد أن يجيبوا على إشكال وجود الشرور في العالم ، وحكمة المبدأ الأزلي ليست كحكمة الإنسان ، والمبدأ الأزلي ليس كمثله شيء ، فلا يصح قياس صفاته على صفات الإنسان أو صفات أي موجود آخر ، وسيأتي الجواب بالتفصيل فيما بعد .

–وما دام أن الأصل الأول من أصول الإسلام هو الإيمان بالله تعالى فتكون بداية موضوع "عالمية الإسلام" الإجابة عن الأسئلة التالية :

هل يوجد إله خلق هذا الكون أو لا؟

ما هو الدليل على وجود إله خالق لهذا الكون؟

هل الاعتقاد بوجود خالق للكون أمر فطري عند الإنسان؟

ما هو الدليل على أنه أمر فطري حتى لا يقال بأن هذا مجرّد ادّعاء لا دليل عليه؟

هل توجد أدلة عقلية على وجود إله للكون؟

تاريخ موجز للزمن – ستيفن هوكنج ص ١٤٨ تحت عنوان "ختام" : إننا نجد أنفسنا في عالم محيِّر ، ونحن نريد أن نجعل مما نراه حولنا شيئا معقولا ، ونسأل : ما هي طبيعة الكون؟ ما هو مكاننا فيه؟ ومن أين أتى هو وإيانا (هامش : لا بد أن يقول المترجم : "ونحن" لأنه معطوف على فاعل ، وإيانا تستعمل مفعولا به ، أتى هو أي الكون)؟ لماذا يكون كما هو عليه؟ . انتهى

"الله والإنسان على امتداد ٤٠٠٠ آلاف سنة من إبراهيم الخليل حتى العصر الحاضر" – كارين أرمسترونغ : مقدمة الناشر : ما طبيعة الله؟ ما صفاته؟ أين يقيم؟ في السماء أم في الأرض أم أنه يقيم في الأعماق العميقة داخل الإنسان (الدنيا كلها لا تسعني ، وإنما يسعني قلب عبدي المؤمن)؟ أهو شيء لا كالأشياء أم لا شيء؟ . . . كثيرون من يتقدّمون للإجابة : من أرسطو اليونان مرورا بأفلوطين ،

النصف وثني ، النصف مسيحي ، والمجامع الكنسيّة ، وأوغسطين . . . ثم بفلاسفة ولاهوتيّي الإسلام وصوفيّيه : ابن سينا الفارابي ، أبو بكر الرازي ، ابن حنبل ، الأشعري ، السهروردي ، ابن عربي ، الحلاّج ، . . . ومفكري اليهود وأحبارهم في العصور الوسطى ، انتهاءً بالمفكرين والفلاسفة في العصر الحديث من دينيّين ولادينيّين : توما الأكويني ، ابن تيمية الدمشقي ، ابن القيم الجوزية ، ثم في عهد أقرب : ديكارت ، هيغل ، فيورباخ ، كانط ، نيوتن ، محمد إقبال ، الأفغاني ، محمد عبده . . . انتهى

وفي فهرس الكتاب من العناوين : الإله المسيحي ، إله الإسلام ، إله الفلاسفة ، إله المتصوفين ، إله المصلحين ، الله في القرن التاسع عشر ، الله والمستقبل . انتهى .

وكل واحد من هؤلاء يحمل تصورا معينا عن الإله بحسب منظومته الفكرية ، بل كل فرد من الإنسان له تصور خاص عن الإله ، فتتعدد التصورات عن الإله بعدد أفراد الإنسان حتى ضمن الدين الواحد والمذهب الواحد ، ومن يريد أن ينفي وجود الإله فلا بد أن ينفي جميع الآلهة التي يقول بها كل قوم من الأقوام ، وفي الفلسفة الحديثة مئات التصويرات عن الإله .

في القرآن :

"سبحان الله عما يصفون"

"ليس كمثله شيء"

"سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا"

"قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني"

في الروايات :

عن الإمام محمد الباقر ع : "كل ما ميّزتموه بأوهامكم في أدق معانيه مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم" . (بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج٦٦ ص٢٩٣ ح٢٣)

عن عبدالرحمن بن أبي نجران قال : سألت أبا جعفر ع عن التوحيد ، فقلت : أتوهم شيئا؟ فقال : "نعم ، غير معقول ولا محدود ، فما وقع وهمك عليه من شيء فهو خلافه ، لا يشبهه شيء ، ولا تدركه الأوهام ، كيف تدركه الأوهام وهو خلاف ما يعقل وخلاف ما يتصور في الأوهام؟! ، إنما يتوهم شيء غير معقول ولا محدود" . (الكافي ج١ ص٨٢ ح١)

عن الإمام الصادق ع قال : "إن العقل يعرف الخالق من جهة توجب عليه الإقرار ، ولا يعرفه بما يوجب له الإحاطة بصفته ، فإن قالوا : فكيف يكلَّف العبد الضعيف بالعقل اللطيف ولا يحيط به ؟ ، قيل لهم : إنما كلّف العباد من ذلك ما في طاقتهم أن يبلغوه ، وهو أن يوقنوا به ويقفوا عند أمره ونهيه ، ولم يكلّفوا الإحاطة بصفته" . (توحيد المفضل ص١٧٧المجلس الرابع)

سئل أبو جعفر الثاني ع : هل يجوز أن يقال لله إنه شيء؟ قال : "نعم ، يخرجه من الحدين : حد التعطيل وحد التشبيه" . (الكافي ج١ ص٨٢ ح٢)

عن أمير المؤمنين ع : "يا من دلّ على ذاته بذاته ، وتنزّه عن مجانسة مخلوقاته" . (مفاتيح الجنان)

عن صفوان بن يحيى قال : سألني أبو قرة المحدّث أن أدخله على أبي الحسن الرضا ع ، فاستأذنته في ذلك فأذن لي ، فدخل عليه ، فسأله عن الحلال والحرام والأحكام حتى بلغ سؤاله التوحيد ، فقال أبو قرة : إنا رُوِّنا أن الله عز وجل قسّم الكلام والرؤية بين اثنين ، فقسم لموسى ع الكلام ، ولمحمد ص الرؤية . فقال أبو الحسن ع : فمن المبلّغ عن الله عز وجل إلى الثقلين الجن والإنس لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ، ولا يحيطون به علما ، وليس كمثله شيء ؟ أليس محمدا ص؟ قال : بلى . قال : فكيف يجيء رجل إلى الخلق جميعا فيخبرهم أنه جاء من عند الله وأنه يدعوهم إلى الله بأمر الله ويقول : لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ولا يحيطون به علما وليس كمثله شيء ، ثم يقول : أنا رأيته بعيني وأحطت به علما وهو على صورة البشر ؟! أما تستحون ما قدرت الزنادقة أن ترميه بهذا أن يكون يأتي عن الله بشيء ثم يأتي بخلافه من وجه آخر . (التوحيد للشيخ الصدوق ب٨ص١١١ ح٩ ، الكافي ج١ص٩٥ ح٢)

عن الرضا ع ، قال السائل : رحمك الله ، فأوجدني كيف هو؟ وأين هو؟ قال : ويلك ، إن الذي ذهبت إليه غلط ، هو أيّن الأين وكان لا أين ، وهو كيّف الكيف وكان ولا كيف ، لا يعرف بكيفوفية ولا بأينونية ، ولا يدرك بحاسة ، ولا يقاس بشيء . قال الرجل : فإن إنه لا شيء إذا لم يدرك بحاسة من الحواس . فقال أبو الحسن ع : ويلك ، لما عجزت حواسك عن إدراكه أنكرت ربوبيته ، ونحن إذ عجزت حواسنا عن إدراكه أيقنّا أنه ربنا خلاف الأشياء . . . إلى أن قال : فلم لا تدركه حاسة البصر؟ قال : للفرق بينه وبين خلقه الذين تدركهم حاسة الأبصار ، منهم ومن غيرهم ، ثم هو أجلّ من أن يدركه بصر أو يحيط به وهم أو يضبطه عقل . (التوحيد ب٣٦ ص٢٥١-٢٥٢ح٣)

فيما عرض عبدالعظيم الحسني من دينه على الإمام علي بن محمد الهادي ع : إن الله تبارك وتعالى واحد ليس كمثله شيء ، خارج عن الحدين : حد الإبطال وحد التشبيه ، وإن ليس بجسم ولا صورة ولا عرض ولا جوهر ، بل هو مجسّم الأجسام ، ومصوّر الصور ، وخالق الأعراض والجواهر ، ورب كل شيء ومالكه وجاعله ومحدثه . (التوحيد باب التوحيد ص٨١ ح٣٧ ، صفات الشيعة للشيخ الصدوق ص٤٨ ح٦٨)

عن أمير المؤمنين ع : بها تجلى صانعها للعقول ، وبها امتنع عن نظر العيون ، لا يجري عليه السكون والحركة ، وكيف يجري عليه ما هو

أجراه ، ويعود فيه ما هو أبداه ، ويحدث فيه ما هو أحدثه ، إذن لتفاوتت ذاته ، ولتجزأ كنهه ، ولامتنع من الأزل معناه ، ولكان له وراء إذ وجد له أمام ، ولالتمس التمام إذ لزمه النقصان ، وإذن لقامت آية المصنوع فيه ، ولتحول دليلا بعد أن كان مدلولا عليه . (نهج البلاغة خطبة ١٨٦)

الشرح :

قوله : "بها" أي بتلك الأدوات أي بواسطة ما أدركته من شؤون الحوادث عرف الصانع فتجلى للعقول ، وبها أي بمقتضى طبيعة تلك الأدوات من أنها لا تدرك إلا ماديا محدودا امتنع سبحانه عن إدراك العيون التي هي نوع من تلك الأدوات ، قوله : "لتفاوتت ذاته" أي لاختلفت ذاته باختلاف الأعراض عليها ولتجزأت حقيقته ، فإن الحركة والسكون من خواص الجسم وهو منقسم ، ولصار حادثا فإن الجسم بتركبه مفتقر لغيره .

وعن موسى بن جعفر ع : ليس بينه وبين خلقه حجاب غير خلقه ، احتجب بغير حجاب محجوب ، واستتر بغير ستر مستور ، لا إله إلا هو الكبير المتعال . (التوحيد ب٢٨ص١٧٩ح١٢)

عن أمير المؤمنين ع : بل ظهر للعقول بما أرانا من علامات التدبير المتقن والقضاء المبرم . . . والحمد لله الكائن قبل أن يكون كرسي أو عرش أو سماء أو أرض أو جان أو إنس ، لا يدرك بوهم ، ولا يقدّر بفهم ، ولا يشغله سائل ، ولا ينقصه نائل ، ولا ينظر بعين ، ولا يحدّ

بأين ، ولا يوصف بالأزواج ، ولا يخلق بعلاج ، ولا يدرك بالحواس . ولا يقاس بالناس . . . فإنما يدرك بالصفات ذوو الهيئات والأدوات ، ومن ينقضي إذا بلغ أمد حده بالفناء ، فلا إله إلا هو ، أضاء بنوره كل ظلام ، وأظلم بظلمته كل نور . (نهج البلاغة)

عن الإمام الصادق ع : من نظر في الله كيف هو هلك .(المحاسن للبرقي ب٢٤ص٢٣٧ح٢٠٨)

ورد رسول الله ص على اليهود حينما قالوا عزير ابن الله ، فقال ص : إن كنتم إنما تريدون بالنبوة الولادة على سبيل ما تشاهدونه في دنياكم هذه من ولادة الأمهات الأولاد بوطء آبائهم لهن ، فقد كفرتم بالله وشبهتموه بخلقه ، وأوجبتم فيه صفات المحدَثين ، ووجب عندكم أن يكون محدَثا مخلوقا ، وأن له خالقا صنعه وابتدعه . (تفسير الإمام العسكري ع ص٥٣١ح٣٢٣)

عالم المعرفة رقم ١٣٤ : العلم في منظوره الجديد ، تأليف روبرت م. أغروس وجورج ن. ستانسيو ، ترجمة د. كمال خلايلي ص ١٥ مدخل : لكل حضارة من الحضارات تصوّر كونيّ للعالم ، أي نظرة يفهم وفقا لها كل شيء ويقيّم ، والتصور السائد في حضارة ما هو الذي يحدّد معالمها . انتهى

وفي ص ١٧ : فإن في نيّتنا أن نبرز التضاد بين النظرة القديمة والنظرة الجديدة لا في تفاصيلهما التقنية ، بل باعتبارهما نظرتين إلى العالم ، مع

التركيز على آثارهما الفلسفية العامة على الإنسان وعلى الكون . انتهى

تعليق :

يقصد بالنظرة القديمة نظرة نيوتن القائمة على الإطلاق والثبات وعدم التغيّر ، والنظرة الجديدة هي نظرة إينشتاين القائمة على النسبية .

وفي ص ١٩ : النظام القديم في الفيزياء الحديثة هو نظام نيوتن ، ويمكن تبيّن جوهر هذا النظام من الطريقة التي يجيب بها عن ثلاثة أسئلة : ما هي مقوّمات الكون المادي؟ ، هناك ثلاث حقائق : المادة والمكان والزمان . انتهى

وفي ص ٢١ : وبفضل النسبية الخاصة أضحى المراقب فجأة جزءًا أساسيا من عالم الفيزياء ، ولم يعد في مقدور الباحث العلمي أن يعتبر نفسه متفرجا حياديا كما في نظام نيوتن . انتهى

وفي ص ٢٣ : إن الحقائق الجديدة التي كشفتها نظرية النسبية وميكانيكا الكم لا يمكن أن تتواءم مع النظرية القديمة ، فلا هيكل المكان–الزمان ، ولا خواص الجسيمات الأولية يمكن أن يوصفا دون الرجوع إلى مراقب مشارك ، أي إلى عقل ، ولقد كانت النظرة القديمة لا تتضمن إلا المادة والقوانين الطبيعية ، أما النظرة العلمية الجديدة فمن المحتَّم عليها أن تتضمن المادة والقوانين الطبيعية والعقل .

تعليق :

إذا أراد نيوتن أن يصوّر الإله فهو يصوّره بحيث ينسجم مع الثبات ، وأما إذا أراد إنشتاين أن يصوّر الإله فهو يصوره بما ينسجم مع النّسبيّة والتّغيّر ، وستيفن هوكنج يصوّر إلها يتناسب مع الثقوب السود ، وهذه ثلاثة تصويرات للإله ، وأبحاثهم الطبيعية أوصلتهم إلى هذه التصويرات المختلفة ، وكذلك في العلوم الإنسانية من الفلسفة والكلام والعرفان كل شخص له تصور عن الإله .

إن البحوث العلمية بدأت مع الانفجار الكبير ، وما قبل الانفجار الكبير فإن العلوم الطبيعية ساكتة عنه .

آلهة في مطبخ التاريخ – جمال علي الحلاق : وبالتالي فإنها لا تتحدث عن حجم وحدود الكون قبل الانفجار ؛ لأن الكون يصمت عن ذلك ، والمراصد الفلكية عاجزة لحد الآن عن قراءة هذا الصمت ، فالذي يمكن رؤيته وسماعه هو دوي الانفجار الكبير . انتهى

تعليق :

يقولون إن الزمن بدأ من بداية الانفجار الكبير ، فنقول بأنه قبل الانفجار الكبير كان يوجد زمن أيضا ، ولكن الإنسان لا يعلم عنه شيئا .

سؤال : هل للكون نهاية ؟

الجواب :

آلهة في مطبخ التاريخ ص ٥٧ : مثلما أن لكل شيء بداية ونهاية ، كذلك الأمر مع النجوم فإنها تولد وتمر بمراحل نمو حتى تصل في

النهاية إلى شيخوختها واحتضارها فموتها ، والثقب الأسود هو نجم ميّت ، لكن لكي يتحقق الثقب الأسود لا بد أن يكون النجم الميت نجما عملاقا . . . تقول المعادلات الرياضية إن الكون يقوم على أربعة أبعاد هي الطول والعرض والارتفاع والزمان ، غير أن الثقب الأسود يرفع عدد هذه الأبعاد إلى أحد عشر بعدا ، لا تزال سبعة أبعاد منها غير مرئية لحد كتابة هذه الأسطر ، إلا أن العلماء يجهدون الآن في محاولة لخلق ثقب أسود داخل المختبر ، ولو تحقق ذلك فإننا سنقف لأول مرة إزاء عالم لم يكن مرئيا طيلة وجود الإنسان على الأرض . انتهى

سؤال : خلق الثقب الأسود في المختبر هل يثبت الحاجة إلى الخالق أو لا يثبت ؟

الجواب :

إن العلوم الطبيعية لا تستطيع أن تنفي وجود إله خالق للكون ؛ لأنه توجد مجهولات كثيرة في الكون لم يصل إليها العلماء ، فلا يمكن أن نقول إن الكون يحتاج إلى خالق أو لا يحتاج ، فالأدلة العلمية الطبيعية لا تنفي وجود الإله الخالق .

وستيفن هوكنج يتنبّأ بأن العالم سينتهي إلى ثقوب سود .

يقول هوكنج في كتابه الثقوب السوداء والأكوان الطفلة ص ١٢٢ – ١٢٣ : يمكن إجراء تخمين موثوق نسبيا لمقدار المادة المظلمة في تلك المجرات . . . بعد عشرة مليارات سنة ستكون معظم النجوم في

الكون قد احترقت ، والنجوم ذات الكتل المشابهة لكتلة الشمس سوف تتحول إلى . . . بناء على ما تقدّم يمكن افتراض أن معظم المادة في المجرات ومجموعاتها سوف تنتهي في ثقوب سوداء .

وفي ص ١١٧ تحت عنوان "١٣- مستقبل الكون" : موضوع هذه المحاضرة هو مستقبل الكون أو ما يظن العلماء أنه مستقبل الكون ، إن التّنبّؤ بالمستقبل هو أمر شديد الصعوبة ، بالطبع لقد فكرت مرة بتأليف كتاب أدعوه : غد الأمس : تاريخ المستقبل ، كان يمكن أن يكون تاريخا لتنبّؤات بالمستقبل معظمها تقريبا ليس صحيحا ، لكن على الرغم من الإخفاقات الكثيرة ما زال العلماء يعتقدون بأنهم يستطيعون التنبؤ بالمستقبل . انتهى

تعليق :

ما دام أنها مجرد تنبؤات ومعظمها تقريبا ليس صحيحا فالمفروض أن لا يرتب العلماء عليها نتائج قطعية ، كالقطع بعدم وجود الإله ، والمفروض أن يقول أحتمل عدم وجود إله ، ويكون في مقابله احتمال وجود الإله ، ولا يمكن له أن ينفي وجود الإله بشكل قطعي .

وقال ستيفن هوكنج في مقدمة كتابه : لقد كتبت المقالات العلمية في هذا الكتاب على أساس الاعتقاد بأن الكون محكوم بنظام نستطيع إدراكه جزئيا الآن ، ويمكننا فهمه على نحو كامل في المستقبل غير البعيد ، لكن قد يكون هذا الأمل سرابا وحسب ، فقد لا تكون هناك نظرية نهائية ، وحتى إن كان مثل هذه النظرية موجودا فقد لا

نعثر عليها ، لكن من المؤكد أنه من الأفضل أن نجاهد من أجل فهم شامل من أن نيأس من العقل الإنساني . انتهى

تعليق :

مع عدم إدراك الكون إدراكا كليا كيف يمكن القول بالقطع بعدم وجود الإله ، فقد يكتشف العلماء باقي الكون ويقولون قطعا يوجد إله خالق مبدأ لهذا الكون ، فإذا مبدأ الكون مجهول عند علماء الفيزياء والفلك ، بالإضافة إلى أن نهاية الكون مجهولة أيضا ، والملحدون يعيشون بين مبدأ مجهول ونهاية مشكوكة ثم يدّعون أنه لا يوجد إله قطعا ، فيريدون أن يقطعوا بعدم وجود الإله في الوقت الذي يعيشون بين بداية مشكوكة ونهاية مشكوكة ، فأي عقل سليم يقطع بشيء وهو يعيش بين مجهولين مشكوكين؟! ، وهذا الكلام موجّه للملحد الجاهل الذي ينفي وجود الإله بشكل قطعي ، مع أن الملحد العالم لا ينفي وجود الإله بشكل قطعي ، وكل ما يقوله هو احتمال عدم وجود الإله ، مع أنه بعد رؤية السماوات والأرض والنجوم والكواكب والنظم البديع في الكون لا بد أن يكون الاحتمال الأكبر مع وجود الإله الخالق ، ويكون احتمال عدم وجود الإله احتمالا ضعيفا جدا جدا .

يقول **جمال علي الحلاق في كتابه "آلهة في مطبخ التاريخ"** : كما قلت لدينا الآن – معرفيّا – منطقتين عمياويّتين ، والحديث يخصّ علم الفيزياء والكون فقط ، المعرفة تقف عمياء بين منطقتين ، أما

إحداهما فبداية مجهولة تماما تمثّل الماضي ، وأما الثانية فمجهولة ، وتمتلك القدرة على إفناء كل ما يقترب منها حتى الضوء ، تمثل المستقبل ، وهذا يعني أننا محاصرون بمجهولَيْنِ ، ولا يقول هوكنج والعلماء الذي على شاكلته أنها من علم الغيب . انتهى (هامش : لا بد أن يقول : منطقتين عمياوَيْنِ ؛ لأنها مثنى "عمياء" ، كما نقول سوداء ، ومثناها : سوداوَيْنِ)

قوله تعالى : "يوم تبدل الأرض غيرَ الأرض والسماواتُ وبرزوا لله الواحد القهار" إبراهيم٤٨

علماء التفسير يحملون الآية على عالم القيامة بقرينة البروز لله تعالى ، وقد نقول بتفسير آخر ، وهو أنه قد ينتهي هذا الكون ، ويبدأ انفجار جديد وكون جديد وقوانين جديدة تختلف عن قوانين أرضنا الحالية ، من قوانين فيزيائية وفلكية وكيميائية ورياضية ، وكوننا الحالي بهذا النحو وليس بنحو آخر لأن الإله الخالق قد أعدّه إعدادا خاصا ونظمه تنظيما خاصا ودقيقا ليكون مناسبا وصالحا لاستقبال الإنسان ومعيشته فيه ، ويستحيل أن المادة العمياء الصماء تنظم الكون هذا التنظيم الدقيق المناسب لمعيشة الإنسان .

"وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون" الجاثية١٣

الجائزة الكونية الكبرى لغز ملاءمة الكون للحياة – بول ديفيس ص٩–١٠ : اقترحت حسابات كارتر أنه لو كانت القوانين مختلفة

بقدر طفيف عما هي عليه بالفعل لأصبح من المحال وجود الحياة . . . ومن ثم يقول كارتر إن وجودنا يعتمد على قدر محدّد من "الضبط الدقيق" للقوانين . . . بدت قوانين الفيزياء في نظر كارتر "مناسبة تماما للحياة" ، وكأن هذا أمر مقصود في حد ذاته . انتهى

والملحدون أيضا لا ينكرون تناسب الكون وصلاحيته لحياة الإنسان .

العلم ووجود الله د. جون لينوكس ص ١٣٦ : وقد قال "ريتشارد دوكنز" في "محاضرات الكريسمس بالمؤسسة الملكية التي أذيعت سنة ١٩٩١ : "الكائنات الحية . . . تبدو مصمَّمة ، تبدو كأنها مصمَّمة على نحو مذهل" . انتهى

ثم يقول جون لينوكس : لذا لا شك أن الطبيعة توحي بوجود تصميم على نحو مذهل ، حتى أن ريتشارد دوكنز يعرِّف علم الأحياء بأنه دراسة أشياء معقَّدة توحي بأنها تخضع لتصميم له غرض . انتهى

تعليق :

الطبيعة لها تصميم دقيق مذهل ، ولها غرض وهدف ، ووجود الغرض يكون لصالح وجود الإله لا لنفي وجود الإله .

والقرآن الكريم يقول : "والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم" يس ٣٨

فالشمس تتحرك ولها غرض وغاية تصل إليها .

سؤال : ما هو موقف العلوم الطبيعية المعتمدة على الحس والتجربة – كالفيزياء والكيمياء – من مسألة وجود خالق للكون؟ هل يمكن أن تثبت وجود الخالق أو تنفي وجود الخالق؟

الجواب :

كلما تقدمت العلوم الطبيعة فإننا نقترب أكثر إلى إثبات وجود الإله ، هذا هو الاتجاه الأول ، والاتجاه الثاني يقول إن القضية بالعكس ، فإنه كلما تقدمت العلوم الطبيعية فإننا نكتشف أن لا ضرورة لوجود الإله ، والاتجاه الثالث يقول إن العلوم الطبيعية حيادية إزاء إثبات الإله ، فالعلوم الطبيعية لا علاقة لها بإثبات وجود الإله أو عدم إثبات وجوده ؛ لأن مواضيع العلوم الطبيعية تختلف عن مواضيع الدين ، ووجود الإله مرتبط بالدين لا بالعلوم الطبيعية .

يقول بعض المدعين للإلحاد إن العلوم الطبيعية الحديثة تنفي وجود الإله الخالق المصمم للكون ، وهذا يرتبط بالدليل الدال على إثبات وجود الإله أو نفي وجود الإله ، مثلا دليل النظم الموجود في الكون والنظام الدقيق والتصميم الذكي هذا الدليل يعتمد على العلوم الطبيعية ، فدليل النظم يدل على وجود منظِّم وعقل ومصمِّم ذكي .

المواقف اتجاه هذا الموضوع :

يوجد ثلاثة مواقف :

١–الموقف السلبي :

يعتقد البعض أن العلوم الطبيعية كلما تقدمت كلما رجحت نظرية عدم وجود إله خالق للكون ، وأن الحاجة إلى تصوير خالق وعقل مصمم للكون منشؤه ضعف العلوم الطبيعية ، وكلما تقدم الإنسان في هذا المجال فإنه يجد أن كل ما ينسبه إلى إله خالق يمكن تفسيره بواسطة العلوم الطبيعية ، فلا نحتاج إلى فرضية وجود خالق للكون ، فالعلوم الطبيعية ترجح احتمال عدم الحاجة إلى إله خالق .

كتاب **"الله الفرضية الفاشلة كيف يثبت العلمُ عدمَ وجود الله" تأليف فيكتور جون ستينجر عالم فيزياء الجسيمات – ترجمة وتقديم الدكتور كمال طاهر – ص ١٩** : في كتابي الصادر ٢٠٠٣ "هل وجد العلم الله؟" تفحّصت بشكل نقديّ دعاوى الأدلة العلمية على الله ووجدتها غير متوافقة ، وفي هذا الكتاب سأخطو أبعد وأجادل بأنه في هذه اللحظة من الزمان قد تقدَّم العلم بما يكفي لإصدار حكم صريح حول وجود أو عدم وجود الله الذي يملك الصفات المرتبطة تراثيا بالإله اليهودي–المسيحي–الإسلامي .

لدينا اليوم بيانات تجريبية معتدّ بها ونماذج عليمة ناجحة جدا تتضمن السؤال عن وجود الله ، وقد آن الأوان لتفحص ما تخبرنا به هذه البيانات والنماذج حول صلاحية فرضية الله . انتهى

في ص٢٠ : في أديان التوحيد الثلاث يُعَدُّ الله كائنا فائقا متعاليا – وراء المادة والزمان والمكان – ، ولكنه أيضا أساس كل ما تلتقيه حواسنا ، ويمكن وصفه دلالة المادة والزمان والمكان . . . وهكذا

حين أستخدم كلمة "الله" فأنا أعني الإله اليهودي المسيحي الإسلامي ، والآلهة الأخرى ستميزها كلمة "إله" . . . فهذا الكتاب تحقيق في الأدلة حول وجود الله لا جميع الآلهة .

في ص ٢٥ تحت عنوان "دراسة الأدلة ضد الله" : إن تقييم البراهين حول أن العلم قد كشف أدلة لوجود الله ليس سوى جزء من مهمتي ، اسْتُكْمِلَ بشكل كبير في كتابي" هل وجد العلمُ اللهَ؟" ، واهتمامي الأساس هنا سيكون تقييم البراهين الأقل شيوعا والتي يوفر فيها العلم أدلة ضد وجود الله .

ثم يقول : العملية التي سأتّبعها هي الطريقة العلمية في اختبار الفرضيات ، سيؤخذ وجود الله كفرضية علمية وسيبحث عن نتائج هذه الفرضية في مشاهدات موضوعية في العالم من حولنا ، ستفترض نماذج مختلفة يكون لله فيها صفات محدَّدة يمكن فحصها تجريبيا ، أَيْ أن لو كان إله بهذه الصفات موجودا فهناك ظواهر محدَّدة يمكن مشاهدتها ، أَيُّ فَشَلٍ في عبورِ اختبارٍ ما سَيُعَدُّ فشلا لذلك النموذج بعينه ، بالإضافة إن كانت المشاهدات الفعلية كما يتوقع في غياب الإله المحدَّدة فسيؤخذ هذا كأمارة إضافية ضد وجوده .

تعليق :

هو لا ينفي مطلق الإله والقوة الأزلية والمبدأ الأزلي ، وإنما ينفي ما يقوله علماء الأديان الإبراهيمية الثلاثة عن الله ، ونفي الأخص لا يستلزم نفي الأعم ، ويقول "هل وجد العلم الله؟" ، ولنفرض أن العلم

لم يجد اللهَ ، ولكن عدم الوجدان لا يدل على عدم الوجود ، لذلك كتب هذا الكتاب الجديد لينتقل من عدم الوجدان إلى عدم الوجود ، ولكن هذا الاختبار لا ينفي وجود الإله ، وإنما ينفي اتصاف الإله بصفة معيَّنة ، فهو ينفي صفات الإله ولا ينفي وجود الإله ، مثلا نقول إن علم الإله علم مطلق ، فهو ينفي ذلك ويقول علم الإله علم محدود ، فهو لم ينف وجود الإله بل ينفي العلم المطلق للإله ، فدليله ينفي صفات الإله ولا ينفي وجود الإله ، والنتيجة أن عنوان الكتاب "الله الفرضية الفاشلة كيف يثبت العلم عدم وجود الله" عنوان خاطئ لا ينطبق على النتائج التي يصل إليها في محتوى الكتاب ، فلا بد أن يكون العنوان "صفات الله الفرضية الفاشلة كيف يثبت العلم عدم وجود صفات الله" ؛ لأن الكتاب لا ينفي وجود الله بل ينفي صفات الله من العلم المطلق والقدرة المطلقة والحكمة المطلقة والتدبير المطلق والعناية المطلقة ، ونقول هنا بأننا في بحوثنا نريد أن نثبت وجود قوة أزلية وإله أزلي ومبدأ أزلي بغض النظر عن صفاته .

الإلحاد تعليل فلسفي – مايكل مارتن تحت عنوان "غرض الكتاب" ص٤٨ : سأقدم نقدا شاملا للجدليات لصالح وجود الله ، ودفاعا عن الجدليات ضد وجود الله ، شارحا بالتفصيل صلتها بالإلحاد . . . لقد قصرت جهودي على البرهنة على انعدام العقلانية في الاعتقاد بوجود الإله العبراني المسيحي [الإسلامي كذلك] ، وهو كائن مشخصن يتسم بأنه كلي العلم والقدرة وخيّر بالكامل ، والذي خلق

السماء والأرض ، لقد قمت بهذا لسبب واضح وهو أن الجدالات بين الملحدين والمؤمنين في مجتمعنا في معظمه يدور حول ما إذا كان يوجد كائن كهذا . انتهى

وفي ص ٥٢ : سأقدم تعليلا للإلحاد الإيجابي [القوي والتأكيدي] ، وهو النظرية القائلة بالاعتقاد بعدم وجود الإله الإيماني [الخاص بالأديان] ، سأبحث أولا ما يشتمل عليه مثل ذلك التعليل (في الفصل الحادي عشر) ، ثم سأبرهن على أن مفهوم الإله الإيماني غير متّسق (في الفصل الثاني عشر) . انتهى

تعليق :

الإلحاد السلبي هو الذي يقول بعدم وجود دليل على وجود الله ، ولكن الإلحاد الإيجابي يقول بوجود دليل على عدم وجود الله .

٢–الموقف الإيجابي :

كلما تقدّمنا في العلوم الطبيعية كلما اقتربنا من إثبات وجود الإله ، وكشفت هذه العلوم أسرارا في الطبيعة والكون ، ولا يمكن تفسيرها إلا بفرضية وجود خالق ومصمِّم لهذا العالم ، وهو عالم قادر حكيم خيّر ، فالأدلة توصلنا إلى اليقين بوجود الإله ، هذا هو القول الأول ، وقال البعض بأن أدلة الإثبات أرجح من أدلة النفي ، والأدلة لا توصل إلى اليقين بوجود الإله ، وهذا هو القول الثاني .

الله والفيزياء الحديثة – بول دافيز ص٨ : يتناول الكتاب في موضوعه الرئيس ما أدعوه الأسئلة الأربعة الكبرى عن الوجود : قوانين

الطبيعة وما هي عليه الآن؟ لماذا يتكوّن الكون من الأشياء التي يتكوّن منها؟ كيف نشأت هذه الأشياء؟ كيف حقّق الكون نظامه؟ .

انتهى

تعليق :

مراده النظام المناسب لأن تتكون فيه الحياة ، ونسأل : من الذي نظّمه حتى تتلاءم مع حياة الموجودات الحية كالإنسان ؟ ، وهو ما ذكره في عنوان كتابه الآخر : لغز ملاءمة الكون للحياة .

الجائزة الكونية الكبرى لغز ملاءمة الكون للحياة – بول ديفيس :

من البديهي لأي مناقشة تتناول أسئلة الوجود المطلقة أن تكون مزعجة لأغلب العلماء ، وأن تدخل عالم التخمين غير المألوف .

ويذكر بعض الاحتمالات :

١–الكون العبثي .

٢–الكون المتفرِّد .

٣–الكون المتعدِّد .

٤–التصميم الذكي .

ثم يقول : فمجرّد إعلان أن "الرب هو الذي فعلها" لا يقدِّم تفسيرا فعليا لأي شيء ، إلا إذا كان في استطاعتنا أيضا أن نحدِّد "كيف" و"لماذا" فعلها؟ ، كما تصطدم هذه النظرية بمعضلة من الذي صمَّم المصمِّم .

ثم يذكر باقي الاحتمالات :

٥-مبدأ الحياة .

٦-الكون المفسِّر لذاته .

٧-الكون الوهمي .

٨-لا شيء مما سبق .

ثم يقول : أنا عن نفسي أميل إلى التفسيرين الخامس والسادس .

تعليق :

هذه الأسئلة مزعجة لأغلب العلماء لأنهم لا يستطيعون الإجابة عليها لأنهم يفترضون عدم وجود إله خالق للكون ، مع أن أبسط الأجوبة هي وجود خالق ، والمؤلف لا يقبل نظرية التصميم الذكي .

ويقول في كتابه **"الله والفيزياء الحديثة" ص٩** : ومع ذلك فإني أعتقد أن بإمكان الفيزياء – استثنائيا – تزويدنا بالإجابات ، وربما يبدو الأمر غريبا بالنسبة للكثيرين ، لكني أرى العلم يطرح مسارا مؤكَّدا نحو وجود الإله ، صوابا كان ذلك أم خطأ ، فالحقيقة تبقى بأن العلم يتقدَّم بالفعل إلى منطقة كانت تُعَدُّ سابقا قضية محض دينية ، وأن بإمكانه معالجة المسألة بجدية ، ويشير ذلك – في حد ذاته – إلى اتّساع نطاق الفيزياء الحديثة ، وحجم نتائجها بعيدة المدى .

ورغم محاولتي – طوال الكتاب – إقصاء آرائي الدينية بعيدا ، فإن طرحي للفيزياء يبقى بالضرورة أمرا شخصيا ، ولا شك أن الكثيرين من زملائي قد لا يوافقون على النتائج التي حاولت استخلاصها ، إني أحترم آراءهم ، فهذا العمل ببساطة مجرّد تصوّر . . . . انتهى .

وفي **ص ٢٦٧** : في الفصول السابقة في بحثنا عن الإله تناولنا جميع أنحاء الفيزياء الحديثة ، الأفكار الجديدة حول الفضاء ، الزمن ، النظام ، اللانظام ، العقل والمادة ، إن كثيرا مما طرحناه سيؤكد دون ريب رأي البعض بأن العلوم تعارض الدين بصلابة ، وتستمر في تهديد أسس معظم العقائد الدينية ، ومن الغباء إنكار أن الكثير من الأفكار الدينية التقليدية عن الإله والإنسان وطبيعة الكون قد جرفتها الفيزياء الحديثة بعيدا ، مع ذلك فقد أظهرت أيضا كثيرا من المؤشرات الإيجابية بأن وجود العقل على سبيل المثال كشيء مجرّد وكلي وذي نمط منظَّم وقدرة تحرّريّة أيضا يدحض فلسفة الاختزال التي حوّلتنا جميعا إلى لاشيء سوى كوم من الذرات المتحركة .

مع ذلك لم تكن في نيتي في هذا الكتاب إعطاء أجوبة سهلة عن أسئلة دينية قديمة العهد ، فكل ما سعيت إليه توسيع سياق نقاش القضايا الدينية ، لقد غيّرت الفيزياء الحديثة الكثير من أفكار الفضاء والزمن والمادة ، بحيث لم يعد ممكنا تجاهلها من قبل أي مفكر ديني جادّ .

لقد بدأت بطرح الادّعاء بأن العلم يوفّر سبيلا مؤكَّدا للسعي إلى الإله أكثر من الدين ، إنني أؤمن بعمق أن فهم العالم بكافة جوانبه الاختزالية ، الكلية ، الرياضيات ، والشعر ، من خلال القوى والحقول والجسيمات ، وأيضا عبر الخير والشر ، يمكننا فقط فهم أنفسنا ، وكذلك فهم المعنى من وراء هذا الكون ، أي بيتنا . انتهى

كتاب "**العلم ودليل التصميم في الكون" – د. مايكل بيهي ، د. وليام ديمبسكي ، د. ستيفن ماير** .

في ص١٥–١٦ تحت عنوان "المؤلفون" : مايكل بيهي : تلقى الدكتوراه في الكيمياء الحيوية من جامعة بنسلفانيا (١٩٧٨) ، وهو أستاذ في العلوم البيولوجية في جامعة ليهاي في ولاية بنسلفانيا ، وهو عضو في معهد ديسكفري ، يناقش كتابه "صندوق داروين الأسود" (الطبعة الأولى كانت عام ١٩٦٦) نتائج ما يسميه النظم الكيميائية (المعقدة غير القابلة للاختزال) على نظرية التطور .

وليام ديمبسكي : حاصل على الدكتوراه في الرياضيات من جامعة شيكاغو ، ودكتوراه في الفلسفة من جامعة إلينويز في شيكاغو ، وماجستير اللاهوت من معهد برينستون اللاهوتي ، من أحدث أعماله كتاب "التصميم الذكي" (إينترفرستي ١٩٩٨) ، وكتاب "دليل التصميم" (جامعة كامبردج ، طبعة ١٩٩٨) ، وهو مدير مركز مايكل بولاتي في جامعة بايلور وعضو في معهد ديسكفري .

ستيفن ماير : حاصل على دكتوراه في التاريخ وفلسفة العلم من جامعة كامبردج في عام (١٩٩١) لبحثه المقدَّم عن أصل الحياة في علم البيولوجي ومنهجية العلوم . . . .

وفي ص ١١–١٢ مقدمة المترجم : ومن بين تلك الاتجاهات التي يمكن أن يستفاد منها ما بات يعرف بحركة التصميم الذكي ، وهي حركة يقف خلفها مجموعات من علماء الطبيعة في مجالات معرفية

متنوعة جزمت بوجود خصائص وملامح في الكون والحياة لا يمكن تفسيرها إلا بوجود ما أسموه بمصمم ذكي ، بغض النظر عن طبيعة هذا المصمم في حد ذاته ، فالعلم الطبيعي بمقدوره الكشف عن وجود الصنعة المتقنة ، والتي تستدعي وجود مصمم ، أما ما يبنى على مثل هذه المكتشفات من رؤى دينية وفلسفية فيحتاج إلى عمل عقلي يتكئ على معقولات ضرورية ونظرية مضافا إلى ملاحظة الحس والتجربة ، هذه الرؤية تتعارض مع المناخ السائد في المجتمع العلمي الحديث ، والذي يحصر مجال التفسير الطبيعي في عمليات طبيعية عمياء مع حكم مسبق بإلغاء أي احتمال لوجود إرادة تقف خلف مثل هذه الظواهر .

ولو شاء المرء أن يذكر أهم ثلاث شخصيات تقف خلف هذا الاتجاه فسيذكر الأسماء الثلاثة القائمة على تأليف هذا الكتاب ، وميزة هذا الكتاب المركزية أنه يقدم خلاصة رؤية رؤية كل واحد من أولئك الثلاثة ، والتي شرحها تفصيلا في كتب موسعة ، فمايكل بيهي هو صاحب الكتاب المركزي الشهير "صندوق داروين الأسود" ، وكتاب "حافة التطور" ، وستيفن سي ماير هو صاحب كتاب "التوقيع في الخلية" ، وكتاب "شكوك داروين" ، أما وليم ديمبسكي فله مؤلفات كثيرة متعددة يقف على رأسها كتابه "دليل التصميم" . انتهى

تعليق :

العلم يقول بوجود الصنعة المتقنة ، والعقل يقول بوجود صانع متقن ومصمم ذكي يقف خلف هذه الصنعة المتقنة ، فالعلم يعطي المقدمات ، والعقل يصل إلى النتيجة .

وفي **ص ١٧** : ومع اعتراف الداروينيين منذ زمن بأن الأنظمة البيولوجية "تبدو" مصممة ، كما يقول ريتشارد دوكينز زعيم الداروينيين والمتحدث باسمهم : "علم الأحياء هو دراسة الأشياء المعقدة التي تظهر على أنها مصممة لغرض" .

لكن الداروينيين يصرّون على أن هذا المظهر هو مجرد خدعة ، وأن آلية الانتقاء الطبيعية يمكن أن تفسّر هذا التعقيد الملاحظ في الكائنات الحية . انتهى

وفي **ص ١٨** : فعلى خلاف هؤلاء التطوريين يجزم هؤلاء المنظرون لفكرة التصميم بوجود أدلة علمية واقعية تشير إلى التصميم الذكي ، وأن هذا التصميم الذكي – بمصطلحاتهم – (قابل للملاحظة تجريبيا) . انتهى

وفي **ص٢١** : إذ الدليل المادي من الطبيعة . . . يمكن أن يستعمل لدعم الإيمان بالله ، إذ أن الإله هو أفضل التفاسير المستنَتجة لهذه الظواهر ، حتى لو قُدِّرَ أن هذا الدليل لا يمكن أن يمدّنا ببراهين يقينية على وجود الله . انتهى

وفي **ص٢٧** : وخلاصة القول : أن العلم التجريبي المعاصر . . . استبعد نمط التصميم تماما كتفسير محتمل للظواهر الطبيعية . انتهى

في **ص٢٨** : هـدفي إذًا هـو إعـادة تأهيـل نمـوذج التصـميم كنمـوذج مقبول للتفسير العلمي . انتهى

تعليق :

العلوم الطبيعية لا تعارض الدين ، بل الدين والعلم متوافقان ، وإنما تعارض فهم علماء الدين لبعض المسائل الدينية ، مثلا بعض علماء الدين يقولون بأن الأرض مركز الكون ، وتم تحميل هذه الفكرة على الدين ، وعلى أساس ذلك تمت محاكمة غاليليو الذي قال بأن الشمس هي المركز وأن الأرض جرم يدور حول الشمس .

العلم ووجود الله هل قتل العلم الإيمان بوجود الله؟ – جون لينوكس – تقديم الطبعة العربية د. ماهر صموئيل المقدمة ص٨ :

أحد الذين قالوا عن هذا الكتاب هو لاأدري ألان إمري : بصفتي لاأدريّا بالمعنى الصريح للكلمة "لاأدري" أرى أن كتاب "جون لينوكس" يتمتع بقدر كبير من الجاذبية والإثارة الفكرية ، فالكتاب يمثّل فحصا دقيقا لعلاقة العلوم البيولوجية والكونية بالعقائد المسيحية ، ويجمع الأدلة بدقة لدحض الفكرة القائلة بعدم توافق المنهجين ، والكاتب مسيحي ملتزم وعالم رياضيات معترف به عالميا ، فهل سيقتنع القارئ بحججه؟ ، لا بد أن أترك الحكم للآخرين ، ولكن أيّا كانت النتيجة لا خلاف على أن هذا الكتاب كتب بعناية ، وهو

يستفزّ الفكر ، كما يسهم في تقديم طرح منطقي لأحد الأسئلة الجوهرية : "هل قتل العلمُ الإيمانَ بالله؟" . انتهى .

وفي **ص ٣٦٤** : وختاما أصرّح بأن العلم لم يقتل الإيمان بالله ، بل بالعكس تماما ، فنتائج العلم تشير إلى وجوده ، بل إن المشروع العلمي نفسه لا يقوم إلا بوجوده .

ولا مفرّ أننا جميعا ، سواء أكنّا مشتغلين بالعلم أم لا ، لا بد أن نختار الفرضية التي نودّ أن نتّخذ منها نقطة انطلاق لنا ، والخيارات ليست كثيرة ، فليس أمامنا سوى خيارين أساسيين : إما أن الذكاء البشري يدين بنشأته لمادة عديمة العقل ، أو أنه يوجد خالق ، والغريب أن البعض يزعمون أن ذكاءهم هو ما يقودهم إلى تفضيل الخيار الأول على الثاني . انتهى

تعليق :

قول أمير المؤمنين ع عن الهدف من بعث الأنبياء ع : ليثيروا لهم دفائن العقول .

الإنسان بين خيارين : إما أن يعتقد أن المبدأ الأزلي هو مادة عديمة العقل ، وهذه المادة العديمة العقل أنتجت كل شيء في هذه الكون ، وأنتجت العقل البشري ، مع أن فاقد الشيء لا يعطيه ، ففاقد العقل لا يعطي العقل ، وهم يقولون بأن ذكاءهم كان مبدؤه من مادة عديمة العقل ، وإما أنه يوجد خالق لهذا الكون ، وهو الذي صمم ونظم الكون ويدبره ويدير كل ما فيه ، فالملحد يعترف بوجود مبدأ أزلي ،

ولكن يعتبره مادة عديمة العقل ، والمؤمن يقول هو الخالق ، فكل إنسان حتى الملحد المنكر لوجود إله يعترف بوجود مبدأ أزلي للكون .
يقول تعالى : "لا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموما مخذولا وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه" الإسراء ٢٢-٢٣
وهذا القضاء قضاء تكويني لا قضاء تشريعي ، فالإنسان تكوينا يعبد المبدأ الأزلي وإن أخطأ في تشخيص مصداق هذا المبدأ الأزلي ، وليس قضاء تشريعيا بمعنى أن الإنسان مخيّر بين العبادة وعدم العبادة ، وأنه باختياره يعبد أو لا يعبد الله تعالى ، فجميع الناس يعبدون المبدأ الأزلي ، ومشكلة البعض في المصداق ، فيتصور أن إلهه هو الطبيعة أو التمثال أو البقرة أو القرد ، فالشبهة عندهم شبهة مصداقية لا شبهة مفهومية ، فتوجد عندنا وحدة المفهوم وتعدّد المصداق ، ونظرية التطور جاءت لحل هذه المشكلة وهي أن الإنسان العاقل نشأ من مادة غير عاقلة ، فالنظريات تنشأ من النظرة الكونية ، فإذا كان يعتقد بوجود خالق للكون فإنه يعطي نظرية تتناسب مع نظرته بوجود إله ، وإذا كان لا يؤمن بوجود إله خالق فإنه يعطي نظرية أخرى تقوم على أساس النظرة المادية للكون وعدم الاعتقاد بوجود خالق ، ونظرية التطور تتناسب مع النظرة المادية للكون ، فالإنسان نشأ من مادة غير عاقلة ، والتطور نشأ من المادة بدون تدخل من موجّه خارجي ومبدأ أزلي .

أقوى براهين د. جون لينوكس في تفنيد مغالطات منكري الدين :

يذكر جون لينوكس عبارة ينقلها عن برتراند رسل : "أي معرفة ممكن الحصول عليها يجب أن تتحصل عبر الطرق العلمية ، وما لا يمكن للعلم اكتشافه لا يمكن للإنسان معرفته" . انتهى

ويقول لينوكس في كتابه نقلا عن الماديين : "كلما تقدّم العلم خطوة انحسر وتضاءل دور الإله وتراجع" . انتهى

تعليق :

الاتجاه العام الذي ينكر وجود الإله أو ينكر وجود الأديان أو يشكك في ذلك ينتهي إلى هذه النتيجة ، وهي أنه مع تقدّم العلوم لا يبقى للإله دور ، وأن الاعتقاد بوجود الإله منشؤه الجهل وتأخر العلوم ، وكلما تقدمت العلوم يتضاءل دور الإله ، وبقاء الاعتقاد بالإله أو الاعتقاد بالدين سببه هو أن بعض الظواهر والحقائق العلمية ما زالت مجهولة ، وإذا عرف الإنسان جميع الحقائق العلمية فلا يحتاج إلى الاعتقاد بوجود إله وراء هذا الكون ، لذلك يقال بأنه يوجد تضاد أو صراع بين الدين والعلم ، ويقصد من الدين منظومة المعارف الدينية ، وأهم ركن في هذه المنظومة هو وجود الإله أو الآلهة ، وهؤلاء القائلون يعتقدون بأنه في آخر المطاف سينتصر العلم على الدين .

الجائزة الكونية الكبرى لغز ملاءمة الكون للحياة – بول ديفيز ص٩–١٠ : لو افترضنا أن القوانين كانت مختلفة قليلا عن الشكل الذي هي عليه بالفعل في هذا الجانب أو ذاك ، ماذا ستكون عواقب ذلك ؟ ، يطلق الفلاسفة على هذا النوع من التفكير اسم "التحليل

المضاد للواقع" . . . . اقترحت حسابات كارتر أنه لو كانت القوانين مختلفة بقدر طفيف عما هي عليه بالفعل لأصبح من المحال وجود الحياة . . . ومن ثم يقول كارتر إن وجودنا يعتمد على قدر محدّد من "الضبط الدقيق" للقوانين . . . بدت قوانين الفيزياء في نظر كارتر "مناسبة تماما للحياة" ، وكأن هذا أمر مقصود في حد ذاته . انتهى

وفي **ص١٨** : . . . الصارمة في قوانين الفيزياء الأساسية التي تنظم حركة الكون ، وهي صارمة إلى حد أن حقيقة أن الكون ملائم للحياة تبدو كأنها مدبَّرة أو مقصودة . . . فمن الظاهر يبدو الكون بالفعل كما لو أنه مصمم تصميما مقصودا من أجل ظهور الحياة البشرية العاقلة . . . يبدو كأن الكون "ملائم تماما" للحياة ، بصور عديدة مثيرة للاهتمام ، ولا يمكن اعتبار أي تفسير علمي للكون كاملا إذا لم يضع في الحسبان فكرة التصميم الحصيف . . . صار العلم على وشك العثور على حل لغز ملاءمة الكون للحياة بهذا الشكل المذهل ، لكن يتطلب هذا التفسير فهم كيفية بداية الكون وتطوره إلى شكله الحالي ، ومعرفة المادة التي يتكون منها ، وكيف يتشكل ويتركب بفعل قوى الطبيعة المختلفة ، وأهم من كل ذلك يتطلب الأمر منا أن نتقصى طبيعة قوانين المادة نفسها . . . على مدار التاريخ اقتنع العديد من المفكرين البارزين بأن العالم الذي نرصده بحواسنا ليس إلا تجسيدا سطحيا لحقيقة خفية أعمق . انتهى

وفي **ص ٢٢–٢٣** : إن وجود قوانين الطبيعة هو نقطة البدء التي ينطلق منها هذا الكتاب ، بل في الحقيقة هو نقطة البدء للعلم نفسه ، ولكن من البداية سنواجه بلغز بديهي وعميق وهو : من أين أتت قوانينُ الطبيعة؟ . . . ولماذا تتخذ الشكل الذي هي عليه ؟ وكيف في غير ضوء فكرة التدبير الإلهي يمكن تفسيرها ؟. انتهى

تعليق :

التدبير يكون من إله واحد ، ولو وجد إلهين مدبرين لتصادما معا ، فكل إله يريد قانونا معينا ، ويخالفه الآخر .

"لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا"

"ولذهب كل إله بما خلق"

رواية : "لأتتك رسله"

وبرهان النظم يثبت وجود الإله ، ويثبت الصفات الكمالية للإله كالعلم والقدرة والحكمة والاختيار ، ويثبت توحيد الإله .

وفي **ص٢٧** : ليست جميع القوانين مستقلة بعضها عن بعض . . . خلال الأربعة قرون التي تلت اكتشاف أول قوانين الفيزياء ظهر المزيد والمزيد من القوانين للضوء ، واكتشف المزيد والمزيد من الروابط أيضا ، إن قوانين الكهرباء على سبيل المثال وجد أنها مرتبطة بقوانين المغناطيسية ، التي بدورها فسرت قوانين الضوء ، هذه العلاقات المتبادلة قادت إلى قدر معيَّن من الارتباك بشأن أي القوانين تعدّ

"أساسية" وأيها مشتق من الأخرى ، بدأ علماء الفيزياء في الحديث عن القوانين "الجوهرية" والقوانين "الثانوية" . انتهى

وفي ص٢٨ : إن عملية التبسيط وإعادة الترتيب الممثلة في العثور على روابط بين القوانين وتقليلها إلى قوانين أكثر جوهرية تجري بسرعة كبيرة ، ومن المغري أن نفكر أنه في جوهر الأمر كله لا يوجد سوى حفنة من القوانين الجوهرية "الحقيقية" ، بل قد يوجد قانون فائق واحد تشتق منه كافة القوانين الأخرى . انتهى

تعليق :

"الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى"

أعطى كل شيء خلقه : أعطى النظام الداخلي لكل شيء .

ثم هدى : هداهم لغاية معينة ، وأعطى النظام الخارجي لكل شيء ليكون منسجما مع الأشياء الأخرى .

"سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم أفلا تبصرون"

"متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك عميت عين لا تراك عليها رقيبا"

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

بصمة الله موجودة على كل شيء في هذا الكون من أكبر مجرة إلى أصغر خلية .

يحاول علماء الفيزياء الوصول إلى القانون الواحد الذي تشتق منه جميع قوانين الكون ، وإذا وصلوا إلى هذا القانون الواحد فإنهم يكونون

قد فكوا شفرة الكون ، وبذلك يمكن لهم أن يعرفوا كيف يدبر الإله هذا العالم ، وأن يتعرفوا على أسرار الكون .

٣-الموقف الحيادي :

العلم لا يثبت ولا ينفي وجود الإله ، فالعلم يكون ضمن دائرة ، والدين يكون ضمن دائرة أخرى .

العلم ووجود الله هل قتل العلم الإيمان بوجود الله؟ – جون لينوكس – تقديم الطبعة العربية د. ماهر صموئيل المقدمة ص٥ :

لكن كما لم يكن العلم هو سبب إلحاد من ألحد ، لم يكن أيضا هو سبب إيمان من آمن ، لكل من الإلحاد والإيمان أسباب أخرى لا دخل للعلم فيها . انتهى

حدود دائرة العلم :

وهنا لا بد لنا من تحديد حدود دائرة العلم حتى يمكن أن نقول إن العلم يستطيع الإجابة عن جميع التساؤلات أو لا يستطيع؟ وما هي المسائل التي يمكن للعلم أن يجيب عنها حتى نقول إن العلم يضاد الدين أو لا يضاده وأن العلم يقبل هذا الأمر أو لا يقبل ذاك الأمر؟ فإذا اتضح أن العلم يستطيع أن يجيب على تساؤلات منها وجود الإله ، فنسأل العلم : هل تثبت وجود الإله أو تنفيه أو ساكت عنه لا أثبت ولا أنفي؟

وكذلك لا بد من تحديد دائرة الدين ، فهل يجيب على كل تساؤل أو أن له دائرة خاصة يجيب على تساؤلاتها فلا يحق لنا أن نسأل خارج دائرة المعارف الدينية؟

ونرى بأنه لا الدين استطاع أن يقف أمام تقدّم العلم في حياة الناس ، ولا العلم استطاع أن يحذف الدين من حياة الناس .

تعريف العلم في العلوم الطبيعية التجريبية :

توجد تعاريف كثيرة للعلم ، ولا يوجد اتفاق على تعريف واحد للعلم .

أقوى براهين د. جون لينوكس ص ٤٨ تعريف العلم : وهذا الأمر يعيدنا إلى السؤال المطروح : ما هو العلم؟ ، وبخلاف الانطباع السائد لا توجد طريقة علمية متوافق عليها رغم أن بعض العناصر تتلاقى بانتظام في محاولات لوصف ما الذي يشمله النشاط العلمي : الفرض والتجربة والبيانات والدليل والفرض المعدَّل والنظرية والتوقع والتفسير ةغيرها ، ولكن التعريف الدقيق غير واضح المعالم ، ولأجل تبيين ذلك لنتأمل في المحاولة التالية لتعريف العلم من مايكل روس ، فهو يعتقد أن العلم – حسب تعريفه – : "يتعامل فقط مع الأمر الطبيعي والقابل للتكرار وما يحكمه القانون" . . . ولكن ناحية الضعف الأكثر بروزا في هذا التعريف – إن اعتمدناه – أنه سيزيل صفة العلمية عن معظم علم الفلك المعاصر مثلا .

تعليق :

إذا كانوا يعتبرون أن الإله ليس أمرا طبيعيا فليس من حق العلم أن يبدي رأيا في الإله ؛ لأن الإله لا يقع تحت تعريف العلم ، ومثل الانفجار الكبير ليس قابلا للتكرار ، ولا بد أن يحكمه القانون لأنه لو كان عشوائيا فلا يمكن مراقبته ومعرفته وإجراء التجربة عليه ، وأكثر الأقوال في علم الفلك ليست علمية لأنها غير قابلة للتكرار .

ويقول جون لينوكس نقلا عن سير بيتر ميدوار : إن وجود حد للعلم يتّضح بعجزه عن إجابة أسئلة تشبه ما يسأله أطفال المرحلة الابتدائية عن بدايات الأشياء ونهاياتها ، أسئلة من نوع "كيف بدأ كل شيء؟" ،"لماذا نوجد جميعنا هنا؟" ، "ما الغاية من الحياة؟" . انتهى

سؤال : ما هي أهم سمات وخصائص التفكير العلمي والبحث العلمي الحديث حتى يمكن لنا أن نقول إن العلم يثبت أو لا يثبت؟

الجواب :

وعلى أساس جواب هذا السؤال يتضح من هو العالم .

كتاب من عالم المعرفة العدد٣ "التفكير العلمي" – الدكتور فؤاد زكريا : فليس التفكير العلمي هو حشد المعلومات العلمية أو معرفة طرائق البحث في ميدان معيّن من ميادين العلم ، وإنما هو طريقة في النظر إلى الأمور تعتمد أساسا على العقل والبرهان المُقْنِع بالتجربة أو بالدليل . انتهى .

خصائص التفكير العلمي :

الخصوصية الأولى :

الحقيقة العلمية دائما نسبية وليست مطلقة ، والعلماء يريدون الوصول إلى الحقيقة المطلقة في سعيهم المستمر ، وإذا وصل إلى نتيجة لا يقول إن هذه هي الحقيقة المطلقة ، بل يظل يبحث عن الحقيقة المطلقة ، والحقيقة المطلقة موجودة ، ولكن لا عالم يستطيع أن يدّعي بأن الحقيقة المطلقة عنده .

التفكير العلمي ص١٧ : ومن هنا فإن سكان البناء العلمي – كما قلنا من قبل – هم في حالة تنقّل مستمرّ ، ومقرّهم هو أعلى الطوابق في بناءٍ لا يكفّ لحظة واحدة عن الارتفاع . انتهى .

الخصوصية الثانية :

التفكير العلمي متغيّر وليس ثابتا ، وبالتالي العلم متغير غير ثابت ، والعلم إذا ثبت فإنه يعلن موته ، ولا حياة للعلم إلا بتغيّره ، وثبات العلم عند الشخص علامة نقص ، فإذا عنده رأي ثابت فإن هذا نقص فيه ، وثبات الرأي عند الشخص دليل على عدم بحثه في المسألة مرة أخرى مع أنه قد يوجد دليل جديد يؤدي إلى تغيير رأيه .

التفكير العلمي ص١٧ : وإذا اعتبرت هذا التغير علامة نقص فإنك تخطئ بذلك خطأ فاحشا ، إذ تفترض عندئذ أن العلم الكامل لا بد أن يكون ثابتا ، مع أن ثبات العلم في أية لحظة ، واعتقاده أنه وصل إلى حدّ الاكتمال ، لا يعني إلا نهايته وموته ، ومن ثم فإن الثبات في هذا المجال هو الذي ينبغي أن يعدّ علامة نقص ، إن العلم حركة دائبة

، واستمرار حيويته إنما هو مظهر من مظاهر حيوية الإنسان الذي أبدعه ، ولن يتوقف هذا العلم إلا إذا توقفت حياة مبدعه ذاته ، والتغيير الذي يتّخذ شكل التقدم والتحسين المستمر خير دليل على القوة لا على الضعف .

الخصوصية الثالثة :

البحث العلمي لا يمكن أن يُنْتِجَ إلا بتداخله مع البحث العقلي الفلسفي ، وأن البحث الفلسفي لا يمكن أن يعطي نتائج بدون مقدمات علمية ، فيوجد تداخل بين البحث العلمي والبحث الفلسفي العقلي ، ولا كمال لأحدهما إلا بالآخر ، فالبحث العلمي يقف عند حد معيّن ، وبعد ذلك يدخل الفيلسوف على الخط بالبحث العقلي والبحث المنطقي ، وحينما نأتي لإقامة الأدلة الفلسفية على وجود الإله فالمقدمات لا بد أن تكون مقدمات علمية ، وحينما نريد أن نستفيد من الأدلة العلمية لإثبات وجود الإله فلا بد أن نستند إلى قواعد فلسفية عقلية ، وهذا ما يقول به السيد الشهيد محمد باقر الصدر (رض) في نظرية الاحتمال ، فيقول بأنه في الاستقراء الناقص لا يمكن إعطاء قاعدة كلية إلا بواسطة قواعد عقلية فلسفية .

وكتاب السيد الشهيد عنوانه : الأسس المنطقية للاستقراء دراسة جديدة للاستقراء تستهدف اكتشاف الأساس المنطقي المشترك للعلوم الطبيعية وللإيمان بالله تعالى .

فيكون المنهج في العلوم الطبيعية والمنهج في إثبات وجود الله منهج واحد ، فإذا قبلنا المنهج في العلوم الطبيعية فنقبله في إثبات وجود الله تعالى ، وإذا قبلنا النتائج التي تصل إليها العلوم الطبيعية فلا بد أن نقبل النتائج التي نصل إليها بواسطة تطبيق هذا المنهج في مجال إثبات وجود الله .

التفكير العلمي ص٢٨ : وفي كثير من الحالات يلجأ العلم بعد الوصول إلى النظرية العامة إلى الاستنباط العقلي ، إذ يتّخذ من النظرية نقطة ارتكاز أو مقدمة أولى ، ويستخلص منها بأساليب منطقية ورياضية ما يمكن أن يترتب أن يترتب عليها من نتائج . . . ، وهكذا يسير المنهج العلمي المعترف به في ضوء التطور الحاضر للعلم ، من الملاحظات إلى التجارب ثم إلى الاستنتاج العقلي ، وإلى التجارب مرة أخرى ، أي أن العنصر التجريبي والعنصر العقلي متداخلان ومتبادلان ، كما أن الاستقراء الذي نتقيّد فيه بالظواهر الملاحَظة ، والاستنباط الذي نستخدم فيه عقولنا متخطّين هذه الظواهر الملاحَظة يتداخلان بدورهما ، ولا يمكن أن يعدّ أحدهما بديلا عن الآخر ، فالتجريبية والعقلية ليسا في العلم منهجين مستقلين ، بل هما مرحلتان في طريق واحد ، وفي أغلب الأحيان يكون العلم في بداية تطوره تجريبيا ، وعندما ينضج يكتسب التي (هامش : يبدو أنه يوجد هنا خطأ مطبعي ، والصحيح هو "إلى") جانب ذلك الصيغة العقلية الاستنباطية . . . أما العلوم الإنسانية فربما كانت في معظم حالاتها

تمرّ حتى الآن بالمرحلة التجريبية التي تكدّس فيها المعارف انتظارا للمرحلة التي تنضج فيها التي (هامش : يبدو أنه يوجد هنا خطأ مطبعي ، والصحيح هو "إلى") حد اكتشاف القوانين أو المبادئ العامة . انتهى .

الخصوصية الرابعة :

كل مجموعة معلومات من العلوم التجريبية مع إضافة القواعد العقلية إليها توصلك إلى اليقين ، والبعض قد يتصور أنه حينما نقول إن الحقيقة العلمية نسبية فإنه يتصور أنه شك ، ولكنه يقين مقيَّد لا مطلق ، مثلا إذا كنت جالسا أمامي فعندي يقين بجلوسك أمامك ، ولكن هذا اليقين نسبيّ مقيّد لا دائميّ مطلق ، فنسبية الشيء لا تنافي اليقين به ، ومن الأخطاء الشائعة أنه بمجرّد أن يسمعك تقول نسبي متغيّر فيقول عنك إنك شاكّ ، فلا يتبادر إلى ذهن أحد أنه إذا قلنا إننا لا نملك الحقيقة المطلقة لا يتبادر أننا شكّاكون ، بل نحن على يقين ، ولكنه يقين مقيَّد لأن هذا ما دلّنا عليه الدليل ، وإذا جاء دليل آخر فيتبدّل يقيننا إلى يقين آخر تبعا للدليل الجديد ، لا أن شكنا يتبدل إلى شك آخر ، فالحقيقة العلمية نسبية متغيرة ، وليس معنى ذلك أنها ليست يقينية .

التفكير العلمي ص ٣٩ : وهذه الصفة هي التي تجعل الحقيقة العلمية "يقينية" . . . إذا كان اليقين العلمي يعتمد على براهين وأدلة منطقية فإن هذا لا يعني على الإطلاق أنه يقين ثابت أو نهائي ، فالعلم لا

يعترف بشيء اسمه الحقائق النهائية التي تسري على كل زمان ومكان ، بل يعمل حسابا للتغير والتطور المستمر ، أي أن اعتماد العلم على أدلة مقنعة للعقل بصورة قاطعة لا يعني أن الحقائق تعلو على التغير ، بل إن المقصود من ذلك أن البرهان العلمي يقنع كل من يستطيع فهم هذا البرهان في ضوء حالة العلم في عصر معيّن ، أما أن تتحول القضية العلمية إلى حقيقة تفرض نفسها على الناس في جميع العصور فهو شيء يتنافى مع طبيعة العلم ذاتها . انتهى .

الخصوصية الخامسة :

يوجد تناسب عكسي بين عدد المعلومات وبين القدرة على الإبداع والابتكار ، وكلما زادت المعلومات ضيقت من قدرة الإنسان على التفكير لأنه يريد فقط أن يوصل المعلومات إليك ، ولا توجد قدرة على التفاعل بين المعلومات وتحليلها ليصل إلى الإبداع ، لذلك مناهج المدارس لا بد أن لا تكون قائمة على أساس ملء أذهان الطلبة بالمعلومات ، وإنما تكون قائمة على أساس إعطاء الطالب الوقت للتفكير وتشجيعه على الإبداع ، والقرآن الكريم يشجع على التفكّر لا فقط إعطاء المعلومات وتكديسها في الذهن ، نعم تحتاج إلى معلومات ، ولكن بقدر يتيح لك الوقت للتفكير بهذه المعلومات للوصول إلى الإبداع .

التفكير العلمي ص ١٥٧ : إن ملء الذهن بالمعلومات المكدَّسة كثيرا ما يكون على حساب قدرة هذا الذهن على الإبداع ، وكأن التّكدّس

والحشو الذي امتلأ به الذهن يمنعه من الحركة الطليقة ، ويخلق لديه نزوعا إل ترديد ما سبق له أن قرأه أو سمعه ، وهو نوع مضاد لكل إبداع ، فالذهن المزدحم بالمعلومات ، المنشغل دائما بما يأتيه من المصادر الأخرى لا تعود لديه قدرة أو طاقة على كشف الجديد ، بل يجد متعته الكبرى في إفراغ محتوياته أمام الناس في كل مناسبة ، وهو عمل قد يبهر البعض ، ولكنه لا يدل على أصالة أو ابتكار ، وهكذا يبدو أن هناك تناسبا عكسيا بين استخدام المرء لذاكرته واستخدامه لملكاته الخلاّقة ، وهذا التناسب العكسي يسير في عصر العقول الإلكترونية التي تتولى عن الإنسان أعمال الذاكرة الآلية ، في صالح ملكات الإبداع بغير حدود . انتهى .

سؤال : ما هي صفة العالم في التفكير العلمي الحديث؟

الجواب :

أن يضع كل شيء على بساط البحث والنقد ، وأن يبحث عن الدليل لكل فكرة تطرح ، ويتناول الدليل تفصيلا ليرى أنه يصلح أن يكون دليلا أو لا يصلح ، وينظر إلى الإشكالات التي تطرح على هذا الدليل ليرى أن الإشكالات قوية أو أنها ضعيفة يمكن الرد عليها ، فيبدأ بالشك المنهجي .

التفكير العلمي ص تحت عنوان "شخصية العالم" : ١- الروح النقدية : أهم ما يميّز العالم قدرته على أن يختبر الآراء السائدة سواء على المستوى الشعبي العادي أو في الأوساط العلمية أو كليهما معًا

بذهن ناقد ، لا ينقاد وراء سلطة القِدَم أو الانتشار أو الشّهرة ، ولا يقبل إلا ما يبدو له مقنعا على أسس عقلية وعلمية سليمة ، ولا يعني ذلك أن يقف المرء موقف العناد المتعمّد من كل ما هو شائع ، بل يعني اختبار الآراء الشائعة وإخضاعها للفحص العقلي الدقيق ، وربما عاد إلى قبولها آخر الأمر بعد أن يكون قد اطمأن إلى أنها اجتازت هذا الاختبار ، أما لو تبيّن له ضعف أو تناقض أو تفكّك في هذه الآراء فإنه يتمسّك بموقفه الجديد بكل ما يملك من تصميم وإصرار مهما كانت التضحيات التي يعانيها في سبيل هذا الموقف . . . وكم من كشف علمي تحقّق لمجرّد أن عالما تجرّأ على أن ينقد المسلّمات الشائعة ، ولا ينحني أمام طغيان الانتشار ، أو جبروت القوى التي تدافع عن هذه المسلمات ، أو أمام تلك القوة التي تكتسبها الآراء السائدة نتيجة اعتياد الناس عليها زمنا طويلا . . . وهكذا أكّدت فكرة تحدّي البديهيّات والمسلّمات قيمتها في مجال العلم إلى الحد الذي شجع الكثيرين على نقلها إلى مجال الفكر الفلسفي والاجتماعي والنفسي والسياسي ، وأصبحت هذه الفكرة من أهم السِّمات المميِّزة لعصرنا الحاضر . . . . انتهى .

ثم يأتي إلى النقد الذاتي :

التفكير العلمي : ومما يزيد من صعوبة هذا النقد الذاتي أنه كثيرا ما يعني هدم حصيلة عمل بذل فيه العالم جهدا شاقا ، ومراجعة شاملة لخطواته السابقة من جديد ، فلو تبيّن أن هذا الهدم ضروري لأن

الآخرين قد اكتشفوا في هذا العمل نقاط ضعف واضحة ، أو نقصا ظاهرا ، فعندئذ لا يكون أمام العالم مفرّ من مراجعة عمله السابق . . . ولكن هؤلاء القليلين الذين يصلون إلى هذا المستوى الرفيع ، هم الذين ينهض العلم على أيديهم ، وفي معظم الأحيان تثبت الأيام أن جهدهم السابق الذي تنازلوا عنه لم يَضِعْ هباءً ، وأن عملية النقد الذاتي هذه قد تكون نقطة البداية في كشف علمي أهم بكثير من ذلك الذي كانوا يعتزمون الوصول إليه من قبل . . . وهكذا أصبح النقد جزءا لا يتجزّأ من الممارسة العلمية في جميع البلاد المتقدمة ، وأصبحت الدوريات والمجلات العلمية ، بل والصحف اليومية في أحيان غير قليلة تخصص أبوابا ثابتة لنقد الأعمال المنشورة ، وأصبح العلماء أنفسهم يتلهفون على قراءة ما يكتب عن أعمالهم لكي يعرفوا أين يقفون في الوسط العلمي الذي ينتمون إليه ، ولكي يطلعوا على آراء العقول . . . . انتهى

من صفات العالم التي يذكرها أيضا : النزاهة ، والحياد .

وهذه الخصوصيات للتفكير العلمي وصفات العالم التي تم ذكرها ستطبق على العلوم الحديثة ، وما هو موقف العلوم الحديثة من وجود الإله ، ولا بد أن نأخذ بالتفكير العلمي الجديد .

عالم المعرفة رقم ١٣٤ : العلم في منظوره الجديد ، تأليف روبرت م. أغروس وجورج ن. ستانسيو ، ترجمة د. كمال خلايلي : بعض عناوين الكتاب : الفصل الأول المادة ، الفصل الثاني العقل ، الفصل

الثالث الجمال ، الفصل الرابع الله ، الفصل الخامس الإنسان والمجتمع ، الفصل السادس العالَم ، الفصل السابع الماضي ، الفصل الثامن الحاضر .

سؤال : هل هناك أثر للمنظومة العلمية على إثبات وجود الإله أو على نفي وجود الإله ؟

الجواب :

في كتاب "العلم في منظوره الجديد" يريد المؤلفان أن يقولا إن العلم في القرن التاسع عشر وما قبل ذلك لا يمكنه إثبات وجود الإله ، وأما العلم الحديث فإنه يستطيع أن يثبت وجود الإله ، وكل حضارة لها تصور كوني للعالم ولها منظومة علمية خاصة ، وتصورات الحضارات مختلفة ، فبعضها تنفي وجود الإله ، وبعضها حيادية تجاه وجود الإله ، وبعضها تثبت وجود الإله ، والتي تثبت الإله مختلفة ، فبعضها تثبت إلها بالتصور الأول ، وبعضها تثبت إلها بالتصور الثاني ، وبعضها تثبت إلها بالتصور الثالث ، وهكذا ، فتصورات الحضارات عن الإله مختلفة .

العلم في منظوره الجديد المقدمة ص٧ : أما الهدف الذي يرمي إليه المؤلّفان فهو هدم أركان المادية العلمية ، تلك النظرة الكونية التي استهلها فرانسيس بيكون وغاليليو في مطلع القرن السابع عشر واستمرت إلى العقود الأولى من القرن العشرين ، ثم إثبات وجود الله تعالى وبيان الحكمة والغاية من إبداع الكون وخلق الإنسان ، وذلك

بالاستناد إلى النتائج التي انتهى إليها أقطاب العلماء والباحثين المعاصرين في مجالات الفيزياء والكوزمولوجيا ، ومبحث الأعصاب وجراحة الدماغ وعلم النفس الإنساني . انتهى . (هامش : الكوزمولوجيا هو علم الكون ، وهو العلم الذي يدرس أصل ونشأة وتاريخ ومحتويات وتطور الكون ، ودراسة البنية الواسعة للفضاء ، بكل ما فيه من مادة وطاقة ، ورغم حداثة هذا العلم من حيث تداخله مع الفيزياء الحديثة فإن جذوره تمتد إلى العصور القديمة بمعالجاتها الفلسفية والدينية والميثولوجية الغيبية (الميتافيزيقية) لموضوع أصل الكون .

مصدر الهامش : ar.m.wikipedia.org)

وفي ص ١٥-١٦ : لكل حضارة من الحضارات تصوّر كوني للعالم ، أي نظرة يفهم وفقا لها كل شيء ويقيّم ، والتصور السائد في حضارة ما هو الذي يحدد معالمها ، ويشكل اللحمة بين عناصر معارفها ، ويملي منهجيتها ، ويوجه تربيتها ، وهذا التصور يشكل إطار الاستزادة من المعرفة والمقياس الذي تقاس به . . . أما النظرة العلمية القديمة فهي المادية العلمية التي تؤكد أن لا وجود إلا للمادة ، وأن الأشياء جميعا قابلة للتفسير بلغة المادة فحسب . . . ويبدي هارولد مورفتس عالم الطبيعيات الإحيائية الجزئية الملاحظة التالية : يبدو أن المفاهيم التي هي فعلا عميقة الغور تستغرق ما يقرب من خمسين عاما حتى تستقر في الضمير المشترك لأهل الفكر ، ولذا فإن معظمنا قد بدأ

الآن فقط يدرك كامل وقع بعض الأفكار التي ما فتئت تختمر في مجال الفيزياء منذ الربع الأول من هذا القرن ، وهذا الكتاب محاولة لتجميع عناصر النظرة العلمية الجديدة هذه . انتهى

وكتاب "الطّاويّة والفيزياء الحديثة اكتشاف التماثلات بين الفيزياء الحديثة والصوفية الشرقية" . (الطاوية : مجموعة مبادئ تنقسم لفلسفة وعقيدة دينية ، مشتقة من المعتقدات الصينية الراسخة القدم ، من بين كل المدارس العقلية التي عرفتها بلاد الصين تعتبر الطاوية الثانية من حيث تأثيرها على المجتمع الصيني بعد الكونفشيوسية ، تعريب الكلمة : الهدي ، الطريقة أو الطريق الذي يسلكه أتباع الديانة ، اسمهم المهديّون ، أتباع الهدي ، وديانتهم الهداية . مصدر الهامش : (ar.m.wikipedia.org

الطّاويّة والفيزياء الحديثة ، من عناوين الكتاب : الفيزياء الجديدة ، الفيزياء الكلاسيكية ، الفيزياء الحديثة .

الفيزياء والفلسفة ثورة في العلم الحديث ، تأليف : فيرنر هايزنبرج ، ترجمة وتقديم : خالد قطب ، تقديم ص٧ : ساد الفيزياء تصور مادي قرونا عديدة ، بدأها الإغريق القدماء ، وبخاصة في المدرسة الأيونية . . . إن سيطرة المادة الثابتة الساكنة على التفكير العلمي ردحا طويلا من الزمن ، أنتج تصورا آليا ثابتا ، يسير وفقا لساعة منضبطة ، وقد بلغت الفيزياء الكلاسيكية في تفسير الظواهر والتنبؤ بها ذروتها في القرن التاسع عشر . انتهى .

وفي ص ٨ : إن التطورات التي حدثت في مجال الفيزياء قد أظهرت أن الطبيعة لا تسير وفقا للقوانين الميكانيكية التي وضعتها الفيزياء الكلاسيكية ، وكان هذا إيذانا بدحض التصور الميكانيكي للكون ، ثم كانت الضربة القاصمة التي لحقت بالفيزياء الكلاسيكية وبمفاهيمها . انتهى .

وفي ص ٩ : لقد اتضح هذا التشابك والتداخل بين الزمان والمكان في نظرية النسبية لأينشتين ، التي كانت تمثل ثورة في العلم . انتهى

وفي ص : لقد شهد تاريخ العلوم الفيزيائية انهيار مفهوم المادة المتصلة . انتهى .

وفي ص ٧٩ تحت عنوان "تطور الأفكار الفلسفية منذ ديكارت مقارنة بالوضع الجديد في نظرية الكم" : كان العقل البشري في الأعوام الألفين التي أعقبت ذروة الثقافة والعلوم اليونانية في القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد ، مشغولا إلى حد كبير بمشكلات ذات طابع مختلف ، عن تلك المرحلة السابقة . انتهى

والمنظومة العلمية تؤثر في فهمنا لطبيعة الإنسان ، فكما أن التصورات عن الإله مختلفة ، كذلك فإن التصورات عن الإنسان مختلفة ، فإذا كانت المنظومة مادية فالإنسان مادي ، وعقله مادي ، وكل ما فيه مادي ، وهذه هي الرؤية المادية للكون ولكل ما فيه ، وأما الرؤية الإلهية للكون فإنه يقول لا فقط أن العلم لا ينفي الإيمان ، بل العلم يؤكد على الإيمان :

كتاب "بحث في نظام الكون استكشاف للطبيعة البشرية ورؤيتنا للعالم ومكاننا فيه " تأليف : جورج جونسون ، ترجمة : أحمد رمو ، الصفحة الأخيرة : المشهد الذي تتعايش فيه طرق الإيمان مع طرق الدين . انتهى

وحسب المنظومة الفكرية المعرفية يختلف تصور الإله من شخص إلى آخر ، لا في أصل فكرة الإله ، بل في مواصفات الإله ، فتصور كل إنسان عن مواصفات الإله يعكس المنظومة المعرفية لهذا الإنسان ، والتصور عن الإله يبدأ مع الفرد ، فكل فرد له تصور خاص عن الإله ، فالمتكلم له تصور عن الإله ، والفيلسوف له تصور آخر عن الإله ، والعارف له تصور ثالث عن الإله ، والقائل بأن الإله مجرد عن المادة له تصور ، والقائل بأن الإله له جسم له تصور آخر ، وكل هذه التصورات مخلوقة من قبل كل فرد بسبب منظومته المعرفية الفكرية ، وكل تصور محدود والإله مطلق :

آلهة في مطبخ التاريخ ص٤٧-٥٥ عنوان "الفصل الرابع إله آنشتاين" : القول بإله آنشتاين يشبه تماما القول بإله إبراهيم ، إله زرادشت ، إله إفلاطون ، أو إله أرسطو ، وواخ ، ما أريد قوله هنا أن ولادة الإله تبدأ مع فرد ، وأنها كتجربة إنسانية يمكن أن تنتشر فتصبح دينا لشعب أو أمّة ، وقد تنحسر تجربة ولادة الإله على الفرد ذاته ، أو على حلقة معينة من الأفراد الذين يمتلكون أو يقتربون من نفس التجربة الحياتية ، فالإله يبدأ بواسطة هذا الفرد . انتهى

وفي ص٤٨ ينقل قول آنشتاين : أنا لست ملحدا ، أنا متديّن ، غير مؤمن ، بهذا القول يعلن آنشتاين انفصاله عن كل انتماء ديني تقليدي ، وهو قول – على قِصَرِهِ – مكثّف وبه اختزال شديد ، يمكن إيضاحه أن آنشتاين لا يزال يمتلك هذا الحس البشري ، أي حسّ النزوع إلى إله ، وبهذا النزوع فهو متديّن ، أما قوله غير مؤمن فهو يرمي بكل الاعتقادات التقليدية بعيدا عن سلة عقله ووعيه ، ورغم كونه ينحدر من أصول يهودية فإنه ليس يهوديا ، وأن إلهه ليس (يهوه) ، ولا يمتّ بحبل سري معه . انتهى

تعليق :

آنشتاين متدين بمعنى أنه يعتقد بوجود إله خلق هذا العالم ، والنزوع إلى الإله الخالق هو أمر فطري عند كل إنسان ، ولكنه ليس مؤمنا بالأديان الموجودة في العالم والتي تصور الإله بتصورات لا يقبلها آنشتاين ، ومع أنه ينحدر من أبوين يهوديين إلا أنه لا يعتقد بالتصور الذي تطرحه اليهودية عن الإله ، وهو بنظر اليهود ملحد مع أنه لا ينكر الإله الخالق للكون ؛ لأنه ينكر الإله الذي يعتقد به اليهود ، وهو في الواقع ربوبي لأنه يعتقد بوجود إله ، ولكنه ينكر الأديان الموجودة في العالم لأنه لا يقبل التصورات التي يطرحونها عن الإله .

الله الفرضية الفاشلة : في أديان التوحيد الثلاث يعدّ الله كائنا فائقا متعاليا – وراء المادة والزمان والمكان – ، ولكنه أيضا أساس تلتقيه حواسنا ، ويمكن وصفه دلالة المادة والزمان والمكان ، بالإضافة الله

هذا ليس الإله لدى الألوهية ، الذي خلق العالم ثم تركه وحده ، أو الإله في وحدة الوجود الذي يتساوى مع كل الوجود . . . . انتهى .

ثم يقول : في كتابي الصادر عام ٢٠٠٣ ، هل وجد العلم الله؟ ، تفحّصت بشكل نقدي دعاوى الأدلة العلمية على الله ووجدتها غير متوافقة ، وفي هذا الكتاب سأخطو أبعد وأجادل بأنه في هذه اللحظة من الزمان قد تقدّم العلم بما يكفي لإصدار حكم صريح حول وجود أو عدم وجود الله الذي يملك الصفات المرتبطة تراثيا بالإله اليهودي – المسيحي – الإسلامي . انتهى .

تعليق :

هو لا يريد أن ينفي وجود الإله مطلقا ، وإنما يريد نفي تصور اليهودية والمسيحية والإسلام عن الإله ، والأديان تعتبره ملحدا ، ولكنه في الواقع ربوبي .

آلهة في مطبخ التاريخ الفصل الخامس : إله ستيفن هاوكينج : . . . بعد أن رأى الأخير (يقصد ستيفن هوكينج) "أن قوانين النسبية تنهار داخل الثقب الأسود ، حتى أن الضوء لا ينجو من الانهيار رغم سرعته الهائلة" .

في منظار آينشتاين فإن نظام الكون يخلو تماما من مبدأ (الاحتمال) ، فلا يمكن – والطرح لآنشتاين – أن يحدث حادث ما لمجرّد أن يحدث هكذا خارج نطاق البرمجة الكونية ، كأن يفلت إلكترون من مداره

بدون سبب ليصطدم بإلكترون آخر ، "لم يرض بفكرة أن الكون تتحكم فيه الصدفة" (موجز تاريخ الزمن : ٩٤) .

بينما يمثل الاحتمال ركنا أساسيا في منظار هاوكينج ، من هنا دخلت رمبة النرد كجزء من نظام الكون ، ومبدأ الاحتمال هو اللعب بالنرد .

انتهى .

تعليق :

ستيفن هوكينج في الواقع ليس ملحدا ، ولكنه لا يقبل التصورات الموجودة عن الإله ، حتى إله آينشتاين الذي هو إله النسبية ؛ لأن كل قوانين النسبية تسقط في الثقوب السود ، والنظام الفيزيائي الذي يقول به ستيفن هوكينج لا ينسجم مع النسبية ، فالإله الذي تثبته فيزياء النسبية لا يمكن أن يشابه الإله الذي تثبته فيزياء الثقوب السود ، فالنظام الكوني الذي يقول به آينشتاين قائم على أساس اليقين ، والنظام الكوني الذي يقول به ستيفن هوكينج قائم على أساس الاحتمال ، وآنشتاين لا يقبل الصدفة لأن نظام الكون قائم على قوانين صارمة ، والإله يعلم بقوانين الكون لأنه هو الذي أوجدها ، وأما إذا فرضنا ن نظام الكون قائم على أساس الاحتمال فإ علم الإله يتغير ويتكامل ، وفرق بين إله علمه كامل وبين إله علمه يتغير ويتكامل ، فالإلهان من حيث الصفات مختلفان ، ومن يعتقد بالإله الأول يكفر القائل بالإله الثاني ، والقائل الثاني يكفر القائل الأول ويقول بأنه ملحد ، مع أن كليهما يعتقد بإله خالق للكون ، فكل

منهما مؤمن بالإله الخالق للكون ، ولكنهما يختلفان في مصداق الإله .

النتيجة :

من يقول بأن العلوم الطبيعية تنفي وجود الإله هذا القول غير علمي ، ولا بد أن يقول الشخص ما هي منظومته العلمية حتى نرى ما هي وهل أن علماء الطبيعة أنفسهم قالوا بأن منظومته العلمية باطلة أو صحيحة ، وليس بالضرورة أن المنظومة العلمية المعيّنة تثبت إلها كما تعتقد المسيحية أو اليهودية أو الإسلام على اختلاف مذاهبهم ، وإنما تثبت إلها خالقا للكون ، فهذا الشخص مؤمن بالإله الخالق للكون وليس ملحدا أو كافرا أو فاسقا أو زنديقا ، فهو يثبت وجود الإله الخالق للكون ، ولكنه يختلف مع المؤمنين الآخرين في مصداق الإله ، فهو مؤمن أيضا .

العلم في منظوره الجديد : وأخيرا فإن في نيّتنا أن نبرز التضاد بين النظرة القديمة والنظرة الجديدة لا في تفاصيلهما التقنية ، بل باعتبارهما نظرتين إلى العالم ، مع التركيز على آثارهما الفلسفية العامة على الإنسان وعلى الكون . انتهى .

تعليق :

التضاد ين النظرتين في وجود روح وراء الجسد أو لا يوجد ، وهل أن العقل نتاج المادة أو أنه شيء وراء المادة ، وهل أن الروح قابلة للموت أو أنها غير قابلة للموت .

العلم في منظوره الجديد ثم يقول في ص ١٧ : ما هي مقومات الكون المادي ؟ هنالك ثلاث حقائق : المادة والمكان والزمان . انتهى

تعليق :

النظام القديم هو نظام نيوتن في الفيزياء ، مقوماته هي المادة والمكان والزمان ، وهذه المقومات الثلاثة للفيزياء القديمة كلها انهارت على يد آينشتاين ، ومن المهم جدا إدخال العقل كعنصر جديد في المعادلة الفيزيائية ، والعقل ليس حياديا بل هو مشارك في الفهم ، والعقل إذا كان نتاج المادة فلا يكون له دور المشاركة في الفهم ، فالعقل هو الذي يعطي الرؤية .

ثم يقول : إن الحقائق الجديدة التي كشفتها نظرية النسبية وميكانيكا الكم لا يمكن أن تتواءم مع النظرية القديمة ، فلا هيكل المكان والزمان ، ولا خواص الجسيمات الأولية يمكن أن يوصفا دون الرجوع إلى مراقب مشارك ، أي إلى عقل ، ولقد كانت النظرة القديمة لا تتضمن إلا المادة والقوانين الطبيعية ، أما النظرة العلمية الجديدة فمن المحتَّم عليها أن تتضمن المادة والقوانين الطبيعية والعقل . انتهى .

العلم في منظوره الجديد ص ٤١ : وإذا كان العقل والإرادة غير ماديين فلا شك أن هاتين الملكتين على حد تعبير اكلس "لا تخضعان بالموت للتحلل الذي يطرأ على الجسد والدماغ كليهما" . انتهى.

العلم في منظوره الجديد ص٧٢ : وهكذا ففي النظرة الجديدة نجد أن أصل الكون وبنيته وجماله تفضي جميعا إلى النتيجة نفسها ، وهي أن الله موجود . انتهى.

تعليق :

النتيجة هي أن العلوم الطبيعية تثبت وجود الإله الخالق للكون ، والعقل ليس نتاج المادة .

العلم في منظوره الجديد ص١٣٥ : وفي وسعنا أن نتوقع تحوّل الفلسفة المعاصرة ، تشجعها على ذلك النظرة الجديدة عن يأسها الفكري إلى بحث صحي ونشيط عن حكمة ترتكز على يقينيات الخبرة العامة ، أما فيما يتعلق بالدين فالظاهر أن مستقبل النظرة الجديدة يوحي بالعودة بثقافتنا إلى الإيمان بوجود الله الواحد ، وبإعادة التأكيد على الجانب الروحي من طبيعة الإنسان ، وأخيرا وعلى صعيد الفنون تزيل النظرة الجديدة من علم النفس وعلم الكونيات أسباب النفور والعبثية ، مستعيضة عنها بالغائية والله والجمال والعناصر الروحية وكرامة الإنسان ، وهكذا نجد للفنون مرة أخرى ما يستحق أن تمجده ، وللشاعر ما هو جدير بأنشودته ، إن الكون هو المكان الطبيعي للإنسان . انتهى

تعليق :

تحولت الفلسفة المعاصرة بسبب تغير العلوم الطبيعية حيث يوجد ترابط وتداخل بين العلوم ، أدلة العلوم الطبيعية والأدلة الفلسفية

طريقان يؤدِّيان إلى هدف واحد ، وهو إثبات وجود إله خالق للكون ، والعالَم واحد ، ولكن تارة ننظر إليه بعين عالِم الطبيعيات ، وتارة أخرى ننظر إليه بعين الفيلسوف ، والنظرة العلمية القديمة للعلوم كانت تقول كلما تقدم العلم تأخر الدين ، فبعض ما كان يقوله علماء الدين إنها غيبيات يكتشف علماء الطبيعة أنها أمور مادية ، والنظرة العلمية الجديدة تقول بأن العلوم الطبيعية تقرّب الإنسان من الدين ، وتدعو إلى الإيمان بوجود الإله الواحد ، والمجتمعات الغربية بدأت بالرجوع إلى الإيمان بالدين ، ولكن الدين ضمن قراءة جديدة تنسجم مع العلوم الطبيعية الحديثة ، ومشاكل الغرب بشكل عام ليست مادية ، وإنما هي مشاكل روحية لبعدهم عن الإيمان والأمور الروحية .

العلم في منظوره الجديد ص ١٠٦ : والنظرة الجديدة لا ترى سببا يمنع من أن يكون عالَمُ العالِم وعالَمُ الفيلسوف هو عين العالَم الذي نعيش جميعنا فيه . انتهى (هامش : العالِم أي العالِم بالعلوم الطبيعية ، والفيلسوف أي في المباحث العقلية)

العلم في منظوره الجديد ص ١٢٨ : ذلك أن النظرة القديمة حين يتعذّر عليها تفسير الحقائق الروحية بلغة المادة وحدها ، تفزع في الغالب إلى المستقبل ، مفترضة أن الجواب سيأتي بعد قرن آخر أو قرنين آخرين من البحوث ، وهذا ما يسميه اكلس "مادية وعود مسرفة وغير قابلة للإنجاز" ، أما النظرة الجديدة فهي على نقيض ذلك

مؤسَّسة على ما هو معروف الآن ، لا على اكتشاف خيالي يأتي به المستقبل ، فالنظرة القديمة هي دائما حلم أو وعد ، أو أمل لا يتحقق أبدا ، وباكتشاف نظرية النسبية وميكانيكا الكم أصبح الناس ينظرون إلى البرنامج المادي نظرتهم إلى شيء غير قابل للتحقّق من حيث مبدؤه ذاته ، والحلم العقيم بأن يأتي يوم تستطيع فيه المادة أن تقدّم تفسيرا للعقل أو لحرية الإرادة أو للجمال ، شبيه بحلم الكيميائيين القدامى أن يحوّلوا الرصاص إلى ذهب . انتهى

تعليق :

من أهم عيوب النظرية المادية المعاصرة أنها تختزل كل شيء في الأمور المادية المكتشَفة ، ولم يكتشف العلماء جميع الأمور المادية حولنا ، وهنا توجد ملاحظة ، وهي أن كثيرا من الظواهر تحيط بنا ، ولكن لا نجد لها تفسيرا ماديا ، والماديون يقولون انتظروا والعلم سيكتشف الأسباب المادية لهذه الظواهر بعد قرن أو قرنين ، فهم لا يعرفون الأسباب الآن ، والدليل على ذلك أن كثيرا من الأمور المادية قبل قرون لم نعرفها ، والآن اكتشفناها ، والرد عليهم هو أن الإنسان – حتى الطفل الصغير – ينجذب إلى الأشياء الجميلة ، فما هو التفسير المادي لهذا الانجذاب مع أن الشيء الجميل والشيء القبيح من ناحية المادة لهما نفس الخواص المادية من الشكل والحجم والوزن؟! ، وهم يجيبون بأن هذا مرتبط بنفسية الإنسان المراقب ، وليس مرتبطا بالواقع الخارجي للشيء المادي ، والرد عليهم أن نفسيات الناس مختلفة وهم

من أمكنة مختلفة وأزمنة مختلفة وثقافات مختلفة ، ولكنهم مع ذلك يتفقون على جمال شيء واحد ، والمفروض أنه مع اختلاف النفسيات والأمكنة والأزمنة والثقافات يختلف تقييم الشيء ، فلا بد أن بعضهم يراه جميلا ، وبعضهم يراه قبيحا .

العلم في منظوره الجديد ص ٤٣ الفصل الرابع الجمال : والجمال كان ولم يزل مبدأ أساسيا من مبادئ العلوم ، ولكن المادة وفقا للنظرة القديمة ليس لها إلا خواص كمية كالوزن والحجم والشكل والعدد ، وحيث إن الجمال ليس من جملة هذه الخواص فالنظرة القديمة تميل إلى اعتباره خاصة من خواص المراقب لا صفة من صفات الأشياء الطبيعية ، وفي عام ١٦٣٠ كتب ديكارت يقول : "لا يدل الجميل ولا البهيج على أكثر من موقفنا في الحكم على الشيء المتكلم عنه"، ويوافق سبينوزا على ذلك فيقول : "الجمال ليس صفة في الشيء المدروس بقدر ما هو الأثر الذي ينشأ في الإنسان نفسه الذي يدرس ذلك الشيء" . انتهى

مقالة من موقع مؤمنون بلا حدود بعنوان "تعطيل المادة أحد الجوازات النظرية لانطلاق المنظومة الحداثية" ، الكاتب : محسن المحمدي باحث مغربي ، في آخر المقالة بعد أن يبيّن نظرية أرسطو عن الحركة وعن العلوم الطبيعية وتأثيرها على فلسفته يبيّن تأثير النظرية النسبية الحديثة على الفلسفة ، يقول في ص١٧ : لقد تتبّعنا مسار تاريخ الفيزياء ما بين منظومة ثبات الأرض الأرسطية ومنظومة حركة

الأرض الكوبرنيكية ، وتوضّح لنا أن الفكر العلمي عبر التاريخ يتحرك بمشكلات تعترض العلماء في طريقهم ، وأن حلولهم لتلك المشكلات تؤثر على رؤية العالم ، فلولا مثلا فكرة دوران الأرض الكوبرنيكية لما انطلقت الفيزياء الحديثة الميكانيكية القائمة على مبدأ القصور الذاتي الذي كان هو شغلنا في هذه الدراسة . انتهى

تعليق :

لا بد أن نعطي للعقل دورا في النظرة الجديدة للعلم ، والنظرة المادية لا تعطي دورا للعقل لأن العقل نتاج المادة ، واستعمال العقل هو الشيء الجديد في المعارف العلمية الحديثة .

العلم في منظوره الجديد ص٢٣ : أما النظرة العلمية الجديدة فمن المحتَّم عليها أن تتضمن المادة والقوانين الطبيعية والعقل . انتهى

العلم في منظوره الجديد ص ١٣٥ : أما النظرة العلمية الجديدة من جهة أخرى فينتظر لها مستقبل مرموق ، وقد رأينا كيف أنها غيّرت بالفعل طبيعة الفيزياء المعاصرة ، ومن المنتظر أن تتّجه حقول المعرفة التي قولبت نفسها على غرار الفيزياء القديمة إلى التكيف في نهاية الأمر مع الفيزياء الجديدة بكل ما يترتب على ذلك من نتائج ، فأوّليّة العقل تعطي لكافة العلوم منظورا جديدا ونورا جديدا . انتهى

الله والفيزياء الحديثة – بول دافيز ص٩ : ومع ذلك فإني أعتقد أن بإمكان الفيزياء في هذا المجال تزويدنا بالإجابات ، وربما يبدو الأمر

غريبا بالنسبة للكثيرين ، لكني أرى العلم يطرح مسارا مؤكَّدا نحو وجود الإله . انتهى

تعليق :

العلم بالنظرة الجديدة يطرح مسارا مؤكدا نحو وجود الإله ، لا العلم بالنظرة القديمة .

الله والفيزياء الحديثة – بول دافيز ص١٣ : نحن نعيش في عالم لا يزال أساسه دينيا رغم مظهره البرّاق . انتهى

الله والفيزياء الحديثة – بول دافيز ص٢٢ : وثمة خيوط كلها تشير إلى أن الكون له بداية من خلال بعض القوانين الفيزيائية . . . وثمة خيوط لأدلة عديدة تدعم هذه النظرية المذهلة ، وسواء قبلنا كاة التفاصيل أم لم نقبل ، فالفرضيات الأساسية – بوجود خلق من نوع ما – تبدو قاهرة من وجهة نظر العلم . انتهى

تعليق :

كل شيء له بداية فإنه يحتاج إلى خلق .

الله والفيزياء الحديثة – بول دافيز ص٢٦٧ : لقد بدأت بطرح الادّعاء بأن العلم يوفّر سبيلا مؤكَّدا للسعي إلى الإله أكثر من الدين . انتهى

تعليق :

العلم يوافق الدين ولا يضادّه ، فإذا كان الدين يدل على وجود الإله فإن العلم يدل على وجود الإله أكثر من الدين ، فالعلم لا ينفي وجود الإله .

العلم ووجود الله ص٢٤ : والسؤال المحوري في هذا الكتاب هو سؤال يتعلق في جوهره بالفلسلفة الحياتية أو المنظور : ما المنظور الأكثر توافقا مع العلم : الإيمان بالله الخالق الحافظ أم الإلحاد ؟ هل دفن العلمُ الله ؟ ، فَلْنَرَ إلى أين سيقودنا الدليل . انتهى

تعليق :

الإيمان بوجود الإله هو الذي يترجح على عدم الإيمان بوجود الإله ، ويوجد أصل عقلي فطري عرفي موجود عند كل إنسان ، وهو عدم قبول وعدم رفض أي قول إلا بدليل ، والنتيجة هي أن إثبات وجود الإله يحتاج إلى دليل كما أن نفي وجود الإله يحتاج إلى دليل ، لا أن نفي وجود الإله لا يحتاج إلى دليل ، فالملحد المنكر لوجود الإله عليه أن يقيم الدليل على عدم وجود الإله ، لا أن إقامة الدليل مطلوبة فقط من المؤمن بوجود الإله ، فالمطلوب من كلا المؤمن والملحد إقامة الدليل على اعتقاده بالإله أو عدم اعتقاده بالإله ، والملاحدة يقولون بهذا القول ، ولكنهم حينما يتكلمون يتغافلون عن ذلك ، فهم لا يقبلون نفي وجود الإله بلا دليل ، ومع ذلك لا يقيمون الدليل على اعتقادهم ، هم فقط يناقشون أدلة المؤمنين ، ومع وجود الدليل على إثبات وجود الإله والدليل على نفي وجود الإله نأتي إلى المرجّحات ،

فهل العقل يرجح وجود الإله أو نفي وجود الإله ؟ ، والعقل يقول بأن الترجيح يكون لوجود الإله ، والترجيح معناه أن الاحتمال الأكبر يكون مع إثبات وجود الإله ، والترجيح هنا يكفينا لإثبات وجود الإله ، ويكون العمل بناء على هذا الترجيح ، والنظرة العلمية الجديدة تؤدي إلى الإيمان بوجود الإله الخالق .

العلم ووجود الإله – جون لينوكس : عندما يقول لك أي شخص عن شيء ما إنه حق أقترح أن تقول له : "ما الدليل على ذلك؟ ، وإن عجز عن تقديم إجابة شافية ، فأرجو أن تفكر مليّا قبل أن تصدّق كلمة واحدة مما يقول" . هذا قول لريتشارد دوكنز زميل الجمعية الملكية . انتهى

معارك التنويريين والأصوليين في أوروبا ، تأليف هاشم صالح – تحت عنوان "الحداثة تتصالح أخيرا مع الدين والإيمان في الغرب" : وقعت مؤخّرا على كتاب جديد كنت أنتظره بشكل واعٍ أو غير واعٍ منذ زمن طويل لكي أجد الأجوبة عن تساؤلات عالقة في نفسي ، إنه يتحدّث عن مفهوم الدين في الغرب وما طرأ عليه من تحوّلات طوال القرون الأربعة الماضية أي طوال ما يدّعى الآن بعصر الحداثة وما بعد الحداثة . . . أما مؤلفه فهو الكاتب الفرنسي فريدريك لونوار المختص بفلسفة الدين وعلم الاجتماع الديني أيضا ، وكان قد أشرف سابقا على كتاب ضخم بعنوان : موسوعة الأديان ، ومنذ البداية يزفّ لنا المؤلف هذا النبأ السعيد : وهو أن الإيمان لم ينقرض من

الغرب بعد انتصار العلم والتكنولوجيا على عكس ما تتوهّم ، ثم يفاجئنا ببعض الإحصائيات الدقيقة ، ويقول : هل تعلمون بأن ٩٣% من الأمريكيين يؤمنون بالله ؟ وأن ٦٧% الأوروبيين يؤمنون به أيضا؟ . . . فالكنائس أصبحت عبارة عن متاحف تقريبا ، ولا يتردد إليها الناس بانتظام إلا بنسبة ٣٠% . . . ولكن على الرغم من ابتعاد الأوروبيين عن أداء الطقوس والشعائر بشكل منتظم فإن نسبة الملاحدة بينهم لا تتجاوز ٧% . . . ثم يطرح المؤلف هذا السؤال : ما سرّ ديمومة الإيمان في أوروبا حتى بعد كل تلك الانقلابات الفلسفية والعلمية والصناعية التي قلبت الحياة رأسا على عقب ؟ ، وقبل أن يجيب على هذا السؤال بشكل مباشر نجده يقول : منذ قرنين على الأقل كان الموضوع الأساسي للفكر الأوروبي يتمثّل بالنهاية الحتميّة للدين في ظل العالم الحديث . . . ثم يردف البروفيسور فريدريك لونوار قائلا : وحتى نيتشه نفسه الذي لم يكن متفائلا بمستقبل الحضارة الأوروبية كسابقيه راح يصرخ قائلا بشكل هستيري وفي نص رائع ومخيف جدا : لقد انتهى المقدس المسيحي أيها السادة ! لقد انتهى ما كنا نعتقد به طوال ألفي سنة تقريبا ، ونحن الآن يتامى . . . ولكن في السنوات الأخيرة طرأ نوع من التحوّل على النفسية الأوروبية ، فقد أخذت تعود إلى الدين ، وتبحث عن الروحانيات بكل سبيل ، ولكن هذه العودة لم تكن إلى الدين المسيحي بالمعنى التقليدي للكلمة ، وإنما إلى التصوف والحكمة

الشرقية والإيمان المحرّر من الطقوس إلى حد كبير ، وشهدنا إقبال قطاع واسع من الفرنسيين على العقيدة البوذية والروحانيات الشرقية بشكل عام ، يحصل كل شيء كما لو أن الأوروبيين بعد أن شبعوا من الماديات حتى أتخموا ، أخذوا يشعرون بفراغ داخلي ، وراحوا يبحثون عما يتجاوز الماديات ، أي عن معنى الحياة والوجود ، وهنا بدا أن الحداثة قد استنفدت طاقتها بدورها بعد أن جربت نفسها وأعطت كا ما يمكن أن تعطي على مدار القرنين الماضيين . . . وكذلك فإني أطمئن المؤمنين في العالم العربي وأقول لهم بأن حداثتنا المقبلة لن تكون معادية للدين ، وإنما للتعصب الأعمى فقط . انتهى

تعليق :

الحداثة كانت سابقا على خلاف مع الدين والإيمان ، ولكن الآن الحداثة تتصالح مع الدين والإيمان ، ونسبة ٩٣% يؤمنون بوجود الإله ، ولكن ليس الإله الذي يعتقد به المسيحي ، لذلك من يذهبون إلى الكنائس بانتظام يشكلون نسبة ٣٠% فقط ، وقول نيتشه بموت الإله يقصد منه الإله الذي يتصوره المسيحيون لا مطلق الإله ، ويقول نحن يتامى ، بمعنى أننا نحتاج إلى إله يرعانا ، والإنسان يحتاج دائما إلى إله كما يحتاج الطفل إلى أب يرعاه ، وبدأ الأوربيون يعودون إلى الدين ، فانهماكهم في عالم المادة لم يغط حاجتهم الروحية ، وهذه الحاجة هي فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ، صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ، والحداثة ليست ضد الدين ، بل هي ضد

تعصب أصحاب الأديان وقراءتهم عن الدين ، والحداثة التي يمكننا الدعوة إليها هي الحداثة الدينية لا الحداثة العلمانية الخارجة عن الدين ، والحداثة لتي هي ضد الدين ، والحداثة على أنواع : حداثة دينية ، وحداثة علمانية ، وأيضا حداثة إسلامية قائمة على مدرسة أهل البيت ع .

المستقبل الروحاني للإسلام ، تأليف : إريك يونس جوفوا ، ترجمة : هاشم صالح ، المركز القومي للترجمة .

تعليق :

المطروح من الدين الآن هو الفقه العملي ككيفية الوضوء والصلاة والطهارة ، وهذا طرح للجانب العملي الشكلي للإسلام ، ولكن ما يحتاجه الناس الآن في العالم هو البعد الروحاني التربوي ، وهو ما يطرحه الفقه الأخلاقي القائم على أساس الفقه العقائدي المرتبط بوجود إله لهذا الكون ، والفقه القائم على الجوانب الثلاثة هو ما يحتاجه العالم اليوم ، فيركز على الشكل والمضمون ، والشكل طريق إلى المضمون ، والمضمون هو المهم ، فالصلاة مثلا هدفها النهي عن الفحشاء والمنكر لا أن نأتي بحركات الصلاة وأقوالها فقط ، "إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر" ، وإذا لم تنه عن الفحشاء والمنكر فهي صورة صلاة وليست صلاة حقيقية ، وهدف الصيام هو اتصاف الإنسان بالتقوى ، "يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون" ، وإذا لم يتصف بالتقوى فهو لم

يأت بالصيام الحقيقي ، بل أتى بشكل الصيام وهو الامتناع عن المفطرات من ناحية عملية فقط دون أن يستفيد من مضمون الصيام ، لذلك أتت في الرواية "ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش" ، والمنهج القرآني هو بيان حكم الفقه العملي مع بيان الفقه العقائدي والفقه الأخلاقي المرتبط بهذا الحكم العملي ، والقرآن الكريم يقول عن الرسول ص "وإنك لعلى خلق عظيم" ، "يزكيهم ويعلمهم الكتاب" و "يعلمهم الكتاب ويزكيهم" ، وفي الرواية "من لا خلق له لا دين له" ، والتركيز على الفقه العملي فقط لا يعبر عن الدين تماما ، ولا يعطيك مضمون الإسلام ، بل هو جزء بسيط من الدين ، وأساس الدين هو الارتباط بالإله الخالق للكون ، والذي يترتب عليه أخلاق الإنسان في التعامل مع الآخرين ، وفي الرواية "الدين المعاملة" ، فيكون دينا قائما على أساس الإنسانية الجامعة لكل البشر ، دينا إنسانيا عالميا لا دينا محليا يجعل همه على الإنسان الذي يقيم في بقعة معينة ، ويعادي العالم ، ويريد أن يقتل الناس من غير مذهبه الذي يعتقد به ، سواء كان من دينه ولكن على غير مذهبه ، أم كان من غير دينه ، والذي يقسم العالم إلى دار إيمان ودار كفر وحرب ، وكأن الأساس في الإسلام هو القتل والإرهاب ، مع أن أساس الإسلام هو الرحمة والعدل والإحسان والبر والتسامح وإعطاء الحقوق واحترام إنسانية كل إنسان ، هذا هو الدين الذي يكون دينا عالميا ، ويستحق أن ندعو إليه ، ونريد أن يتدين به العالم حتى ينتشر العدل والرحمة في جميع أرجاء العالم ، وإذا لم

نطرح الإسلام بهذه الصورة فإن العالم سينفر من الإسلام ويزداد عدد الملحدين التاركين للإسلام في عالمنا الإسلامي ، وسبب إلحادهم هم نفس الذين يدعون إلى الإسلام بالخطاب الديني الذي هو خطاب من الماضي ، ونريد أن نكلم به جيل الشباب الذي يريد دينا يواكب الحضارة لا دينا يريد أن يرجعنا إلى الماضي ، فنعيش الحاضر والمستقبل بفكر الماضي ، مع أننا ندعي أن الإسلام صالح لكل زمان ومكان ، وهذا الادعاء يحتاج إلى إثبات حتى يدخل الناس في دين الله أفواجا ، وهؤلاء الملحدون عندهم مشكلة مع القراءة الحالية المطروحة للدين ، وليست مشكلتهم مع نفس الدين ، فهم لا يؤمنون بالله الذي يطرحه بعض المحسوبين على الدين بأنه إله يعاقب على كل صغيرة وكبيرة بعقاب شديد أليم في عالم البرزخ وفي يوم القيامة ، فالله شديد العقاب بدل أن نبيّن بأن الله هو الرحيم بعباده الرؤوف اللطيف ، والمطلوب من المسلمين أن يكونوا قدوة العالم في العدل والرحمة والبر والإحسان ، وأما على أوضاع المسلمين اليوم فلا يمكن أن نتوقع أن يقبل العالم الإسلام المطروح بشكله الحالي ، ونحتاج إلى قراءة جديدة للدين في الأمور المتغيرة مع إقامة الدليل على القراءة الجديدة ، فالدين فيه الثابت والمتغير ، فالثابت مثل حرمة الربا ، ولكن هل المعاملات الموجودة اليوم في البنوك هي من مصاديق الربا أو ليست من مصاديق الربا ؟ هل دخلت عوامل جديدة بحيث تكون معاملات البنوك خارجة عن الربا أو لا ؟ هل التضخم عامل من العوامل أو لا ؟ هل

الزكاة متمثلة في الأنعام والغلات والذهب والفضة المسكوكين فقط أو شاملة لكل سلعة وبضاعة لها مالية عرفية بحيث يمكن قضاء حوائج الفقراء في جميع أنحاء العالم ويكون الإسلام دينا عالميا ويكون نظره على جميع الفقراء لا فقط فقراء المسلمين أو فقراء المؤمنين فقط ؟

@دور أعداء الدين :

أعداء الدين عن طريق الإعلام يشكلون عقول السّذّج ، ويتجهون بها عن طريق التضليل إلى حيث يشاؤون ، فباسم السلم يسيرون بالعالم إلى الحروب المدمرة ، وباسم الدفاع عن الحرية يقتلون الأحرار ، ويصفون قوى الشر والبغي بالعالم الحر ، وباسم التجديد يحاربون الدين والقيم الإنسانية ، ويسمون اللادينية بالعلمانية ، ومرادهم أن الدين والعلم ضدان لا يجتمعان ؛ وهم يزعمون أن الدين غيب كله وفوق الحس والعقل ، وأن العلم يدرس الشيء المحسوس الذي يقع تحت الحس والتجربة .

@النبوّة

@النبي محمد ص :

شخصية النبي ص :

شخصية الفرد هي نفسه وحقيقته ، والنبي ص أخذ من الإنسانية أنبل ما فيها ، وأقصى ما يتصوره العقل من كمال الإنسان ، ولا يوازيه أحد من العالمين لأنه سيد البشر وخاتم النبيين والمرسلين .

وأوجز الله عز وجل شخصية النبي ص بكلمة موجزة رائعة :

"وإنك لعلى خلق عظيم" القلم٤

ومن هذا الخلق العظيم الصدق والأمانة والشجاعة والإيثار والاعتدال في جميع الأمور ، فالصادق الأمين لقبه بين قومه ، وأما إيثاره فإنه ص كان ينفق على المحتاجين كل ما يملك ، ولا يبقي لنفسه وأهله إلا دون الكفاف .

من أقواله ص : "ما أحب أن يكون لي مثل أحد ذهبا أنفقه في سبيل الله أموت ولا أترك منه قيراطين" .

وأما شجاعة النبي ص فيكفينا قول الإمام علي ع : "كنا إذا احمرّ البأس اتّقينا برسول الله ".

وأما القصد والاعتدال فيأتي أقواله ص :

"خير الأمور أوسطها"

"ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة ولا الآخرة للدنيا ، ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه"

"إني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني"

وأشد ما تمتاز به شخصية النبي ص هو الوضوح والبساطة والانسجام ، وأعلن أنه لا سلطان له على أحد ، وأن حسابه وحساب الخلائق على الله ، وأنه والناس سواء أمام الله تعالى ، وأنه لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرّا ، وأنه لو علم الغيب لاستكثر من الخير وما مسّه السّوء ، وحينما قيل بأن الشمس كسفت لوفاة ولده إبراهيم رد عليهم : "إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تكسفان لموت أحد من البشر" .

ومما يدل على أن محمدا ص نبي أنه لا يأمر بخير إلا كان أول آخذ به ، ولا ينهى عن شيء إلا كان أول تارك له ، وأنه يَغْلِبُ فلا يَبْطُرُ ، وَيُغْلَبُ فلا يَضْجُرُ ، ويفي بالعهد ، وينجز الوعد .

ومما يدل أيضا على أنه ص نبي الأثر الكبير والتحول العظيم في حياة الأمم .

قال ديورانت في قصة الحضارة : "أخذ محمد على نفسه أن يرفع المستوى الروحي والأخلاقي لشعب عاش في دياجير الهمجية . . . وقد نجح في هذا العرض نجاحا لم يدانِه فيه أي مصلح آخر في التاريخ كله ، وقد وصل إلى ما يبتغيه . . . وأقام فوق اليهودية والمسيحية ودين بلاده القديم دينا سهلا واضحا وصريحا ، قوامه البسالة والعزّة ، واستطاع في جيل واحد أن ينتصر في مائة معركة ، وفي قرن واحد أن ينشئ دولة عظيمة ، وأن يبقى إلى يومنا هذا قوة ذات خطر عظيم في العالم" .

مراحل دعوة النبي ص :

لاقت دعوة النبي ص من قوى الشر والبغي والضلال ما تلاقيه كل دعوة إصلاحية ، ومرت مع أعدائها بعدة مراحل ، ولكن النبي ص تخطاها بحكمته وتدبيره وصبره وتخطيطه .

جهر بدعوة الإسلام فقوبل بالسخرية والاستهزاء ، ولكنه استمر في دعوته ، وانتشر الإسلام في مكة ، فاشتد غضب الأشرار ، وبدأوا بإيذاء كل من أسلم بكل ألوان التعذيب ، وحاولوا إغراء النبي ص بالملك والمال ، ولكنه رفض بكل حزم وصلابة ، فلجأوا إلى الحصار والمضايقة في شعب أبي طالب ، وقاطعوا البي ص وأهله والذين معه اقتصاديا واجتماعيا ، واستمر الحصار ثلاث سنوات حتى اشتد البلاء والجهد بالمحصورين ، وتعالت أصوات الصغار بالبكاء ، وكانوا يأكلون ورق الشجر المر .

ورغم ذلك ازداد المؤمنون إيمانا بالنبي ص ، فعزم الطغاة على اغتيال النبي ص مجتمعين بضربة رجل واحد كي يتفرّق دمه بين القبائل ، ولكن الله تعللى هدم بنيانهم من القواعد ، وهاجر النبي ص إلى المدينة ، فحشدوا الجيوش ، وأعلنوا عليه حربا منظّمة ، وظلوا يقاتلونه عشر سنين ، ورد الله الذين كفروا بغيظهم ، وبعد العجز واليأس استسلموا صاغرين ، وسارت دعوة الإسلام وحياة الداعي ومن آمن به ينصرون الله فينصرهم الله وفاء بوعده تعالى :

"إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم" محمد٨-٩

قبل البعثة :

الخطوة الأولى لإثبات أن نبوة محمد ص حق وصدق هي أن ندرس نفسيته وعقله وإخلاصه ، وعلينا أن ندرس حياة النبي ص قبل بعثته ، وتمتد أربعين سنة ، وحياته ص بعد بعثته وتمتد ثلاثا وعشرين سنة .

قضى النبي ص خمس سنوات في الصحراء عند مرضعته حليمة السعدية ، وبعد مدة قليلة ماتت أمه آمنة بنت وهب ، فضمه جده عبد المطلب ، وما بلغ الثامنة من عمره حتى مات جده ، فكفله عمه أبو طالب ، وقضى محمد ص مرحلة الشباب دون أن يرتكب أي إثم أو شهوة مع توفر فرص الفساد في مكة ، وكان قومه يسمونه الصادق الأمين ، وهذه شهادة في حق النبي ص ، ولها قيمة تاريخية .

وفي سن الخامس والعشرين تزوج خديجة بنت خويلد ، وألقى عمه أبو طالب خطبة في زواجه ، قال فيها : "أما بعد ، فإن محمدا ممن لا يوزن به فتى من قريش إلا رجح به شرفا ونبلا ، وفضلا وعقلا ، وإن كان قُلاً فإن المال ظلّ زائل وعارية مسترجَعة" .

وكان محمد ص أمّيًّا ، وعاش في بيئة جاهلة مشركة ، ولكنه كان حنيفا يؤمن بإله واحد ، ولم يكن في مقدوره أن يحصل على معلومات من مصدر خارج ، وكان يميل إلى العزلة وخاصة بعد زواجه .

ولم يكن يأتي في ذهن محمد أنه سيكون نبي المستقبل ، ولم تكن عنده نيّة مبيَّتة لادّعاء النبوة .

"وما كنت ترجو أن يُلْقَى إليك الكتابُ"

وقد كانت جميع صفات محمد ص وأحواله قبل البعثة ترشّحه للرسالة الإلهية ، وعلم الناس هذه الصفات في محمد ص ، والله أعلم بصفاته ص ، فكلّفه عز وجل بتبليغ الرسالة .

"الله أعلم حيث يجعل رسالته" الأنعام١٢٤

"فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون"

بعد البعثة :

كانت سيرة محمد ص بعد البعثة امتدادا لسيرته قبل البعثة كمالا في العقل ، وعظمة في الصفات والأخلاق ، وهذا أساس لأقواله وأفعاله في جميع مراحل حياته ، وبعد أن أتم محمد ص الأربعين من عمره الشريف أرسل الله تعالى له جبرئيل ليقوم بمهام الرسالة .

"فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين" يونس٩٤

كيف يعامل النبي ص أعداءه ؟

أطلق النبي ص سراح أعدائه حينما تمكن منهم .

قال النبي ص : يا معشر قريش ، ما تظنون أني فاعل بكم؟

قالوا : خيرا ، أخ كريم ، وابن أخ كريم .

قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء .

هذه هي الرحمة النبوية المنعكسة عن الرحمة الإلهية .

"وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين" الأنبياء١٠٧

دعوة محمد ص بنفسها دليل على نبوّته :

إن أفضل دليل للإيمان بنبوة محمد ص هي دعواه بالذات ومجرد قوله بأنه رسول أمين ، والتاريخ يشهد بأن محمدا ص كان كامل العقل صادق القول أمين العهد نزيه القصد عظيم الخلق ، ومن كان بهذه الصفات لا بد أنه صادق في أي دعوى يقولها ولو كانت دعواه هي نبوته ، وجميع الناس قديما وحديثا ينظرون إلى صفات من يأتي بأي دعوة ، فأي عالم يبحث وينقّب ، وإذا وصل إلى حقيقة أعلنها على الناس ، ويتقبلونها من العالم الصادق الأمين الثقة ، فحينما يقول نيوتن بقوانين الجاذبية فإن الناس يقبلون ما قاله بدون أن يجرِّبوا كما جَرَّبَ ، فيقبلونها منه لأنه ثقة .

وحينما نقرأ القرآن الكريم نرى أنه يستدل بالمخلوقات والمظاهر الكونية من الأرض والأنهار والنبات والسحب والأمطار واختلاف الألوان والألسنة والجبال والناس والأنعام والشمس والقمر والنجوم ، ويعيد ذلك ويكرِّر دائما ، والاستدلال على وجود الله وحكمته وعلمه بمظاهر الموجودات هو قمة التعقل ، والقرآن بتكرار ذلك له هدف ؛ لأن مثل هذا الاستدلال لا يصدر إلا عن ثقافة عقلية ودراسات علمية متنوعة وذهن منطقي للمستدِل ، وحينما نرى البيئة التي عاش فيها النبي ص فإنها لا تعطي كل هذه الأمور ، فكان النبي

ص في صغره يتيما نشأ في بيئة جاهلية وأمّة أمّيّة لا يوجد عندها علوم وثقافة ، فكان من المستحيل على النبي ص بحكم بيئته وانطباعاته الاجتماعية والثقافية أن يتّجه وعيه إلى هذا الأسلوب الدقيق في الاستدلال العقلي ، كان ذلك مستحيلا لو لم يكن نبيًّا يتلقّى ذلك المنهج من رب العالمين ، وصدور هذا المنهج في الاستدلال عن من لا يملك شروطه دليل قاطع على صدق صاحبه حينما يدّعي النبوّة وتلقّي الوحي من الله تعالى .

محمد ص كباقي الأنبياء ع :

بين إبراهيم ع ومحمد ص جاء كثير من الأنبياء ، وقالوا بأنهم مبعوثون من الله الواحد الأحد ليبلّغوا رسالته إلى الناس ، وسيدنا محمد ص مثل الأنبياء مرسل من الله تعالى .

"قل ما كنتُ بِدْعًا من الرسل"

إن الظواهر الطبيعية والظواهر الاجتماعية إذا تكررت واستمرت دل ذلك على أنها حقيقة ثابتة بالضرورة ، وأن لها خصائصها ومميزاتها .

وإذا درسنا حياة الأنبياء ع وجدنا أن من خصائصهم الكمال العقلي والخُلُقِي والجسمي ، ورسالة النبي اللاحق امتداد لرسالة النبي السابق في جوهرها وهدفها ، وأنهم من أجلها كانوا في صراع دائم ومرير مع قوى الشر والضلال ، وقتل منهم الكثير ، وعذب آخرون ، وشرد الكثير ، لا لشيء إلا لأنهم دعاة الخير والحق والعدل والمساواة .

"كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون" المائدة ٧٠

وهذا يؤدي بنا إلى الإيمان بصدقهم وأمانتهم ، كما هو الشأن في شهداء العقيدة .

رحمة النبي ص والقتل في بني قريظة :

قرب الاسناد – الحميري القمي – ص ١٣٣

٤٦٧ – أبو البختري عن جعفر بن محمد عن أبيه أنه قال : "عرضهم رسول الله ص يومئذ – يعني بني قريظة – على العانات ، فمن وجده أنبت قتله ، ومن لم يجده أنبت ألحقه بالذراري " .

دعائم الإسلام – القاضي النعمان المغربي – ج ١ – ص ٣٧٧

روينا عن جعفر بن محمد ع أن بني قريظة نزلوا من حصنهم على حكم سعد بن معاذ ، فأمر رسول الله ص بأن يحكم سعد ، فحكم بأن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم ، فقال رسول الله ص لسعد : لقد حكمت بحكم الله تعالى من فوق سبعة أرقعة .

وسائل الشيعة (الإسلامية) – الحر العاملي – ج ١ – ص ٣١

٨ – وعن السندي بن محمد ، عن أبي البختري ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عليه السلام أنه قال : عرضهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يومئذ يعني بني قريظة على العانات ، فمن وجده أنبت قتله ومن لم يجده أنبت ألحقه بالذراري .

الأمالي – الشيخ الطوسي – ص ٣٩٠ – ٣٩١

٨٥٧ / ٥ – أخبرنا ابن مخلد ، قال : أخبرني الخلدي ، قال : حدثنا الحسين بن الكميت الموصلي ، قال : حدثنا المعلى بن مهدي ، قال : حدثنا أبو شهاب ، عن الحجاج بن أرطاة ، عن عبد الملك بن عمير ، عن عطية – رجل من بني قريظة – ، قال : عرضنا على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فمن كانت له عانة قتله ، ومن لم تكن له عانة تركه ، ‹ صفحة ٣٩١ › فلم تكن لي عانة فتركني .

العمدة – ابن البطريق – ص ٣٢٨

فنزلوا على حكم رسول الله ص فرد رسول الله الحكم فيهم إلى سعد ، فقال : انى احكم فيهم : ان تقتل المقاتلة وان تسبى الذرية والنساء ، وتقسم أموالهم (١ صحيح مسلم الجزء الخامس ص ١٦٠ باب جواز قتل من نقض العهد) .

العمدة – ابن البطريق – ص ٣٢٨

سنن أبي داود وصحيح الترمذي قال : ان بني قريظة ، نزلوا على حكم سعد بن معاذ ، فأرسل رسول الله ص إلى سعد ، فأتاه على حمار فلما دنى قريبا من المسجد ، قال رسول الله ص للأنصار : قوموا إلى سيدكم – أو خيركم – ثم قال : ان هؤلاء نزلوا على حكمك ، فقال : تقتل مقاتليهم وتسبى ذراريهم ، قال : فقال النبي ‹ صفحة ٣٢٩ › ص قضيت بحكم الله وربما قال قضيت بحكم الله وربما قال قضيت بحكم الملك . (١ سنن الترمذي ج ٤ ص ١٤٤ مع اختلاف يسير)

بحار الأنوار – العلامة المجلسي – ج ٢٠ – ص ٢٤٦

١٣ – قرب الإسناد : عنه ، عن جعفر ، عن أبيه عليهما السلام أنه قال : عرضهم رسول الله ص يومئذ يعني بني قريظة على العانات ، فمن وجده أنبت قتله ، ومن لم يجده أنبت ألحقه بالذراري (٥ قرب الإسناد : ٦٣) .

بحار الأنوار – العلامة المجلسي – ج ٢٠ – ص ٢٤٦ – ٢٤٧

١٤ – أمالي الطوسي : ابن مخلد ، عن جعفر بن محمد بن نصير (٦ في المصدر : جعفر بن محمد بن نصير بن قاسم المعروف بالخلدى) عن الحسين بن كميت عن المعلى بن مهدي ، عن أبي شهاب ، عن الحجاج بن أرطاة ، عن عبد الملك بن عمر (٧ في المصدر ومستدرك الحاكم : عبد الملك بن عمير وهو الصحيح ، وهو عبد الملك بن عمير بن سويد اللخمي راجع تهذيب التهذيب ٦ : ٤١١) ‹ صفحة ٢٤٧ › عن عطية رجل من بني قريظة قال : عرضنا على رسول الله ص فمن كانت له عانة قتله ، ومن لم تكن له عانة تركه ، فلم تكن لي عانة فتركني (١ امالي ابن الشيخ : ٢٤٩ ، ورواه الحاكم في المستدرك ٣ : ٣٥ بطريق آخر عن عبد الملك بن عمير ، وفيه : فمن كان منا محتلما أو نبتت عانته قتل ، فنظروا إلى فلم تكن نبتت عانتي فتركت) .

مسند احمد – الإمام احمد بن حنبل – ج ٦ – ص ٥٦

قال هشام فأخبرني أبي أنهم نزلوا على حكم رسول الله ص فرد الحكم فيهم إلى سعد قال فانى أحكم ان تقتل المقاتلة وتسبى النساء والذرية وتقسم أموالهم قال هشام قال أبي فأخبرت ان رسول الله ص قال لقد حكمت فيهم بحكم الله عز وجل

صحيح البخاري – البخاري – ج ٥ – ص ٥١

فأشار إلى بني قريظة فأتاهم رسول الله ص فنزلوا على حكمه فرد الحكم إلى سعد قال فانى احكم فيهم ان تقتل المقاتلة وان تسبى النساء والذرية وان تقسم أموالهم

صحيح مسلم – مسلم النيسابوري – ج ٥ – ص ١٦١

فأشار إلى بني قريظة فقاتلهم رسول الله ص فنزلوا على حكم رسول الله ص فرد رسول الله ص الحكم فيهم إلى سعد قال فانى احكم فيهم ان تقتل المقاتلة وان تسبى الذرية والنساء وتقسم أموالهم

سنن الترمذي – الترمذي – ج ٣ – ص ٧٢

نزلوا على حكم سعد بن معاذ . فأرسل إليه فحكم أن يقتل رجالهم وتستحيي نساؤهم يستعين بهن المسلمون ، فقال رسول الله ص أصبت حكم الله فيهم ، وكانوا أربعمائة

سنن النسائي – النسائي – ج ٦ – ص ١٥٥

عن عطية القرظي قال كنت يوم حكم سعد في بني قريظة غلاما فشكوا في فلم يجدوني أنبت فاستبقيت فها أنا ذا بين أظهركم

فضائل الصحابة – النسائي – ص ٣٦

عن عامر بن سعد عن أبيه أن سعدا حكم على بني قريظة أن يقتل منهم كل من جرت عليه المواسي وأن تسبى ذراريهم وأن تقسم أموالهم فذكر ذلك للنبي ص فقال لقد حكم فيهم حكم الله الذي حكم به فوق سبع سماواته

المستدرك – الحاكم النيسابوري – ج ٢ – ص ١٢٣

عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن عطية رجل من بني قريظة أخبره ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جردوه يوم قريظة فلم يروا الموسى جرت على شعره يعنى عانته فتركوه من القتل

المستدرك – الحاكم النيسابوري – ج ٢ – ص ١٢٤

عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه ان سعد بن معاذ حكم على بني قريظة ان يقتل منهم كل من جرت عليه الموسى وان تقسم أموالهم وذراريهم فذكر ذلك لرسول الله ص فقال لقد حكم اليوم فيهم بحكم الله الذي حكم به من فوق السماوات .

المستدرك – الحاكم النيسابوري – ج ٤ – ص ٣٨٩ – ٣٩٠

عن مجاهد عن عطية رجل من بني قريظة أخبره ان أصحاب رسول الله ص جردوه يوم قريظة ‹ صفحة ٣٩٠ › فلم يرو المواسى جرت على شعره يعنى عانته فتركوه من القتل .

السنن الكبرى – البيهقي – ج ٦ – ص ٥٨

عطية القرظي قال عرضنا على النبي ص زمن قريظة فمن كان منا محتلما أو نبتت عانته قتل قال فنظروا إلى فلم تكن نبتت عانتي فتركت

السنن الكبرى – البيهقي – ج ٩ – ص ٦٣
قال فانى احكم فيهم ان يقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم قال فقال رسول الله ص حكمت بحكم الملك – أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح من أوجه عن شعبة –
مجمع الزوائد – الهيثمي – ج ٦ – ص ١٣٨
قال سعد فإني أحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم وتقسم أموالهم فقال رسول الله ص لقد حكمت فيهم بحكم الله عز وجل وحكم رسوله
مجمع الزوائد – الهيثمي – ج ٦ – ص ١٣٩
فقال سعد أحكم فيهم بأن تقتل مقاتلتهم ويقسم سبيهم وتؤخذ أموالهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم فقال رسول الله ص حكم فيهم سعد بحكم الله ويزعم ناس أنهم نزلوا على حكم رسول الله ص فرد رسول الله ص الحكم فيهم إلى سعد بن معاذ فأخرجوا رسلا رسلا فضربت أعناقهم
عمدة القاري – العيني – ج ١٧ – ص ١٩١
فرد الحكم إلى سعد قال فإني أحكم فيهم أن تقتل المقاتلة وأن تسبى النساء والذرية وأن تقسم أموالهم
تحفة الأحوذي – المباركفوري – ج ٥ – ص ١٧١ – ١٧٢
(فحكم أن تقتل رجالهم وتستحيي نساؤهم) وفي حديث أبي سعيد عند الشيخين فإني أحكم أن تقتل مقاتلتهم وتسبي ذراريهم (يستعين

بهن المسلمون) أي تقسم نساؤهم بين المسلمين فيستعينون بهن ويستخدمون منهن (وكانوا أربعمائة) اختلف في عدتهم فعند ابن إسحاق أنهم كانوا ستمائة وبه جزم أبو عمر بن عبد البر في ترجمة سعد بن معاذ وعند ابن عائذ من مرسل قتادة ‹ صفحة ١٧٢ › كانوا سبعمائة وفي حديث جابر هذا كانوا أربعمائة فيجمع أن الباقين كانوا أتباعا وقد حكى ابن إسحاق أنه قيل إنهم كانوا تسعمائة

السنن الكبرى النسائي ج٣ ص٤٦٥-٤٦٦

أن سعدا حكم على بني قريظة أن يقتل منهم كل من جرت عليه الموسى وأن تسبى ذراريهم وأن تقسم أموالهم فذكر ذلك للنبي ص فقال ‹ صفحة ٤٦٦ › حكمت فيهم بحكم الله الذي حكم به فوق سبع سماوات

تفسير الإمام العسكري (ع) - المنسوب إلى الإمام العسكري (ع) - ص ٤٨٠

٣٠٨ - فلما مات سعد بن معاذ بعد أن شفى من بني قريظة بأن قتلوا أجمعين

تفسير الإمام العسكري (ع) - المنسوب إلى الإمام العسكري (ع) - ص ٦٧٢

فمسح عليه رسول الله صلى الله عليه وآله يده فبرأ إلى أن شفا الله صدره من بني قريظة] (٢) فقتلوا عن آخرهم . وغنمت أموالهم وسبيت ذراريهم

تفسير الإمام العسكري (ع) – المنسوب إلى الإمام العسكري (ع) – ص ٦٧٢

حتى كان حكم سعد في بني قريظة لما نزلوا [بحكمه] وهم تسع (٥ " سبع " ب) مائة وخمسون رجلا جلدا (٦ الجلد : الشديد القوى) شبابا ضرابين بالسيف

تفسير الميزان – السيد الطباطبائي – ج ٩ – ص ١٢٩

ثم حكم فيهم بقتل الرجال وسبى النساء والذراري وأخذ الأموال فاجرى عليهم ما حكم به سعد فضربت أعناقهم عن آخرهم ، وكانوا ستمائة مقاتل أو سبعمائة ، وقيل أكثر ، ولم ينج منهم إلا نفر يسير آمنوا قبل تقتيلهم ، وهرب عمرو بن سعدى منهم ولم يكن داخلا معهم في نقض العهد ، وسبيت النساء إلا امرأة واحدة ضربت عنقها وهى التي طرحت على رأس خلاد بن السويد بن الصامت رحى فقتلته .

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل – الشيخ ناصر مكارم الشيرازي – ج ١٣ – ص ٢٢٢

فقال : انني أحكم بقتل رجالهم المحاربين ، وسبي نسائهم وذراريهم ، وتقسيم أموالهم .

تفسير القرطبي – القرطبي – ج ٥ – ص ٣٥

تفسير القرطبي – القرطبي – ج ٨ – ص ١٨

تفسير ابن كثير – ابن كثير – ج ٣ – ص ٤٨٧

تفسير الآلوسي – الآلوسي – ج ٢١ – ص ١٧٧ – ١٧٨

فإني أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسم الأموال وتسبي الذراري والنساء فكبر النبي ص وقال : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة فحبسهم رسول الله ص في دار بنت الحرث امرأة من بني النجار ثم خرج إلى سوق المدينة التي هي سوقها اليوم فخندق بها خنادق ثم بعث إليهم فضرب أعناقهم في تلك الخنادق يخرج إليهم بها إرسالا وفيهم عدو الله تعالى حيي بن أخطب وكعب بن أسد رأس القوم ‹ صفحة ١٧٨ › وهم ستمائة أو سبعمائة والمستكثر لهم يقول : كانوا بين الثمانمائة والتسعمائة وقد قالوا لكعب وهم يذهب بهم إلى رسول الله ص : أرسالا يا كعب ما تراه يصنع بنا ؟ قال : أفي كل موطن لا تعقلون أما ترون الداعي لا ينزع ومن ذهب منكم لا يرجع هو والله القتل فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله ص ، وأتى بحي بن أخطب عدو الله تعالى وعليه حلة تفاحية قد شقها عليه من كل ناحية قدر أنملة أنملة لئلا يسلبها مجموعة يداه إلى عنقه بحبل فلما نظر إلى رسول الله ص قال : أما والله ما لمت نفسي في عداوتك ولكنه من يخذل الله تعالى يخذل ثم أقبل على الناس فقال : أيها الناس إنه لا بأس بأمر الله تعالى كتاب وقدر وملحمة كتبت على بني إسرائيل ثم جلس فضربت عنقه

تاريخ الطبري – الطبري – ج ٢ – ص ٢٤٩

تاريخ الإسلام – الذهبي – ج ٢ – ص ٣٢٢ – ٣٢٣

تاريخ الإسلام – الذهبي – ج ٢ – ص ٣٢٣

أعيان الشيعة – السيد محسن الأمين – ج ٣ – ص ٣٠٣

روى إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة عن إبراهيم بن محمد بن اسلم بن بجرة عن أبيه عن جده قال جعلني رسول الله ص على أسارى بني قريظة فكنت انظر إلى فرج الغلام فإذا رأيته قد أنبت ضربت عنقه ، وذكر في الاستيعاب اسلم بن بجرة الأنصاري لم يذكر غيره وقال حديثه في بني قريظة ان رسول الله ص ضرب عنق من انبت الشعر منهم ومن لم ينبت جعله في غنائم المسلمين ، اسناد حديثه ضعيف لأنه يدور على إسحاق بن أبي فروة ولم يصح عندي نسب اسلم بن بجرة هذا وفي صحبته نظر انتهى

أعيان الشيعة السيد محسن الأمين ج٧ ص٢٣١

حتى نزل بنو قريظة على حكمه ان يقتل رجالهم ويسبى نساؤهم وذريتهم يستعين به المسلمون فقال رسول الله ص أصبت حكم الله فيهم وكانوا أربعمائة وقال له رسول الله ص لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سماوات

السيرة النبوية – ابن كثير – ج ٣ – ص ٢٣٣

السيرة النبوية – ابن كثير – ج ٣ – ص ٢٣٤

السيرة النبوية – ابن كثير – ج ٣ – ص ٢٣٤

وكانوا أربعمائة

السيرة النبوية – ابن كثير – ج ٣ – ص ٢٣٥

السيرة النبوية – ابن كثير – ج ٣ – ص ٢٣٥

السيرة النبوية – ابن كثير – ج ٣ – ص ٢٤١

الصحيح من سيرة النبي السيد جعفر مرتضى العاملي ج١١ ص١١-١٢

ثم أصدر حكمه بقتل من حزّب على رسول الله ص منهم . فقال له رسول الله : حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة . فقتل النبي ص من أنبت ممن حزّب عليه من بني قريظة . وأمر ‹ صفحة ١٢ › ص بأخذ فخدت ، فضربت أعناقهم فيها ، ثم رد عليهم التراب .

الصحيح من سيرة النبي ج١١ ص ١٢

وقد اختلفت كلمات المؤرخين في عدد من قتل منهم ، فبلغت ثلاثة عشرة قولا ، تتراوح ما بين الثلاثمئة رجل ، والألف . ويظهر من النصوص : أن بني قريظة لم يقتلوا كلهم ، بل قتل منهم خصوص من حزّب على النبي والمسلمين .

الصحيح من سيرة النبي ج ١١ ص ١٩

آية نزلت في بني قريظة : وقد روي عن مجاهد : أن قوله تعالى : "وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطأوها وكان الله على كل شئ قديرا" ، نزل في بني قريظة. وكذا روي عن قتادة وسعيد بن جبير .

ويؤيد ذلك بل يدل عليه : أن الضمير في " ظاهروهم " يعود إلى الذين كفروا في الآية السابقة ، الذين هم الأحزاب والذين ظاهروا الأحزاب ، وأنزلهم الله من صياصيهم ، وقتل المسلمون فريقا منهم وأسروا فريقا ، هم بنو قريظة بالذات .

الصحيح من سيرة النبي ج ١١ ص١٤٢-١٤٣

قال سعد : فإني أحكم فيهم : أن يقتل من جرت عليه الموسى ، وتسبى النساء والذرية ، وتقسم الأموال . فقال رسول الله ص : لقد حكمت بحكم الله عز وجل من فوق ‹ صفحة ١٤٣ › سبعة أرقعة ، أو بحكم الملك .

الصحيح من سيرة النبي ج١١ ص١٤٦

ونحن وإن كنا نجد المؤرخين يذكرون : أن سعدا قد حكم بقتل الرجال ، وسبي من عداهم ، إلا أننا نشك في شمولية ذلك للجميع ، لا سيما ونحن نجد ابن الجوزي يقول : " فحكم فيهم أن يقتل كل من حزّب عليه ، وتغنم المواشي إلخ . . . " .

ويؤيد ذلك قوله تعالى : "فريقا تقتلون وتأسرون فريقا" .

وبذلك يتضح : أنه يشك كثيرا في صحة ما يذكرونه ، من أنهم كانوا يتأكدون من بلوغ البالغ منهم بالنظر إلى مؤتزره ، فإن كان قد أنبت قتل وإلا ترك .

إلا أن يقال : إن ذلك لا ينافي قول ابن الجوزي الآنف الذكر ، لأن ذلك قد كان منهم بالنسبة إلى خصوص من حزّب على المسلمين .

الصحيح من سيرة النبي ج١١ ص١٥٦

قال الإمام الحسن عليه السلام حين خاض الناس في أمر الحكمين ، بعد صفين : "وإنما الحكومة فرض الله ، وقد حكّم رسول الله ص سعدا في بني قريظة ، فحكم فيهم بحكم الله لا شك فيه ، فنفذ رسول الله حكمه . ولو خالف ذلك لم يُجِزْهُ" . (١ مناقب آل أبي طالب ، ط دار الأضواء ج ٣ ص ٢٢٣) .

الصحيح من سيرة النبي ج١١ ص١٦٤-١٦٥

لقد انتقد بعض الكتاب الأوروبيين هذا الحكم ووصفوه بأنه وحشي ، وغير إنساني . (محمد في المدينة ص ٣٢٧) .

ونحن في مقامي التوضيح نلمح إلى الأمور التالية :

أولا : إن بني قريظة أنفسهم قد رفضوا النزول على حكم رسول الله ص وقبلوا بالنزول على حكم حليفهم سيد الأوس سعد بن معاذ ، الأمر الذي يشير إلى أنهم كانوا يسيئون الظن فيما يرتبط بحكم رسول الله عليهم ، ولا يثقون ، ولا يعتمدون على كرمه وحلمه وسماحته ، وإمكانية صفحة عنهم ، رغم أننا لا نستبعد صفح صلى الله عليه وآله لو أنهم قبلوا بالنزول على حكمه .

ويرون أن سعد بن معاذ وهو من الأوس حلفائهم في الجاهلية أقرب إلى أن يعاملهم بالصفح والعفو والكرم ، وذلك حسب منطقهم الجاهلي ، الجاهل بحقيقة الإسلام ، وبما أحدثه في عقلية الناس ونفوسهم من تغيرات .

ثانيا : إن جريمة بني قريظة تختلف في حجمها وفي خطورتها على الإسلام والمسلمين ، ولا تقاس بجريمة بني النضير وقينقاع ، فقد تحرك بنو قريظة في خط الخيانة ، وتوغلوا فيها إلى درجة أصبح معها أساس الإسلام في خطر أكيد وشديد ، لا سيما وأن ما بنوا عليه كل مواقفهم هو استئصال شأفة الإسلام وإبادة الوجود الإسلامي بصورة تامة وحاسمة ، ولم يكن بنو النضير ولا بنو قينقاع قد توغلوا في أمر الخيانة إلى هذه الحد .

الصحيح من سيرة النبي ج١١ ص١٦٦

إن حكم سعد بن معاذ قد جاء وفق ما يحكم به اليهود أنفسهم على الآخرين ، في حالات هي أدنى من حيث المبررات الموضوعية من الحالة التي توغل إليها بنو قريظة ، فاليهود هم الذين كتبوا في توراتهم المحرفة عن المدينة التي يدخلونها عنوة : "وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة ، كل
غنيمتها ، فتغتنمها لنفسك ، وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك" (سفر التثنية ، الإصحاح العشرون – الفقرة رقم ١٣–١٤) .

وثمة نصوص أخرى أكثر عنفا وقسوة في هذا المجال فراجع هذا الكتاب ج ٤ ص ٣١٧ فإنها تأمر بإحراق المدينة بكل ما فيها مع بهائمها ، وقتل جميع سكانها بحد السيف ، ثم إحراق المدينة بالنار

فتكون تلا إلى الأبد (سفر العدد . الإصلاح ٣١ الفقرة ٧-١٠ و١٣-١٦) .

الصحيح من سيرة النبي ج١١ ص١٧٣-١٧٤

حكم سعد بن معاذ في طريقه إلى التنفيذ :

وقد تقدم قولهم : إن سعدا حكم على بني قريظة بقتل الرجال وسبي النساء وغنيمة الأموال ، لكن الظاهر أنه حكم عليهم : أن يقتل كل من حزّب عليه ، وتغنم المواشي ، وتسبي النساء والذراري ، وتقسم الأموال . فقال رسول الله ص : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة . (الوفا ص ٦٩٥) .

فكلمة حزّب عليه ، أصبحت بعد تصحيفها وإضافة كلمة واحدة إليها للتوضيح هكذا : جرت عليه الموسى (سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢١) . ويؤيد : أنه ص قتل من حزّب عليه ، ما سيأتي من الاختلاف الفاحش في عدد المقتولين .

ويصرح ابن شهرآشوب : أن عدد بني قريظة كان سبعمائة ، لكن المقتولين منهم كانوا أربعمئة وخمسين (مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٢٥٢ ط دار الأضواء) .

وهو المناسب أيضا لقوله تعالى : (فريقا تقتلون وتأسرون فريقا) (الأحزاب٢٦)

الصحيح من سيرة النبي ج١١ ص١٧٤-١٧٧

قال القمي : أمر رسول الله ص بأخدود ، فحفرت بالبقيع .

وقال آخرون : إنه ص حفر لهم خنادق في سوق المدينة ، فضرب أعناقهم فيها .

وقالت بعض المصادر : قتلوا عند دار أبي جهل (أبي جهم) بالبلاط . ولم تكن يومئذ بلاط . فزعموا : أن دماءهم بلغت أحجار الزيت ‹ صفحة ١٧٥ › بالسوق .

وعند الواقدي : فأمر بخدود فخدت في السوق ، ما بين موضع دار أبي جهم العدوي إلى أحجار الزيت بالسوق .

وجلس ص ومعه علية أصحابه ، ودعا برجال بني قريظة ، فكانوا يخرجون رسلا رسلا ، تضرب أعناقهم ، ثم يذكرون كيف أنهم كان يلوم بعضهم بعضا ، وكان الذين يلون قتلهم علي والزبير .

وفي بعض المصادر :

أنهم كانوا يخرجونهم أرسالا وحسب نص اليعقوبي : عشرة عشرة ، ويلي قتلهم على والزبير ، ورسول الله ص جالس هناك .

وفي نص آخر : تمادى القتل فيهم إلى الليل . فقتلوا على شعل السعف . قال محمد بن كعب القرظي : قتلوا إلى أن غاب الشفق ، ثم ‹ صفحة ١٧٦ › رد عليهم التراب في الخندق .

و عند قتلهم صاحت نساؤهم ، وشقت جيوبها ، ونشرت شعورها ، وضربت خدودها وملأت المدينة بالنوح والعويل .

إننا نشير هنا إلى الأمور التالية :

١ – قولهم : إنهم كانوا يخرجونهم أرسالا ، أو عشرة عشرة . يقابله قول البعض : فلما أمسى أمر بإخراج رجل رجل ، فكان يضرب عنقه .

ولا بد من ملاحظة التناقض بين قولهم : تمادى القتل فيهم إلى الليل ، فقتلوا على شعل السعف ، أو إلى أن غاب الشفق . وبين قولهم : فلما أمسى أمر بإخراجهم رجلا رجلا ليضرب أعناقهم .

ثم ملاحظة التناقض بين قولهم : إنهم قتلوا ورسول الله ص جالس ومعه أصحابه ، وبين ما سيأتي من أن النبي قد حضر قتل أربعة منهم فقط .

٢ – وعن ذكر الزبير إلى جانب علي ع ، وأن هذا كان يقتل عشرة ، وذاك عشرة .

نقول : إنه موضع شك وريب ، وذلك لما يلي :

أ : يقول نص آخر : وخرج رسول الله ص إلى موضع السوق اليوم ، وحضر معه المسلمون ، وأمر أن يخرجوا وتقدم إلى أمير ‹ صفحة ١٧٧ › المؤمنين ع بضرب أعناقهم في الخندق ، فأخرجوا أرسالا .

ب : تذكر رواية أخرى أنه لما قتل حيي بن أخطب ونباش بن قيس وغزال بن سموأل وكعب بن أسد ، قام ص وقال لسعد بن معاذ : عليك بمن بقي ، فكان يخرجهم رسلا رسلا يقتلهم .

فهذا النص لم يذكر عليا ولا غيره ، بل نسب القضية برمتها إلى سعد بن معاذ .

ج : يقول نص آخر : فقتل علي عشرة ، وقتل الزبير عشرة ، وقل رجل من الصحابة إلا قتل رجلا أو رجلين .

وهذا النص يحاول أن يعطي للزبير – دون غيره – دورا يضارع دور علي ع ثم أعطى بقية الصحابة نصيبا في هذا الأمر أيضا .

الصحيح من سيرة النبي ج١١ ص١٧٩-١٨٢

قتل كل من أنبت :

وقالوا : إن رسول الله ص قد أمر بقتل كل من أنبت من بني قريظة ، وكان من شك في بلوغه نظر إلى مؤتزره ، فإن كان أنبت ‹ صفحة ١٨٠ › قتل ، وإلا طرح في السبي .

قال محمد بن كعب القرظي : فكنت في من لم ينبت .

وكان مسلم بن بجرة الأنصاري هو الذي تولى كشف عوراتهم .

لكن أسلم الأنصاري يقول : جعلني رسول الله ص على أسري قريظة ، فكنت أنظر إلى فرج الغلام ، فإن رأيته قد أنبت ضربت عنقه ، وإن لم أرده قد أنبت جعلته في مغانم المسلمين .

ها هنا مواقع للنظر ، وهي التالية :

‹ صفحة ١٨١ ›

١ – قولهم : إن رسول الله ص قد أمر بقتل كل من أنبت من بني قريظة ، يقابله نص آخر يقول : إن سعدا هو الذي أمرهم بالنظر إلى مؤتزر من شكوا في بلوغه فصوبه النبي ص .

٢ – قولهم : إنه ص قد أمر بقتل كل من أنبت لا يستقيم مع ما قدمناه ، وسيأتي أيضا من أنه ص إنما قتل خصوص من حزّب عليه منهم ، والباقون لم يقتلوا ، فإن كان قد كشف عن مؤتزر أحد فإنما ذلك في خصوص هذا الفريق من الخونة والأشرار .

٣ – أما المتولي لكشف عوراتهم ، فلعل أسلم الأنصاري هو نفس مسلم بن بجرة الأنصاري ، أو أن مسلما هو ابن أسلم . وقد صحف الراوي أو أسقط أحدهما .

٤ – بقي أن نشير إلى أن بعض النصوص المتقدمة قد ذكرت محمد بن كعب القرظي على أنه هو الذي وجدوه لم ينبت فأطلقوا سراحه . مع أن محمد بن كعب إنما ولد في سنة أربعين للهجرة – ولا يصح أنه ولد في حياة النبي ص .

والصحيح : أن أباه كعبا هو الذي نجا يوم بني قريظة .

‹ صفحة ١٨٢ ›

٥ – قال ابن حزم : واستحيا عطية القرظي ، وله صحبة . استحيا : أبقاه حيّا .

عن عطية قال : كان رسول الله ص قد أمر أن يقتل من بني قريظة كل من أنبت منهم ، وكنت غلاما ، فوجدوني لم أنبت ، فخلوا سبيلي .

أما القول بأن عطية هذا هو جد محمد بن كعب القرظي فلا نراه صحيحا ، بل عطية هذا رجل آخر .

الصحيح من سيرة النبي ج ١١ – ص ١٨٤

هناك حكمان حيثيتان فرضتهما حالتان موجودتان في موردها ، فللأسير حقه كإنسان ، وعليه العقاب بحسب نوع الجريمة التي ارتكبها ، فإنها هي التي تفرض نوع العقاب .

الصحيح من سيرة النبي ج ١١ – ص ١٨٩ – ١٩٠

قتل نباتة النضيرية :

يقال : إنه كان ثمة امرأة من بني النضير ، يقال لها نباتة تحت رجل قريظي . (قال السهيلي : هو الحاكم القرظي) يحبها ، وتحبه ، وكانت في حصن الزبير بن باطا – فخاف زوجها أن تسبى بعده ، فأحب أن تقتل بجرمها ، فطلب منها فدلت على المسلمين رحى من فوق الحصن ، وكان المسلمون ربما جلسوا تحته ، يستظلون في فيئة ، وكان ذلك بعد اشتداد الحصار على بني قريظة ، فلما أطلعت الرحي ، رآها القوم فانفضوا ، فأصابت خلاد بن سويد ، فشدخت رأسه ، فلما كان في اليوم الذي أمر رسول الله ص أن يقتلوا دخلت هذه المرأة على عائشة ، فجعلت تضحك ظهرا لبطن ، وهي تقول : سراة بني قريظة يقتلون . فسمعت قول قائل : يا نباتة . فقالت : أنا والله التي أدعي . قالت : ولم ؟ قالت : قتلني زوجي . ‹ صفحة ١٩٠ › فسألتها عائشة عن ذلك ، فذكرت لها أمر الرحي ، وأنها قتلت خلاد بن سويد ، فأمر ص بها فقتلت بخلاد بن سويد . قالت عائشة : لا أنسى طيب نفس نباتة وكثرة ضحكها ، وقد عرفت أنها تقتل ،

فكانت عائشة تقول : قتلت بنو قريظة يومهم ، حتى قتلوا بالليل على شعل السعف .

وذكرت بعض المصادر : أن زوجها قال لها : غلب علينا محمد ، سيقتل الرجال ، ويسبي النساء والذراري .

وقسم من المصادر ذكر : أن اسمها : بنانة . وقد يكون ذلك تصحيف نباتة ، أو العكس . وسمتها بعض المصادر : بيانة . وقيل : مزنة .

الصحيح من سيرة النبي ج ١١ – ص ١٩١

إننا نسجل هنا الأمور التالية :

١ – شجاعة نباتة :

إن مما يلفت نظرنا هنا ما نجده من محاولات جاد لإظهار شجاعة بني قريظة ، وثباتهم وقوتهم ، وصبرهم في مواجهة الموت التزاما ووفاء لقناعاتهم ، وانسجاما مع أنفسهم في مواصلة الأخطار

والكوارث ، دونما رهبة أو وجل ، وقد تجلى ذلك حتى في نسائهم اللواتي يفترض فيهن أن يظهرن المزيد من الجزع والضعف والهلع في مواجهة الموت .

ويكتسب اليهود عن طريق هذا التزوير للتاريخ : صفات الشهامة ، والعزة والكرامة ، والإباء والشمم ، وهي الصفات التي لم نزل نعرف عنهم اتصافهم بما يناقضها وينافيها .

أما النبي والمسلمون فيصبحون في موقع الناس القساة ، الذين لا تظهر منهم بادرة رأفة ولا رحمة . بل هم أناس مجرمون ، يحبون سفك الدماء ، دونما شفقة أو وازع من ضمير .

الصحيح من سيرة النبي ج١١ ص١٩١-١٩٢

٢ – شكوك حول قصة نباتة :

ويلفت نظرنا في قصة نباتة الأمور التالية :

أولا : كيف دخلت هذه المرأة على عائشة مع أن سبايا بني قريظة ، قد جعلوا جميعا في دار رملة بنت الحارث ودار ‹ صفحة ١٩٢ › أسامة ، ولم يكن يسمح لأي منهن بالتجول ، ودخول المنازل ، لا سيما قبل تنفيذ الحكم في رجالهن ، وقبل تحديد مصير السبايا أيضا . وقد ذكروا : أن دخول نباتة على عائشة قد كان والنبي ص مشغول بقتل بني قريظة .

ثانيا : قال الشيخ المفيد : قتل من نسائهم امرأة واحدة ، كانت أرسلت عليه (أي على النبي ص) حجرا ، وقد جاء النبي ص باليهود يناظرهم قبل مباينتهم له ، فسلمه الله من ذلك الحجر .

الصحيح من سيرة النبي ج ١١ – ص ١٩٢

رابعا : هل يعقل أن يجلس المسلمون في أصل الحصن للاستظلال به ، مع وجود احتمالات إرسال الحجارة أو غيرها عليهم ، وهم في حالة حرب مع عدوهم ، ولا سيما مع اشتداد الحصار عليهم ، كما صرحت به الرواية نفسها ؟! ، إن ذلك بعيد ، ولا يفعله من له أدنى

خبرة في مجال التعامل في أثناء الحرب ، ومع إحساس العدو بالخطر الماحق وبالدمار الساحق .

الصحيح من سيرة النبي ج ١١ – ص ١٩٢

خامسا : من أين علم زوجها أنهم سيقتلون وتسبى ذراريهم ونساؤهم ؟ ولماذا لم يفكر بحل المشكل بطريقة أخرى ؟ ولماذا طاوعته زوجته على القيام بما طلبه منها وقد كان من الطبيعي أن تعترض عليه بأنه هو يلقى تلك الرحي ؟ ، وأيضا لماذا التفت المسلمون إلى فعلها وهم لا يرونها بحسب العادة وبحسب موقعهم في جلوسهم بأصل الحصن؟

الصحيح من سيرة النبي ج١١ ص١٩٩–٢٠٤

عدد القتلى من بني قريظة :

وقد ذكروا أرقاما متفاوتة جدا في عدد المقتولين من بني قريظة الأمر الذي يثير شكوكا في أن ثمة من يريد أن يستفيد من هذا الأمر ويوظفه إعلاميا لمقاصد سياسية ، أو دينية ، أو غيرها . والأقوال هي التالية :

١– إن عدد المقتولين كان ألف إنسان ، قال المعتزلي : حصد من بني قريظة في يوم واحد رقاب ألف إنسان صبرا ، في مقام واحد ، لما علم في ذلك من إعزاز الدين وإذلال المشركين .

٢ – كانوا تسعمائة .

‹ صفحة ٢٠٠ ›

٣ – المكثر لهم يقول : كانوا بين الثمانمائة والتسعمائة .

٤ – كانوا سبعمائة وخمسين .

٥ – ما بين سبعمائة وثمانمائة .

٦ – ما بين ستمائة إلى تسعمائة .

٧ – كانوا سبعمائة أو نحو سبعمائة .

‹ صفحة ٢٠١ ›

٨ – ما بين ستمائة إلى سبعمائة .

٩ – كانوا ستمائة (٢) .

١٠ – كانوا أربعمائة وخمسين . وحسب نص ابن شهرآشوب : أنهم كانوا سبعمائة لكن المقتولين منهم كانوا أربعمائة وخمسين .

‹ صفحة ٢٠٢ ›

١١ – كانوا أربعمائة رجل .

١٢ – كانوا ثلاثمائة فقط .

أمور ثلاثة هامة :

ونشير هنا إلى أمور ثلاثة لها ارتباط بما تقدم هي :

الأول : إن ما تقدم من الأقوال في عدد المقتولين قد يكون ناظرا إلى خصوص الذين قتلوا استنادا إلى حكم سعد بن معاذ فيهم ، وأما من قتلوا في المعركة وأثناء الحصار فقد لا يكون محط النظر في هذه الأقوال .

ونجد بعض النصوص يصرح بأن الذين قتلهم علي ع وحده في بني قريظة كانوا عشرة .

ثم إنهم يصرحون بأن عليا والزبير قد توليا قتلهم وهم يعدّون ‹ صفحة ٢٠٣ › بالمئات ، إلا إن صححنا رواية توزيعهم على بيوت الأوس حسبما تقدم .

الثاني : قد ذكر ابن شهرآشوب : أن عدة بني قريظة كانت سبعمائة ، لكن المقتولين منهم كانوا أربعمائة وخمسين ، وعند غيره : أربعمائة ، أو ثلاثمائة .

وقد يكون هذا هو الأقرب إلى الواقع والحقيقة انسجاما مع ظاهر قوله تعالى : "فريقا تقتلون وتأسرون فريقا" .

وقد فسر البعض قوله تعالى : "تأسرون فريقا" بالسبايا والذراري ، وهو تفسير غير مقبول فإن الأسر هنا إنما يناسب المقاتلين ، أما النساء والذراري فالأنسب التعبير عنهم بالسبايا .

ومما يؤيد ما نقوله في عدد بني قريظة قولهم : إن عدد الذراري والنساء كان سبعمائة وخمسين ، أو تسعمائة أو ألفا على أبعد التقادير ، مع أن السبي لا بد أن يكون أضعاف عدد المقاتلين ، وهذا يؤيد أن يكون عدد المقاتلين ما بين المئة إلى المئتين على أبعد تقدير .

الثالث : قد ظهر من الأقوال الآنفة الذكر مدى التفاوت والاختلاف في عدد قتلى بني قريظة ، فقد تراوحت الأقوال ما بين الثلاثمائة إلى الألف ، حتى لقد بلغت الأقوال اثني عشر قولا .

وكثرة الأقوال إلى هذا الحد تدل على أنه لم يكن ثمة من يملك معلومات دقيقة عن هذا الموضوع ، ويبدو أنها تقديرات تبرعية تأثرت

‹ صفحة ٢٠٤ › برياح الأهواء السياسية ، أو العصبيات الدينية ، بهدف إظهار قسوة الإسلام ونبي الإسلام على أعدائه وخصوصا اليهود .

@المعاد ويوم القيامة

شبهتان على البعث :

من ينكر البعث له شبهتان :

الشبهة الأولى :

البعث غير ممكن لأن من مات يفنى في قبره ويتحول إلى تراب ، ولا يمكن إحياء العظام وهي رميم .

"وقالوا أإذا كنا عظاما ورفاتا إنا لمبعوثون خلقا جديدا" الإسراء٤٩

قد يكون كثير من المشركين أنكروا الإسلام ورفضوا دعوة النبي ص لأنها جمعت بين الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر ، وقد جاء إلى النبي ص أحد المشركين ساخرا وبيده عظمة بالية وفتّها بيده ثم سأل النبي ص ساخرا : من يحيي العظام وهي رميم ؟!

الشبهة الثانية :

إذا سلمنا بأن البعث ممكن فإنه غير واقع حيث لم نجد أثرا يدل عليه حتى نؤمن به ، فلا يوجد داعي لبعث الخلائق من جديد وإرجاعهم إلى الحياة مرة أخرى .

الجواب :

جواب الشبهة الأولى :

جاء القرآن الكريم بالجواب :

"قل يحييها الذي أنشأها أول مرة" يس٧٩

الذي خلق العظام لا من شيء وأعطاها الحياة قادر على أن يحييها ويعطيها الحياة مرة أخرى ، وهذا أهون بحسب قاعدة الأولوية وإن كان عند الله تعالى سواء ، فكل شيء هيّن على الله ، فلا يوجد هيّن وأهون وسهل وأسهل عند الله ، فأمره إذا قال للشيء كن فيكون .

"وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهونُ عليه" الروم٢٧

وفي هذه الآية الكريمة "أهون" بمعنى هيّن ، نعم بنظرة الإنسان هو أهون وأسهل بقاعدة الأولوبة لأن إعادة الخلق أسهل من أن يخلق ابتداءً ، ولكن لا يوجد سهل وصعب على الله تعالى .

وهنا لا بد أن نفرّق بين القانون العقلي والقانون الطبيعي ، فالقانون العقلي يكون دائميا ، ولا يمكن خرقه بأي حال من الأحوال ، مثلا : النقيضان لا يجتمعان ، هذه قاعدة عقلية دائمية مطّردة ، ولا يمكن خرقها لا على الأرض ولا على أي مكان آخر في الكون ، لا في الدنيا ولا في الآخرة ، ولا يمكن الفصل بين النقيضين وعدم الاجتماع لأن عدم الاجتماع صفة ذاتية للنقيضين ، وأما القانون الطبيعي فليس بالضرورة أن يكون دائميا مطّردا ، فيمكن خرقه ، ويمكن وجود الخوارق في قوانين الطبيعة ، وهو ليس بمستحيل ، مثلا : صارت النار

بردا وسلاما على سيدنا إبراهيم ع ، فكون النار حارة ليس قانونا عقليا بل هو قانون طبيعي ، فيمكن الفصل بين النار والحرارة ، فيمكن أن توجد نار بلا حرارة ، فتكون نار باردة ، فالحرارة ليست صفة ذاتية للنار ، بل هي من الصفات المفارقة ، فيمكن أن تفارق النار وتنفصل عنها ، وهذا غير ممتنع عقلا ، وليس قانونا عقليا ، بل هو قانون طبيعي مستنتج من الموجودات في الطبيعة .

وإعادة الحياة بعد الموت خرق لقانون طبيعي لا لقانون عقلي ، وهي أهون من ابتداء الخلق لا من شيء ، ولكنها تخالف العادة ، بل هي من العادة بالنسبة لله لأن الله قادر على كل شيء ، ومن عنده القدرة على كل شيء فلا يوجد عادي وغير عادي بالنسبة له ، نعم العادي وغير العادي يكون بالنسبة لنا .

جواب الشبهة الثانية :

البعث ليس لمجرد العبث ، وإنما الغرض هو حساب الخلائق وإعطاء الجزاء على فعل الخير والشر ، والبعث نتيجة للعدل الإلهي لا لقانون الطبيعة ونظامها ، فالإيمان بالبعث له ارتباط بالإيمان بالله وعدله وحكمته ، ولا يمكن أن يتساوى مصير الأبرياء ومصير المجرمين حتى يقال بعدم وجود ثواب للأبرياء وعدم وجود العقاب للمجرمين ، والدنيا ليست دار الحساب والجزاء ، وإنما هي دار العمل ، فالإنسان حر في أعماله في الدنيا باختياره وإرادته ، ولكن أعلمه الله تعالى بأنه يوجد يوم آخر للحساب والجزاء ، فحينما يقوم بأي عمل لا بد أن

يجعل يوم الحساب نصب عينيه ، ويعرف الإنسان بعقله أنه ما دام أن بعض الأبرياء لا يحصلون على حقوقهم في الدنيا ، وبعض المجرمين لا يحصلون على عقابهم في الدنيا ، فلا بد من وجود يوم آخر يثاب فيه البريء ويعاقب فيه المجرم ، وهذا دليل عقلي على وجود يوم آخر للحساب والجزاء من الثواب أو العقاب ، فالبعث ممكن بحكم العقل ، وثابت بصحيح النقل ، فدليل البعث عقلي ومؤيَّد بالدليل النقلي ، ولولا البعث والمعاد لكانت الدنيا مزرعة الأشرار ، ويحصدون نتاجهم في الدنيا ، وكل شيء ينتهي في الدنيا ، ولا يحصل الأبرياء على شيء في هذه الدنيا ولا يأملون الحصول على شيء في يوم آخر بعد الدنيا .

@العصبية

العصبية هي الميل إلى جانب من تحب وإن كان على باطل ، وظلم من تكره وإن كان على حق .

الفيلسوف الإنجليزي راسل قال : أباح الدين التعصب والبغضاء وكرّسهما .

قال ماركس : الدين أفيون الشعوب .

القرآن الكريم والسنة الشريفة ينكران العصبية وتعتبره من كبائر السيئات .

"وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى"

"لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين"

عن النبي ص : "أيها الناس ربكم واحد ، وأبوكم واحد ، كلكم من آدم ، وآدم من تراب"

ومصدر الجميع واحد فلا داعي للعصبية .

عن النبي ص : "من تعصّب فقد خلع ربقة الإيمان من عنقه"

أمثلة للعصبية :

قال أحمد تيمور في كتاب المذاهب الأربعة ص٤٩ طبعة١٩٦٥ : جاء في معجم ياقوت أن أهل الري كانوا ثلاث طوائف : شيعة وحنفية وشافعية ، فتضافرت الطائفتان الأخيرتان على الشيعة فأفنوهم ، ثم قامت الحرب بين الشافعية والحنفية فكان الظفر لأولئك على هؤلاء ، وخربت محال الشيعة والحنفية ، وبقيت محلة الشافعية .

قال الشيخ عبد العزيز عيسى في كتاب ما لا يجوز فيه الخلاف ، الفصل الثامن : سئل بعض فقهاء الشافعية عن حكم الطعام الذي وقعت فيه قطرة نبيذ ، فقال : يرمى لكلب أو حنفي ، لأن الحنفية يقولون بطهارة النبيذ ، والشافعية بنجاسته .

وسئل بعض فقهاء الحنفية عن زواج حنفي بشافعية ، فقال : يجوز الزواج بها لا على أنها مؤمنة ، بل قياسا على الزواج باليهودية والنصرانية .

وأيضا نقل الشيخ عبد العزيز عيسى في كتابه المذكور أن حنفيا وشافعيا كانا يصليان جماعة ، فقرأ الشافعي الفاتحة ، ولما سمعه الحنفي ضربه ضربة قوية على صدره ، وقع منها على ظهره حتى كاد يموت ، لا لشيء إلا لأن الحنفية لا يتابعون الإمام في قراءة الفاتحة .

@ النظرية الاجتماعية في الإسلام

هل للمجتمع روح؟

بعض الحيوانات تعيش منفردة ، ولا تكون ضمن وجود اجتماعي ، وبعضها تعيش ضمن العائلة الواحدة المكونة من الأب والأم والأبناء ، وبعضها تعيش حياة اجتماعية كالنحل والنمل ، وهذا الصنف من الحيوانات الاجتماعية لها نوعان من النقص :

١-استحالة الحياة المشتركة بين المجاميع المختلفة ، كنحل خليتين .

٢-حياتها الاجتماعية لها طابع واحد مستمر لا تتغير ولا تطور ، فالنحل يعيش اليوم كما كان يعيش قبل آلاف السنين .

وأما الإنسان فهو الكائن الوحيد الذي يعيش حياة اجتماعية قابلة للتطور والتكامل ، وتوجد هنا بخض البحوث :

١-منشأ رغبة الإنسان للحياة الاجتماعية هو مزيج من الحوافز الغريزية والعاطفية والفكرية ، فالإنسان يميل بطبعه إلى العيش مع الجماعة ، والعقل يقول إن التكامل ممكن في ظل الحياة الاجتماعية فقط ، وإذا أراد فرد أن يعيش بانعزال عن الآخرين فلن توجد العلوم

والمعارف والصناعات والاختراعات والإبداعات ، فهذه الأمور تحصل من خلال استثمار الطاقات الفكرية والجسمية ، ونقل كل جيل تجاربه إلى الأجيال التالية ، فتتكامل البشرية علميا ومعرفيا وصناعيا .

ويميل الإنسان إلى الحياة الاجتماعية لوجود حافز ذاتي عاطفي عنده ، فهو يضجر من العزلة ، وبشعر بالسعادة من حديثه وجلوسه وقيامه مع رفاقه ، وسجن الوحدة هو أقسى عذاب للإنسان ، فالعزلة عن الآخرين تؤدي إلى اضطرابات نفسية .

٢-يعتبر الإسلام الحياة الاجتماعية للبشر من أهم المبادئ ، واهتم بها في العلاقات السياسية والاقتصادية ، وكذلك اهتم بها في مسألة العبادات التي تعتبر علاقة بين الخلق والخالق ، فأعطى للعبادات الجماعية - كصلاة الجماعة والحج — أهمية كبرى ، مثلا الأذان والإقامة تدعو الجميع لصلاة الجماعة ، وضمير الجمع في سورة الفاتحة والسلام في آخر الصلاة يبرهنان على أن الصلاة ذات صفة اجتماعية وأن الأساس فيها هو أداؤها جماعة ، وأداؤها فرادي يكون فرعا لا أصلا .

والحياة الاجتماعية لها أهمية كبرى في الإسلام ، بحيث اعتبر كل ما يؤدي إلى الاختلاف والفُرْقَة - كقول الزور والغيبة والنفاق - من الكبائر ، وكل ما يؤدي إلى السلام والوئام والإصلاح بين الناس من أفضل العبادات .

٣-تحقيق الحياة الاجتماعية للبشر ليس أمرا بسيطا ؛ لأنه يحتاج إلى توزيع القابليات والقدرات العقلية والجسمية والمواهب المختلفة بين أفراد المجتمع ، وإلى تخطيط دقيق ، وإلى توزيع للأعمال ، وإلى التآلف بين القلوب ، وبدون هذه الأمور يستحيل أن تدور عجلة الحياة الاجتماعية ، ومجموع هذه الأمور يطلق عليه "روح المجتمع" ، وهذه الروح الاجتماعية بكل ما فيها من مواصفات والتي تساهم في تكامل الإنسان يستحيل أن توجِدها الطبيعة العمياء الصمّاء التي لا عقل لها ولا شعور ، فيستحيل أن توجِد التخطيط والمودة والرحمة والسكينة والاطمئنان وتعارف الناس وتآلف القلوب ، وكل هذه آيات دالة على عظمة الله تعالى وعلمه وقدرته .

عن النبي ص : "إن المسلم إذا لقي أخاه المسلم فأخذ بيده تحاتت عنهما ذنوبهما كما تتحات الورق عن الشجرة اليابسة في يومِ ريحٍ عاصفٍ ، ولا يفترقان إلا غُفِرَ لهما ذنوبُهما ولو كان مثل زبد البحار" . (البحث عن المصدر)

-حياة الأمم ونشأتها وقوتها وشيخوختها وموتها

@@

آيات القرآن الكريم التي لها علاقة بعالمية الإسلام :

@@مسائل من الفقه العملي :

سؤال : هل يجوز بيع التماثيل أو لا ؟

الجواب :

في المكاسب المحرمة عن حرمة التصوير يقول الفقهاء : "يحرم تصوير ذوات الأرواح من الإنسان والحيوان" .

واختلف الفقهاء في أن الحرمة هل تشمل الصور المجسّمة وغير المجسّمة أو أنها خاصة بالمجسّمة ، ولا يشيرون ما إذا كانت هناك علاقة بين تحريم التصوير ومحاربة الشرك والوثنية ، ولكن الإمام الخميني رض يربط بين حرمة التصوير ومحاربة الشرك والوثنية .

يقزل الإمام الخميني رض :

إن الظاهر من طائفة من الأخبار – بمناسبة الحكم والموضوع – أن المراد بالتماثيل والصور فيها هي تماثيل الأصنام التي كانت مورد العبادة ، كقوله : ". . . أو مثّل مثالا فقد خرج عن الاسلام" (١ الوسائل – كتاب الصلاة – الباب ٣ – من أبواب أحكام المساكن) وقوله : "من صوّر التّماثيل فقد ضادّ الله" (٢ المستدرك – كتاب التجارة – الباب ٧٥ – من أبواب ما يكتسب به) . . . ، وقوله : "أشدّ الناس عذابا يوم القيامة رجل قتل نبيّا أو قتله نبيّ ، ورجل يضلّ الناس بغير علم ، ومصوّر صوّر التّماثيل" (٣ المستدرك – كتاب التجارة – الباب ٧٥ – من أبواب ما يكتسب به) ، وقوله : "إن من أشدّ

الناس عذابا عند الله يوم القيامة المصوّرون" ، وأمثالها ، فإنّ تلك التّوعيدات والتّشديدات لا تناسب مطلق عمل المجسَّمة أو تنقيش الصّور ضرورة أنّ عملها لا يكون أعظم من قتل النفس المحترمة أو الزنا أو اللواطة أو شرب الخمر وغيرها من الكبائر ، والظاهر أن المراد منها تصوير التماثيل التي هم لها عاكفون . . .

والمظنون الموافق للاعتبار وطباع الناس أنّ جمعا من الأعراب بعد هدم أساس كفرهم وكسر أصنامهم بيد رسول الله صلى الله عليه وآله وأمره ، كانت عُلْقَتُهُمْ بتلك الصّور والتماثيل باقية في سر قلوبهم ، فصنعوا أمثالها حفظا لآثار أسلافهم وحبّا لبقائها ، كما نرى حتى اليوم علاقة جمع بحفظ آثار المجوسيّة وعبدة النيران في هذه البلاد حفظا لآثار أجدادهم ، فنهى النبي صلى الله عليه وآله عنه بتلك التشديدات والتوعيدات التي لا تناسب إلا الكفار ومن يتلو تلوهم قمعًا لأساس الكفر ومادة الزندقة ودفعا عن حوزة التوحيد ، وعليه تكون تلك الروايات ظاهرة أو منصرفة إلى ما ذكر . المكاسب المحرّمة ج١ ص١٦٩-١٧٠

ثم يقول : ولا ينافي ذلك . . . من تجويز بيع الصنم الذي انقرض عصر عابديه ، وإنما يشتريه بعض الناس لحفظ الآثار العتيقة ؛ لأن المنظور في ذلك المقام جواز المعاوضة عليه إن كان المقصود مجرّد ذلك لا حفظ شعار الأجداد كما في المقام . المكاسب المحرمة ج١ ص١٧٧

وهكذا نرى أن الإمام الخميني رض ربط بين حرمة تصوير المجسَّمة ومحاربة الإسلام للوثنية ، فالإسلام يدعو إلى كسر الأصنام إن كانت تعبد أو احتفظ بها البعض لتعلّق نفوسهم بعبادة الآباء والأجداد ، وأما إذا تحوّلت إلى آثار تاريخية لا يعبدها أحد فيجوز الاحتفاظ بها وبيعها وشرائها كسائر الآثار التي التس يقتنيها علماء الآثار أو المهتمون بها ؛ لأن لها قيمة علمية وتاريخية .

عالمية الإسلام

، محمد عابد الجابري ، محمد أركون ، محمد شحرور ، زكي نجيب محمود ، إسلام بحيري ، عبدالكريم بكار ، فتح الله كولن ، إبراهيم البليهي، جورج طرابيشي، شكيب أرسلان، مالك بن نبي ميلاد مجتمع وشروط مجتمع، التاريخ تويمبي، مختصر تاريخ العالم عالم المعرفة، قناة يوتيوب مؤمنون بلا حدود، خالص جلبي، أحمد سعد زايد، جودت سعيد، رشيد الخيون، يوسف الصديق، محمد الشيخ، يوسف زيدان، نادر حمامي، مراد وهبة، إمام عبدالفتاح، نصر حامد أبو زيد، قاسم شعيب، فرج فودة، هشام جعيط، فتحي المسكيني، محمد الصغير، إدريس بنسعيد، ليندة صياد، محمد نور الدين، حسني عايش، سعيد بنسعيد، يحيى اليحياوي، طه جابر العلواني، عبدالوهاب المسيري، علي شريعتي، عبدالإله بلقزيز، إدوارد سعيد، عبد الصبور شاهين الإنسان تطور من البشر والبشر غير مكلفين والإنسان

مكلف، سروش تأثر الدين بالفكر البشري والظروف الموضوعية، محمد فتح الله كولن ، العلم ووجود الله جون لينوكس ، أقوى براهين جون لينوكس في تفنيد مغالطات منكري الدين ، خرافة الإلحاد د. عمرو شريف ، آلهة في مطبخ التاريخ جمال علي الحلاق ، الله والإنسان كارين أرمسترونغ ، كتاب "الله في الفلسفة الحديثة" تأليف : جيمس كولينز ، ترجمة : فؤاد كامل ، كتب ريتشارد دوكنز : وهم الإله ، صانع الساعات الأعمى ، الجينة الأنانية ، حوارات مع سيدني .

-الله الفرضية الفاشلة

-الإلحاد تعليل فلسفي

-علم الأديان خزعل الماجدي

-الكلام في التوحيد الحبيب عباد

-كتاب فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة

-كتاب درء التعارض بين العقل والنقل

-اليوتيوب برنامج إسلامفوبيا ، خدمة التبشير

-معذرة آدم لست أول البشر أحمد الدبش

-كتاب "بين الدين والعلم تاريخ الصراع بينهما في القرون الوسطى إزاء علوم الفلك والجغرافيا والنشوء"

-كتاب "ثم صار المخ عقلا" للدكتور عمرو شريف .

-كتاب "لغز العقل مشكلة العقل- الجسد في الفكر المعاصر" تأليف : سرجيو مورافيا ، ترجمة : عدنان حسين .

-قراءات في القرآن - الوصية الفكرية الأخيرة لمحمد أركون ، ترجمة هاشم صالح .

-مدخل إلى التنوير الأوروبي — تأليف محمد أركون .

-الشخصية المحمدية — معروف الرصافي

-الثابت والمتحول ٤ مجلدات — أدونيس

-النصيرية الفرقة الهامشية في الإسلام

-التفسير القرآني للقرآن الخطيب

فرويد كتاب موسى والتوحيد ترجمة جورج طرابيشي

الحدود في الإسلام

@@

-الهدف الوصول إلى الحقيقة

-من الفطرة حب العلم والمعرفة

-الله المثل الأعلى للإنسان ، ولله المثل الأعلى

-التصميم الذكي للكون دليل على وجود خالق

-الإنسان خليفة الله على الأرض ، والخلافة تعني المسؤولية

-أعداء الدين يخططون على الإسلام ليجعلوه ضعيفا لأنهم يخافون من انتشاره ، يعرفون أن فيه عوامل القوة والانتشار وتقبل الناس له ، لذلك يحاولون تشويهه وتشويه صورة النبي ص حتى ينفر منه الناس

-وجود الإبداع في الكون ، التصميم الذكي

-الدين ليس مانعا لحركة الأمة ، وإذا صار مانعا فمعناه أنه ليس الدين الحق كتطبيق وليس كنظرية وأنه قد وقع التحريف فيه

-نظريات نشوء الدين ١-الأنثربولوجية ٢-الطبيعية ٣-الاجتماعية ٤-العاطفية ٥-الفلسفية

٦-النفسية

-تطور الأديان ١-الاتجاه التطوري منظومة الدين بدأت بتعدد الآلهة، وبعد ذلك بدأ التوحيد، نظريات الأشاعرة والمعتزلة ٢-الاتجاه الأيديولوجي العوامل الطبيعية والاجتماعية والنفسية الخوف مثلا ٣-التوحيد والمثل الأعلى ظهر عند الإنسان البدائي

-الفطرة صبغة الله

-فطرة الله التي فطر الناس عليها

-الدليل على فطرية الدين كثرة البحوث فيه قبولا أو رفضا

-لا يمكن للبشرية أن تعيش بلا دين ، لا يوجد بشر بلا دين

-الدين أصل في الإنسان بل هو أول حاجة يحتاجها الإنسان ، الدين أهم من الطعام

-الإنسان مستعد أن يضحي بنفسه وماله وأهله من أجل الدين

-ليس السؤال هو لماذا الإنسان متدين؟ ، بل السؤال هو لماذا الإنسان ليس متديّنا؟

-فأقم وجهك للدين حنيفا

-ذلك الدين القيم

-مشروع الله ومشروع الشيطان

-في كل حكم إلهي يتدخل الشيطان ليحرفه

-دخول الأساطير في الدين

-خبرة عند الشيطان من زمن آدم ع وإلى اليوم ، يعرف النفس البشرية ومواطن ضعفها وكيفية الدخول إليها عن طريق المعاصي ، أو عن طريق العبادات بإدخال العجب والكبر والرياء

-التركيز على الشعائر والطقوس والعبادات بدون الجانب الأخلاقي والروحاني

-بحث عن الشيطان في القرآن والسنة

-التجربة تتعرض للأمور المادية فقط دون الأمور الغيبية ، ما هي دائرة التجربة؟ وما هي دائرة الغيب؟

-الدين الواقعي موجود عند الله والنبي ص .

-الحاجة إلى الدين وأهميته في حياة الناس

-فلسفة الدين

-هدف الدين صلاح الإنسان في الدنيا

-الدين يغطي جميع مجالات الحياة

-علم الاجتماع الديني

-نقد التراث الديني

-الحاجة إلى قوانين لا تهمل حتى الأمور الصغيرة ككيفية دخول الحمام مثلا

-عدم تقديس الآراء ، ومناقشة آراء العلماء لا تعني التنقيص من مكانتهم أو قلة احترامهم

-المسلمون يتصورون أن العلماء السابقين فهموا كل شيء وأحاطوا بكل شيء وأنه لا يمكن إضافة شيء جديد في المسائل الدينية وأنه لا يمكن أن نأتي بفهم جديد في الآيات والروايات

-نقدِّر جهود العلماء في جميع العلوم دينية أو دنيوية ، نأخذ آراء القدماء وجهودهم ونبني عليها ، لذلك تطورت العلوم الدنيوية والدينية ، ولا يتوقف التطور عند حدّ

-تطور العلوم الحديثة لعدم تقديس آراء العلماء القدماء ، وإنما يؤخذ بالرأي الذي يكون له دليل صحيح قوي ، ومع وجود الدليل الأقوى يؤخذ بالرأي الجديد

-انظر إلى ما قال ولا تنظر إلى من قال ، يعرف الرجال بالحق ولا يعرف الحق بالرجال ، الحق أحق أن يتبع

-سبب الاختلاف في الأحكام هم العلماء ، تفرقوا من بعد ما أوتوا العلم

-من ينقذ الإسلام من المسلمين؟

-قيمة الإنسان بالعطاء لا بالأخذ

-المنظومة الفكرية اليوم أكبر بكثير من المنظومة الفكرية من السنوات الماضية وقبل ١٠٠ سنة أو ١٠٠٠ سنة ، وفي كل يوم تزداد المنظومة الفكرية .

-تتضاعف المعارف كل ١٨ سنة ، ومع الأيام تقل عدد السنوات .
-جميع العلوم تتطور بما يناسب زمانها ، والعلوم الدينية قابلة للتطور أيضا ، كل حكم له دليله
-دخالة الظروف الزمانية والمكانية في الأحكام أو عدم دخالتها
-كل حكم له شروط ، والأحكام تتناسب مع الواقع مثال صلاة المسافر والزكاة
-الحكم في عالم الثبوت يقول أنا مستعد في أي وقت تتوفر فيه شروطي وظروفي المناسبة لتفعيلي في عالم الثبوت والواقع ، فينتقل الحكم من القوة إلى الفعلية والإثبات
-الإسلام صالح لكل زمان ومكان
-تشريع القوانين التي تتناسب مع الزمان والمكان والتطور ، المقنِّن يضع القوانين التي تناسب الظروف وتتغير القوانين مع تغير الظروف
-في الإسلام قواعد كلية مواكبة لكل زمان ومكان، وإذا لا يكون فيه هذه القواعد فلا يصلح لأن يكون دينا عالميا ، فلا بد أن نعرف هذه القواعد ، والقواعد تكون ثابته ، ولكن المصاديق تتغير من زمان لآخر ، ومن مكان لآخر
مثلا مواقيت الصلاة في القطب الشمالي أو على القمر أو على المريخ، هل مواقيت الصلاة تكون لنفس المكان أو نرجع إلى مواقيت أماكن أخرى؟
-فقه الواقع

-الاستفادة من الفقهاء السابقين في الفقه التقليدي وفضلهم على المسلمين

-الحاجة إلى مباني جديدة في استنباط الأحكام لتواكب كل زمان ومكان

-القرآن يتحدث عن القرآن

-من المهم معرفة معاني المصطلحات القرآنية

-من يفسر القرآن؟ وما هي المقدمات التي يحتاجها المفسر؟

-دور القرآن في جميع الأعصار

-كيفية علاقتنا مع القرآن

-كيفية فهم القرآن

- خطاب القرآن "يا أيها الذين آمنوا" ليس للسابقين فقط ، بل يمتد إلى زماننا وإلى المستقبل

-النسخ في القرآن

-علاقتنا مع الموروث الروائي وكيفية تنقيحها

-نسخ الرواية للآية

-المحكمات والمتشابهات في القرآن

-الآيات الآفاقية والأنفسية الدالة على وجود الله

-القرآن والعترة

-تنقيح المفاهيم الدولة الدينية والدولة المدنية ، دار الإسلام ودار الكفر والحرب ، الكافر الحربي والكافر غير الحربي ، المرتد الفطري والمرتد الملي .

-حرية العقيدة والعبادة في القرآن

-الفرق بين خطاب الإسلام وخطاب المسلمين

-معنى تطبيق الشريعة

-الحرية الفكرية في القرآن

-التحجر الفكري :

وجود التعصب والجمود في بعض المتدينين ، يلائم بين إيمانه والحياة ، نظر إلى ناحية واحدة من الدين ، وأشاح ببصره عن غيرها ، وأبى إلا التعصب لأمور ليست من الدين ، التعصب يحجب الحق عن الأبصار ، "ما جعل عليكم في الدين من حرج" ، "وذر الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا"

الجمود على النص أو التجاوز إلى روح النص مرتبطان بالظروف الزمانية والمكانية لموضوعات الأحكام

مثال الأجر العظيم لمن بذل الماء وسقى ظمآنا ، مورد هذا الحديث في المكان الذي يندر فيه الماء كالصحراء ، وأما في المكان الذي يتوفر فيه الماء فلا يوجد موضوع بذل الماء وسقي الظمآن .

-الالتقاط الفكري

-الانفتاح الفكري

-الحاجة إلى الإمامة في كل زمان

-آيات القتل والقتال

-الجهاد للدفاع عن النفس أو نصرة المظلوم

-ترهبون به عدو الله وعدوكم ، جيش قوي قوات الردع ، والعدو لا يفكر بمهاجمة دولة لها قوة ، وتخاف منها

-قتل المرتد

-رجم الزاني

-الربا والتضخم

-الثابت والمتغير في الإسلام

-أصالة الرحمة الآيات والروايات والقصص

-الرحمة هي أساس الكون

-الحب أساس الحركة وليس العذاب ، الله بالأساس يحب ، وليس الأساس هو الانتقام

-الإسلام والسلام العالمي

-فقه السلام أو فقه الحرب

-فقه المحبة أو فقه الكراهية

-فقه الإرهاب والدم قائم على الموروث الروائي لا النص القرآني

-الفكر التكفيري

-تأثر المسلمون بالفلسفات الغربية والإلحادية بسبب تطرف بعض المسلمين ، وتطبيق الشريعة بشكل مشوّهٍ ومنفِّر ، ووجود إرهاب

فكري واستبداد سياسي ، وتخلف الخطاب الإسلامي وعدم قدرته على مواكبة المستجدات .

-الإسلام والعدالة العالمية

-الإسلام عقائد وأخلاق وتشريعات

-الاهتمام بصلاح الإنسان

-دور الرقابة الإلهية في حياة الإنسان

-الكمال والانسجام والتجانس في المنظومة الدينية

-حاجة الإنسان إلى الدين

-الدين يوفر كل ما يحتاجه الإنسان

-الله المثل الأعلى للإنسان

-النموذج هو الإنسان الكامل وهو النبي ص

-إعادة كتابة التاريخ ، وسيرة النبي ص من القرآن

-مراعاة الناحية السياسية والاجتماعية والاقتصادية

-الدين يقدم المنظومة الكاملة لكل نواحي الحياة وهذا يحتاج إلى إثبات

-انسجام وتناسق وتكامل بين أحكام الدين وأجزاء المنظومة الواحدة مثلا الأعلمية في الفقه العقائدي والفقه الأخلاقي والفقه العملي

-التركيز على الفقه العملي وإهمال الفقه العقائدي والفقه الأخلاقي

-الحاجة إلى رسالة شاملة للفقه العقائدي والفقه الأخلاقي والفقه العملي حتى تسير العلوم الثلاثة مع بعضها البعض ، ولا يهمل الفقه العقائدي والفقه الأخلاقي

-الفكر القديم ينقح فيؤخذ منه الصحيح ويترك غير الصحيح حسب اجتهاد العالم ، وهكذا يتطور الفكر الإسلامي

-الفكر مثل الكائن الحي يتطور ويتغير من زمن إلى زمن آخر

-القديم والماضي لا يؤخذ ولا يقبل كاملا ولا يرفض كاملا ، وهو فهم بشري فيه الصحيح وفيه الخاطئ ، وباب الاجتهاد مفتوح

-تجديد فكر المسلمين لا الفكر الإسلامي الذي هو النصوص الواقعية من كتاب وسنة

-النص والفهم التاريخي للنص ضمن الظروف الزمانية والمكانية

-الأفكار اعتمادا على النص الشرعي ، وباب الاجتهاد مفتوح ، النص القرآني ثابت بالتواتر والاجتهاد يكون في معاني الآيات ، والاجتهاد مفتوح في النص الروائي بصحته وعدم صحته ، بالإضافة إلى الاجتهاد في فهم النص الروائي بشرط أن لا يكون معارضا للقرآن

-من يقوم بالتجديد ؟ المطلع على القديم وظروفه الزمانية والمكانية ، والمطلع على الواقع وظروفه الزمانية والمكانية

-المنهج البحثي في الروايات ، الشرط عدم معارضة القرآن

-الروايات في كل مدرسة تشكل مذهبا ، والروايات المشتركة تشكل الدين الإسلامي

-المرأة في الإسلام ، من يعمل صالحا من ذكر أو أنثى

-نظام الرق كان موجودا قبل الإسلام ، والإسلام حاول القضاء عليه تدريجيا عن طريق الكفارات

-لا توجد دعوة للاسترقاق في القرآن ، إما منا وإما فداء

-تناسب الدين مع الفطرة والعقل وعدم التناقض والتهافت ولكن عدم الأخذ ببعض الأعراف في بعض الموارد لعدم تناسب الأعراف مع القواعد العامة في الدين ولأنها تؤدي إلى نتائج لا تعود بالنفع على المجتمع

-كيفية تشريع القوانين المناسبة للواقع مثال خمس صلوات في دولنا وأما في القطب الشمالي أو على المريخ فكيف تكون الصلاة

-قوانين تتناسب مع حفظ الإنسان في النفوس والأعراض والأموال

-عدم الإباحية في العلاقات الجنسية

-زواج المثليين

-مسؤوليات الحاكم في نشر العدل ، في دولنا الحكم تشريف ، وفي الدول المتمدنة الحكم تكليف

-ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى

-دور العلماء في استنباط الأحكام التي تتناسب مع كل زمان ومكان

-الرجوع إلى العلماء في أخذ أحكام الدين ليس معناه أن المسلم لا يفكر في الأمور الدينية ولا يعمل عقله فيها ، نحتاج إلى العقلانية في فهم الدين ، أنت ستحشر وحدك فلا بد أن يكون عندك جواب عن

أسباب أخذك بهذا الاعتقاد دون الاعتقاد الآخر وبهذا العمل دون العمل الآخر

-في القرآن ذكر الفعل يعقلون ولم يذكر العقل لأن العقل هو وجود القوة المفكرة عند الإنسان ، والمطلوب هو إعمال العقل لا وجود العقل فقط ، وهذا مثل قوة السمع والفعل يسمعون

-العلاقة بين العقل والنقل هل يوجد تناقض أو انسجام؟

-لو خيروني بين عقلي وديني لاخترت عقلي

-رواية : العقل حجة باطنة ، والرسول حجة ظاهرة

-العقل يقصد به أولا القوة المدركة وثانيا نتائج العقل ، والمقصود من استعمال العقل في المسائل الدينية هو هل أن نتائج العقل يمكن الأخذ بها في المسائل الدينية أو لا يمكن ؟

-يعرف وجود الإله وخالق الكون وباقي أصول الدين بواسطة العقل .

-لا تنهض أي أمة بدون استعمال العقل سواء النهضة الدنيوية أم النهضة الدينية ، وإلا انتشر الجهل .

-علم الجهل والتجهيل وصناعة الجهل

-دور الإعلام في نشر الجهل

-القرآن آيات "يتفكرون"

-المطلوب من كل مسلم أن يتفكر ويتدبر القرآن

-لا تسلّم عقلك لغيرك ، أنت مسؤول عن نفسك ، وستحشر فردا

-قاعدة "كل ما حكم به العقل حكم به الشرع" هل يوافق الدين عليه ؟

-العقل والعاطفة متكاملان ، الزوج والزوجة مثال

-لا بد أن يعرف الإنسان "من أين وفي أين وإلى أين" ، كما ورد في رواية عن الإمام علي ع

-النظام الاقتصادي في الإسلام هل الاشتراكية أو الرأسمالية أو نظام ثالث

-الرأسمالية هدفها جمع المال ولا يهمهم إزهاق أرواح الملايين من البشر

-أصالة الفرد والمجتمع

-العلمانية والليبرالية

-النظام الاجتماعي في الإسلام

-النظام الاقتصادي في الإسلام

-النظام السياسي في الإسلام

-الإله قوة ما وراء الطبيعة ، يكون البحث في أصل وجود الإله ، ثم بعد ذلك يأتي النقاش في صفاته أنه عالم قادر حكيم كامل مطلق لامتناهي ، والملاحدة المعاصرين خلطوا بين أصل وجود الإله وبين صفاته وأفعاله ، فقالوا نجد أن العالم مليء بالأمراض والزلازل والكوارث الطبيعية ، فاستنتجوا أن الإله غير موجود ، مع أن هذا الإشكال يكون على فعل الإله لا على أصل وجود الإله ، وأشكلوا

بأنه لو كان قادرا على كل شيء فلماذا يترك الفقراء يموتون ، وهذا إشكال على قدرة الإله لا على أصل وجود الإله .

-النظرية المادية تجعل العقل الإنساني بدل الوحي الإلهي ، وتجعل الإنسان محورا بدل الإله .

-شبهات الملحدين

-انتشار الإلحاد بسبب المتصدين للأمور الدينية

-المذهب الإنساني

-الإنسان أخو الإنسان خلقكم من نفس واحدة

-الفرق بين الجاهل القاصر والجاهل المقصِّر

عن الإمام موسى الكاظم ع أن أحد أصحابه سأله عن الضعفاء (أي المستضعفين) ، فكتب له الإمام ع في الجواب : "الضعيف من لم ترفع إليه حجة ، ولم يعرف الاختلاف ، فإذا عرف الاختلاف فليس بمستضعف" .أصول الكافي ج٢ باب المستضعف ص٤٠٦ ح١١

عن الإمام الصادق ع : "من عرف اختلاف الناس فليس بمستضعف" أصول الكافي ج٢ باب المستضعف ص٤٠٦ ح١٠

الإنسان الذي يعرف بوجود اختلاف الناس في مسألة من المسائل فإن عقله يدعوه إلى البحث للوصول إلى أن أي رأي هو الحق ، والذي يعرف اختلاف الناس ليس مستضعفا ، والمستضعف هو المستضعف الفكري الذي هو الجاهل القاصر .

-شبهات على القرآن

-دور المال في الاقتصاد

-الحدود في الإسلام وتغير وسائل العقوبة مع تغير الزمان والمكان

-تعدد القراءات في فهم الكتاب والسنة

-نحتاج إلى ثورة ثقافية فكرية لفهم جديد وقراءة جديدة للكتاب والسنة وبالدليل

-فتح باب النقاش العلمي الموضوعي في مختلف المواضيع .

- لا للصراع بين الأديان والمذاهب بل الحوار العلمي بدون إثارة الفتن

-المشتركات بين المذاهب الإسلامية والنقاش العلمي في المختلفات للوصول إلى الحق

-المشتركات بين الأديان المختلفة وفتح باب النقاش العلمي

-سيطرة الفكر الواحد والرأي الواحد ، توافق عليه وإلا أنت كافر يجب قتلك

-تربية المسلمين على الفكر الواحد والرأي الواحد

-الفردية في الرأي ، رأي الأب ، ورأي المعلم ، ورأي الحاكم ، اقبل رأي الحاكم بدون نقاش وإلا سجنت وعذبت وعدمت

-فكرة النمط الواحد والرأي الواحد للحاكم ، يريد أن يجعل آراء جميع الناس في الدولة رأيا واحدا مطابقا لرأيه ، ومن يخالفه يسجن أو يقتل

-الارهاب الفكري ، تأخذ رأيي وإلا أقتلك ، يحكم بردّته وكفره ويقتل ، التكفير والارتداد

-مشكلة العصر القوي يفرض ثقافته وفكره وعاداته على الضعيف

-يجب الرد على الإشكالات التي تطرح على الإسلام لا يقال فقط إنهم كفروا وخرجوا عن الإسلام وارتدوا ويجب قتلهم ، الحل هو الرد على الإشكالات

-الدولة المدنية والديمقراطية وحق المواطنة لجميع الطوائف والأديان والمذاهب

-الدولة العلمانية

-الناس سواسية أمام القانون من أي دين أو مذهب

-الديمقراطية لا تنفع في المجتمعات الجاهلة التي تحكمها الطائفية والعنصرية

-في الديمقراطية كل شخص يمثل نفسه ، وينتخب على أساس صلاحه وأمانته وعلمه وكفاءته

-القيم والمبادئ الإنسانية العامة العليا في القرآن والإسلام

-الصدق وعدم الكذب من القيم الإنسانية

-الصدق أهم من الصلاة

-العدل أهم من الصلاة

-أقم الصلاة لذكري

-اذكر الله في قلبك ، فالذكر أولا قلبي ، وتترتب عليه الآثار الخارجية كالذكر اللساني

-كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا

-نعبد الله لأنه أهل للعبادة لا عبادة التجار ولا عبادة العبيد

-حب العلم وطلبه من القيم الإنسانية ومن فطرة الإنسان حب المعرفة

-حقوق الإنسان في القرآن

-من قتل نفسا بغير نفس ، كل نفس محترمة مسلما أو غير مسلم

-نفوس جميع الناس وأعراضهم وأموالهم محترمة مسلما أو غير مسلم

-من قتل نفسا فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحيا نفسا فكأنما أحيا الناس جميعا

-المذهب الإنساني يدور حول الكرامة الإنسانية ولقد كرمنا بني آدم

-وضع قوانين تتناسب مع الظروف المختلفة لكل مجتمع لتنظيم المجتمع

-أسباب تخلف المسلمين : الطائفية ونشر الفتنة والفرقة والعداء بين الناس والنيل من مقدسات الآخرين

-أسباب تخلف المسلمين : انشغال كل طائفة بالرد على الطائفة الأخرى بدل الانشغال بالأخذ بأسباب نهضة الأمة

-من أسباب تخلف المسلمين : عدم وجود مفكرين في الأمة ، ولكن يوجد سياسيون غير مفكرين ولا يعتمدون على المفكرين ، والأمة تنهض بواسطة مفكريها لا سياسييها

-لا يوجد إنتاج فكري وثقافي ولا إنتاج صناعي عند المسلمين ، لا علم ولا إنتاج

-الفكر يتناسب مع إعمال العقل ، وما دام أنه لا يوجد إنتاج عند المسلمين فمعنى ذلك أن العقل مجمَّد عندهم حاليا

-الحرية الفكرية تؤدي إلى التطور كما حدث في الشرق والغرب

-قوالب فكرية جاهزة تعطى للمسلم ولا يتعداها ، ومدارس التعليم تقوم بهذا الدور ، فلا تربي الطلبة على التفكير بل على حشو الذهن بالمعلومات

-وضع المسلمين اليوم :

١-ضعف القيادة السياسية والفكرية والثقافية

٢-ضعف الحوار

٣-الحروب

٤-الإرهاب والاستبداد السياسي

٥-الإرهاب والاستبداد والتطرف باسم الدين

٦-الإرهاب النفسي

٧-الإرهاب العقلي أيها المسلم لا تفكر فهناك من يفكر بدلك

٨-تخلف فكري ثقافي

٩-ضعف دراسي مدرسي وجامعي

١٠-لا توجد استقلالية عند المسلمين ، والمحرك لهم خارجي

١١-العقاب عند السلطة مقدم على الثواب

١٢-وعاظ السلاطين لتبرير أفعالهم حتى لو كانت محرمة

١٣-الخطاب الإسلامي التركيز على الطهارة والنجاسة ودخول المسجد بالرجل اليمنى ودخول الحمام بالرجل اليسرى وتربية اللحية والعبادات كالصلاة بدون ذكر الأخلاق والأمانة والصدق

قصة أحد العلماء جاء إليه بعض الناس لزيارته وكان بعضهم غير ملتحي وطلبوا منه نصيحة فطرح عليهم مسألة وجوب اللحية

كأن الأمور الدينية متوقفة على وجود اللحية وعدم وجودها ، وتركنا مواضيع الأخلاق والتخلف الفكري والثقافي والسياسي والاجتماعي المنتشر بين المسلمين والأمور الأخرى المهمة في حياة الأمم

١٤-يعتقد الناس أن كلام الخطيب وحي من الله

١٥-التركيز على عذاب القبر وأن الله شديد العقاب مع أن الأصل هو رحمة الله وحب الله لخلقه

١٦-المسلمون اليوم خارج التاريخ ، ليس لهم تأثير أو دور في أحداث العالم إلا التأثير السلبي

١٧-الخطاب الإسلامي اليوم مؤدلج قتل وإرهاب وتكفير المخالفين للرأي، قبل ٥٠ سنة كان الخطاب هادئا مع التركيز على المشتركات بين المذاهب

-قانون الاستبدال يستبدل غيركم وجعلناهم أحاديث

-كيف ينهض المسلمون؟

-مواجهة الفكر المتطرف

-من لا يهتم بالأمور العظام يتمسك بالتفاهات والأمور البسيطة ويجعل الدين متوقفا على تنظيف الأسنان بمسواك أو لبس خاتم

-الأخذ بأسباب التطور والنجاح

-القرآن هو الأساس واستخراج القواعد القرآنية ثم عرض الروايات على القرآن

-سبب الخلاف بين المسلمين هو الموروث الروائي ، فنحتاج إلى تحقيق وغربلة لنأخذ ما يوافق القرآن ونترك ما يخالف القرآن

-موقع القرآن في الفتن ، القرآن هدى

-لو طبقنا الإسلام لصرنا أمة قوية وسادة العالم ونشرنا الحق والعدل والإحسان والصدق

-قيم ومبادئ القرآن

-أكثر الناس ادعاء للعدل والحق والصدق والحرية وباقي المبادئ هم المسلمون ، فأكثر الظلم والكذب والباطل منتشر بين المسلمين للأسف فكيف نريد من العالم أن يأخذ بالدين الإسلامي

-علاقة المسلمين بغير المسلمين جعلناكم وشعوبا لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم

-التقوى حالة قلبية عند الإنسان تدعوه إلى اتباع الصحيح وترك الخطأ ومن مصاديق التقوى عدم الاعتداء على الآخرين لأنه خطأ عقلا وعرفا

-تقدم الأصلح والأكرم عند الله وهو الأتقى أي الذي لا يعتدي على الآخرين

-أهل الكتاب إلهنا وإلهكم واحد

-الفرق بين أهل الكتاب والذين أوتوا الكتاب

-المعاصرون للنبي ص لمعرفة أصناف الناس في كل زمان

-النبي ص في القرآن الكريم

-إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم

-دور العقل في الإسلام لعلكم تعقلون آيات العقل في القرآن

-التكليف يكون للعاقل لا للمجنون

-العلاقة بين العقل والوحي ، ما هو العقل؟ وما هي دائرة العقل؟ وما هي دائرة الوحي؟

-العلاقة بين العلم والوحي

-المسلمون يقولون عن أنفسهم إنهم أفضل أمة "كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر" لا بد أولا أن يتمسكون بالمعروف ويتركوا المنكر حتى يمكن لهم أن يدعوا يأمروا وينهوا

-أنت لست مقياسا للحق ، هذا فهمك عن الدين ويحتمل الخطأ فيه وليس الحق المطلق عندك في كل الأمور

-تجديد الخطاب الديني والفكر الديني

-تجديد الفكر أو فكر التجديد

-التجديد الفكري والإصلاح الفكري

-الخطاب السياسي

-فكر وتوجهات أفراد المجتمع يكشف عن الموجِّه لهم

-الإنسان في القرآن يا بني آدم

-الناس في القرآن يا أيها الإنسان

-خلق لكم ما في الأرض جميعا

-أوفوا بالعقود

-علاقة الإسلام بالعلوم الإنسانية

-اقرأ إذا لا تقرأ لا تنتج

-عدم التركيز على الأمور الصغيرة وكأنها هي الدين كالسواك واللحية والدشداشة والقصيرة

-نعم الجنة التي ذكرها القرآن تتناسب مع ظروف البيئة وهي مصاديق لـ "ما اشتهت أنفسكم" ، وكذلك العذاب بما يتناسب مع ذهن الإنسان في ذلك الزمان

-الإنسان الصالح قد يكون من أي دين ، وقد يكون ملحدا ، يكون ملتزما بالقيم والمبادئ الإنسانية العامة

-من يدخل الجنة؟ لسنا قسيمي الجنة والنار ، الحساب على الله ودخول الجنة والنار بيد الله لا بأيدي الناس "الله يفصل بينهم"

-العقل المسلم لا العقل الإسلامي

-العقل المسلم أي عقول المسلمين وهو الطريقة التي يفكر بها المسلمون والقوالب الفكرية الموجودة عند المسلمين

-نقد العقل المسلم

١-الدين فقه عملي فقط

٢-مسائل خلافية فقط

٣-عدم الاهتمام بالتطوير والاكتشاف والاختراع

٤-قبول آراء العلماء القدماء بدون أي تجديد أو إضافة أو تغيير باعتقاد أنهم الذين يفهمون كل شيء ، تقديس القديم ، أول أمة تقبل القديم على إطلاقه ولا تجدد شيئا من القديم ، وعندهم خوف من التجديد في الأحكام والآراء الدينية

-إذا صادف مشكلة في الحاضر يلتفت إلى الماضي ليبحث عن الحل عند العلماء السابقين ، بدل أن يبدع حلولا جديدة للمشاكل المعاصرة ، وإذا وصل إلى حلول جديدة بقراءة جديدة للأدلة صار مبتدعا في الدين

٥-إرجاع كل مرض وشيء سيئ إلى عمل الجن ، الشعوذة والخرافات

٦-البحث عن الخرافات وإدخالها في الدين

٧-المسلمون معجبون بأنفسهم بالاسم دون أن يقوموا بتطبيق الدين ، فعندهم عجب بالذات ، يرون أنفسهم فوق الأمم مع أنهم حاليا في آخر قائمة الأمم ، ولأنهم معجبون بأنفسهم فالمسلمون لا يقومون

بدراسة الأديان الأخرى ، ودراسة الأديان الأخرى ممكن أن تقوّي معرفتنا بديننا، العنصرية والعرقية والاستعلاء

٨-عدم إحساس المسلمين بالمسؤولية رغم أنهم يقولون بأن الدين الإسلامي دين عالمي ، والمسؤولية تكون بقدر اتساع الرسالة

٩-عدم تقبل الرأي المخالف ، والمبدع عند المسلمين هو الذي يطرح آراء القدماء ، وإذا جاء بآراء جديدة صار خارجا عن الإسلام ضالا زنديقا فاسقا منافقا من أهل النار

١٠-عدم تقبل القوميات الأخرى

١١-الأمم تفتخر بحاضرها ، والمسلمون يفتخرون بماضيهم فقط

١٢-المسلمون اليوم يتأثرون بكل الاتجاهات الفكرية في العالم ، وهم لا يؤثرون بأحد

١٣-الشعور بالنقص أمام الشرق والغرب ، يشعر المسلمون أن الغرب أرفع منه درجة

١٤-تحويل الشخصيات إلى أصحاب قدرات خارقة وكرامات كثيرة

١٥-علاج مظاهر المرض لا علاج سبب الأزمة ومصدرها ، لا بد من الرجوع إلى التاريخ لمعرفة بداية الأزمة ، وتشخيص المرض قبل العلاج ، ومعرفة العلاج

١٦-الشعوبية ، كل شعب يرى نفسه في مقابل الشعب الإسلامي من الجنسيات الأخرى

١٧-الانفصام في الشخصية ، يتكلم كثيرا في الدين مع أنه غير ملتزم بالإسلام، مثال مجموعة من التجار في الصين يصلون واشترطوا أن يكون اللحم حلالا في الأكل مع أنهم ذهبوا لأخذ بضائع بماركات مزيفة، يصلي ولكنه يغش الناس تجاريا

١٨- التسليم المطلق للسلطان في كل شيء، والاعتراض عليه محرم

١٩-العقاب مقدم على الثواب

٢٠-عدم تقبل النقد

٢١-عدم وجود النقد الذاتي

-لماذا لا يوجد مفكرون مسلمون؟

بسبب غلق باب الاجتهاد وتقديس آراء القدماء وعدم قبول الآراء الجديدة وتعطيل العقل من التفكير والتأمل

-الاختلاف في الآراء سنة طبيعية بين الناس ، ولا يوجد مقياس إلا الله والمعصوم أي القرآن والسنة الواقعية

-في التعليم والثقافة والفكر لا بد أن ننتقل من النقل والتلقين إلى الإبداع

-التكامل المعرفي وتكامل الأجيال

-ننظر إلى الإسلام لا ممارسات المسلمين

-العدالة الاجتماعية ، وجود الطبقية عند المسلمين أغنياء وفقراء

-المواصفات المطلوبة للدولة : لا بد أن تكون قائمة على العدل ، والحاكم لا بد أن يكون عادلا ، والهدف من الدولة إقامة العدل

وإعطاء كل ذي حق حقه والأخذ من الظالم ما يغتصبه وإعطاء المظلوم حقه المغتصب منه

-ليقوم الناس بالقسط ، دور الناس أن يعملوا بالعدل ،كل شخص في عمله يكون عادلا بأن يعطي صاحب الحق حقه ، ومنه عدم قبول الواسطات في التعدي على الحقوق العامة أو الخاصة

- ما هي أسس الدولة الإسلامية؟

-التقسيم الإداري في الدول حسب الظروف في كل زمان ومكان

-لا أحد من الناس يملك جميع الحقائق المطلقة ، كل شخص عنده جزء أو أجزاء من الحق وعنده جزء أو أجزاء من الباطل

-انظر إلى ما قيل ولا تنظر إلى من قال

-هل الإسلام يدعو لإقامة دولة دينية؟ وما معنى الدولة الدينية؟ وما هي شروط الدولة الدينية؟

-علاقات الإنسان : علاقة بربه وعلاقة بنفسه وعلاقة بأخيه الإنسان وعلاقة بالطبيعة

-وسائل المدنية هي علاقة الإنسان بالطبيعة ، وليست هي علاقة الإنسان بالله ولا بأخيه الإنسان ولا بنفس الإنسان وباطنه

-الزواج بالطفلة (إذا بلغوا النكاح)

-لماذا الخوف من الإسلام ومحاربته؟ لأن فيه قابلية وعوامل للانتشار بخلاف بعض الأديان

-الغضب والشهوة تحت سيطرة العقل

-دور الوضاعين في حرف الإسلام

-طلب القرآن من المسلمين التفكر والتدبر في القرآن ، نعم بالبداية مع أول التكليف التعبد ، ولكن مع تقدم العمر يكون التفكير وعدم تجميد العقل

-تدبر القرآن مطلوب من المسلمين وغير المسلمين لأن القرآن ذكر للعالمين

-أهمية التفكر

-أهمية النقد الذاتي للفرد وللآراء

-الشهادة لله كونوا شهداء ولو على أنفسكم

-الرأي مع الدليل ، والدليل هو المهم ، ويكون الرد بنقض الدليل

-الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه

-الأديان لا تدعو إلى الحروب ، وإنما المنتسبون إلى الأديان يقيمون الحروب لمصالحهم الشخصية ، وهم أهل الدنيا الذين لا يؤمنون بوجود يوم للحساب ، ويجدون أتباعا حمقى يسيرون خلفهم

-الحروب الصليبية لا نحمِّلها الدين المسيحي

-الصهيونية لا نحمِّلها الدين اليهودي

-المسيحية انحرفت وتركها الناس ورجعوا إلى فطرتهم وعقولهم

-ما يفعله المسلمون لا يعبر عن الإسلام إلا إذا كان دليله من النصوص الشرعية ، والنصوص الشرعية هي القرآن الكريم والسنة الواقعية ، والموجود اليوم في الكتب هو السنة المنقولة

-القرآن انتهى من حيث الألفاظ ، فلا نزيد ولا ننقص في القرآن ، ولم ينته من حيث المعاني

-النصوص الدينية ثابتة ولكن الأفهام تختلف وتتغير عبر الزمان والمكان ، نعم الإسلام له واقع ونحاول أن نصل إلى هذا الواقع

-فهم العالم للنصوص الشرعية قائم على المنظومة الفكرية الموجودة عنده والتي يأخذها من زمانه ومكانه

-في فهم النص نحتاج إلى اللغة نحوا وصرفا وبلاغة

-فقه اللغة ، وعلم اللسانيات

-وظيفة العلماء إعطاء العلم وتوجيه الفرد ، وأما التفاعل الباطني القلبي مع العلم فهو وظيفتك

-المرجع يكون مرجعا علميا ، ويطلق عليه مرجعا دينيا مجازا ، فالمرجع الديني هو القرآن والسنة الواقعية ، وأما فهم النصوص الشرعية فيكون من باب العلم ومحاولة الوصول إلى الأحكام الدينية ، والعلماء ينقلون العلوم المستنبطة من النصوص الشرعية ، وأفهامهم تمثل العلم بالدين لا الدين

-المطلوب من المكلف أن يستخدم عقله ، فتدبر القرآن مطلوب من الجميع

-ما معنى الفكر؟

-الفكر الإسلامي اليوم هو مجموع فكر الإسلام الواقعي وفكر المسلمين المستنبط من الأدلة

-محاولة الوصول إلى معرفة الفكر الإسلامي الواقعي عن طريق الاستنباط ، ولكننا لا نعرف الواقع ، وكل شخص يقول إن كلامه هو الواقع مع أنه يجهل الواقع

-الأنسنة في الفكر الإسلامي

-معنى العلم والمعرفة والثقافة

-المعرفة الإنسانية والمعرفة الدينية

-نظرية المعرفة

-المعرفة التوحيدية

-معارف إلحادية مانعة من الإيمان بوجود خالق للكون

-عالم الدين صاحب رسالة أو يؤدي وظيفة وعمل مقابل مال

-الذين يبلغون رسالات الله

-الإسلام والقضايا المعاصرة

-تطوير مناهج التعليم الديني بما يناسب الواقع المعاصر

-الاستفادة من العلوم الإنسانية في فهم أكثر للدين

-تقدير جهود العلماء في العلوم الإنسانية والعلوم الحديثة

-لا يقصد بالخطاب الديني تغيير أسلوب الكلام وبقاء الفكر كما هو ، وإنما المقصود تغيير وإصلاح الفكر ، مثلا استخراج القواعد القرآنية العامة ورد الروايات المعارضة لهذه القواعد

-خطاب علماء الدين في كل عصر يحدد فكر المسلمين في ذلك العصر

-الانطلاقة من الفكر وفهم البشر حتى يتغير أسلوب الخطاب والكلام

-الوحدة الإسلامية والتقريب بين المذاهب

-حوار الحضارات لا صراع الحضارات لأنها كلها حضارات إنسانية

-حوار الأديان والمذاهب

-التعايش بين الأديان والمذاهب

-الحل يأتي من المؤسسات الدينية والحوزات العلمية لتجاري الواقع

-نحتاج مناهج جديدة للحوزات العلمية ، والمناهج لا بد أن يتم تجديدها كل خمس سنوات على أيدي العلماء المتابعين لقضايا العصر ، وتحتوي المناهج على آخر النظريات العلمية ، كما هو الحال في الجامعات الحالية

-كتابة القوانين في الدولة والتي تتناسب مع الأوضاع الاجتماعية تكون على أيدي علماء ودين وقانونيين

-إن قيل بأن ما يصلح لعصر مضى لا يمكن تطبيقه على عصر أتى ويأتي لأن كل شيء فينا وحولنا يتغيّر ويتبدّل ، وعليه فلا يمكن لشريعة واحدة أن تكون صالحة لكل زمان ومكان .

والجواب هو أولا : أن التغيير والتبديل يكون في الأفراد لا في المفاهيم .

وثانيا : أن الإسلام يحث على العمل من أجل التطور والتحول ، ولكن إلى الأقوم والأحسن ، والإسلام يكون مع ما ينفع الناس في جميع الحالات مهما تغيّرت الظروف والبيئات .

"إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم" الإسراء٩

والأنفع والأصلح لجميع الناس لا يتحقق إلا بالتعاون الشامل بين جميع البشر ، وتعاون جميع البشر لا يتحقق إلا إذا تم إلغاء الحواجز والفوارق والعنصرية والطائفية ، وامتزج الشرق بالغرب ، والأسود بالأبيض ، وعاش الناس تحت راية الواحد الأحد ، وتعاون الجميع بإخلاص لمصلحة الجميع .

"وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان" المائدة٢

"من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحياها جميعا" المائدة٣٢

وثالثا : أن أحكام الدين تأتي لمعالجة مشاكل المجتمع المعاصرة ، فتعطي القواعد العامة الثابتة لكل زمان ومكان من جهة ، وتعطي حلولا خاصة لكل زمان ومكان من جهة أخرى ، وإذا لم يكن كذلك فإن الدين يكون للماضي لأن أحكامه لا تصلح للحاضر والمستقبل ، ولا يمكن به حل المشاكل المعاصرة المتغيرة في كل زمان ومكان

-في الكون توجد أمور ثابتة وأمور متغيرة ، ونحتاج إلى قوانين للأمور التكوينية الثابتة ، وقوانين أخرى للأمور التكوينية المتغيّرة ، وكذلك في التشريع يوجد ثابت ومتغير

-مقاصد الأحكام وغاياتها

-نحتاج إلى فقه مواكب لكل عصر

-كل عالم يكتب لزمانه ضمن منظومته الفكرية التي أخذها من عصره

-الهدف الوصول إلى المجتمع الفاضل ودولة العدالة

-القرآن يمزج بين أحكام الفقه العملي والفقه الأخلاقي والفقه العقائدي "يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون"

-التمهيد من شريعة إلى شريعة بهدف نشر العدالة في العالم

-قاعدة استبدال الأقوام

-علم الجيولوجيا "قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق"

-دور التوحيد في حياة الأمم

-دور الأنبياء في حياة الأمم

-دور الأوصياء في حياة الأمم

-إذا خاف المسلمون من فكر الآخرين فمعنى ذلك أن المسلمين ضعفاء في المواجهة الفكرية مع الآخرين

-كيف يكون الدين عالميا ويكون أتباعه ضعفاء فكريا؟!!

-لا بد أن تكون الأدلة في الدين العالمي أدلة قوية ويكون الدين قادرا على المواجهة الفكرية مع جميع الاتجاهات الفكرية

-التراث الديني يؤدي إلى الإرهاب أو الإلحاد ، ولكن الإرهاب يقتل الأبرياء ، والإلحاد لا يقتل الأبرياء

-الحقيقة الواقعية واحدة ، ولكن فهم الحقيقة مختلف ، والشيء الذي تعتقد بأنه حقيقة ليس بالضرورة أن يكون هو الحقيقة عند غيرك ، هذا اعتقادك وتعتقد أنه الحق ، ولكن الآخر لا يرى ما تراه حقا بل يرى أن الحق شيء آخر ، ولا يمكن الوصول إلى جميع أبعاد وجهات الحقيقة ، فكل شخص يصل إلى جزء أو أجزاء من الحقيقة ، ولا يمكنه الوصول إلى كل الحقيقة ، والإنسان في سعي دائم للوصول إلى كل الحقيقة ، ويظل باب البحث مفتوحا لكل إنسان ، ولا يمكن أن يغلق باب البحث عن الحقيقة للإثبات أو للنفي ، "قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين"

-مختلفين ولذلك خلقهم

-المسلمون عندهم عجب بأنفسهم ، وهذا يعطيهم تكبرا على الأمم الأخرى ، يعتقدون أن الحق المطلق عندهم ، ولكن كل أمة تعتقد بأن الحق المطلق موجود عندها

-البحث عن معاني الكفر في القرآن : الكفر بالمعنى اللغوي هو التغطية والسّتر ، في لسان العرب : "الكافر : الزّرّاع ، لستره البذر بالتراب" .

"قد أفلح من زكاها وقد خاب من دسّاها" الشمس٩-١٠

دسّاها أي غطّاها في التراب ، فالإنسان الذي يقوم بتغطية فطرته الموجودة في أعماق نفسه يكون من الخائبين .

والكفر بالمعنى الاصطلاحي هو الذي يجحد وينكر شيء مع علمه بها ، "جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم" ، فالذي يكفر بالله لا بد أن يكون عالما بالله فينكر ويجحد ، هذا يسمّى كافرا ، وأما الذي لا يعرف الله ولم يسمع به أو أن المسلمين شوّهوا الدين فلا يسمّى كافرا .

-ولا تفرقوا

-شيعا

-واعتصموا بحبل الله

-ملحد كافر علاقته طيبة بالموظفين ، ولكنها ليست جيدة مع مدير الشركة

-شبهات موجودة في القرآن مع أجوبتها

-من خلق الكون؟ إما خالق وإما مخلوق كالطبيعة ، والمخلوق لا يمكنه أن يخلق ، فهو كان معدوما قبل أن يوجد ، والمعدوم لا يمكن أن يخلق نفسه

-هل خلق الله الكون من العدم؟

-تجارة الدين والجهل

-إذا أردنا أن نتطور لا بد من إعادة كتابة المناهج في المدارس العامة ، وفي الجامعات التي تدرس العلوم الدينية

-تحديد عدوك ، والمسلم ليس عدوا ، المسلم أعظم حرمة من الكعبة

-الجهاد الدفاعي ، والجهاد الابتدائي وغزو بلد آخر

-مراجعة بنود ميثاق الأمم المتحدة لحقوق الإنسان ومقارنتها مع الحقوق في الإسلام

-ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع

-كيف تحصل على السعادة ؟ ألا بذكر الله تطمئن القلوب

-هل الحساب يكون على أساس الأحكام الواقعية أو على أساس ما تصل إليه من أحكام بواسطة الأدلة؟

-مسلمون لا مذهبيون ، نعم تتبع مدرسة معينة بدون تكفير أو إقصاء المدارس الأخرى

-البرمجة الثقافية لفكر الناس

-دكتورخريج جامعات مع أنه في الجامعة يقبل تعدد الآراء ، ولكن في حياته الدينية يكفر الآخرين ، وقد تراه يعبد بقرة

-مشكلتنا في عدم تقبل الرأي المخالف ، فالجهل مسيطر

-المدارس التعليمية والجامعات لا تخرّج مفكرين ، وإنما تخرّج مبرمجين فكريا ضمن قوالب فكرية معينة

-أمة لا تفتخر بمفكريها إلا إذا كانوا ضمن قوالب فكرية معيّنة ، ولا تقبل المفكرين المجدّدين الذين يأتون بأفكار جديدة

-الدين يتم تعليمه في المدارس من قبل المرحلة الابتدائية ، ومع ذلك لم يمنع الفساد ، كلام أكثر الناس ديني ، ولكن مع ذلك فاسدون ، لماذا ؟

-تدمير الممتلكات العامة ، ويظنون أنهم يدمرون ممتلكات الحكومة لا ممتلكاتهم

-إذا صار معارضا للسلطة دمر وطنه

-بعض الدول مثل اليابان يكتشفون في كل يوم حقائق جديدة ، ويكتفي المسلمون بما وصل إليه العلماء في الماضي

-اللادينيون : ١-الربوبيين الذين يعتقدون بوجود إله وخالق للكون ولكن لا يؤمنون بوجود الأديان والأنبياء والرسل، ٢-اللاأدريون المترددون ، ٣-الملحدون الذين لا يعتقدون بوجود إله وخالق للكون

-الملحد لا يوجد عنده دليل على وجود الإله ، وإذا كان عنده دليل لآمن

-الدين والحداثة ينسجمان ولا يتعارضان

-ما هي الحداثة وما بعد الحداثة؟

-الحداثة ضد التعصب لا ضد الدين

-هل توجد حداثة إسلامية؟

-المدرسة التفكيكية

-الغرب اليوم تجربة المتفجرات والأسلحة والصواريخ على الناس ولا يهمهم عدد القتلى

-ما هي العولمة؟

-هل توجد عولمة إسلامية أو لا؟

-الحركات الإسلامية السياسية بشكل عام شوهت الدين لأنها صارت هدفا لا وسيلة

-نظرية الفوضى

-ميكانيكا الكم

-الثورة الثقافية

@@

مصادر البحث :

أولا : الكتب :

١-أصول الدين - السيد كاظم الحسيني الحائري ص١٣-١٤٠

٢-بداية المعرفة - الشيخ حسن مكي العاملي ص٥٩-١٨٧

٣-عقليات إسلامية - محمد جواد مغنية ص٥-١٧٧

٤-نفحات القرآن بإشراف الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ج ١ ، ٢

٥-أفي الله شك؟ - الشيخ مرتضى فرج

٦-تفسير الميزان - العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي

٧- الأمثل في تفسير القرآن - الشيخ ناصر مكارم الشيرازي

٨-الإشارات والتنبيهات - ابن سينا

٩-فلسفتنا - السيد محمد باقر الصدر .

١٠-الدوافع نحو المادية — الشيخ مرتضى المطهري .

١١-أصول الفلسفة والمنهج الواقعي – السيد محمد حسين الطباطبائي والشيخ المطهري .
١٢-النفي والتغريب – نجم الدين الطبسي
١٣- دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية - الشيخ المنتظري .
١٤- جامع العلوم والحكم لأبي الفرج الحنبلي .

ثانيا : الصوتيات وأفلام الفيديو :

١-محاضرات السيد منير الخباز
٢-محاضرات ودروس السيد كمال الحيدري
٣-محاضرات الشيخ حسن فرحان المالكي
٤-محاضرات الدكتور عدنان إبراهيم

ثالثا : مواقع الإنترنت :

١- www.mawdoo3.com .
٢- www.ar.m.wikipedia.org .
٣- blogs.aljazeera.net ، مدونات الجزيرة تحت عنوان "ثقافة الاختلاف . . تلاقح الأفكار والآراء سبب ازدهار الأمم" .

٤- alhayat.com ، جريدة الحياة ، مقالة بعنوان "ثقافة الاختلاف" .

٥- almaaref.org ، مقالة بعنوان "التقوى وآثارها الاجتماعية والفردية" .

-

-

-

-

مؤلفات الشّيخ محمّد أشكناني :

١- خلاصة الحلقة الأولى والثّانية .

٢- دروس في علم الأصول - توضيح الحلقة الثّانية - ٥ أجزاء .

٣- دروس في علم الأصول - توضيح الحلقة الثّالثة - ١٠ أجزاء .

٤- الرّوضة النّديّة في توضيح اللّمعة الدّمشقيّة - جزءان .

٥- الفقه المبسّط - العبادات .

٦- القطر الشّافي - تجديد كتاب "شرح قطر النّدى" .

٧- الصّراع بين الحقّ والباطل .

٨- مقالات إيمانيّة - ١٠ أجزاء .

٩- عالميّة الإسلام - ٥ أجزاء .

١٠- علم التفكير - توضيح خلاصة المنطق - جزءان .

١١- التّقليد والأعلميّة والمرجعيّة الرّشيدة - جزءان .

١٢-تكاليف المؤمن في عصر الغيبة - ٣ أجزاء